

في الحاجة الى التناظر (المناظرة وأثرها في وحدة المسلمين)

د. عبد الله المودن

الكلمات المفتاحية: المناظرة – الروح العقلانية النافعة – الروح الجماعية الصالحة

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث الى إبراز قضية أساسية لها أثرها الواضح والعميق في واقع مجتمعنا وأمتنا من حيث وحدتهما وقوتهما، يتعلق الأمر هنا بالممارسة التناظرية من حيث بيان مفهوم المناظرة وخصائصها. ويمكن التدليل على دعوانا هذه المتعلقة بأهمية الممارسة التناظرية بما انتهى إليه طه عبد الرحمن من أن هذه الممارسة تورث لنا روحين متكاملتين، مجتمعنا الناهض في أمس الحاجة إليهما. إنهما «الروح العقلانية النافعة» و«الروح الجماعية الصالحة»، خاصة وأن منعطف التغيير الذي دخل فيه مجتمعنا في مطلع القرن الجديد لا نحتاج فيه إلى شيء مثل احتياجنا إلى هاتين الروحين المتكاملتين. على أن هذه الحاجة تغري البحث في المقصود بهاتين الروحين واستكشاف معالمها التي تعود إلى جملة من العناصر المكونة لهما والخصائص المميزة لهما، لعل ذلك يساهم في غرسهما وتنميتها داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

The need for debating practice (Debate and its impact on Muslims 'unity).

Summary:

The aim of this research is to highlight a fundamental issue that has a clear and profound impact on the reality of both our society and nation regarding their unity and strength. The point we are referring to here is debate and debating practice in terms of explaining its concept, characteristics, importance and our need for it. We will provide evidence to our claim related to highlighting its importance, taking into account Taha Abdul Rahaman's conclusion that this practice bequeaths to us two complementary spirits, which our societies and nation are in desperate need of. These two spirits are "beneficial rational spirit" and the "good collective spirit" and they are currently what we urgently need more than anything else, especially as we have entered the beginning of the new century. However, this requires stimulating research into the meaning of these two spirits and investigating their features, which go back to a set of elements of which they are made up and their unique and special characteristics. Perhaps this will contribute to inculcating and developing them within our Arab and Islamic societies, individuals and institutions.

Keywords: Debate - Beneficial rational spirit - Good collective spirit

مقدمة:

علم المناظرة وآداب البحث والتناظر من المواضيع التي حظيت بالبحث من قبل علمائنا قديما وحديثا، وتستحق الاهتمام وذلك حتى تتمكن العلوم الشرعية من استعادة قدرتها على الاستيعاب والاستجابة لما يعيشه مجتمعنا في هذا العصر من إشكالات منهجية وفكرية... وخاصة منها العلوم ذات الصبغة المنهجية التي في مقدمتها علم أصول الفقه. وإذا كان لم يطبق ولم يعمم منهج على جميع مجالات المعرفة مثلما طبق وعمم منهج المناظرة في هذا التراث؛ فإنني اخترت موضوع المناظرة باعتبارها أحد أهم أنماط التواصل والتفاعل الحواري، خاصة وأن التراث الإسلامي العربي لا يخلو مما يفيد في التنظير له وللتواصل الإنساني عامة.

وتأسيسا على ما سبق، فلموضوع هذه الدراسة أهمية قصوى يتجلى البعض منها في المناحي التالية:

- **كونه** يلامس أحد أخطر الظواهر التي يعرفها مجتمعنا الإسلامي خاصة والإنساني عامة، ويتعلق الأمر بظاهرة العنف والتطرف والإقصاء ومتعلقاتها، وفي المقابل يحاول أن يبرز أهمية التناظر بوصفه البديل الذي يعيد الاعتبار للحياة الجماعية ولقيم الاختلاف والتفاعل والتعاون، بدل التصادم وأشكال العنف المدمر المميز للمشهد العالمي الراهن.

- **كونه** أيضا يعنى بالإنتاج العلمي لأعلام مسلمين، نظرا لدورهم الكبير في تجديد العلوم الشرعية وتمكينها من تحقيق درجات أعلى من الفاعلية والتلاؤم مع الحاجات والإشكالات المتجددة، وهذا ما دعانا إلى العمل على إبراز الحاجة إلى التناظر منها وممارسة، وإبراز أهميته، وضرورة التمكن من صنغته وأدواته، حتى يصبح مادة علمية تكسبنا قدرا من (الفاعلية الذاتية)، وتبعدنا أشد ما يكون الإبعاد عن التقليد والسلبية والتعصب والعنف... فكان هذا سببا مركزيا في اختيارنا لهذا الموضوع، إلى جانب أسباب أخرى نذكر منها ما يأتي:

- **إثبات الدور المركزي والحاسم للمناظرة في بناء الآراء وتأسيس الاختيارات وكذلك تصحيحها وتطويرها.**

- **إبراز الفضل الكبير للمناظرة في الجمع بين المبادرة الفردية والنزعة الجماعية بإشراك الجميع على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، في البحث عن الحلول والحق والصواب، وتقبل النقد والتصحيح متى تطلب الأمر ذلك في إطار أخلاقي شرعي.**

وعليه فإن هناك حاجة ماسة إلى إبراز أهمية المناظرة وعلم الجدل في مناهج المحمود والإيجابي، خاصة وأن هناك إشكالات تواصلية تقف عثرة أمام مسلمي اليوم، لعل إنجازات علمائنا في الماضي تسهم في تجاوزها، غير أنه يحق لنا أيضا أن نتساءل عما إذا كان ما عاشته أمتنا في بعض مراحلها التاريخية من سيادة خطابات عنيفة ترتبت عنها سلوكات عنيفة أيضا بعيدة عن المنهج القرآني، وكذلك ما نعيشه اليوم من تعصبات وتأثيراتها السلبية... أليست هذه المجتمعات قديما وحديثا في حاجة إلى الدخول في المناظرة العلمية المفضية إلى التعاون والوصول إلى الصواب بمجهود مشترك فنتحقق وحدة الأمة وقوتها. فتلك إذن إشكالية هذه الدراسة التي حاولت الإجابة على جزء يسير منها.

أما الدراسات السابقة في الموضوع فلا يفوتني هنا أن أذكر هنا أنني استقدت كثيرا من الدراسات العلمية الأكاديمية الرصينة لأساتذة أجلاء وهم من رواد هذا العلم (علم آداب البحث والمناظرة) في العالم الإسلامي، وأقصد هنا:

- الدكتور طه عبد الرحمن في مؤلفه: "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، وغيره من دراساته في هذا المجال العلمي الذي تخصص به وهي كثيرة.
- الدكتور حمو النقاري في مؤلفه: "منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي الى المنطق الحجاجي الأصولي".

على أن الأهداف السابقة الذكر والمنهج المعتمد، تطلبا منا معالجة هذا الموضوع في مبحثين، أولهما خصصناه للتقريب النظري لمفهوم المناظرة واثبات مدى اتساع مفهومها وحضورها في الخطاب الأصولي. ثانيهما حاولنا فيه اثبات ان التناظر في مجتمعنا، وفي عصرنا هذا، ضرورة لا اختيار، وقمنا فيه أيضا بإبراز بعض مظاهر ومعالج تلك الحاجة والاهمية.

المبحث الأول: التقريب النظري لمفهوم المناظرة وحضورها في الخطاب الأصولي. تمهيد:

قبل قيامنا ببيان مفهوم المناظرة ومعنى المصطلحات الملابس معناها لمعناه التناظر، نشير إلى أننا، لتحقيق هذا الهدف العلمي الذي هو من صميم العمل الأصولي، اخترنا إتباع الخطوات المنهجية التالية:

أولاهما: الانطلاق من الدلالة اللغوية والاعتماد عليها لاستخراج خصائص المفهوم باعتبار الدلالة اللغوية أصلا في الدلالة الاصطلاحية، و"مستندنا في ذلك إيماننا الراسخ بأن المفاهيم، خصوصا في ميدان النظر في المباحث الإنسانية والاجتماعية، تبقى دلالتها ودلالاتها الاصطلاحية مهما كانت درجتها التجريدية التي رفعت إليها، تبقى مشدودة إلى دلالتها أو دلالاتها اللغوية الأصلية"¹ كما انتهى إلى ذلك حمو النقاري.

ثانيها: عدم الاكتفاء بالدلالة اللغوية للمفهوم، بل ينبغي أيضا إرفاد ذلك باستحضار الدلالة اللغوية لصد ذلك المفهوم، "إذ الأضداد تفيد أيضا في تمييز المعاني وتحديدتها كما هو معلوم"².

ثالثها: الرجوع -متى أمكن- إلى المعنى العملي لهذا المصطلح الذي يتأسس على ما كان سائدا عند العرب المسلمين، أي النصوص التي كانت ترتبط بتلك التسمية³.

المطلب الأول: المناظرة (التعريف والخصائص)

نشير في البداية إلى أن المناظرة مصطلح معتمد في مؤلفات الأصوليين. ونذكر من الأصوليين الشاطبي الذي يقول "وإن كان المناظر مخالفا له في الكليات التي ينبني عليها النظر في المسألة فلا يستقيم له الاستعانة به، ولا ينتفع به في مناظرته"⁴. وقول القاضي بن العربي: "وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظر بين الطوائف... فلم تمر بنا إلا مدة يسيرة حتى حضر عندنا بالغوير ونحن نتناظر فقيه الشافعية عطاء المقدسي"⁵. وقوله أيضا "إن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأسا من يقول إن

*مكتوراه في علم أصول الفقه من جامعة القاضي عياض بمراكش، المملكة المغربية.

1- حمو النقاري، منطق الكلام: من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، (دار الأمان)، ص 31 و 32.

2- حمو النقاري، المرجع نفسه، ص 32.

3- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، (إفريقيا الشرق، 2012م)، ص 18.

4- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز ووضع تراجمه محمد عبد الله دراز وخرج آياته وفهرس موضوعاته عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت)، م 2، ج 4، ص 245.

5- القاضي بن العربي المعافري، قانون التأويل، دراسة وتحقيق. محمد السليمان، (دار القبلة، جدة، ط 1، 1406هـ/1986م)، ص 94.

عليها هو الله، والغرابية يقولون إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حماية منه معه... في كفر بارد لاتسخنه إلا حرارة السيف، أما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه"¹.
وغيرها من الشواهد الدالة على أن المناظرة مصطلح ومنهج أصولي معتمد من قبل علمائنا من الأصوليين وغيرهم. على أنه يأتي اهتمامنا بهذا المفهوم موجه بطموح معرفي قوامه التعريف "بالمناظرة" مفهوماً ومسلماً، معجماً وتداولاً، لأجل لفت الأنظار إلى قيمتها المنهجية ومفعولاتها المعرفية على اعتبار "أن البحث في جنس المناظرة هو بحث في آليات الخطاب التواصلية بين البشر"². فماذا يقصد بالمناظرة لغة واصطلاحاً؟ وهل يمكن أن تقوم بمعناه مصطلحات أخرى؟

1- الدلالة اللغوية لمصطلح المناظرة

يجدر بنا أولاً أن نشير إلى أن قراءة كلمة (مناظرة) قراءة صرفية تبرز أنها مشتقة من فعل (ناظر) المتكون من أربعة حروف بزيادة حرف (الألف) على الأصل الثلاثي (نظر). ومعلوم في علم الصرف العربي أن صيغة (فاعل) تدل مبنياً ومعنى على وجود شخصين (طرفين) يشتركان معا في القيام بفعل واحد في الوقت نفسه. كما تدل أيضاً على المنافسة بين الطرفين المشاركين³، فالتناظر التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك وتراوضه وتناظره⁴ كما يقول ابن منظور.

والمناظرة "من المباحثة والمبادرة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته"⁵.
والمناظرة "أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتياه"⁶.
والتناظر التقابل، فإذا أضيف حرف على الفعل (ناظر) ليصير تناظر (تفاعل)؛ فإن الفعل يدل أيضاً على وجود شخصين يقابل أحدهما الآخر، يقول ابن منظور "وتناظرت الداران تقابلتا، ونظر إليك الجبل قابلك"⁷.
والمناظرة المخاطبة، "ويقال ناظرت فلانا أي صرت نظيراً له في المخاطبة"⁸، يقول الزبيدي "التناظر التراوض في الأمر ونظيري الذي يراوضك وتناظره. والمناظر المثل والشبيه"⁹.

ونخلص من هذا كله إلى أن الدلالة اللغوية للمناظرة تتضمن معاني المعاينة والمباشرة، والمباحثة، والتجاور، والتقابل وإبصار أحد الطرفين للآخر ورؤيتهما متقابلين، لننتهي إلى أن هذه المعاني حاضرة في الدلالة الاصطلاحية على النحو الآتي:

-فمعنى (التقابل) حاضر في كل خطاب استدلالي، يقول طه عبد الرحمن: "كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة و"المفاعلة الموجهة تسمى مناظرة"¹⁰. تقابل وتواجه غرضه إظهار الصواب، يقول التهانوي: "وقيل تواجه الخصمين في النسبة بين الشئيين إظهاراً

1- القاضي بن العربي المعافري، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق محي الدين الخطيب، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ص 189.

2- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص 17.

3- ابن منظور، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، 1997م)، مادة نظر، ج 6، ص 211.

4- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص 19.

5- ابن منظور، لسان العرب، مادة نظر، ج 6، ص 211.

6- ابن منظور، لسان العرب، مادة نظر، ج 6، ص 211.

7- ابن منظور، لسان العرب، مادة نظر، ج 6، ص 211.

8- ابن منظور، لسان العرب، مادة نظر، ج 6، ص 212.

9- أحمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار مكتبة الحياة، بيروت، 1306م)، م 3، ص 1.

10- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (المركز الثقافي العربي، ط 4، 2010م)، ص 66.

للصواب، أي تواجه المتخاصمين الذين مطلب أحدهما غير مطلب الآخر إذا تواجعت النسبة"¹. ونمثل لذلك بالحجاج الفلسفي الذي يعتبر "بناءً مثنويًا تقابليًا يتواجه فيه (عارض) و(معارض)، ويتوجه فيه كل منهما باليات إقناعية خاصة وحقوق وواجبات محددة"². -معنى (المشابهة): اعتبر الباحث ادراوي العياشي ابن منظور "كان واعيًا بضرورة التكافؤ والتشابه والمساواة في إطار الحوار بين طرفي المناظرة بوصفه شرطًا ضروريًا من شروط المناظرة وصحة قيامها"³.

ب-الدلالة الاصطلاحية للمناظرة

هناك تعريفات اصطلاحية عديدة للمناظرة تتشابه فيما بينها سنعرض البعض منها لعلها تصل بنا إلى مستوى الكفاية في الضبط والتحديد الكاملين للمفهوم، ومن ذلك ما يلي: -تعريف الجرجاني الذي اعتبرها "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب"⁴، ولأن الجرجاني هو أول من بسط تعريفًا دقيقًا وكاملًا للمناظرة من الناحية الاصطلاحية، و"نظرًا لأهمية هذا التعريف فقد تلقفه عدد من المؤلفين"⁵ كالتهانوي الذي اعتبرها هي "النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب"⁶، وكذلك فعل البرزنجي من المحدثين فقال بأنها "توجه الخصمين في النسبة بين الأمرين إظهارًا للصواب"⁷.

كما أن هذا التعريف يجعل أساس المناظرة ومقصدها هو إظهار الصواب، يقول الشاطبي: "ومقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه"⁸.

-تعريف من اعتبرها "تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق"⁹. فهي بذلك عملية قائمة على تصحيح أقوال الذات وإبطال أقوال الغير، ومقصدها في كلتا الحالتين ظهور الحق. وكذلك اعتبرها الشنقيطي في قوله هي: "المحاوراة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق. فكأنها بالمعنى الاصطلاحى تفيد مشاركتهم في النظر الذي هو الفكر المؤدى إلى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب"¹⁰.

- تعريف من جعلها "محاورة بين فرقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره"¹¹.

ليضيف هذا التعريف إلى ما سبق خاصية الاعتراف بالحق لدى ظهوره وإن كان ذلك على

1-محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، المحقق رفيع العجم وعلي دحروج، (مكتبة لبنان، ط 1، 1996م)، ص1652.

2-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص66.

3-أدراوي العياشي، الحوار الاختلافي، ص20.

4-الجرجاني، التعريفات، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ)، ص232.

5- أدراوي العياشي، الحوار الاختلافي، ص21.

6-محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق رفيع العجم وعلي دحروج، ص1652.

7-عبد اللطيف البرزنجي، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/1993م)، ج1، ص189.

8-أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، م 4، ج2، ص247.

9-محمد محي الدين عبد المجيد، رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة، (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة)، ص6.

10-محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة)، ج2، ص3.

11-عبد الرحمن حنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، (دار القلم، ط5، 1419هـ/1985م)، ص371.

يد الفريق المخالف.

وهكذا يتضح مما سبق أن ما يميز المناظرة هو اعتبارها تدافعا كلاميا قائما على "الحوار العقلاني" الذي يأخذ بوجوه البرهان الطبيعي المفضي إلى البحث عن التوحد من خلال الاختلاف، والبحث المشترك عن الحقيقة، وذلك لأنها تستدعي اصطلاحا ما يلي:
- تصحيح أقوال الذات وإبطال أقوال الآخر اعتمادا على الحجج والبراهين: حوار عقلاني.
- كلام ومحاوره وتردد الكلام بين شخصين - فريقين مختلفين : الاختلاف.
- الرغبة الصادقة في الكشف عن الصواب وظهور الحق: البحث المشترك الجماعي الصادق عن الحقيقة.

- الاعتراف بالحق وإن ظهر على يد الطرف الآخر المخالف : التفاهم والتوحد والقوة.
على أن التراث الإسلامي العربي غني بالدراسات التي اشتغلت بمسألة النظر والمناظرة، مما يجعلنا "نعثر لها على مسميات كثيرة ومفاهيم متباينة أثار بعضها اختلافات وأدى إلى تباينات في التصورات والمواقف"¹ جديرة بالبحث والاستثمار، وهذا ما انتهى إليه طه عبد الرحمن الذي اعتبر "غنى معجم المناظرة في اللغة العربية ليدل بحق على تداول المسلمين الأغلب لهذا المنهج الجدلي والتزامهم به أكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها"². وقد ذكر من من هذا المعجم على سبيل التمثيل لا الحصر، مجموعة من الألفاظ هي: المحاور والمخاطبة، والمجادلة، والمحاججة، والمناقشة، والمنازعة، والمذاكرة، والمباحثة، والمجالسة، والمفاوضة، والمراجعة، والمطارحة، والمساجلة، والمعارضة، والمناقضة، والمدولة، والمداخلة. على أنه من جهتنا سنضيف إليها ألفاظ أخرى من المعجم العربي، وهذا ما لم يرق به طه عبد الرحمن³ وحسان الباهي مثلا⁴. ومن هذه الألفاظ: المعاندة والمماحكة، والمخاوضة، والمشاورة، والملاحاة، والمغالبة، والمخاصمة، والمفاكرة، والمدارسة، والمدافعة، والمزاحمة... فنبدأ ببيان مفهوم الجدل والجدال والمجادلة وعلاقته بمفهوم المناظرة، ثم نتبعه بإبراز علاقة هذا المفهوم ببعض المفاهيم السابقة الذكر كما وردت في لسان العرب لابن منظور مثلا على النحو الآتي:

المطلب الثاني: مقابلة مفهوم المناظرة ببعض المفاهيم الملايس معناها لمعنى بعض تلك الألفاظ (ما يشترك به معها وما يفترق به عنها)

إذا كانت اللغة تحمل سمات فكر من يتكلمون بها؛ فإن "غنى معجم المناظرة في اللغة العربية ليدل بحق على تداول المسلمين الأغلب لهذا المنهج الجدلي والتزامهم به أكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها"⁵، فحري بنا التعريف ببعض هذه الألفاظ وبيان خصائصها، خاصة وأنها تعكس علاقات تفاعلية تتفق والفعل التناظري في أمور، وتختلف بل تناقضه في أمور أخرى، فارتأينا أن نشتغل على هذه المفاهيم وهذه الأنماط الحوارية، لنبين مدى وجود مميزات قد تخص مسلك دون آخر، مما قد يفضي بنا إلى اختيار نمط منها نعتبره قدوة ونموذجا لبقية الأنماط.

على أنه، بعد تعميقنا للنظر في هذه الألفاظ، ارتأينا أن نبدأ بلفظ الجدل ومشتقات على النحو

1-حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، (إفريقيا الشرق، 2004م)، ص18.

2-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، ص69.

3-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، ص68.

4-حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص18.

5-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار، ص69.

الآتي:

1-المقابلة بين المناظرة والجدل والجدال والمجادلة:

يرجع الأصل اللغوي لمفهوم الجدل إلى معان أهمها:

-شدة القتل، "فجدلت الحبل إذا أشددت قتله، وقتله قتلا محكما"¹. فكأن كلا من المتجادلين يفتل خصمه عن قوله إلى قوله.

-الصرع والإلقاء على الأرض وإسقاط الآخر. يقول ابن منظور "والجدل الصرع، وجدله جدلا وجدله فانجدل وتجدل: صرعه على الجدالة وهو مجدول ومجدل تحت نجوم السماء، أي ملقى على الأرض فتिला"². وهو بذلك يحمل معنى الغلبة، "فيقال جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته"³.

-الإحكام: "فالدروع الجدلاء والمجدولة المحكمة النسج، وجدلت الدروع جدلا إذا أحكمت"⁴. أما من الناحية الاصطلاحية فقد جرى استعمال لفظ الجدل عند أهل النظر في معنى "إلزام الخصم سواء كان عن حق أو باطل"⁵. فالمقصود من المجادلة "إلزام الخصم والمكابرة التي يعجز بها عن إظهار الصواب"⁶. فالجدل هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، "ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلا إذا غلبته. ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام وفي الحديث (وما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا) *، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة لا إظهار الحق"⁷، لهذا اعتبر الجدل حوار الخلاف والمصادمة القائم على التنازع الرامي إلى الغلبة والإفحام، أي إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام التدليل والإقناع. لذا اعتبر من الألفاظ الدالة على التسلط بقوة الخطاب، بالإضافة إلى ما قد يستحضره من سبل غير مشروعة، فيكون هدف المجادل الدفاع عن قضيته أو هدمها بغض النظر عن طبيعة القضية أو علاقتها بالحقبة، ودون اهتمام بمقومات الحق والباطل يقول النووي في هذا الخصوص "الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل، وأصله الخصومة الشديدة ويسمى جدالا لأن كل واحد من المتجادلين يحكم خصومته وحجته إحكاما بليغا على قدر طاقته تشبها بجدل الحبل وهو إحكام قتله"⁸. فيلا حظ أن الهدف من الجدل هو القتل للخصم عن مذهب إلى مذهب بطريق الحجة التي تكون بحق وباطل "فلا يخلو القتل للخصم عن مذهب أن يكون بحجة أو شبهة أو شغب"⁹. فما علاقة الجدل بالمناظرة؟

انطلاقا مما ذكر في تعريف كل من المناظرة والجدل وإبراز خصائصهما، باعتبارهما نمطين حواريين يعكسان علاقة تفاعلية؛ فإن الغاية المتوخاة من كل واحد منهما تمثل الفارق المميز بين المفهومين والمسلكين، ذلك لأن الهدف من الجدل ليس إظهار الحق والأخذ به ولو ظهر على يد الطرف المخالف؛ وإنما الغرض هو إلزام الخصم وإفحامه مع التغلب عليه في مقام التدليل، عكس المناظرة التي "غرضها الوصول- عن طريق التعاون والتدليل -إلى

1-ابن منظور، لسان العرب، جلد، ج 1، ص390.

2-ابن منظور، لسان العرب، جلد، ج 1، ص 390.

3-ابن منظور، المصدر نفسه، جلد، ج 1، ص391.

4-ابن منظور، المصدر نفسه، جلد، ج 1، ص391.

5-حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص11.

6-محب الله عبد الشكور، مسلم فواتح الرحموت لعبد العلي الأنصاري بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه، على هامش المستنصر، م 2، ص330.

7-ابن منظور، لسان العرب، جلد، ج 1، ص391.

8-أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي، الجدل على طريقة الفقهاء، (مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد)، ص1.

9-حمي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج، ص48.

الصواب في الموضوع الذي اختلفت فيه أنظار المتحاورين¹. ومن العلماء الذين أكدوا هذا التمييز وأساسه ابن سينا الذي انتهى إلى أن "المناظرة اسم مشتق من النظر، والنظر لا يدل على غلبة أو معاندة بوجه، وأما الجدل فإنه يدل على تسلط بقوة الخطاب في الإلزام مع فضل قوة وحيلة أخرج من الطبيعي ومن العدل الصرف يسيرا"². وهذا ما ذكره حاجي خليفة مثلاً مثلاً في مقدمة (كشف الظنون)³، ويمكن تأطير هذه العلاقة بين الجدل والمناظرة في الترسمة الآتية على النحو الآتي:

المناظرة = الوصول إلى الحق عن طريق التعاون والتدليل = الوحدة.
الجدل = إلزام الخصم وإفحامه بدون تدليل وغايته الغلبة = الفقرة.

فنقول مع حمو النقاري "إن معظم ما تدم به المناظرة يوصى به في الجدل، ومعظم ما يوصى به في المناظرة يوصى بضده أو نقيضه في الجدل"⁴.

وهذا لا يمنع من الإشارة إلى أن موقفين هناك من نوعية علاقة الجدل بالمناظرة. فبالإضافة إلى الموقف الذي ذكرناه آنفاً القائم على وجود اختلاف جوهري بينهما*، فهناك من يجعلهما بمعنى واحد، ونمثل لذلك بما اختاره الجويني الذي قال "ولا فرق بين المناظرة والجدل والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة، وذلك أن الجدل مشتق في اللغة من غير ما اشتق منه النظر"⁵. وهذا ما اختاره الباجي الذي عرف الجدل بأنه "تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه"⁶، فجعله منهجاً من مناهج الوصول إلى الحقيقة مثله مثل المناظرة، فلم يحصره في مجرد الهدم والإفحام والغلبة وإسكات الخصم، ما جعله يستعمل الجدل والمناظرة بمعنى واحد على سبيل الترادف فيقول أيضاً -أثناء حديثه عن الدافع إلى تأليف كتابه (المنهاج في ترتيب الحجج) - "فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لم يبلغهم علمه"⁷. كما أنه في مجموعة من السياقات يورد المصطلحين بصيغتهما المختلفة بمعنى واحد. فحين تحدث عن شروط التناظر وقواعده التبليغية والتهذيبية يستعمل لفظ (المناظر) كما يستعمل لفظ (صاحب الجدل)، ومن ذلك قوله مثلاً "ينبغي للمناظر أن يقدم على جدله تقوى الله عز وجل"⁸. وممن استعملهما بمعنى واحد أيضاً نذكر ابن خلدون في تعريفه للجدل قائلاً "وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ"⁹.

1- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص18.

2- ابن سينا، الشفاء، كتاب الجدل، (تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة)، ص19 و20.

3- حاجي خليفة، كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون، ج1، (مكتبة المتنبّي، بغداد)، ص11.

4- حمو النقاري، منطق الكلام من المنطق الدل الفلسفي إلى المنطق الحججي الأصولي، (دار الأمان، الرباط، ط1، 1426هـ/2005م)، ص490.

* رغم موقعهم هذا فقد ميزوا بين الجدل المحمود الذي هدفه تحصيل الحقيقة، والجدل المذموم الهادف إلى الإفحام والغلبة...، وهو التقسيم نفسه الذي جعلوه للمناظرة. محمد العثماني،

أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص11. كذلك حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص18.

5- الجويني، الكافية في الجدل، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م)، ص19.

6- الباجي، المنهاج في ترتيب الحجج، (تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي)، ص11.

7- الباجي، المصدر نفسه، المدخل.

8- الباجي، المصدر نفسه، ص9.

9- ابن خلدون، المقدمة، (دار الجبل، بيروت)، ص506.

وإذا كان بعض الباحثين لا يرون تمييزاً واضحاً بين المصطلحين والمسلكين، لأنه في نظرهم الوصول إلى الصواب هو غاية واحدة ومسمى مشترك لهما معا على حد سواء¹؛ فإننا نستبعد هذا الجزم في الأمر مع النقاري في تمييزه بين (الجدل الفلسفي) أو (النظرية الحجاجية الفلسفية) وبين (المناظرة الأصولية) أو (النظرية الحجاجية الأصولية)². فهذا تمييز قائم على الفرق الواضح بين القيم* التي ينبني عليها كل واحد منهما. "فالقيم الرافدة التي نجدها عند الأصوليين قيم ترتبت على النظر في التفاعل الحجاجي انطلاقاً من خاصيته التعاونية، أما القيم الرافدة التي نجدها عند الجدليين فهي قيم ترتبت على نظرهم في الحجاج انطلاقاً من خاصيته التنافسية، وبالتالي يمكن وصل (الجدل) بالظاهرة الحجاجية المتناولة اليوم وهي مختصة بمفهوم اللعب النظري المغالب، ووصل (المناظرة) بالظاهرة الحجاجية وهي مختصة بمفهوم التعاون النظري المتصاوب"³. وعليه فإن التفاعل الحجاجي المسمى جدلاً ليس هو التفاعل الحجاجي المسمى مناظرة، بل إن التفاعل الحجاجي المسمى جدلاً هو المناظرة المذمومة عند الأصوليين، فأمكن اعتبار "معظم ما تدم به المناظرة يوصى به في الجدل، ومعظم ما يوصى به في المناظرة يوصى بضده أو نقيضه في الجدل"⁴. على أن "وجود هذا التضاد والتباين بين جدل الفلاسفة ومناظرة الأصوليين لا يعني غياب المناظرة المحمودة عن فكر الفلاسفة المسلمين، فهي بروحها ومنطلقاتها حاضرة عندهم، لكن في باب آخر من التفاعل مغاير للتفاعل الجدلي، إنه باب "الفحص". إن سؤال الفحص وجوابه عامة، والفحص الذي يكون للتصاوب والتصادق خاصة، الذي تناوله بعض جدليي الإسلام، والذي لا يوجد لا في طوبيقاً أرسطو ولا في خطابته، مثله مثل المناظرة الأصولية، فهو تعاون وتشارك بين طرفين، يقصدان معا الكشف عن الحق وإفادته"⁵، وهذا ما اخترناه بحكم أننا أمام عالم أصولي* معترف له "بالتفنن في العلوم والاستبحار فيها، والجمع لها، متقدماً في المعارف كلها، متكلماً في أنواعها، حريصاً على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها"⁶. ومن تلك العلوم علم أصول الفقه الذي "قرر أصوله على مستوى سائر المذاهب، وهو يميل كثيراً لنصرة مذهب مالك ويدافع عن رأيه بالحجة والبرهان"⁷. بل إنه ممن اختار الجدل الأصولي الإسلامي (المناظرة) الأصل الذي غايته الفهم والإفهام بغاية الإقناع والافتتاح، يتم فيه تفاعل وتواصل بينه وبين غيره، فيسعيان بالتعاون بينهما، اعتماداً على الحجة والبرهان والتدليل للوصول إلى الحقيقة والصواب، وبالتالي جلب المصلحة ودفع المفسدة. ومما يصور قوته وصلابته في المناظرة "ما نقله لسان بن الخطيب عن الملاحي قال: أخبرني الثقة أبو عبد الله بن جوير عن أبي عمر بن عات قال: حدث أن ابن العربي اجتمع بآب بن ورد وأخذا في التناظر والتذاكر فكانا عجباً، يتكلم أبو بكر فيظن السامع أنه ما ترك شيئاً إلا أتى به، ثم يجيبه أبو القاسم بأبدع جواب ينسي السامعين ما سمعوا قبله، وكانا أعجوبتي دهرهما"⁸. ومقابل ذلك هاجم منهج الفلاسفة، مثله مثل بقية الأصوليين كما ورد

1- محمد بن محمد رفيع، معالم الدرس الجدلي عند علماء الغرب الإسلامي، أبو الوليد الباجي أنموذجاً، (عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن) ص 52.

2- حمو النقاري، منطق الكلام، ص 487.

3- حمو النقاري: المرجع نفسه، ص 486.

4- حمو النقاري: المرجع نفسه، ص 490 و 491.

5- حمو النقاري: المرجع نفسه، ص 491.

6- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، (تحقيق محمد الأحمد، دار التراث)، ج 2، ص 254.

7- سعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، (دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1407/1987م)، ص 197.

8- محرز، القاضي أبو بكر بن العربي وجهوده في خدمة الفقه المالكي، (دار ابن حزم، ط 1 - 1434/2013م)، م 1، ص 77.

ذلك في كتابه (العواصم من القواصم) الذي يعتبر "كتبا عظيم الشهرة، واسع الرواج عند أهل السنة والجماعة، غصة في حلق أهل البدعة والضلالة، ولأهميته في بيان عقائد الفلاسفة والفرق الضالة وكيف هدمها ابن العربي بطريقة علمية دقيقة وأسلوب جدلي حاد يخرج عن حد الاعتدال أحيانا"¹.

وعليه، فالجدل مباين للفعل التناظري الذي "ليس فيه المراوغة التي تصل حد المغالطة، وليس فيه معاندة ومكابرة وما شابه ذلك مما عده النظار إفسادا للمناظرة"².

2-المقابلة بين المناظرة والحجاج والمحاجة:

لفظ الحجاج والمحاجة مصدر لفعل حاجج الذي يرد في لسان العرب بمعان هي:
-الغلبة* بالحجج التي أدليت بها. والحجة هي البرهان أو ما دوفع به الخصم. وتجمع الحجة على حجج وحجاج. ويقال حاجه محاجة وحجاجا: أيا نازعه الحجة.
-والحتاج : التخاصم، والرجل المحجاج هو الرجل الجدل.

-والاحتجاج : من احتج بالشئ أي اتخذه حجة، ويقال : أنا حاججته فأنا محاجه، أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان³. على أن الجدير بالذكر أن هذه التحديدات اللغوية تستفاد من سياق استعمال هذا اللفظ ومن شرطه التخاطبي المتمثل في (التخاصم) و(التنازع) والجدل) و(الغلبة)⁴.

على أنه من العسير تحديد سريع ودقيق كل الدقة لمعنى الحجاج والمحاجة، وإن بمعناه العام، وذلك لما تضيفه تعييناته وسياقاته على ذلك المعنى من نسبية وإشراطية. كما أن ذلك راجع أيضا إلى استمداده لمعناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية التواصل الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية، ولا غرابة والحالة هذه أن هناك حجاجا خطابيا (لسانيا)، وحجاجا خطابيا (بلاغيا)، وآخر قضائيا أو سياسيا أو فلسفيا⁵، ونضيف إليه حجاجا فقها وأصوليا وغيرهما. وبما أن اهتمامنا النظري والتطبيقي يتوجه، بشكل أساسي، إلى الكشف عن أوجه علاقة الحجاج بالمناظرة؛ فإننا نقول إن الحجاج يقوم أساسا بكونه استدلالا حواريا تعطى فيه الفرصة لكل طرف من أطراف الممارسة الحجاجية، قصد تبرير دعاويه وإثبات قضاياه الحجاجية. فالذات المستدلة في الحجاج لا تنفك عن استحضار الغير بوصفها ذاتا فاعلة وموجهة للعملية الاستدلالية. وهذا الاستحضار ليس أمرا متكلفا أو كماليا، وإنما هو ضروري لازم للحجاج لزوم اللغة له. وعليه فإن "المناظرة تظل المنهج الأسلم والأنجح لحفظ الحجاج وتقويمه، وذلك لأنه لما كان الحجاج يتيح إمكانية المبادرة والإقدام، فلا شيء أضبط لهما من سن قواعد التحاور والتناظر، فإن ذلك أدعى للتوافق وأجلب للتقارب بين القبيلين المتحاجين، فأمكن بذلك اعتبار المناظرة النموذج الحوارى للحجاج⁶. فكل منهما (المناظرة والمحاجة) لا بد أن يتوجه إلى إثبات أو نفي أطروحة ما. فصاحب كل واحدة منهما ينطلق من موضوع محدد، ويكون لديه رأي خاص

1-احمد أمحرزي، المرجع نفسه، م، 1، ص33.

2-الغالبية أدرابي، الحوار الاختلافي، ص52.

*-الغلبة والمغالبة فعلان بعيدان عن التناظر، فهما من غلب يغلبه غلبا وغلبا بمعنى قهره، وقد غالبه مغالبة وغلبا وغلبا مغالبة، ابن منظور، لسان العرب، م، 5، ص49.

3-ابن منظور، لسان العرب، حجج، م، 2، ص228.

4-الحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، المؤلف الجماعي الحجاج مفهوم ومجالاته، (إعداد حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1431هـ/2010م) ج3، ص32.

5-الحبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، الحجاج مفهوم ومجالاته، ج3، ص31.

6-ادريس غازي، القول الأصول المالكي ومناهج الحجاج، (دار ابورقراق، ط1، 1433هـ/2012م)، ص302.

حوله، حيث يعرض ويبني استدلالا كاملا ليؤكد مصداقية رأيه. كما يمكن لكل واحد منهما أن يفند أطروحة ما وذلك بتشديد استدلال يبين أن تلك الأطروحة لا تستند إلى أساس فيكون بذلك يصوغ اعتراضات. فكل مناظر يحتاج إلى الحجاج باعتباره، في مفهومه العام الواسع، كل الأدوات التي تستعمل قصد الإقناع أو لإثبات أطروحة أو تنفيذها*. كما أنه، من جهة أخرى، يتحقق الحجاج بالتناظر باعتباره ذلك النموذج الحواري للحجاج. فنخلص إلى أن كل من الحجاج والمناظرة تواصل تعاوني-تنافسي، منطلقه النظر (=تقلب الفكر* وتحرك الذهن في قضية من القضايا)، ومنتهاه العمل (=الآثار الناتجة عن ذلك النظر من تغيير الاعتقاد أو موقف أو سلوك)، مما يجعلهما "طريقين إلى شيء واحد يتحدد في تحصيل نتيجة علمية أو عملية، نظرية أو إجرائية، ولذلك فإن للحجاج، باعتباره منهجا استدلاليا، وللمناظرة أيضا بوصفها كذلك، منطقا خصوصيا واحدا"¹. ومن ذلك أن "جميع أركان العملية الحجاجية حاضرة في العملية التناظرية، من ازدواج في القصد والتكلم والاستماع والسياق، لذا يمكن وصل المناظرة بالظاهرة الحجاجية وهي مختصة بمفهوم التعاون النظري المتصاوب واعتبارها (أي المناظرة) صورة للتفاعل الحجاجي، إن لم نقل إنه هي"².

3- بين المناظرة والحوار والمحاورة:

يرد هذا اللفظ لغة بمعان أهمها:

- "الحوار : الرجوع عن الشيء إلى الشيء. وكل شيء يغير من حال إلى حال فقد حار يحور حوارا.

- وأحار عليه جوابه رده، والاسم من المحاورة والحوير. تقول: سمعت حویرهما وحوارهما.

- والمحاورة : المجادلة، والتحاویر التجاوب... .

- وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة"³.

فيكون الحوار والمحاورة والتحاویر حمالة لمعان لغوية جوهريا:

-الرجوع عن الشيء، وتغير من حال إلى حال.

-المجاوبة ورد الجواب.

-مراجعة الكلام والمنطق في المخاطبة.

وعليه فالذي يعنينا هنا هو المفهوم- المعنى العام المستمد من معانيه اللغوية، الذي يتحدد في ذلك العمل المشترك بين اثنين أو أكثر، القائم على التفاعل بينهما، فيكونان في تواصل يتم بالكلام أساسا. فهو خطاب متبادل بين طرفين أو أكثر فيه تفاعل وتلاقح، غايته الوقوف على الحقيقة⁴. على أن الملاحظ فيما ذكره ابن منظور هو غياب الحدة والعنف في هذا التفاعل الكلامي، مما أمكن معه اعتبار الحوار والتحاویر تفاعلا هادئا إيجابيا. "ومعلوم أنه أثناء المناظرة يجري حوار بين المتناظرين، فلا تخلو المناظرة من حوار، إلا أن المناظرة ليست

*نقصد هنا الحجاج العقلاني الذي يتوجه فيه كل من المعارض باليات إقناعية خاصة، وحقوق وواجبات محددة، فيكون إفحام الخصم أو التفوق الفكري عليه أيلين إلى سلطة العقل وقوة الحجة وليس إلى عوامل أخرى خارجة عنهما (نفسية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها) كما في الحجاج العاطفي الذي يأتي محصوله منزوعا من العقلانية مجردا من المصداقية، ومن ثمة يصير أقرب إلى اللجاج منه إلى الحجاج-العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص 210 و211.

*ينبغي لفظ الفكر والتفكير في اللغة على التأمل كما في "لسان العرب" -ج5، ص150، وذلك مطلوب من المتناظرين لأنه بدونها لا يمكن الدفاع عن الأطروحة المثبتة وإقناع الآخر بها، ومن ثمة أمكن اعتبار المناظرة مفكرة.

1-العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص115 و116.

2-العياشي أدراوي، المرجع نفسه، ص116.

3-ابن منظور، لسان العرب، حور، م2، ص182 و184.

4-العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص53.

محاورة"¹. بل إن المناظرة صنف من أصناف الحوار له خصوصياته التي ذكرناها سابقا يقول د. طه عبد الرحمن في ذلك "إن الحوار أصناف مختلفة فمنه المجادلة والمناقشة والمناظرة"².

4- بين المناظرة والمفاوضة:

من المصطلحات التي تستعمل من قبل المعنيين بأصناف الحوار تنظيرا وتطبيقا، مصطلح "المفاوضة" ومن ذلك قول ابن العربي "التمكن من الفعل هل هو شرط في إلزام الأمر أم لا؟ فمذهب أحمد بن حنبل رحمه الله أن المأمور به يثبت في ذمة المكلف قبل التمكن من الفعل . وقد فاوضت في ذلك علماءه"³. واعتمادا على ما في لسان العرب فإن هذا اللفظ يفيد معاني المساواة والمشاركة في الشيء والاشتراك فيه. كما يفيد الأخذ في الحديث ومحادثة العلماء ومذاكرتهم في العلم يقول ابن منظور "وتفاوض القوم في الأمر أن فاوض فيه بعضهم بعضا. وفي حديث معاوية قال له غفل بن حنظلة: بما ضبطت ما أرى؟ قال: بمفاوضة العلماء. قال: وما مفاوضة العلماء؟ قال: كنت إذا لقيت عالما أخذت ما عنده وأعطيته ما عندي. والمفاوضة: المساواة والمشاركة، وهي مفاعلة من التفويض، كأن كل واحد منهما رد ما عنده إلى صاحبه. أراد محادثة العلماء ومذاكرتهم في العلم"⁴.
الواضح من ذلك أن المفاوضة شكل من أشكال الحوار يلتقي مع المناظرة في كونها تتم بين طرفين، أساسها المساواة والمشاركة في الحديث والمذاكرة، دون تقييد ذلك بخصوصيات معينة أو بغاية محددة كما في المناظرة.

5- بين المناظرة والمشاورة:

المشاورة لغة من أشار إليه باليد أو ما وأشار عليه بالرأي⁵. ويقول ابن منظور "وشاوره مشاورة وشوارا واستشارة طلب منه المشورة. وأشار الرجل يشير إشارة إذا أو ما بيديه. ويقال شورت إليه بيدي وأشرت إليه أي لوحته إليه وألحت أيضا. وأشار إليه باليد أو ما وأشار عليه بالرأي. وأشار يشير إذا ما وجه الرأي"⁶، فيكون بذلك قد نصحه ودله على وجه وجه الصواب، لهذا أمكن اعتبار المشاورة "نوعا من المناظرة، لأن كل واحد منهما يشاور أخاه لاستخراج الحق، ويحصل ذلك بسبب من إيراد أدلة الأقوال وما يعارضها وكل ذلك نظر ومناظرة"⁷، بل يمكن اعتبارها "أكمل أنواع وأنماط التفاعلات الحوارية -التناظرية لأنها خالية من أسباب فساد ذات البين والمرء والغضب والغلبة. فالمشاورة شاهدة على حسن النية ابتداء فيطلب الحق والإعراض عما يهيج الشر من الرياء والجدل المذموم"⁸.
ونخلص هنا إلى القول:

-إن ضبط المصطلحات عمل شرعي مطلوب يجنب العلماء والمتناظرين الالتباس والشغب، على أن اختيارنا لمصطلح المناظرة بعد مقابلتنا له بغيره من المصطلحات القريب

1- العياشي أراوي الحوار الاختلافي، ص53.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، (المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م)، ص255.

3- القاضي بن العربي، المحصول في أصول الفقه، (أخرجه واعتنى به حسين اليزدي وعلق على مواضعه سعيد فودة، دار البيارق، عمان، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م)، ص57.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة فوض، ج2، ص395 و396.

5- الرازي، مختار الصحاح، (مكتبة لبنان، 1987م)، مادة عرض، ص147.

6- ابن منظور، لسان العرب، مادة عرض، ج2، ص160.

7- حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص40.

8- حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، ص49.

معناها من معنى المناظرة، راجع إلى ما يميزها من معانٍ إيجابية وما تحمله من قيم نبيلة تحيل على معنى النظر بالبصيرة من قبل طرفين متقابلين غايتهما إظهار الصواب.

-اهتمامنا بالمناظرة: مفهومنا ومسلكا ومعجما وتداولنا والبحث في جنسها، هو بحث في آليات الخطاب التواصلية بين البشر، هدفه لفت الأنظار إلى قيمتها المنهجية ومفعولاتها المعرفية وثمارها العلمية والعملية.

-تعدد التعريفات الاصطلاحية لمفهوم المناظرة، وهي متشابهة يكمل بعضها البعض، إذ تعتبرها ذلك التدافع الكلامي الهادئ والايجابي، القائم على التعاون والبحث المشترك عن الحقيقة وإظهار الصواب بين الذات المتناظرة الفاعلة والمتواصلة بالحجج والفاعلة بالتدليل. واعتبارا للمناظرة أرقى الأنماط التفاعلية، فهذا يدعونا إلى فحص دعوانا القائمة على اعتبارها ضرورة لمجتمعنا وأمتنا لا اختيار مع التدليل على ذلك على النحو الآتي:

المبحث الثاني: التناظر ضرورة لا اختيار

المطلب الأول: واقع التناظر في عصرنا:

حري بنا في البداية أن نشير إلى أن اهتمام هذا البحث بالمناظرة*، إن على المستوى النظري أو التطبيقي، لا ينفصل عما يجري في عصرنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية والإنسانية عامة. "فالناظر في واقعها اليوم يجد أن في مجريات الأمور ما يؤكد هذا الزعم ويقويه؛ فإن هذا المتأمل يجد نفسه في الوقت ذاته مضطرا إلى القول بأن الإنسانية تتجه، مع ذلك أكثر من أي وقت مضى، إلى ما من شأنه أن يجنبها الحروب العظمى التي تؤدي إلى الخراب والدمار الشاملين حتما، ومن ثمة فهي، ضرورة لا اختيار، تسعى إلى مد قنوات الحوار والتفاهم، والمسلمون في مختلف أصقاع العالم التي يوجدون فيها، معنيون بالحوار بدورهم ومطالبون به، وهم بالأحرى مضطرون إليه اضطرارا"¹.

وهذا ما ينطبق على مجتمعنا المغربي "فالساحة الفكرية -فيه مثلا- مازالت تتأى بنفسها عن هذا الفضاء الحوارية الجديد، فالواحد من أهل الفكر المغاربة لا يحاور غيره. فهو إما يعتزل في برجه العاجي ظنا أن قوله هو القول الفصل في كل شيء، وإما يعتمد الشذوذ في أقواله، وإما إنه إذا اعترض على غيره أبهم اسمه وأخفى عنوانه كما لو أن التصريح بالاسم أو ذكر العنوان تنقيص من منزلته، وإما أنه إذا اعترض عليه غيره أعرض عن الجواب وحث أصحابه على الإعراض عنه كما لو أن في الرد على الاعتراض قدحا في علمه"². لينسحب تشخيص ومؤاخذة د. طه عبد الرحمن للساحة الفكرية على بقية مكونات المجتمع التي لا تتحاور ولو مع نفسها"³. فيلاحظ أن "فقه الحوار قد تنوسي من قبل ممارسي العمل الثقافي والسياسي في أمتنا، فكان ما كان من التخبط التي عاشتها بلادنا وهي تحاول الخروج من أزمة الضعف والتخلف، ولو ساد الحوار البناء العلاقات لسهل الاتفاق على منهج لإخراج الأمة من مأزقها والتفاهم على أسلوب تنمية مناسب لخصوصيتها"⁴.

وعليه، فلما كان التناظر ضرورة بشرية من سنن الله عز وجل، ولما كان "حتمية إسلامية لا

1-سعيد بنسعيد العلوي، قول في الحوار والتجديد: المستقبل والمسلمون، (منشورات رؤية)، ص 16 و 17.

2-طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، (منشورات الزمن)، ص 6.

3-طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 6.

4-سعد الدين العثماني، في فقه الحوار، (منشورات الفرقان، ط2، 1416هـ/1996م)، ص 44.

بد من التعاطي معها بما يحقق للأمة ما تصبو إليه من منفعة ورفعة وقدرة إلى إيصال دينها إلى أصقاع المعمور كافة بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتمكين هذه الأمة من نشر حضارتها وثقافتها في فضاءات إنسانية جديدة وتخليص العالم مما يعصف به من صراعات وتغول ثقافة القوة، مبتعدين في خطابنا عن أدبيات التكفير والتضليل والتخوين والتبذير¹؛ فإن ذلك يدعونا إلى الوقوف على مظاهر هذه الحاجة ومسوغاتها العلمية والعملية.

المطلب الثاني: في الحاجة إلى التناظر:

الاهتمام بالمناظرة وجميع أنماط التواصل والتفاعل الحواري، محكوم بوعي حاد بمسبب الحاجة إلى تطوير الممارسة العملية الحوارية وتجديدها، خصوصا ونحن نشهد هذه الثورة العارمة في مجال التواصل، وتحديد التواصل الحجاجي. فالحاجة ماسة إلى تعقيل الممارسة المعاصرة للحوار وتجنبيها المزالق التي تحف بها، وعلى رأسها المشاكسة السفسطائية* والحيل المغالطة* التي أصبحت متكأ الكثيرين في محاوراتهم وملجأهم المفضل للتدخل من المسؤولية الفكرية المتمثلة في تحمل الأعباء التدليلية، فيكتفون بدل ذلك بإلقاء الكلام على عواهنه وإرفاقه في أحسن الأحوال بأوهن الاستدلالات التي لا تغني في تطوير الحياة العقلية، وتفتح الباب أما الكسل الفكري والخواء المعرفي، وهي بلا شك أحد الأسباب وراء ما تشهده مجتمعاتنا من ضعف وهوان²، وهي بذلك "يمارس استعمالها عنفا لا يقل عن العنف الذي يمارسه السلاح، بل إنه أخطر منه"³.

على أن تحقيق هذه الغاية النبيلة، يدعونا إلى تجديد الصلة بترائنا في شقه المتعلق بالتناظر والمناظرات. "فلو عدنا إلى هذا التراث لعائنا زخم الدراسات التي انشغلت بمسألة النظر والتناظر. فقد كانوا على وعي بأهمية المناظرة في تأصيل مختلف المباحث وفي رد الاعتراضات الموجهة إليهم مما يجعلنا نعثر على مسميات كثيرة لمفهوم المناظرة، بحيث أطلقوا عليه اسم التوجيه والحجاج وعلم الجدل والجدال وغيرها من المفاهيم"⁴، بل يمكن أن نجزم مع د. طه عبد الرحمن أنه "لم يطبق ولم يعمم منهج على مجالات المعرفة مثلما طبق وعمم منهج المناظرة في هذا التراث، فأكسبه خصبا فلسفيا متميزا"⁵. فرسوخ مفهوم المناظرة في الفكر العربي الإسلامي القديم وتعدد تطبيقاته وكثرة صور أجزائه في مختلف ضروب المعرفة الإسلامية ليعد سببا مشروعا أيضا لدراسة هذا النمط من الممارسات الحوارية. "ولاريب أن التقيد -من قبل من اشتغلوا بالنظر من العلماء قديما -بمقتضياته وضوابطه تواصلية، لدليل على أنه ثمة نسقا متكاملا من استراتيجيات التواصل وآليات

1- عبد المجيد الصالحين وهائل عبد الحفيظ، الحوار المذهبي، (مجلة إسلامية المعرفة، العدد 75-1413 هـ/2014م)، ص85.

*السفسطائية: لفظ في أصله الاشتقاقي اللاتيني يرتبط بمعان قذحية (الكنب-الخدعة-الحيلة-الغلط...). وهذه المظاهر لها حضور كبير في العلاقات الإنسانية، وتنعكس بوضوح في النشاط القولي وخاصة في مظهره التحواري -السفسطات في المنطقيات المعاصرة، رشيد رضا، المؤلف الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد حافظ إسماعيلي علوي، ج3، ص222.

*المغالطة هي ممارسة قائمة تخرق شروط العقلانية التواصلية التي تحكمها أخلاق الحجاج، فهي إذن تقع في الاستدلالات التي تعتمد حججا مغلوطة -ا محمد اسيداه، السفسطائية وسلطان القول، المؤلف الجماعي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص54 و55.

2-رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة: التوجه التداولي الجدلي، المؤلف الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص251.

3-محمد سيداه: السفسطائية وسلطان القول، المؤلف الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته ج2، ص55.

4-الحوار ومنهجية الفكر الثقافي النقدي، حسان الباهي، ص18.

*يقول طه عبد الرحمن عن علاقة البعد الفلسفي لمجال معرفي ما بالأسلوب المناظراتي: "كل قطاع معرفي يكون حظه من العمل الفلسفي على قدر انتهاجه لهذا الأسلوب المناظراتي" - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (المركز الثقافي العربي، ط4، 2010م)، ص68.

5-حسان الباهي: المرجع نفسه، ص68.

التخاطب قابلة لأن يستدل من خلالها على أن الفكر العربي الإسلامي الأصيل أفرز نظرية في التواصل متكاملة أركانها متوافقة عناصرها تضاهي ما يتم بسطه من قبل منظري التواصل المعاصرين، وبذلك يبطل إبطالا كاملا زعم من يدعي خلو التراث العربي مما يفيد في التنظير للتواصل الإنساني الحديث¹.

ويؤكد تعميم هذا المنهج ورسوخ هذا المفهوم، الذي يعتبر المناظرة سبيلا إلى تحصيل العلم والوصول إلى الحق، ما كان يقام من "مجالس المحاوراة عرفت بالمناظرات، كما وضعت تأليف على طريقة المناظرة في مختلف الميادين، وظهرت صنوف من الخطابات تقرر بالمناظرة منها فكريا مثل «خطاب التهافت» و«خطاب التعارض» و«خطاب الرد» و«خطاب النقض» وما إليها، بل حيثما وجدت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجال من مجالات المعرفة الإسلامية كانت المناظرة طريقة التعامل بينها².

وممن ارتأينا أن نستشهد بكلامه على ما ذكرنا من أهمية علم المناظرة والجدل وفق الضوابط الشرعية العالم المالكي البارع في التناظر أبو الوليد الباجي، إذ أكد على حاجة الناس إليه فيما يصلح معاشهم ومعادهم يقول في هذا الصدد "فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين... أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل يشمل على جمل أبوابه وفروعه (...) وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنًا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت الحجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"³. وممن أكد هذه الأهمية أيضا العلامة الجويني حيث يقول "ومما يدل على حسن الجدل، بل على وجوبه... صار إذ ذاك بهذا المعنى الجدل أكد الواجبات، والنظر من أولى المهمات، وذلك يعم أحكام التوحيد والشرعية"⁴. فحق لنا أن نقول بأن منهج المناظرة (الجدل المحمود)* يستحق أن تعاد دراسته ونشره حتى نتمكن من إدارة كثير من خلافاتنا الآن التي لا تنضبط بمنهج ولا يحكمها ضابط، "فقد تنادى الجميع بإقامة الحوار، وعقدت لقاءات ومنتديات للجدل... فلم تفض إلى نتيجة، لأنها جرت على غير أساس منفلة عن القواعد والضوابط"⁵. والضوابط⁵.

وقد انتبه مؤسسو المدارس الحجاجية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية إلى هذا الأمر، إذ "عملت على تلقين طرائق الحجاج لعامة الناس من خلال تطوير المنطق غير الصوري* الذي ينطلق من دراسة الحجج الواقعية التي تواجههم في حياتهم اليومية، وقد ارتبط هذا التوجه بمدرسة الحوار النقدي والتي يجري في إطارها تدريب المتعلمين على تقنيات الحوار

1- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، ص8.

2- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص68 و69.

3- الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص8 و9.

4- الجويني، الكافية في الجدل، (تحقيق فؤاد حسين محمود، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة)، ص24 و25.

5- محمد رفيع، الجدل والمناظرة أصول وضوابط، (دار ابن حزم، ط1، 1430هـ/2009م)، ص5.

* إذا كان المنطق الصوري هو منطق البرهان؛ فإن المنطق غير الصوري هو منطق الحجاج الذي لا يتعلق الأمر فيه كما في البرهان ببيان كون قيمة موضوعية كالصدق تنتقل من المقدمات إلى النتيجة، بل ببيان أننا قادرون على الظفر بقبول السامعين لمعقولية ومقبولية قرار من القرارات انطلاقا مما يسلمون به مسبقا... إن النسق الصوري يربنا ما هي النتائج المتولدة عن الأوليات سواء اعتبرت هذه الأخيرة قضايا بديهية أو مجرد افتراضات اتفق على قبولها... والأمر ليس كذلك في الحجاج حيث ينبغي أن تكون نقطة البدء مقبولة لدى السامعين الذين نود إقناعهم أو استمالتهم بخطابنا. فالمعيار الذي يخضع له المنطق غير الصوري يكمن فقط في الفعالية أي التأثير على المخاطب الذي يتوجه إليه الخطاب. إذا كان البرهان صحيحا باعتباره يتوافق مع معايير صورية خالصة، فمن غير الممكن الحديث عن صحة الحجاج وعن صحة الاستدلال غير الصوري. فالعملية الحجاجية ليست ملزمة بالمرءة وهي تفتح المجال دائما لأخرى معارضة -أنطوني بلير، ما المنطق غير الصوري، ترجمة أسامة المتنبي، المؤلف الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته: ج5، ص194 و195 و196.

ومواجهة الدعاوى والرد على اعتراضات الخصوم"¹. وهذا ما حدا بطله عبد الرحمن إلى الجزم بأنه "وجب أن نعمل بوضع خطة تربوية دقيقة وشاملة توفر لمجتمعنا الناهض تكويناً متيناً في منهجيات الحوار وأخلاقياته، لاسيما وأن لنا في غيره من المجتمعات المتقدمة أسوة حسنة، كما لنا في تراثنا وتاريخنا الكثير مما يفيدنا في تأصيل هذه التربية وتسهيل انتشارها بين الفئات والأفراد"².

ويمكن التدليل على دعوانا هذه المتعلقة بأهمية الممارسة التناظرية بما انتهى إليه طه عبد الرحمن من أن هذه الممارسة تورث لنا روحين متكاملتين، مجتمعنا الناهض في أمس الحاجة إليهما. إنهما «الروح العقلانية النافعة» و«الروح الجماعية الصالحة»، خاصة وأن منعطف التغيير الذي دخل فيه مجتمعنا في مطلع القرن الجديد لا نحتاج فيه إلى شيء مثل احتياجنا إلى هاتين الروحين المتكاملتين"³.

على أن هذه الحاجة تغري البحث في المقصود بهاتين الروحين واستكشاف معالمها التي تعود إلى جملة من العناصر المكونة لهما والخصائص المميزة لهما، لعل ذلك يساهم في غرسهما وتنميتهما داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية. ومن هذه المعالم نذكر ما يلي:

1- الممارسة التناظرية مورثة للعقلانية النافعة:

إذا كانت الممارسة التناظرية مورثة للروح العقلانية النافعة، فذلك لأن هذه الأخيرة تكون ثمرة ما تتأسس عليه آلية التناظر العلمي من قواعد وضوابط من جهة، وما يتم فيها من امتحان للمعارف والمواقف بواسطة الأدلة من جهة أخرى، يقول طه عبد الرحمن في هذا الصدد "والعقلانية النافعة هي التي تكون ثمرة الامتحان بواسطة الأدلة من جانبين اثنين على الأقل"⁴. ومن معالم هذه الروح العقلانية النافعة نورد ما يلي :

1-1 التناظر: نظر متعدد

لما كانت المناظرة في أصلها الاشتقاقي عائدة إلى النظر بالبصر والبصيرة، لزم عن ذلك حصول العلم وكشف الحقائق أولاً، ثم المشاركة والبحث الجماعي عن الحق ثانياً، وبهذا تصير المناظرة منهجاً "مولداً للعلم المفعّل تطويراً وتكثيراً، تنظيراً وتطبيقاً"⁵. ومعلوم أن "النظر العقلي سواء تصور في صورة فعل (بحث ونظر) أو في صورة تفاعل (جدل ومناظرة) هو عند كل من أهل الجدل والمناظرة من الأمور الثمينة التي ينبغي دائماً امتلاك وإرادة الاتصاف بها والقدرة على التصرف والسلوك في ميدان العلم وميدان العمل انطلاقاً منها"⁶، بل إن التناظر (من جانبين على الأقل) ينتج ضعف ما يحصل في النظر الأحادي، "لأنّ الذهن يتغير ويتقلب تبعاً لتغير النظر في الأشياء، فيكون تعمقه وتوسعه بقدر تقلبه. وعلى هذا (فالنظر المزدوج) أو (الجماعي) أبلغ وأعمق وأوسع من (النظر الفردي)"⁷. وإذا

1- عليوي باسدي، التواصل والحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار النقدي، المؤلف الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص261.

2- حوارات من أجل المستقبل، ص7 و8.

*العقلانية المقصودة هي تلك التي تسعى إلى الظفر بالحقائق والاستزادة منها ولا تنحصر في عدم الإخلال بمبدأ التناقض-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص152. وحددت بعض المعاجم العقلانية في "معنى امتلاك القدرة على التدليل المستند على الدليل الخالي من الغموض والمبالغة. فهو مفهوم قاعدته التدليل أو الدليل"، عليوي باسدي، المرجع السابق، ج2، ص275.

3- طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص7.

4- طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، ص6.

5- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، ص7.

6- حمو النقاري، منطق الكلام: من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي، ن، ص487.

7- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص7.

كان الأمر كذلك "لزم أن يكون قلب العقل في حالة النظر من جانبيين ضعف تقبله في حالة النظر من جانب واحد فيكون عقلا أوسع وأعمق"¹، وأن "تقبله أكثر من هذا متى علمنا أن أدلة الجانبين لا يجتمع بعضها إلى بعض فحسب بل يزدوج بعضها ببعض، ومعلوم أن في الازدواج من الكثرة ما ليس في الاجتماع، بحيث تزداد سعة العقل وعمقه درجات كثيرة في حالة الازدواج منها في حالة الاجتماع"².

1-2- الممارسة التناظرية امتحان للمعرفة.

إذا تقرر أن الممارسة التناظرية تقوم على ثنائية التدافع والتنافي، أو التصحيح والإبطال التي يدار بها الحوار بين المتناظرين، فهذا ما حرص العلامة ابن خلدون على التنصيص عليه في تعريفه للجدل -مثلا- حينما اعتبره "معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان هذا الرأي من الفقه أو غيره"³. ولعل من أبرز العلماء الذين انتبهوا ونبهوا إلى ما تتيحه الممارسة التناظرية من امتحان للمعرفة والمواقف والوصول إلى الصواب فيها العلامة الباجي الذي ذكرنا بما سيؤول إليه الوضع العلمي في غياب ممارسة الفعل التناظري وفق أصوله، فيقول في ذلك " ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"⁴. ومن مظاهر هذا الامتحان الذي تخضع له المعارف والمواقف أثناء التناظر اشتراط المنظرين للفعل التناظري الدراسة القبلية للدليل قبل الاستدلال* به وإعماله تفاديا للوقوع في مشكل الانقطاع⁵. وهذا ما أورده الباجي في قوله " ولا يستدل إلا بدليل قد وقف عليه وخبره وامتحنه قبل ذلك وعرف صحته وسلامته لأنه ربما يستدل بما لم يمعن في تأمله ولا تصحيحه فيظفر به خصمه"⁶.

فيتبين من هذا أن "مقام التدليل وبناء الحجة في عملية امتحان المعرفة بواسطة الممارسة التناظرية يعد مقاما مركزيا لتحقيق الفعالية العلمية المطلوبة"⁷، بل اعتبر من واجبات التحرر التحرر الفكري الذي هو مناسبة للتواجه والتقابل في أفقي (الاجتماع) و(الاقتراق)، و(الإيصال) و(الانفصال). فإذا كان لكل الحق في أن يدعي ما يرى، فإن عليه واجب التدليل على ما ادعى⁸. والمراد به "إسناد هذا الادعاء والاحتجاج له من خلال نصب دليل* أو أدلة يترتب على التسليم بها إما رفع كل تردد في قبول المدعي، وإما على الأقل التخفيف والتقليل

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 21.

2- طه عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 21.

3- ابن خلدون، المقدمة، ص 506.

4- الباجي، المنهاج في ترتيب الحجج، ص 8.

*إذا كان أحد طرفي المناظرة مدعيا، فإن هذا الأخير هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على أقواله " كما انتهى إلى ذلك طه عبد الرحمن، اللسان والميزان (المركز الثقافي العربي، ط الأولى، 1998م)، ص 225.

5- محمد رفيع، معالم الدرس الجدلي عند علماء الغرب الإسلامي، ص 78.

*يفيد في سياق التناظر "العجز عن نصرته الدليل"، الباجي، المنهاج في ترتيب الحجج، ص 14، أو هو "عجز أحد المتناظرين عن تصحيح قوله"، الباجي، المصدر نفسه، الهامش 2، ص 14.

6- الباجي، المنهاج في ترتيب الحجج، ص 10.

7- حسان الباهي، جدل العقل والأخلاق، المؤلف الجماعي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج، ص 174.

8- حمو النقاري، منطق تدبير الاختلاف من خلال أعمال طه عبد الرحمن، (الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2010م)، ص 19.

*الدليل علامة الحق، يقول القاضي ابن العربي في ذلك: "فالحق كل رأي يكون عن دليل -قانون التأويل، (دراسة وتحقيق محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1990م)، ص 366.

من درجة الشك في صدق المدعى وثبوته أو صوابه وفضيلته¹، لهذا اعتبر مثلاً "العالم الذي يتقبل الشيء ويرفضه دون دليل، لا يملك الروح العلمية، ذلك النور والمقياس السليم للقبول والإنكار"².

وعليه، فالتناظر مسلك منهجي نشترك فيه مع غيرنا بهدف تحصيل المطلوب وفق مقتضيات تدليلية صحيحة ومتسقة وتامة. ويتعلق الأمر بعملية تصحيح الأدلة في سياق تناظري بين مستدل يعتمد إلى بسط حججه بطريقة إقناعية مع الوضع في الحسبان ما يمكن أن يعترض به عليه محاوره، ومستدل له الذي تتراوح مواقف بين التسليم بما قدم له من حجج، أو الاعتراض عليها إن كليا أو جزئيا، إذ لا يكتفي المستدل بوضع الدليل بل يروم النظر فيه مع محاوره حتى يتمكن من تقويمه، وهذا ما نبه إليه العلامة الشاطبي في قوله "ومقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه، لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق، فلا بد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل. وعلى هذا النحو احتجاجات القرآن فلا يؤتى فيه إلا بدليل يقر الخصم بصحته شاء أو أبى"³. لتحقيق هذا الغرض على الناظر مدعيا كان أم معترضا الإحاطة الكافية بمختلف السبل التي تسمح له ببناء الأدلة وإبطالها، مع القدرة على الكشف عن صحتها من فاسدها، لهذا يتوخى أن يكون الدليل متسقا وتاما حتى يبقى بمنأى على أي اعتراض، لأن الإثبات بالدليل يكون بصحة مقدماته وسلامته من الاعتراض"⁴.

على أن هذا النوع من التواصل الذي تصبح فيه وظيفته وظيفة (إثباتية) من جهة ووظيفة (إبطالية) من جهة أخرى، إثباتا للرأي أو المدعى الخاص، وإبطالا لرأي الغير أو مدعاه، لا شك في أن العقلاء يجمعون على تقديره وتثمينه له، لما فيه من تعقل وتعاقل⁵. فالمتناظران المتواصلان يتمثلان من حيث أن التواصل الحاصل بينهما ذا غاية تدليلية تتحقق عبر التحاجج وتبادل الآراء، كما "يتشاركان في الفحص الجاد للأدلة المثبتة للرأي والأدلة المبطله له"⁶.

وعليه فمرد هذه النزعة العقلانية النافعة في الفعل التناظري إذن، هو أن إقناع الطرف الآخر "آيل إلى سلطة العقل وقوة الحجة، وليس إلى عوامل أخرى خارجة عنهما نفسية أو اجتماعية أو سياسية أو غيرها، مما قد يضيق سلطة العقل ويوسع سلطان الهوى، فيأتي محصوله منزوعا من العقلانية مجردا عن المصادقية⁷. ومعلوم أن الممارسة الاستدلالية التي يعتمدها المناظر لتحصيل مقصوده مبنية على "تدبر يتم بالعقل الذي يفترض فيه أنه محاط بقوانين إجرائية تصونه من الزلل ومن الوقوع في الخطأ والغلط، فينتظر من الناظر، وبالأحرى المناظر، أن ينظر بعين نقدية وأن يشغل آليات التفكير العقلاني والنقدي حتى يتمتع خطابه بنوع من المعقولية تجعله يتحصل ما يستهدفه"⁸.

تلك بعض مظاهر تجلي النزعة العقلانية النافعة التي تورثها الممارسة التناظرية الحاصلة

1-حمو النقاري، منطق تدبير الاختلاف، ص18.

2-شوقي أبو خليل، الحوار دائما، (دار الفكر، دمشق، ط2، 1415 هـ/1995م)، ص16.

3-الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، ج2، م4، ص247.

4-حسان الباهي، تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص263.

5-حمو النقاري، منطق تدبير الاختلاف، ص23.

6-حمو النقاري، المرجع نفسه، ص28.

7-العايشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، ص211.

8-حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص15.

وفق قواعدها وشروطها المعلومة التي تؤول بنا في نهاية المطاف إلى الإقرار بأنها تورث النزعة العلمية وملكة الاجتهاد للمتثبت بها وذلك على النحو الآتي:

1-3- الممارسة التناظرية سبيل إلى العلم والاجتهاد.

إن التأمل الدقيق في جوهر الفعل التناظري (مفهوما ومنهجيا ومقصدا) على النحو الذي قدم به في جملة من المؤلفات القديمة تحديداً، وكما مورس في مجالس التناظر والتباحث، يفضي إلى اعتباره "مدخلا رئيسيا ومسلكا أساسيا إلى تحقيق العلم* وتحصيل المعرفة والوصول إلى الصواب بطريقة تفاعلية وتعاونية"¹. وهذا ما نبه إليه الراغب الأصبهاني حينما قال "إن الجدل مع ما فيه قد يوقظ ويثير الأنفة لاقتباس العلم"²، وبتعبير ابن القيم "اكتساب العلوم الفهم بالاستدلال والفكر"³. وهو علم حاصل على الدليل وإلا كان تقليداً* يقول ابن القيم في هذا الصدد "العلم معرفة بدليله، وهو كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون دليل فإنما هو تقليد"⁴، وهذا ما انتهى إليه النقاري على نحو دقيق بعد تحليله للشبكة الدلالية والتداولية للفظتي: العلم والمعرفة، إذ تعودان في جوهرهما إلى "طلب الأدلة والاستدعاء لها، أي سعيودان إلى الاستدلال"⁵. على أن مما تتيحه الممارسة التناظرية مما له علاقة بهذه النزعة العقلانية والعلمية النافعة نذكر من ذلك ما تحققه من تنقيح للمذاهب وتصحيحها والتحفيز على الاجتهاد. فإذا كان نشوء المذاهب الفقهية والأصولية والفرق الكلامية أكبر دليل على قيام الإسلام على ثقافة الحوار واحترام الاختلاف والتعددية الفكرية؛ فإن مما يتيحه الفعل التناظري، باعتباره صناعة منهجية محكمة القواعد والأصول، تنقيح تلك المذاهب وتصحيحها يقول ابن خلدون في هذا الخصوص "فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة وأجري الخلاف بين المتمسكين بها والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والأصول الفقهية وجرت بينهما المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه تجري على أصول صحيحة وطرائق قويمه يحتج بها كل على مذهبه"⁶. وهذا ما ينطبق مثلاً على مذهب الإمام الشافعي الفقهى ونسقه الأصولي، فقد كان لمخالطته ومناظراته لأكابر العلماء أثر كبير في تنقيح علومه واختياراته، "فكان الذين رأوه ببغداد من أكابر العلماء كأحمد بن حنبل وأبي ثور وأبي عبد الرحمن الأشعري وغيرهم ينكرون كثيراً مما خالفهم فيه، عكس ما كان عليه في مصر إذ ليس عنده بها من يناظره ويراجعه، إذ كان يعقد للكتابة عكس ما كان عنده ببغداد"⁷. فبالإضافة إلى أن العلماء الذين وجدوا أنفسهم، بعد استقرار المذاهب الفقهية على أصولها، أمام ضرورة ترسيخ مذاهبهم والدفاع عن مناهجها ومسالك استنباطها للأحكام الفقهية، فإنهم

* العلم المقصود هنا هو فعل يقوم به العالم، يستدل فيه بآثار (علامات وأعلام) للوصول إلى مراد يتوخاه ويتبغى (معلوم أو معلومات). فهو ذو طابع استدلالى الذي يبرز أيضا في مفهوم المعرفة، حمو النقاري، منطق تدبير الاختلاف، ص 34 و 35.

1- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص 56.

2- الراغب الأصبهاني، الزبيرة إلى مكارم الشريعة، (تحقيق ودراسة أبو زيد العجمي، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط 1-1428/2007م)، ص 269.

3- بدائع التفسير الجامع لما فسرهُ الإمام ابن القيم، جمعه وخرج أحاديثه يسري السيد، دار ابن الجوزي، 1427هـ، ج 2، ص 152.

* الجدير بالتنكير أن المقاد "لا يناظر مخالفه، بل ولا ينظر في أقوال مخالفه حتى يتبين الحق من الباطل ولهذا سماه السلف الإمعة"، ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب

العالمين، (تحقيق وتعليق عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 1414/1993م)، ج 2، ص 240.

4- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج 1، ص 16 و 17.

5- حمو النقاري، منطق الكلام، ص 35.

6- ابن خلدون، المقدمة، ص 505.

7- حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل في الكتابة والسنة، نقلا عن ابن تيمية، ص 170.

أيضا استعانوا بمنهج المناظرة لتقويمها وتصحيحها، وهذا ما لخصه المناظر البارع الباجي في قوله "ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"¹.

لهذا، لا يمكن لأحد إنكار البعد الجدلي- التناظري في الدرس الفقهي والأصولي وأثره الكبير في تصحيح المعوج منها وبقائها. "فالمسائل الفقهية لا تتجلى وتتقشع إلا بممارسة الجدل العقلي دفاعا عن مواقف الأصحاب أو دحضا وتصحيحا لمواقف المخالفين في المذهب. ولا شك أن هذا العمل يتطلب انتهاج طرق حجاجية تنتهي في آخر المطاف لا محالة على أرضية حوارية وجدلية"². وهذا ما يثبت ما للممارسة التناظرية من أثر كبير في فتح باب الاجتهاد المتعدد الأطراف المحققة له وفق آلية شرعية ألا وهي (التعاون) للوصول إلى الحق والصواب. فالانتهاء إلى ممارسة الاجتهاد ونبذ التقليد* بوصفه أحد معيقات التفكير النقدي، هو من لوازم ممارسة الفعل التناظري. فالمناظر لا يكون مجرد مقلد وناقل للآراء ومردد لها، وذلك لأن "المناظرة تدرب طالب العلم على معرفة مواقع الخلاف وتحقيقه، وتمييز الأدلة، وتقرير مواضع النزاع، والكشف عن صحيح الأدلة من سقيمها، ومعارضة الأقوال الضعيفة، وإظهار عوار المذاهب الفاسدة، وبيان وجه الدلالة من الأدلة على الأحكام"³. وهذا وهذا ما حدا بالدكتور عبد المجيد تركي إلى اعتبار مؤلف ابن عقيل الحنبلي في الجدل -مثلا- يهدف إلى "أن يفتح باب أوسع للاجتهاد، وأن يدفع المذهب أكثر فأكثر على طريق الجدل الفقهي"⁴. وهذا ما يستفاد أيضا من اعتبار أبي بكر الطرطوشي "مناظرة الأكفاء ومعاشرة النظراء تلقيحا للعقول وتهذيبا للنفوس وتديسا لِمآخذ الأحكام"⁵.

على أن ما ينطبق على المذاهب الفقهية والأصولية، ينسحب أيضا على باقي القطاعات المعرفية. "فحيثما وجدت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجال من مجالات المعرفة الإسلامية كانت المناظرة طريقة التعامل بينها"⁶ و"تجديد النظر فيها، وفي إنشائه وتكوين إنتاجيته الفلسفية"⁷، بل كانت المناظرة "وجه تفاعل التيارات التي تنسب إلى قطاعات مختلفة"⁸. وهكذا نصل إلى إثبات هذا الأثر للمناظرة منذ القدم وفي حضارات أخرى غير الحضارة الإسلامية، فيكفي أن نشير إلى أن فضل الحجاج الذي عليه مدار التناظر على الفلسفة الإغريقية أنه كان لها بمثابة الخميرة كما ذكر مؤرخو الفلسفة. ففلسفة أفلاطون تشكلت في جوانب كثيرة أساسية منها من جهة الإجابة عن معضلات (Apriories) أثارها السفسطائيون في حجاجهم، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى أرسطو فقد انبنت فلسفته في الرد عليهم⁹.

1-الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص8.

2-حسن بنغوي، استئناف القول في الطبيعة الحجاجية للمقال الفقهي على شرط أبي حامد الغزالي، المؤلف الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 3، ص329.

*المقلد يفر من المناظرات فراره من الأسد، لأنه يعلم أنه لا تحقيق ولا معرفة عنده بأدلة المسألة، فضلا عن القدرة على النقض والإبرام والمعارضة، حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل في الكتاب والسنة، ص177.

3-حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل في الكتاب والسنة، ص173.

4-عبد المجيد تركي، المناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، (تحقيق عبد الصبور شاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م)، ص52.

5-سراج الملوك، نقلا عن حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل في الكتاب والسنة، ص173.

6-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص69.

7-طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص73.

8-طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص69.

9-هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلف جماعي، بإشراف حمادي صمود، (سلسلة كلية الآداب منوبة، تونس)، دراسة ص51.

لننتهي في إثبات هذا الأثر العلمي الواضح والعميق للمناظرة، إلى أن "المشاريع الفكرية والفلسفية الراهنة إنما تبلورت أو لازال أغلبها يتبلور على أساس تناظري (تقابلي) تواجهي (إنبنائي)"¹، لننتقل إلى إبراز أثر آخر مهم وخطير، ومطلوب على نحو استعجالي، يحققه الفعل التناظري للمجتمعات الإسلامية يتحدد في الائتلاف والوفاق ومن ثمة التوحد، بدل التنازع والتشتت وما ينتج عنهما من ضعف وتخلف، ألا وهو (الروح الجماعية الصالحة).

2- الممارسة التناظرية مورثة للروح الجماعية الصالحة

إن الحديث عن التناظر باعتباره فعلا تعاونيا غايته تحصيل نتيجة علمية دقيقة أو عملية، هو بالدرجة الأولى حديث عن ذوات فاعلة متواصلة بالحجج وفاعلة بالتدليل يحكمها منطق حاجي مبني بناء مزدوجا تواجها قوامه تقابل (مدعي) و(معترض)، وفق آليات إقناعية خاصة وحقوق وواجبات محدودة. فكيف لهذا الفعل أن يجمع بين ما هو فردي (أناي) وما هو جماعي (تعاوني)؟

2-1- الفعل التناظري بين فلسفة (الأنا) وفلسفة (النحن).

لما كانت المناظرة "خطابا استداليا يقوم على (المقابلة) و(المفاعلة)"²؛ فإنها رغم ذلك "تعين على تصور واقع اجتماعي يقر بالمبادرة الفردية وبالنزعة الجماعية، ويطلب إشراك الجميع في البحث عن حلول للأوضاع تقبل التنقيح والتغيير"³، فأمكن بذلك اعتبارها فرصة لقبول الخلاف والاعتراف للرأي الآخر بحق التعبير والخروج من منطق التسلط والعنف وحسم الخلافات بحد السيف، ولهذا فأسلوب التناظر مسلك فعال في البحث المشترك عن الحقيقة وكشف الصواب بعيدا عن دوافع الانغلاق والتعصب والعنف والقمع... وعليه "فالحق المتوصل إليه عبر هذا الطريق حق مجمع عليه"⁴ ومتداول في شأنه، و"لن يكون من هذه الجهة إلا (حقيقة إجماعية)، فهو بذلك أسلوب يتغى الحقيقة المجمع عليها والانفلات من (فلسفة الأنا) القائمة على كون البحث عن الحقيقة لا يكون إلا في وعي ذاتي فردي مجرد ومنعزل وقادر على بلوغ الحق وكشف الصواب، وتأسيس الانخراط في (فلسفة النحن) التي تستدعي تعاون الجميع ومشاركة الكل في تحقيق ذلك"⁵، خاصة وأنا في مجتمعاتنا العربية الإسلامية تسيطر علينا العصبية القبلية منذ القدم، ولأننا حديثي عهد بالديمقراطية التي شابتها الفوضى بسبب النزعة الطائفية البغيضة، فلا يوجد لدينا ثقافة احترام الرأي الآخر، بل رأيي هو الصواب.

نزعة إجماعية إذن يقرها أسلوب المناظرة، وهو بذلك "يتوافق مع نظام اجتماعي استشاري، عكس المنطق البرهاني الذي يقوم على التوحيد المنهجي (طريق الوصول إلى الحقيقة هو يقين الرياضيات المتوافق مع نظام اجتماعي تستبد فيه بنية واحدة بالتوجيه، ويسوى فيه غيرها من البنيات على ما بينها من الاختلافات، طوعا أو كرها، فيكون مقابله الاجتماعي هو النظام الاستبدادي"⁶.

على أن هذه الحقيقة الإجماعية المتوصل إليها عن طريق التناظر تحقق خطابا قويا ناتجا عن

1- العياشي أدراوي، الاختلاف الفكري أو مسالك التناظر الكلامي، ص 132.

2- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 66.

3- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 68.

4- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص 278.

5- العياشي أدراوي، المرجع نفسه، ص 281.

6- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 68.

مقابلة حجاج بحجاج*، وهذا معناه أن قوة هذا الخطاب هي الإجماع الذي يترتب عليه وتظهر ثمرته في المجتمع، وهو قوي أيضا لأنه "يدفع المواطنين إلى القيام بالتدابير الأكثر نفعا للجماعة والشأن العام، وتلكم هي سمة الخطاب في السياق الديمقراطي¹". كما أن المعرفة الناتجة عن ذلك المسلك معرفة تداولية جماعية مصدرا ومآلا، مقترنة بمقام تعاوني (Cooperative contexte) قوامه التناقش والتباحث وغيرها مما يقوي دعاوى التعاون في النفس ويضعف أسباب الاستئثار فيها².

لهذا أمكن القول بأن ما يتيح التناظر من إمكانيات التعاون والتداول المأصول بروح الجماعة بعيدا عن الاستئثار والاستعلاء والانعزال لهو السبيل إلى تحقيق الوحدة بدل التفتيت والتجزئة، وبالتالي قوة المجتمعات والأمة الإسلامية، وذلك على النحو الآتي:

2-2- التناظر سبيل الأمة إلى الوحدة والقوة.

إذا كان الاختلاف* في الرأي ظاهرة صحية سواء بالنسبة لفكر الفرد الواحد الذي يختلف من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام حتى كأنه أفراد كثيرون، أو بالنسبة للجماعة الواحدة التي قد يختلف أفرادها في أفكارهم بصدد الشيء الواحد في الظرف الواحد حتى كأنهم ليسوا نفرا واحدا، أو بالنسبة للمجتمع الواحد الذي قد تختلف أفكار الجماعات فيه بصدد الشيء الواحد في الظرف الواحد حتى كأنه مجتمعات كثيرة، والشيء نفسه بالنسبة للعالم الذي هو حشد من المجتمعات المختلفة³؛ فإن هذا الاختلاف أمر محمود حتى لا نقع في مزالق الجهل والعصبية والإرهاب الفكري والاستبداد بالرأي⁴.

وإذا كان الاختلاف القائم على العقل والتدليل بدل الجهل والتقليد والهوى محمودا⁵؛ فإن التناظر الحاصل على شروطه تبعا لذلك لا يمكن أن يكون إلا محمودا هو أيضا لأنه ينبني على حضور الذات العاقلة والمدللة في العلاقة الحوارية التناظرية الرابطة بين المتحاورين⁶ الذين هم في السياق الاختلافي (عقلاء) و(مجتهدون) و(حكماء)، لا (جهلاء) و(مقلدون) و(متحكمون) كما في المقام الاختلافي⁷، فأمكن بذلك اعتبار الحوار والتناظر الدواء الذي يشفي من داء الخلاف⁸.

التناظر إذا، ليس تواسلا فقط، بل تفاعلا بين طرفين أو أطراف، يسعيان بالتعاون بينهما إلى تحقيق مقصد أساسي ألا وهو الفهم والإفهام بغاية الإقناع والاقناع. "فتواصل الحوار بين الأطراف المختلفة فئاتا وأفرادا، يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص شقة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من بعض، حيث إن هذا الطرف أو ذاك قد يأخذ في الانصراف عن رأيه متى تبين له، عند مقارنة الحجة بالحجة، ضعف أدلته عليه،

*الخطاب القوي ليس هو الخطاب الاستبدادي، فهذا الخطاب عنيف وليس قويا محمدا أسيداه، السفطانية وسلطان القول، المؤلف الجماعي الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص44.

1-محمد اسيداه، السفطانية وسلطان القول، المؤلف الجماعي الحجاج: مفهومه ومجالاته، ج2، ص44.

*سماه طه عبد الرحمن " بالاستئثار"، المرجع نفسه، ص68.

2- العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي، ص6.

*تميز هنا مع طه عبد الرحمن بين الاختلاف والخلاف القائم على حضور معيار الذات العاقلة المدللة في العلاقة الحوارية في الاختلاف وغيابه في الخلاف-الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006م)، ص35 و36.

3-طه عبد الرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص134.

4-إبراهيم الشيركاتي، التعددية وثقافة الاختلاف، (مؤسسة الهداية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م)، ص6.

5-حمو النقاري، منطق تدبير الاختلاف، ص43.

6-حمو النقاري، المرجع نفسه، ص43.

7-حمو النقاري، المرجع نفسه، ص43.

8-طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، ص5.

ثم يتجه تدريجيا إلى القول برأي من يخالفه أو يأخذ، على العكس من ذلك، في تقوية أدلته متى تبينت له قوة رأيه، مستجلبا مزيد الاهتمام به من لدن مخالفه، حتى ينتهي هذا المخالف إلى قبوله والتسليم به¹. "فالتناظر والحوار تتقلص مسافة الشقاق بين الأطراف وتتقارب مسافات الوفاق"²، فلا يتم مصادرة الرأي الآخر لأن ذلك لن يحقق إلا تمزيق الأمة وتفتت وحدة المجتمع وخلق الفتن والصراعات العنيفة المنهي عنها شرعا وعقلا ومنطقا وأخلاقا، في حين إن ضمان حرية الرأي للجميع يساهم في بناء وحدة الأمة وقوتها، فلا ينبغي بمجرد أن يحدث خلاف فكري أو فقهي أو أصولي أو تاريخي أن تتسابق بعض الأطراف إلى التراشق في رمي الاتهامات على بعضها البعض إلى درجة أن بعض الأطراف يتهم الآخر بالضلال والكفر، والبعض الآخر لا يجوز الصلاة خلف الآخر، والبعض الآخر يرمي الآخر بالتخلف والجمود وهكذا³، بل إنه "في عصرنا هذا تظهر لنا بعض المظاهر الغربية المتجسدة في تيارات وأحزاب وأفكار تحمل في أسلوبها الطابع الإرهابي في فرض الإرادة بالقهر والتهديد، وكل تيار وحزب يرى له حق الولاية على الآخرين، وكل ذلك باسم الإسلام الحنيف"⁴.

فطلبا لاحترام التعددية والاختلاف القائم على العقل والتدليل بدل الجهل والتقليد والهوى، باعتبار "الوجود الإنساني يغتني بالاختلاف لا بالتنميط وفرض الرأي الواحد"⁵، يمكن اعتبار المناظرة مسلکا مقبولا شرعا وعقلا لتجسيد هذا الاختلاف بين الأفكار والآراء ووجهات النظر وجعلها مادة للنقاش والتحاور اعتمادا على السؤال والجواب، والعرض والاعتراض، والقبول والرفض. فهي بذلك تمثل الشكل المناسب لعرض تلك الآراء المختلفة والمتعارضة بغض النظر عن الاختصار على الرأي الواحد أو التعصب له، لأنها تؤسس وتعمق "ثقافة التفاوض حول الحقيقة وجعل التباعد تقاربا، قيمتها الأساسية مبنية على بسط كيفية البحث عن الأرضيات المشتركة بهدف الوصول إلى أفضل الاختيارات الممكنة، ومن ثمة الرفع من مستوى الأداء الحواري الذي يجنب كل ما من شأنه أن يعمق الصراعات دون مبرر معقول، "فإذا تقرر أن التناظر الحاصل وفق شروطه التبليغية المحققة للفائدة وقواعده التهديبية الموصلة إلى المودة، يبعد أشد ما يكون الابتعاد عن الجهل والتقليد والهوى وما ينتج عنها من سلبية وتعصب وإرهاب وعنف وإقصاء الآخرين، وبالتالي الصراع والتشتت...؛ فإنه بذلك يمثل السبيل الأنجح للوصول إلى الوحدة"⁶ التي هي صفة أهل العلم "الذين وإن اختلفوا لم يفرقوا دينهم ولم يكونوا شيعة، بل شيعة واحدة متفقة على طلب الحق وإيثاره عند ظهوره وتقديمه على ما سواه...، فهم طائفة واحدة قد اتفقت مقاصدهم وطريقهم"⁷. وحدة ما أحوج مجتمعاتنا إليها، لأنه "بدونها لن تتحقق قوة الأمة خاصة في هذا العصر، عصر التكتلات والتجمعات السياسية والاقتصادية"⁸.

1- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص20.

2- حسن الواركلي، ثقافة الحوار الحضاري عند المسلمين: تأملات في المفهوم والإجراء، (منشورات دار تطوان، 1426هـ/2003م)، ص26.

3- عبد الله يوسف، شرعية الاختلاف دراسة تأصيلية منهجية للرأي الآخر في الفكر الإسلامي، (دار الصفوة، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م)، ص16.

4- إبراهيم إسماعيل الشهركاني، التعددية وثقافة الاختلاف، ص14.

5- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف، ص47.

6- إبراهيم إسماعيل الشهركاني، التعددية وثقافة الاختلاف، ص13.

7- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج2، ص196.

8- حسن الواركلي، ثقافة الحوار الحضاري عند المسلمين، ص43.

خاتمة:

بعد هذا، يمكن ان نخلص في هذا المقام إلى بعض النتائج المختصرة كما ما يلي:
- ضبط المصطلحات عمل شرعي مطلوب يجنب العلماء والمتناظرين الالتباس والشغب.
وهذا ما انتبه إليه الأصوليون مثلاً باعتبار الوضوح في الأداء العلمي خاصة المنهجية الأصولية، الذي يستدعي وضوح دلالة الألفاظ، فلا تخفى الحقائق، ولا يمزج بين الحق والباطل.

- المناظرة مصطلح ومنهج أصولي شرعي معتمد في مؤلفات علمائنا الذين في مقدمتهم علماء أصول الفقه.

- اهتمامنا بالمناظرة: مفهومها ومسلكا ومعجما وتداولها والبحث في جنسها، هو بحث في آليات الخطاب التواصل بين البشر، هدفه لفت الأنظار إلى قيمتها المنهجية ومفعولاتها المعرفية وثمارها العلمية والعملية.

- الأصل اللغوي لمصطلح المناظرة مداره حول معاني: المعاينة والمباشرة والمباحثة والمجاورة والتقابل والمخاطبة والتراوض في الأمر. وهي معان حاضرة في دلالتها الاصطلاحية، باعتبار التقابل-مثلاً-حاضرا في كل خطاب استدلالي بين طرفين إظهارا للصواب. كما أن التكافؤ والتشابه والمساواة بين الطرفين المتناظرين شرط ضروري لصحة قيام المناظرة.

- تعدد التعريفات الاصطلاحية لمفهوم المناظرة، وهي متشابهة يكمل بعضها البعض، إذ تعتبرها ذلك التدافع الكلامي الهادئ والايجابي، القائم على التعاون والبحث المشترك عن الحقيقة وإظهار الصواب بين الذوات المتناظرة الفاعلة والمتواصلة بالحجج والفاعلة بالتدليل.
- غنى معجم المناظرة في اللغة العربية، ما يدل على تداول المسلمين لهذا المنهج والتزامهم به أكثر من غيره في تحصيل المعرفة وتبليغها. فألفاظها فيه تتجاوز إلى أنها عشرين لفظاً، حاولنا بيان معاني البعض منها وخصائصها ومدى مطابقة معناها لمعنى المناظرة.

- اخترنا مصطلح المناظرة لأنه مشتق من النظر ولا يدل على غلبة أو معاندة بوجه، عكس مصطلح الجدل مثلاً الذي بمجرد سماعه يتبادر إلى ذهن الإنسان العربي معاني الإلقاء والإسقاط على الأرض بالقوة وشدة الفتل والصرع. فكان ذلك من بين الأسباب التي جعلتنا أيضاً لا نأخذ باختيار من جعل المناظرة والجدل بمعنى واحد، فانتبهنا إلى أن المناظرة التي تقيد في جوهرها معاني وخصائص التعاون والتدليل والبحث المشترك، وتحضر فيها القواعد التبليغية والتهديبية، فيتحقق الإفهام والإقناع، وبالتالي الاتفاق والوحدة. هي من أرقى الأنماط التفاعلية.

- إذا كان حال العالم والمجتمعات العربية والإسلامية يطبعه الصراع والتنافر والتصادم؛ فإن ما يجنبها الحروب والدمار... إنما هو التناظر الذي أصبح ضرورة لا اختياراً.

- أهمية منهج التناظر واستحقاق ثقافته وأدبياته وضوابطه للنشر بين جميع فئات مجتمعنا ومكوناته كما فعلت المدارس الحجاجية في أوروبا وأمريكا الشمالية.

- اعتمادنا في التدليل على دعوى أهمية المناظرة في حياة الأفراد والمجتمعات والعالم على مسوغين مهمين ومطلوبين:

أولهما: توريث التناظر للروح العقلانية النافعة التي ترجع إلى ما في التناظر من تعاقل وتدليل وفحص من جانبيين للأدلة، فيتحقق النظر المزدوج الذي هو أعمق وأوسع وأبعد عن

مداخل الهوية، عقلانية ونفع أيضا راجعان إلى ما يورثه أسلوب التناظر من ملكة الاجتهاد والمعرفة...

ثاني المسوغين: توريث المناظرة للروح الجماعية الصالحة. فهي وإن كانت تقرر بالنزعة الفردية والحق في إبداء الرأي والدفاع عنه؛ فإنها تعتبر مسلكا فعلا في البحث المشترك (فلسفة النحن) عن الحقيقة التي تصبح جماعية لثبوتها بالحجج والأدلة، فتتوافق بذلك مع النظام الاجتماعي الاستشاري-الديمقراطي/لا الاستبدادي، فتنقلص بذلك مسافات الشقاق والضعف، وتتقوى أسباب التوحد والقوة والعزة للأمة، وهي عناصر مطلوبة في عصرنا عصر التكتلات.

المصادر المراجع:

- 1- التعريفات، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1403هـ.
- 2- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق لجنة من العلماء، دار الجيل، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.
- 3- بدائع التفسير الجامع لما فسرہ الإمام ابن القيم، جمعه وخرج أحاديثه: يسري السيد محمد، راجعه: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، 1427هـ.
- 4- تاج العروس من جواهر القاموس، أحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1306هـ.
- 5- تهذيب الأسماء واللغات، حمي الدين ابن شرف الأموي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 6- الشفاء، ابن سينا، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة.
- 7- الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، فخر الدين الرازي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، دار، الجيل، بيروت، 1413هـ/1992م.
- 8- الكافية في الجدل، إمام الحرمين الجويني، تقديم وتحقيق وتعليق: فؤاد حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1399هـ/1979م.
- 9- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
- 10- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، الطبعة الأولى، لبنان، 1996م.
- 11- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، منشورات مكتبة المتنبي، بغداد.
- 12- الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ/1998م.
- 13- مختار الصحاح، محمد أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، 1987م.
- 14- المستصفى من علم أصول الفقه، أبو حامد الغزالي، المطبعة الأميرية، بولاق، دار الفكر، 1403هـ.
- 15- مسلم فواتح الرحموت، عبد العلي الأنصاري، بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه، محب الله عبد الشكور على هامش المستصفى للغزالي، دار الفكر.
- 16- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الجيل، بيروت.
- 17- المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد سليمان الباجي، تحقيق د. عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي.

- 18-الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز ووضع تراجمه محمد عبد الله دراز وخرج آياته وفهرس موضوعاته عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 19-آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- 20-أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، د. حمد بن إبراهيم العثمان، الطبعة الثانية، دار ابن حزم، بيروت، 1425هـ/2004م.
- 21-أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلف جماعي، إشراف د. حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، سلسلة كلية الآداب، منوبة، تونس 1.
- 22-التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، عبد الطيف البرزنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م.
- 23-التعددية وثقافة الاختلاف، إسماعيل إبراهيم الشهركاني، مؤسسة الهداية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.
- 24-ثقافة الحوار الحضاري عند المسلمين: تأملات في المفهوم والإجراء، د. حسن الواركلي - منشورات دار تطوان، 1426هـ/2003م.
- 25-الجدل والمناظرة أصول وضوابط، د. محمد رفيع، مطبعة أنفو، فاس، 1430هـ/2009م.
- 26-الحجاج مفهومه ومجالاته، مؤلف جماعي، مؤلف جماعي، اعداد د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010م.
- 27-الحق الإسلامي في الاختلاف الفلسفي، د. طه عبد الرحمن، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2002م.
- 28-الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، د. العياشي أدراوي، إفريقيا الشرق، 2012م.
- 29-الحوار ومنهجية التفكير النقدي، د. حسان الباهي، إفريقيا الشرق، 2004م.
- 30-حوارات من أجل المستقبل، د. طه عبد الرحمن، منشورات الزمن.
- 31-شرعية الاختلاف: دراسة تأصيلية منهجية للرأي الآخر في الفكر الإسلامي، د. عبد الله يوسف، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م.
- 32-ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حنيكة الميداني، دار القلم، الطبعة الخامسة، 1418هـ/1998م.
- 33-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 2010م.
- 34-في فقه الحوار، د. سعد الدين العثماني، منشورات الفرقان، الطبعة الثانية، 1416هـ/1996م.
- 35-القول الأصولي المالكي ومناهج الحجاج، د. إدريس غازي بن محمد، الطبعة الأولى، دار أبي رقرق، 1433هـ/2012م.
- 36-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1998م.
- 37-معالم الدرس الجدلي عند علماء الغرب الإسلامي أبو الوليد الباجي نموذجاً، د. محمد رفيع، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010م.

ظاهرة نبذ التطرف في الأدب العربي - شعر الشريف الرضي أنموذجاً -

د. عباس اسماعيل سيلان

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبي الأمين وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين ،
وبعد

مع أن الخليقة البشرية تتحد فيما بينها بسمه التفكير إلا أنها متباينة بالطاقات ، والطاقات هي التي تحركها نحو ما تريد وبمقدار البذل الصحيح لهذه الطاقة تكون السعادة للبشرية ، بيد أنه كثيراً ما يكون التوجه على غير الوجهة الصحيحة ، ومن هنا نشأت التباينات الفكرية ، ونشأت طائفة من الظواهر المقيمة على النحو من ظاهرة التطرف ، والتطرف هو الميلان نحو أمر ما بصورة مبالغة بها إلى درجة أن المرء بفعله هذا يخرج عن جادة الاعتدال ؛ لأن ميلانه هذا عادة ما يجعل منه إنساناً مندفعاً نحو تطرفه من دون أن يُحكّم العقل .

ويعد التطرف في الوقت الحاضر من القضايا المهمة ، ومن ثم تعددت به الدراسات والأبحاث ، وتنوع الى تطرف ديني وآخر اجتماعي وسياسي ... ، وكثر الحديث في أسباب نشوئه وكيفية معالجته ، وهذه الدراسات مهمة كونها تعالج مشكلة خطيرة وداء يسري بلا هوادة ، وأرى أنه ثمة إشارات جليلة بمعالجته لم يُشر لها ، وهي ظاهرة محاربة التطرف وذكر صور مضيئة لوأد هذه الظاهرة الخطيرة ، وهذه الاشارات تتسامى في الأدب العربي ، فالأدب مرآة للمجتمع ، والشعراء عادة ما يتسمون بأحاسيس خلّاقة ، تجعلهم يأنفون من العادات المرفوضة على النحو ممّا نجده عند الشريف الرضي الذي حارب ذميم الأفعال ولا سيما التطرف ، وربما يعود السبب وراء ذلك الى أنّه نشأ في عصر يضجّ بالتنوع المذهبيّ والتوجهات القوميّة ، وكان قد سبق ذلك مصادمات بين الشيعة والسنة راح ضحيتها كثير من الناس واحترقت الاسواق والدكاكين ، فما كان من الشريف إلا أن يعمد الى محاربة التطرف والتعامل بوسطية ؛ ليكون العنوان (ظاهرة نبذ التطرف في الأدب العربي - شعر الشريف الرضي أنموذجاً -) ، ليتبين لنا جمال الأدب العربي في أن يحمل رسالة زاكية بأسلوب جميل ، وفي هذا زيادة فائدة للمكتبة المعاصرة بمحاربة التطرف فضلاً عما جاء من دراسات معاصرة تخص ذلك الموضوع .

وقد قسم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث ، أما التمهيد فكان تعريفًا بالتطرف والشريف الرضي (ت406 هـ) ، ثم انتقل الأمر الى المبحث الاول فكان متخصصاً بـ (التطرف الديني) ، ثم المبحث الثاني الذي كان في نبذ (التطرف الاجتماعي) وأخيراً المبحث الثالث وتركز في نبذ التطرف السياسي ، وكل ذلك كان الباحث يكشف عن هذه الانماط بما جاء عند الشريف من شعر أصيل يحارب ما في المجتمع من انحرافات عن الجادة ؛ ليختم البحث بخاتمة كشفت عن أبرز النتائج .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبي وآله الطيبين الطاهرين.

التمهيد : التعريف بمفهوم التطرف والشريف الرضي

القسم الأول : التعريف بالتطرف :

مفهوم التطرف : التطرف لغة من الطرف ، والطرف هو نهاية الشيء وآخره⁽¹⁾ .
أما في الاصطلاح فهو " خروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب الشائعة في المجتمع معبراً عن نفسه بواسطة بعض السلوكيات منها الاعتزال والسلبية والانسحاب ؛ اذ يمارس المتطرف معايير مخزونه للاصطدام بالمجتمع لدفاع عن قيمة ومعاييرهِ " (2)، ومن هنا كان التطرف طريقاً للإرهاب والتكفير واستعمال العنف في سبيل تهميش الآخرين ؛ ولأنه ميلان الى شيء والتزمت به ، عُدَّ " من حالات التعصب بالرأي ، لا يعترف معها المتطرف بمقاصد الشرع ولا حتى بظروف العصر ولا يسمح بالحوار مع الآخر، وموازنة ما يمتلك بما يمتلكون " (3) ، وهو بهذا الوصف دمار للبشرية ؛ لأنه يحول دون النهوض بحياة سعيدة وما أدق وصف القاسمي له "إنَّ التطرف والغلو في المباحث ليس من شأن الحكماء المنصفين. وإذا اشتد البياض صار برصاً" (4) .

والحقيقة أن التطرف لم يرد في التراث بهذا اللفظ ، وانما جاء بمفهومين آخرين ، وهما :

1 - الغلو : ورد في القرآن الكريم بحثه على تجنب التطرف بتعاليم الدين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ لَأَقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (سورة النساء : 171) .

2 - الإفراط : ورد في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وهو يبين هلاك المتطرف ويحث على الوسطية : " وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ الْنَمَطِ الْأَوْسَطِ قَالَرَمُوهُ " (5) .

ومن هنا يظهر النهي عن الوقوع في رذيلة التطرف لأنها تقود الى الهلاك والضياع .

الاسلام دين الوسطية لا التطرف

مثلما مرَّ أن القرآن الكريم منع من الغلو في الدين (التطرف) ، وقد حارب ذلك التحيز غير المشروع ، وبين أن الاسلام دين الوسطية ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (سورة البقرة : 143) ، وانسحب هذا الأمر على سائر التوجيهات القرآنية ، قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة الاعراف : 31) .

وأكد أنه ليس من الصحيح التعصب الذي يقود الى مقاطعة الآخرين رافعاً شعار لا إكراه في الدين ، قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة : 256) .

(1) ينظر : تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهر (ت ٣٧٠هـ) ، 13 / 219 .

(2) المتطرفون نشأة التطرف الفكري وأسبابه وآثاره وطرق علاجه ، جميل أبو العباس زكير الريان : 50 .

(3) أصول التطرف ومظاهره في اليهودية والإسلام ، بنعيسى الفاضلي : 17 .

(4) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) : 8 / 513 .

(5) نهج البلاغة : 2 / 11 .

ومن هنا كان الإسلام الحقيقي ديناً منفتحاً لا يقف عند النظرة المغلقة ولا يوافق على " الانزواء والتصوف بل يؤكد على أن الحياة الواقعية للإنسان ، والتي لها معنى متى ما كانت اجتماعية " (1) ، ومثلما حارب المتصوبة حارب الخوارج الذين استحلوا دماء المسلمين بسبب تطرفهم الشنيع .

وكون الاسلام خاتماً للأديان نجده قد صحّح الظواهر التي تنأى بالحياة الى التكلف ، وفيه تصحيح للظواهر لاحقة التي تنأى عن الفكر السليم ، على النحو مما نجده في معالجة التصوف وغيره ، فقد " هذب هذه التعاليم ونقحها ، وحذف منها الغلو والتطرف ، ومنع الناس عن التشدد في الدين ، وتعذيب النفس ، وعرفهم الحنيفية السمحة البيضاء ، النزيهة عن الانغماس في الدنيا والجري وراء ملذاتها وشهواتها ، كما راعى جانب الطبيعة والفطرة ، وأباح الطيبات من الرزق والحلال من المال ، والتمتع بالجائز من الدنيا ، فوضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، وأمرهم بالقصد والاعتدال بين التجرّد المحض والتزهد الصرف ، وبين الإسراف المطلق والتقتير الفاحش " (2) .

هذا ولم نجد للإسلام الا مجانية لأولئك التكفيريين الذين يتطرفون بالدين بحسب هواهم ، بل قد شاع في الإسلام احترام الآخر ، وقد " ألزمت الدولة الإسلامية نفسها بمهمّات الدفاع عن الدّميين⁽³⁾ القاطنين في أقاليمها والدّود عن حقوقهم المدنية وحرّياتهم الشخصية والقتال من أجلهم " (4) ، وقد قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) : " مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ ، ومن كنتُ خَصْمَهُ خَصْمْتُهُ يومَ القيامة " (5) .

القسم الثاني : التعريف بالشّريف الرضي

الشّريف الرّضِيّ (محمّد بن الحسين) يعود في نسبه الى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) فهو جده الخامس⁽⁶⁾ ، وكان قد ولد سنة 359 هـ ، ولم يطل به الزّمن طويلاً ؛ إذ توفي سنة 406 هـ في الكرخ⁽⁷⁾ . وسجل في هذه الحقبة أسمى آيات الابداع حتى قرنوه بالمتنبّي⁽⁸⁾ ، وبعضهم يفضلّه على المتنبّي⁽⁹⁾ ، وعلى سائر الشعراء ، إذ هو عند بعضهم : " لا يُدكّر معهُ شاعرٌ لا من المُتقدّمين ولا من المتأخّرين " (10) ، وفيه يقول الثّعالبي (ت 429 هـ) الذي هو معاصر له : إنّهُ " أشعرُ الطّالبيين من مَضَى مِنْهُمْ وَمَنْ غَبَرَ على كَثْرَةِ شعرائهم المُفلقين ، كالحماني وأبن طباطبا وأبن النّاصر وغيرهم ، ولو قُلْتُ : إنّهُ أشعرُ فريش لم أبعدُ عن الصّدق " (11) ، وقد عَقِبَ على هذه العبارة الدّكتور محمّد مهديّ البصير : " أمّا أنا فأزعم أنّ من الظلم للشّريف أن يُقتصر على شعراء آل أبي طالب أو شعراء بني هاشم أو

(1) الإسلام لماذا ، د. علي القاسمي : 208 .

(2) التّصوّف .. المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت ١٤٠٧هـ) : 70 .

(3) الذّمّي : هو من ارتبط بالدولة الإسلامية برابطة عقد الذمة المقرّر في الكتب الفقهيّة ، ويختص بالكافر الذمي الذي يكون بمقتضى الذمة أمناً في الذات والمتعلقات ولا يحل قتاله ،

ينظر : مبدأ التعايش السلمي في الفقه الإسلامي، الدكتور الشيخ فاضل المالكي : 10 .

(4) مجتمع اللاعنف ، السيد حسن عزّ الدين بحر العلوم : 408 .

(5) الجامع الصغير ، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) : 547 / 2 .

(6) يُنظَر : المحمّدون من الشعراء ، عليّ بن يوسف القفطي (ت 646 هـ) : 243 .

(7) يُنظَر : يتيمة الدهر ، الثّعالبي : 110 / 3 ، والكامل ، العلامة عزّ الدين أبو الحسن المعروف بابن الأثير الجزري (630 هـ) : 261 / 9 ، ووفيات الأعيان ، ابن خلكان (ت 681هـ) :

414/4 ، وأخطأ آدم منز ومحمّد سيد كيلاني في جعل ولادة الشّريف : 361 هـ ، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 485 ، و أثر التّشيع في الأدب العربي : 138 .

(8) يُنظَر : الرّؤى الاجتماعيّة والأخلاقيّة في شعر الشّريف الرّضِيّ (بحث) : 144 .

(9) يُنظَر : عقريّة الشّريف الرّضِيّ ، د.مازن مبارك : 7 / 1 ، والباحث ليس مع تقصيل الشّريف على المتنبّي ، فعَلَّ الكاتب أنطلق من العصبية المعهودة للمصريين على المتنبّي .

(10) التّبيعة وفنون الإسلام ، السيّد حسن الصّدر (ت 1354هـ) : 515 ، ويُنظَر : حقائق في أوراق أدبيّة ، عدنان عبد النّبيّ البلدوي : 9 .

(11) يتيمة الدهر ، الثّعالبي : 110 / 3 .

شُعراء قُرَيْشٍ عامَّةٌ ... ، وأزعمُ كذلك أنَّه في طليعةِ شُعراءِ اللُّغةِ العربيَّةِ كافَّةً " (1) ، ورأى المستشرق الروسي فيلشتنسكي أنَّ في شعره : " إبداعاً مُذهلاً " (2) ، وأثار إعجاب الشَّاعر المَسيحيِّ عبدالمسيح الذي ذهب إلى أنَّ " عبقريةَ الشَّريف الرِّضيِّ المُدهِشةُ تُضربُ الرِّقَمَ القياسيَّ بين شُعراءِ العالمِ في بُعْدِ الخيالِ وقوَّةِ الصُّورةِ " (3) .
وقد عرف أيضاً بخلقه النبيل (4) ، وهذا أهله لأن يكون نقيباً للطالبيين ، والنِّقابةُ تُعني إدارةَ شُؤونِ الطالبيين (5) .

هذه الآراء المدحِّية بالشَّريف تجعل موضوع دراستنا مهماً ؛ لأننا أمام شاعر عظيم سعى بكل ما أوتي من قوة بلاغية لأن يستأصل التطرف وليعيش الناس بتسامح ووداد . ذلك أنَّ " انطواء شخصية الشَّريف الرِّضيِّ على ... ميزة السَّماحة ، نمت النزعة الديمقراطيَّة ، وروح النُّعائش المذهبي وأخذت ذهنية الشَّاعر المتفتحة مداها الوافر في المعرفة ، والحوار ، والإبداع " (6) .

المبحث الأول : الشَّريف الرضي ونبذ التطرف الديني

ظهر هذا المصطلح (التطرف الديني) في الوقت المعاصر ، ويعني التطرف بالدين إلى التعصب الأعمى وعدم الاستكانة للجادة الوسطى ، والحقيقة أنَّ هذا المصطلح من المصطلحات التي تعرضت لانتقاد شديد ، إذ رأى بعضهم أنه لا يوجد تطرف في الدين ، يقول أحدهم : " لهج المحدثون بهذا الاصطلاح في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في وقت حصل فيه رجوع عامة شباب المسلمين إلى الله تعالى والتزامهم بأحكام الإسلام ، وآدابه والدعوة إليه ، فكان قبل ينبر من هذا سبيله بالرجعية ، والتعصب ، والجمود ، ونحوها . ودين الله بين الغالي ، والجافي ، وقد كان علماء الإسلام يقررون النهي عن الغلو في الدين ، وينشرون النصوص بذلك في الوقت الذي يحثون فيه على التوبة والرجوع إلى الله تعالى ، فقلبت القوس ركوة في هذه الأزمان ، فصار التائب المنيب إلى ربه ينبر بأنه متطرف ؛ للتنفير منه ، وشل حركة الدعوة إلى الله تعالى " (7) .

والحقيقة أنه وإن كان معاصراً إلا أنَّ جذوره موجودة ، مثلما مر في الغلو والافراط ، وربما كان الواجهة أن يطلق عليه (التطرف في الدين) ، فالدين في حقيقته ليس تطرفاً وإنما التطرف في المتدين ، الذي لا يحسن فهم مبادئ الدين السمحاء ، ومع هذا يمكن المضي مع مصطلح (التطرف الديني) من باب التجوز ، ومن باب أنه مصطلح ولا مشاحة في الاصطلاح .

وقد برز الشَّريف الرضي في أشعاره دارناً لهذه الظاهرة المقيتة ، فمع أنه مسلم عصاميّ إلا أنه لم يكن يتطرف في دينه ، ويجانب ممن هم ليسوا على الإسلام ، بل كان يتعامل معهم

(1) في الأدب العباسي ، د.مُحمَّد مهديّ البصير : 449 - 450 .

(2) الأدب العربي : 212 .

(3) الشَّريف الرِّضيِّ - بولدير العرب - ، د. عبدالمسيح محفوظ : 163 ، ويُظنر : المصدر نفسه : 7 .

(4) يُظنر : شرح نهج البلاغة ، آبن أبي الحديد : 36 / 1 ، 40 .

(5) و" بدلنا التاريخ بأنَّ وظيفة النِّقابة في القرون الأخيرة من العهد العباسيَّ ضروريةٌ في تشكيلات الحكومات الإسلاميَّة ولا بدَّ منها لأجل سلامة الدولة " الشَّريف الرِّضيِّ ، محمَّد رضا رضا آل كاشف الغطاء : 42 .

(6) مستدركات أعيان الشيعة ، حسن الأمين (ت 1399 هـ) : 2 / 269 .

(7) معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ ، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت ١٤٢٩ هـ) : 189 .

بالحسنى ولم يتشدد في سلوكه الديني ، فنجد له مع الصَّابِئِ أَبِي إِسْحَاق مراسلات ودودة كثيرة بل نظم فيه حين وفاته قصيدة أدَّهَشَ لها النَّاسُ⁽¹⁾ وبُدِّعَتْها⁽²⁾ :

[الكامل]

أَعْلَمْتُ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ	أَرَأَيْتَ كَيْفَ حَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى	مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الْإِرْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي التَّرَى	أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ
بَعْدًا لِيَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ فَانَهُ	أَقْدَى الْعُيُونِ وَفَتْ فِي الْأَعْصَادِ
لَا يَنْفَدُ الدَّمْعُ الَّذِي يُبْكِي بِهِ	إِنَّ الْقُلُوبَ لَهُ مِنَ الْأَمْدَادِ
كَيْفَ انْمَحَى ذَاكَ الْجَنَابُ وَعُطِّلَتْ	تِلْكَ الْفَجَاجُ وَضَلَّ ذَاكَ الْهَادِي
طَاحَتْ بِتِلْكَ الْمَكْرُمَاتِ طَوَائِحُ	وَعَدَتْ عَلَى ذَاكَ الْجَوَادِ عَوَادِي
قَالُوا: أَطَاعَ وَقِيدَ فِي شَطْنِ الرَّدَى	أَيْدِي الْمُنُونِ مَلَكْتُ أَيَّ قِيَادِ
مَنْ مُصْعَبٍ لَوْ لَمْ يَقْدَهُ إِلَهُهُ	بِقَضَائِهِ مَا كَانَ بِالْمُنْقَادِ
هَذَا أَبُو إِسْحَاقٍ يُغْلِقُ رَهْنَهُ	هَلْ ذَائِدٌ أَوْ مَانِعٌ أَوْ فَادِ
لَوْ كُنْتُ تَفْدَى لَأَفْتَدَيْتَكَ فَوَارِسُ	مُطِرُوا بِعَارِضِ كُلِّ يَوْمٍ طِرَادِ

وقد جعل أَبْنُ خَلْدُونَ هذه المقدمة مثلاً لاستعظام الحادث⁽³⁾ ، مع تباين الديانتين ، فهذا مسلمٌ وذاك صابئٌ ، ومع تباين السنن ، فالشَّريف شابٌّ وذاك شيخٌ كبيرٌ إلا أن نبذ التطرف الديني جعل الشريف مثلاً للتسامح الإنساني .

وهذه الرائعة تنم عن جرأة الشَّريف الذي لم يأبه من الناس لراثته صابئياً ، وتدلُّ على أنه كان واسع الصدر مجسداً ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) : " أَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ " (4) من الخير والشرِّ ، لا من المناصب أو نحوها . وعن الإمام السَّجَاد (عليه السلام) : " صَانِعِ الْمَنَافِقِ بِلِسَانِكَ ، وَاخْلُصْ مَوَدَّتَكَ لِلْمُؤْمِنِ ، وَإِذَا جَالَسَكَ يَهُودِيٌّ فَأَحْسِنْ مُجَالَسَتَهُ " (5) ، فلا ضَيْرَ أَنْ يَقِفَ الشَّريف مع الصَّابِئِ تِلْكَ الْوَقْفَةُ الْعَظِيمَةُ الْعَجِيبَةُ فِي حَيَاتِهِ وَفِي مِمَاتِهِ مَا دَامَ الْإِمَامُ يُنْصُ عَلَى حُسْنِ الْمُجَالَسَةِ حَتَّى مَعَ الْيَهُودِيِّ (6) ، إِنَّهُ الْخُلُقُ الْعَامُّ الْعَالَمِيُّ الَّذِي يَرْمِي بِالطَّائِفَةِ وَاللَّائِنَانِيَّةِ فِي قُمَامَةِ التَّارِيخِ ، وَالْإِمَامُ يَأْمُرُ بِحُسْنِ الْمُجَالَسَةِ مَعَ الْيَهُودِيِّ لَا أَنْ يُسَلِّمَ لَهُ الْأَمْرَ ، فَالشَّريف بقي نقيب العلويين ولم يخرج من مبدئه الأساس (الإسلام) ، وما أمر الإمام إلا بالمجالسة الحسنة التي تعكس الخلق الإسلامي لا التتحي أو التساهل في الاعتقاد ، وقد ثبت في الفقه الإمامي المعاصر أن غير المسلم " إذا لم يظهر المعادة للإسلام والمسلمين بقول أو فعل فلا بأس بالقيام بما يقتضيه الودَّ والمحبة من البرِّ والإحسان إليه " (7) .

(1) يُنْظَرُ : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، 54 / 1 ، وفيها " عاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً يرثي صابئاً فقال إنما رثيت فضله " .

(2) الذِّيَّان (ق 185 ب 1 - 11) : 425 / 1 .

(3) يُنْظَرُ : مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون (ت 808 هـ) : 643 ، إلا أنه بدأ البيت بـ (أَرَأَيْتَ) لا (أَعْلَمْتُ) .

(4) بحار الأنوار ، المجلسي : 41 / 35 ، وهو كذا "أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ" في نهج الفصاحة : 979/2 .

(5) تحف العقول عن آل الرسول ، الحراني : 210 .

(6) اختيار اليهودي دون غيره لما عرف عنه من نقض شديد للتعايش مع الآخر فالقرآن الكريم يبين إمكانية المودة مع المسيحي ويثبت العداوة الدفينة مع المسيحي ، فيقول : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْطِيْنَ وَرَهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة / 82) ، وجاء في التلمود ما يكشف عن إنزال الفدر الإنساني عندهم " لو شاهدت المرأة اليهودية عند خروجها من الحمام كلبا ، جمرا ، غير اليهودي ، خنزيرا عليها إعادة غسلها " [نقلا عن كتاب : الإسلام لماذا : 81] فهم يجعلون غير اليهودي بمصافاة الكلب والخنزير والجمار وهذا من أبشع الأفكار السقيمة .

(7) فقه الحضارة ، د. محمد حسين الصغير : 158 .

وربما كان الوصف للدلالة على تسامحه فنجد ما يُصوّر وقوف الشريف مع المسيحيين في وصف أحد أعيادهم ، وهو يوم الشعانين⁽¹⁾ :

[البسيط]

وَرُبَّ يَوْمٍ صَقِيلِ الْوَجْهِ تَحْسَبُهُ مُرَصَّعًا بِجِبَاهِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ
أَتَاكَ يَفْتَادُ عَيْدًا فِي حَقَائِبِهِ زَادُ السُّرُورِ عَلَى الطَّيْرِ الْمَيَامِينِ
فَالْبَسَ جَلَابِيْبَهُ الْبَيْضَ الَّتِي شَرَفَتْ وَأَخْرَجَ عَنِ الصُّومِ مِنْ أَثْوَابِهِ الْجُورِ
إِلَيْكَ يَسْتَنْ وَالْأَحْشَاءُ يَتَّبَعُهَا عَنْ غَرْبِ فِكْرٍ بَغْرِبِ الشُّوقِ مَقْرُونِ
جَاءَتْ تَهْنِئِكَ بِالْوَدِّ الَّذِي عَلَقَتْ مِنْهَا الضَّمَائِرُ لَا يَوْمُ الشَّعَانِينِ

بل أحسن مع المجوسي مهيار الديلمي ، ولعل مهيارا أعجب كثيرا بالشريف حتى أعلن إسلامه على يديه⁽²⁾ لينال الشريف ما أوصى به النبي (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) : " والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً من أن يكون لك حمر النعم "⁽³⁾ .

لقد فتح الشريف نوافذ واسعة أمام المسلم في التعامل من طريق أدبه الرائع ، ليجسد عالمية الإسلام وأنه الدين القادر على احتواء الأديان ، فهو وإن كان خاتمها إلا أنه قام مقام الخيمة التي تضمها ، وبهذا يكون المرء المسلم متمكناً من النهوض والتفوق إذا أراد ذلك كونه قد اعتمد طريق العقل في التعامل لا لغة العنف التي قد تستنزف مقومات نهوضه ، فقد ثبت " أن الكلام في إنهاض المسلمين بحاجة إلى منهج اللاعنف "⁽⁴⁾ ، حتى إذا كان هذا النهج صادراً من فرد واحد لا من جماعة ؛ لأنه " من الفرد يتجه الإسلام إلى إشاعة السلام "⁽⁵⁾

المبحث الثاني : الشريف الرضي ونبذ التطرف الاجتماعي

التطرف الاجتماعي : هو نوع من التطرف ويكون برفض التنوع وتهميش الآخر بسبب اللون أو الجنس والطبقية⁽⁶⁾ ، وهذا ليس من الإسلام في شيء ، يكفي أن نقلب بصفحات التاريخ لنرى اللألى الذهبية تتسامى في السيرة النبوية بتقريب العبد واحترام المرأة ومحاربة الوأد وجعل التقوى هي المقياس لا القبيلة ولا اللون ولا القومية ذلك أن " الافتخار بالقوميات أو بالقبليات أو بالإقليميات أو باللغات هذه كلها أعمال جاهلية ، القومية ليست إلا ديدن أبي جهل وأبي لهب وكفار الجاهلية ، فلماذا اتخذهم قسم من المسلمين شعاراً ومنهجاً "⁽⁷⁾

وانسانية الشريف جعلته أكبر من كل تلك الامور الممقوتة ، ليعجب به النقاد من هذه الوجهة تمام الاعجاب ، فقد ثبت عند بعضهم أنه يجدر أن يكون من المناهج اللبنانية لحاجة أبناء لبنان بل الامة جمعاء الى هذا النهج الوضاء ف " نظريته الاجتماعية في الإخاء والوفاء والتساهل الديني تُملي على الجيل الناشئ دُروساً في الديموقراطية الصحيحة أحوج ما نكون

(1) اللّيتوان (ق 683) : 2 / 435 ، وقيل في مناسبة القصيدة : " يصف بيوت النيران بيوم الشعانين " .

(2) ينظر : أثر التشيع في الأدب العربي ، مُحَمَّد سيد كيلاني : 149 .

(3) بحار الأنوار ، المجلسي : 3 / 21 .

(4) التيار الإصلاحى ، السيد محمد الحسيني الشيرازي : 51 .

(5) مجتمع اللاعنف : 412 .

(6) ينظر : التطرف الاجتماعي وعلاقته بالأفكار اللاعقلانية ، أحمد ، ممدوح صابر ، : 791 وما بعدها .

(7) السبيل إلى إنهاض المسلمين ، السيد محمد الشيرازي : 10 .

إليها في لبنان والشرق العربي بلسان شاعرٍ بدويٍّ سبق الثورة الفرنسية بأجيالٍ عديدة⁽¹⁾ ؛ فقد نبذ المتطرف وأصل للإنسانية ، فهي معدنٌ غالٍ ونفيسٌ ، حتى لو كان في ذا مخاطرةٌ ، ففي رثائه لأبي بكرٍ القرمطي الذي تألب عليه الجمهور فلم يخرج في تشييعه في البدء إلا ثلاثة⁽²⁾ ، ويأنف الشريف من رؤية منظرٍ متمثلٍ بجزاةٍ يحملها ثلاثةٌ ، فهذا ليس من الإنسانية عنده ، فكان رابعهم ، بل قام بتخليد صاحب الجزاة بقصيدة⁽³⁾ ، ثبّين تحدي الشريف مع كل شيء لا يُمثل الإنسانية ، وإن عظم ذلك الشيء ، فمما قال في القصيدة (ب 4 ، 5) :

[الطويل]

سَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى وَلَا بَلَّ هَامَ الشَّامَتَيْنِ بَكَ الْقَطْرُ
أَخِي مَا أَقَلَّ التَّابِعِيكَ إِلَى الثَّرَى وَإِخْوَانُكَ الْأَدْنَوْنَ مِنْ قَبْلِهَا كَثُرُ
فهو يُبينُ العلاقة الحميمة بالمرثي (أبي بكر) ، ويدعو على الشامتين به - وأنى كانوا - ألا يُصيبهم القطر - كناية عن الرزق - ، ويُخاطبُه في البيت التالي بالأخوة ، ويُصورُ الحادثة بقلّة التابعين له بعد أن كانوا كثرًا ، ويمضي بمدحه إلى أن يَختم بالدُّعاء له (ب 9) :
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فَاتِ بَكَ الرَّدَى وَلَمْ يُبْقِ عَيْنٌ لِقَاءٍ وَلَا أَثَرُ
وهذا التحرُّرُ الفكري ومهاجمته الناس كونهم لم يؤدوا ما عليهم اتجاه هذا الرجل المتوفى الذي هو نظير لهم في الخلق هذا جعل من الشريف مدافعًا عن الحقيقة الإنسانية .
وهذا أساس مهم في سبيل التهوض بالأمة ، فهي لا تنهض إلا بعد " تجسيد روح الأخوة العامة في كلّ العلاقات الاجتماعية بعد محو ألوان الاستغلال والتسلط ، فما دام الله سبحانه وتعالى واحدا ولا سيادة إلا له والناس جميعًا عباده ومتساوون بالنسبة إليه ، فمن الطبيعي أن يكونوا أخوة متكافئين في الكرامة الإنسانية " (4) .

المبحث الثالث : نبذ التطرف السياسي

شهد عصر الشريف النقيب خلافاتٍ وحروبًا بين السنة والشيعة في بغداد ، وكان تدخلُ والد الشريف سببَ إطفائها⁽⁵⁾ ، وحفاظًا من الشريف على استمرار السُلّم العام كان لا يتعصّب في كتاباته⁽⁶⁾ ، ليكون ناجحًا في سياسته هذا بدرء فتنة الخلافات والتفرقة ، فليس بعيدًا أن نجد حصوله على وسام القبول عند من هم ليسوا على المذهب الإمامي ، فيُهرّ به المعتزليّ ابن أبي الحديد (ت 656 هـ)⁽⁷⁾ ؛ وليس غريبًا أن يذكّر الدكتور زكيّ مبارك أنه وجدَ من هو حافظٌ لديوان الشريف الكبير مع أنّه سنيّ ، وهو الأستاذ طه الراوي⁽⁸⁾ ، ولو كان في شعره مساس لما كان الأمر كذلك . وهو بهذا يكون قد أوصل إلينا رسالة مفادها أنّ الإنسانية هدفٌ أساسٌ وأنّ الانتماء المذهبي لا يُفسد في الودّ قضية ، وأنّ العقيدة لا تعني

(1) الشريف الرضي - بولدير العرب - (المقدمة) : د .

(2) يُنظر : عبقريّة الشريف الرضي : 73 / 2 .

(3) البَيّوان (ق 245) : 1 / 525 - 526 .

(4) الإسلام يقود الحياة ، السيد محمد باقر الصدر : 128 .

(5) يُنظر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 270 ، وقد أبان الشريف هذه الحادثة بوضوح في (ق 29) ، وعبر الدكتور إحسان عباس عن والد الشريف : " قد كان

كان أبو أحمد الموسويّ حمالة السلام في كثير من هذه الخلافات " ، الشريف الرضي : 18 .

(6) يُنظر : المجازات النبويّة ، الشريف الرضي : 204 .

(7) ينظر : شرح نهج البلاغة : 1 / 35 - 36 .

(8) يُنظر : عبقريّة الشريف الرضي : 1 / 214 .

الانطواء على النفس والالتفاف على المؤيد فقط ؛ لأنه حينها يعيش الناس عيش وحوش لا تتألف مع غيرها ، ويجعل من الأمة الإسلامية أمة متخلفة تعاني من الأحقاد الداخلية التي تشغلها عن التقدم والرقى .

لقد كان الشريف مؤدياً الخلق الإسلامي قولاً وفعلاً ، ومما يبين أنه قد كان يسعى لتقريب الأواصر ما يلقانا من انتهازه الفرص في ذلك ، فحين سمع بوفاة نقيب العباسيين (سنة 384هـ) ومعلوم ما فعله العباسيون بأجداده نجده يتناسى ذلك ، ويستغل الموقف لصرف النظر عما فعله العباسيون بأجداده ، ويدعو إلى تقارب اللّحمة ، فهم أبناء عُمومة ، فلا يصحّ التفريق بينهم (1) :

[الطويل]

أَلَسْنَا بَنِي الْأَعْمَامِ دُنْيَا، تَمَازَجَتْ
جَمِيعًا نَمَانًا فِي رُبَى الْمَجْدِ هَاشِمٍ
إِذَا عُمِّمُوا بِالْمَجْدِ لَأْتَتْ بِهِامِنَا
نَرَى الشَّمَّ مِنْ أَنَافِنَا فِي وُجُوهِهِمْ
وَكَمْ دَاخِلٍ مَا بَيْنَنَا بَنِمِيمَةٍ
سِوَى هَبَوَاتٍ شَابَتْ الْوُدَّ بَيْنَنَا
بَلْ نَجِدُهُ يَسْبِلُ الْحَزْنَ عَلَى أَعْلَاهُ (2) :

[الطويل]

يَعْضُونَ مِنْهُ بِالْأَكُفِّ، وَإِنَّمَا
فَالْمَعْهُودُ أَنَّ الْعَضَّ عَلَى الْأَصَابِعِ يَكُونُ لِبَيَانِ الْحَسْرَةِ وَالتَّلَهُّفِ إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ بَالِغٌ بَأَنَّهُمْ لَشِدَّةِ
الْهَوْلِ عَلَى الْمُتَوَقِّفِ يَعْضُونَ بِالْأَكُفِّ كِنَايَةً عَنْ عِظَمِ الْفَاجِعَةِ ، وما هذا إلا ليقرب الأواصر
بين الأسرتين العباسية والعلوية . وليكشف عن " دور شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في
قضية الانسجام والوحدة مع بقية أطراف المجتمع الإسلامي والمسلمين من بقية المذاهب
الإسلامية ، حيث كانوا يمارسون التقية مع هذه الأطراف تحقيقاً للانسجام ، وترسيخاً لروح
التعايش بين المسلمين ، وتأكيذاً للتماسك بين الجماعات الإسلامية " (3) .

وليس هذا على الشريف بعجيب ، وقد كان قبلها قد تتلمذ عند علماء ليسوا من الإمامية ،
وقد أعجبوا به جداً على النحو من أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري الفقيه المالكي
ف ، " عليه قرأ الشريف الرضي رحمه الله القرآن ، وهو شابٌ حدث السن ، فقال له يوماً :
أيها الشريف أين مقامك ؟ قال : في دار أبي بيبان محول ، فقال : مثلك لا يقيم بدار أبيه قد
نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة ، فامتنع الرضي من قبولها ، وقال له : لم أقبل من
أبي قط شيئاً ، فقال إنَّ حقِّي عليك أعظم من حقِّ أبيك عليك ؛ لأنِّي حَفَظْتُكَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى ،
فَقَبِلْهَا " (4) ، فالرواية تذكر حفظه القرآن عند معلم مالكي (أشعري) وفي الوقت ذاته يقوم
المعلم السني بإهداء بيت له في الكرخ ، ويظهر أنها كانت دار عظيمة ؛ إذ قال (المعروف
بدار البركة) ، وهذا يدلُّ أنه ما قام بهذا إلا بعد أن رأى تعامل الشريف معه بكل أدبٍ

(1) النّيوان (ق 45 ب 40 - 45) : 1 / 208 - 209 ، يقال فلان ابن عتيّ دنيا : أي عومته قريبة دانية ، والضرائب جمع ضريبة وهي الخصلة والسجبة ، ولأنت : أحاطت ،

والهبوات : جمع هبوة ، وهي الأمر الصغير .

(2) النّيوان (45 ب 23) : 1 / 207 ، وتعض العجائب : أي تكون مدعاة لأن يعض الإنسان أنامله من شدتها .

(3) دور أهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة ، السيد محمد باقر الحكيم : 1 / 43 .

(4) شرح نهج البلاغة : 1 / 36 .

وأحترام فقام بإهداء هذه الهدية الثمينة ، فالتألف بينهما متبادل ، فلم تقف العقيدة حائلة دون ذلك . ولم يأنف الشريف من التلمذ عند من هو على المذهب المالكي ، فقد " كان قليل الرعاية للعصبية المذهبية ، والظاهر أنه كان حرّ العقل إلى حد بعيد ؛ فقد كان يدرس جميع المذاهب الإسلامية ؛ ليمدّ عقله بالأنوار التي يرسّلها أختلاف الفقهاء " (1) ، حتى مضى واسع الصدر خالي التطرف لمذهب ما منعدم التعصب لطائفة معينة ؛ لأنه أحب الإنسانية جمعاء شأنه شأن جدّه النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) (2) ، وقد سعى لرسم ذلك بشعره ، فوسم بأنه " هو الذي سنّ شريعة التسامح بين المذاهب والآراء ، وفصله على الشيعة عظيم ؛ لأنه خلق لهم صداقات في البيئات السنية ، وحفظ لهم مكانة عالية في العراق بفضل جهاده في الأدب والدين " (3) .

الخاتمة

بعد تلك الرحلة الجميلة في ربوع نبذ التطرف وصل البحث الى مجموعة من النتائج المهمة :

- 1 - كشف البحث عن أن التطرف ينشأ بالدرجة الاساس من عدم تحكيم العقل بصورة سليمة بالانصياع وراء الهوى .
- 2 - أعرب البحث عن أن مفهوم التطرف مفهوم معاصر لكن جذوره موجودة في التراث بمسميات أخرى من مثل الغلو والافراط ، وقد عمل القرآن على محاربته وإبعاد الناس عنه كون الدين هو دين الوسطية والاعتدال لا التطرف والتعصب المفرط ، ومن هنا حارب الاتجاهات المتطرفة على النحو من محاربة الخوارج والمتصوفة ، ودعا الاسلام الى استئصال التكفير لأنه ليس من الدين في شيء بل هو انحراف تام عن الدين القويم .
- 3 - لم يتبرأ الاسلام من التطرف فحسب بل عمل على حماية الذميين ، وفي هذا دلالة على أنه دين التسامح والتعايش وأنه الدين القادر على التقدم في مجالات الحياة لأنه دين الحياة السعيدة لا دين العنف والعدوان مثلما يصوره الآخرون عنه .
- 4 - كل تلك الصور المضيئة التي ذكرناها عن الاسلام في محاربة التطرف وجدناها ناصعة في خطابات الشريف الرضي وسلوكه ، فقد دأب على نشر الاعتدال والتعامل مع الآخر بالألفة والمودة لا بالعنف والمعاداة .
- 5 - أوضح البحث أن مصطلح التعصب الديني إلى نقد شديد ، ورأى الباحث أنه يمكن تقبله كونه من التجوز وهو مصطلح ولا مشاحة في الاصطلاح ، وقد كشف البحث عن نبذ هذا النمط من التطرف على لسان الشريف الرضي ، فلم يهمل الآخرين بل استأنس الى الصائبي والمسيحي ، بما يجعل من البشرية لوحة واحدة كبيرة تضم في داخلها ألوانا يتم بعضها بعضا ، فهي فسيفساء لا تقوم الا بجميع مكوناتها . ومن هنا نجح الشريف في نصرة الاسلام على النحو من اسلام مهيار الديلمي على يديه بعد أن كان مجوسيا ، فالاسلام ينتشر بنبذ التطرف لا ببسط العنف والتهميش للآخر .

(1) عبقرية الشريف الرضي : 126 / 1 .

(2) ينظر : المساعدة في الإسلام ، السيد وسام عبدالله العاملي : 17 ، 169 .

(3) عبقرية الشريف الرضي : 214 / 1 .

- 6 - أعرب البحث عن محاربة الاسلام للتطرف الاجتماعي مستندا في الافضلية الى التقوى لا الى العرق ولا الى القومية واللون ... وهذا الامر برز جليا عند الشريف الرضي وهو يدبج أجمل آيات الألفة الاجتماعية على النحو من وقفته مع ابي بكر القرمطي الذي نبذته الناس في ذلك الوقت .
- 7 - لم يتطرق الشريف الرضي في سياسته بل كان منفتحا على الآخر ساعيا الى نشر اواصر الألفة والمودة بين أطراف السياسة .
- هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبي المختار وآله الأطهار وصحبه الأخيار .

قائمة المصادر والمراجع

- الكتب المطبوعة
1. أثر التشيع في الأدب العربيّ ، مُحَمَّد سيد كيلاني ، دارُ العربِ للبُستانيّ - القاهرة ، ط2 ، 1995 - 1996 م .
 2. الأدب العربيّ ، أ.م . فيلشتنسكي (مُستشرق روسيّ) ، تر (من الروسية إلى الانجليزية) : هيلدا كاسانيا ، و تر (من الانجليزية إلى العربية) : كاظم سعد الدين ، دار المأمون - العراق ، 2012 م .
 3. الإسلام لماذا ، د. عليّ القائيّ ، تر : د. سلمان الأنصاريّ ، دار النبلاء ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1423 هـ - 2002 م .
 4. الإسلام يقود الحياة ، السيد محمد باقر الصدر ، مكتبة الكلمة الطيبة ، بغداد ، ط1 ، 1432 هـ - 2012 م .
 5. أصول التطرف ومظاهره في اليهودية والإسلام ، بنعيسى الفاضلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 2024 : 17 .
 6. بحارُ الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، الشيخ مُحَمَّد باقر المَجْلِسِيّ (ت 1110 هـ) ، دار إحياء التراث العربيّ ، تح : السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر الیهودي ، بيروت - لبنان ، ط3 ، 1403 هـ - 1983 م .
 7. تُحَفُ العُقُول عن آلِ الرّسول ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرّابع ، المكتبة الحيدريّة ، ط1 ، 1426 هـ .
 8. التّصَوُّف .. المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت ١٤٠٧ هـ) ، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان ، ط1 ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م : 70 .
 9. تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ) ، تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط1 ، ٢٠٠١ م : 13 / 219 .
 10. التيار الإصلاحيّ ، السيد محمد الحسينيّ الشّيرازيّ ، هيئة محمد الأمين ، قم - إيران ، ط1 ، 1424 هـ - 2003 م .
 11. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، ط1 ، 1401 هـ - 1981 م .

12. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، آدم متز [أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل السويسرية] ، تر : مُحَمَّد عبدالهادي أبوريده ، ط3 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، (د. ت) .
13. حقائق في أوراق أدبية ، عدنان عبد النبي البلدوي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، 1988م .
14. دور أهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة ، السيد محمد باقر الحكيم ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) ، مطبعة ليلي ، ط2 ، ، 1425 .
15. ديوان الشريف الرضي ، تح : د. محمود مصطفى حلاوي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1419هـ - 1999م .
16. الرؤى الاجتماعية والأخلاقية في شعر الشريف الرضي (بحث) : 144 .
17. السبيل إلى إنهاء المسلمين ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار صادق ، كربلاء - العراق ، ط1 ، 1425هـ - 2004م .
18. السعادة في الإسلام ، السيد وسام عبدالله العاملي ، مطبعة الأميرة ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1428هـ - 2007م .
19. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد عبد الحميد بن محمد (ت656هـ) ، تح : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الساقية للعلوم ، بيروت ، ط1 ، 1421هـ - 2001م .
20. الشريف الرضي - بودلير العرب - واضع أسس الرمزية العالية في الشعر العربي ، د. عبدالمسيح محفوظ ، منشورات مكتبة بيروت ، ط2 ، 1944م .
21. الشريف الرضي ، مُحَمَّد رضا آل كاشف الغطاء ، دار النشر والتأليف ، النجف الأشرف ، (د. ت) .
22. الشيعة وفنون الإسلام ، السيد حسن الصدر (ت1354هـ) ، تح : السيد مُرتضى الميرسجادي ، مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية - قم ، ط1 ، 1427هـ .
23. عبقرية الشريف الرضي ، د. زكي مبارك ، دار الجيل - بيروت ، 1408هـ - 1988م .
24. فقه الحضارة [في ضوء فتاوى سماحة آية الله السيد علي الحسيني السستاني] ، د. محمد حسين الصغير ، مؤسسة إحياء أمير المؤمنين ، (د. ت) .
25. في الأدب العباسي ، د. مُحَمَّد مهدي البصير ، مطبعة النجاة ، بغداد ، ط1 ، 1949م .
26. الكامل في التاريخ ، العلامة عز الدين أبو الحسن المعروف بابن الأثير الجزري (630هـ) ، دار صادر - بيروت ، ط8 ، 2008م .
27. مبدأ التعايش السلمي في الفقه الإسلامي ، الدكتور الشيخ فاضل المالكي ، مؤسسة البحوث والدراسات الإسلامية ، ط2 ، 1424هـ .
28. المتطرفون نشأة التطرف الفكري وأسبابه وآثاره وطرق علاجه ، جميل أبو العباس زكير الريان ، دار المناهل للنشر والتوزيع ، 2016 :
29. المجازات النبوية ، الشريف الرضي ، تح : مهدي هوشمند ، دار الحديث - قم ، ط1 ، 1422هـ .
30. مجتمع اللاعنف - دراسة في واقع الأمة الإسلامية - ، السيد حسن عز الدين بحر العلوم ، دار الزهراء ، إيران - قم ، مؤسسة العطار - النجف الأشرف ، ط1 ، 1427هـ .
31. محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي

- (ت ١٣٣٢هـ) ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط 1 ، ١٤١٨ هـ : 513 / 8 .
32. الْمُحَمَّدُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَأَشْعَارِهِمْ ، عَلِيٌّ بْنُ يَوْسُفَ الْقُفْطِيِّ ، (ت 646 هـ) ، تح : حسن معمرى ، دار اليمامة ، جامعة باريس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 1390 هـ – 1970 م .
33. مستدركات أعيان الشيعة ، حسن الأمين 1399 ، دار التعارف للمطبوعات – بيروت ، 1409 - 1989 م
34. معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ ، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت ١٤٢٩ هـ) ، دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض ، ط 3 ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م : 189 .
35. مقدِّمة أبْنِ خَلْدُونِ ، عبد الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْدُونِ (ت 808 هـ) ، تح : إيهاب مُحمَّد إبراهيم ، مكتبة أبْنِ سينا – القاهرة ، ط 1 ، 2009 م .
36. نهج البلاغة ، وعليه شرح الشيخ محمد عبده ، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة الاستقامة ، (د.ت) .
37. نهج الفصاحة الحاوي لقصار كلمات الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، جمع : أبو القاسم باينده ، تح : الشيخ غلام حسين المجيدى ، مؤسسة أنصاريان ، قم – إيران ، 1421 هـ – 2000 م .
38. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت 681 هـ) ، تح : إحسان عباس ، دار الثقافة – لبنان ، (د.ت) .
39. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور عبد الملك بن مُحَمَّد الثَّعَالِبِي (ت 429 هـ) ، تح : مُحَمَّدُ مُحْيِي الدِّينِ عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، ط 1 ، 2011 م .

ثانيا : البحوث المنشورة في الدوريات

1. التطرف الاجتماعي وعلاقته بالأفكار اللاعقلانية، أحمد، ممدوح صابر ، مجلة دراسات عربية، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية، مج (8)، ع (4)، (2009م). : 791 وما بعدها .
2. الرؤى الاجتماعية والأخلاقية في شعر الشَّريِّف الرِّضِيِّ ، د.محمود عبدالله جادر، بحث منشور في : الشَّريِّف الرِّضِيِّ دراسات في ذكراه الألفية ، دار آفاق عربيَّة ، بغداد – العراق ، 1985 م .

تصور مقترح لتطوير دور المؤسسات التربوية (مؤسسات المجتمع) لحماية الشباب من التطرف والإرهاب

د. طارق عبدالرؤف محمد عامر

tark1966@yahoo.com

جمهورية مصر العربية

المقدمة :

أصبح الإرهاب اليوم ظاهرة دولية مألوفة يعزى إليها - إلى حد ما - تعقد العلاقات المحلية والدولية لبعض الدول. وأن الإرهاب أصبح في وقتنا الحاضر قوة فاعلة أثرت وتؤثر على صنع القرارات الدولية.

والإرهاب اليوم بمعناه السائد مرتبط بشكل عام بالتهديد باستعمال العنف المنظم والتخويف والتهديد به لغرض إهراق أو إكراه أو إقناع أو ابتزاز الهدف (فرداً أو مجموعة أفراد أو حكومة) للاستجابة لأغراض الإرهابي/ الإرهابيين. كما يرتبط الإرهاب بالتخريف والتدمير المادي.

ولأن فعل الإرهاب يقصد- منه في الغالب- محاكاة الهدف وليس بالضرورة الضحية من الأبرياء، فقد أخذ الإرهاب معنى فرعياً جعله يختلف عن العنف التقليدي المتمثل في الصراعات والحروب، رغم أن الإرهاب جزء من العنف بشكل عام، وذلك للطبيعة الخاصة للإرهاب نفسه. (عبدالله، 2003: ص21)

وإن مستقبل الشباب مرتبط بمستقبل أمتنا العربية والإسلامية لأن أطفال اليوم هم شباب الغد ورجال المستقبل، والتخطيط لمستقبل الأمة مرتبط بحسن إعداد شبابها وحل مشكلاتهم وتهيئتهم ليكونوا عدة الأمة وسلاحها في مسيرتها، ويجب أن ننظر إلى مشكلات الشباب في ضوء فهم النور الذي تستنير به طريق الشعوب (زينب، 2010: ص153) قال الله تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم). [المائدة: 15-16]

لما كان الإرهاب من الظواهر الاجتماعية التي تنشئ وتترعرع في ظل العوامل النفسية والاجتماعية خاصة وتحت ظروف سياسية واقتصادية وثقافية معينة وتشترك جميع هذه العوامل بشكل أو بآخر في إفراز ظاهرة الإرهاب لذا فإن أي معالجة جادة لهذه الظاهرة تتطلب اصلاحاً حقيقياً في جمعة هذه العوامل التي تساعد على وجود هذه الظاهرة ، فالخطوة الاولى في مشروع محاربة الإرهاب وإجتثاث جذوره من أي مجتمع تكمن في تعزيز قيم الإعتدال والوسطية والتسامح (محمد ، زيد ، 1430هـ)

إن مكافحة الإرهاب تعد مسؤولية مشتركة تتطلب أعلى درجات التعاون والتنسيق بين الدول والإستعداد الكامل لتبادل المعلومات الإستخباراتية والأمنية بأسرع ما يمكن بين الأجهزة المعنية وعبر وسائل أمنة. وضرورة وجود مركز أو هيئة دولية لتبادل المعلومات والخبرات بين الدول في مجال مكافحة الإرهاب ولربط المراكز الوطنية عبر قاعدة بيانات موحدة يمكن تحديثها باستمرار وتتيح تبادل المعلومات المطلوبة بالوقت المناسب. ويعمل كذلك على إيجاد

وسائل مشتركة آمنة للتبادل الطوعي للمعلومات المتعلقة بالإرهابيين والمجموعات الإرهابية بأكبر تفصيل ممكن وعلى نحو يدعم جهداً تعاونياً لتعقب تحركاتهم بشكل فوري وللمساعدة على اعتراض تحركاتهم وعملياتهم. وتسهيل تبادل المعلومات المعيارية حول الجوازات ووثائق السفر المفقودة والمزورة، وتطوير قواعد بيانات يمكن البحث المشترك فيها بسرعة، والتنسيق مع المراكز الإقليمية والدولية المختصة لإيجاد شبكة من الروابط عبر وسائل اتصال آمنة تشكل بمجموعها مركزاً افتراضياً. وتحقيق تبادل للمعلومات حول سبل تطوير الأساليب والتدريبات والتشريعات والتقنيات والتنظيمات والأنشطة التي من شأنها تدعيم القدرات الوطنية في مجال مكافحة الإرهاب وتنفيذ المعاهدات الدولية ذات الصلة وتقوية مؤسسات إنقاذ القانون مع الحفاظ على حقوق الإنسان وحكم القانون (يحيى، 1994).

- مشكلة الدراسة:-

تصاغ مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية

- س1- ماهي خصائص ومميزات الشباب؟
- س2- ماهي إحتياجات الشباب؟
- س3- ماهي التحديات والمشكلات التي تواجه الشباب؟
- س4- ماهي الأسباب والعوامل المؤدية إلى التطرف والإرهاب؟
- س5- ماهي سمات الحركات الدينية المتطرفة؟
- س6- ماهي النظريات المفسرة لظاهرة التطرف والإرهاب؟
- س7- ما التصور المقترح لتطوير دور المؤسسات التربوية في حماية الشباب من التطرف والإرهاب؟

- هدف الدراسة:-

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على خصائص ومميزات الشباب والتعرف على إحتياجات الشباب والتحديات والمشكلات التي تواجههم والتعرف على أهم الأسباب والعوامل المؤدية إلى التطرف والإرهاب والتعرف على سمات الحركات الدينية المتطرفة، والتعرف على النظريات المفسرة لظاهرة التطرف والإرهاب وبناء تصور مقترح لتطوير دور المؤسسات التربوية لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.

- مصطلحات الدراسة:-

أ) مفهوم الشباب :-

تختلف وجهة النظر العلمية للعلماء في التوصل إلى تعريف محدد للشباب نظراً لإختلاف وجهات النظر الأيدولوجية بين الباحثين عليه لا يوجد تعريف محدد للشباب وهناك صعوبة في إيجاد تحديد واضح لهذا المفهوم، وعدم الاتفاق على تعريف موحد شامل، يعود لأسباب كثيرة أهمها إختلاف الأهداف المنشودة من وضع التعريف وتباين المفاهيم، والأفكار العامة التي يقوم عليها التحليل السيكولوجي والإجتماعي الذي يخدم تلك الأهداف لذلك فإن مفهوم الشباب يتسع للعديد من الإتجاهات التالية:

- **الإتجاه البيولوجي:** وهذا الإتجاه يقوم أساساً على الحتمية البيولوجية باعتبارها مرحلة عمرية أو أطوار نمو الإنسان، الذي فيه يكتمل نضجه العضوي، وكذلك نضجه العقلي والنفسى والذي يبدأ من سن 15-25، وهناك من يحددها من 13-30 سنة.

● **الاتجاه السيكولوجي:** يرى هذا الاتجاه أن الشباب حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي من جهة ولثقافة المجتمع من جهة أخرى. بدءاً من سن البلوغ وانتهاء بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار، حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع الإجتماعي. وهذا التعريف يحاول الدمج بين الإشتراطات العمرية والثقافة المكتسبة من المجتمع.

● **الاتجاه الإجتماعي:** ينظر هذا الاتجاه للشباب باعتباره حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية فقط، بمعنى أن هناك مجموعة من السمات والخصائص إذا توافرت في فئة من السكان كانت هذه الفئة شباباً. (زينب، 2010: ص ص 154-155).

(ب) مفهوم التطرف:-

ويعرف التطرف في قاموس أكسفورد بأنه "النهاية القصوى في أى خط أو سلسلة متدرجة كما أنه يشير إلى شدة الغلاة أو العنف في الإنفعال أو السلوك ويشير أيضاً إلى الغلو في الإعتقاد والسلوك. (محمد، 1992: ص 157).

ويشير "عبدالظاهر الطيب" إلى أن التطرف بإعتباره ثورة على الواقع، أن لم يكن الواقع مقنعاً، أو ربما يكون هروباً من الواقع بالقطعية (محمد، 1913: ص 73).

ويعرفه رزق سند التطرف بأنه: "اتخاذ الفرد موقفاً متشديداً يتسم بالقطعية في استجاباته للمواقف الإجتماعية وقد يكون التطرف ايجابياً في اتجاه القبول التام ويقع الإعتدال في المنتصف" (رزق، 1962: ص 15).

ويعد التطرف من وجهة نظر علماء الاجتماع أحد المظاهر الباثولوجية الإجتماعية ويعنى في أبسط معانيه انتهاك القيم الإجتماعية والسياسية بالخروج عليها ويندرج هذا الإنتهاك من مجرد الخروج على الفكر والأيدولوجية السائدة إلى صورة أكثر تجسيدا كما في أعمال العنف التي تمارسها الجماعات المتطرفة، والتطرف كظاهرة إجتماعية يظهر في صور مختلفة من أبرزها التطرف الديني (عاطف، 1988، ص: 98).

يعرف التطرف بأنه:- الغلو والإفراط وتجاوز الحدود المعقولة- الوسطية- في الفكر تجاه مواقف وقضايا معينة، ويمثل قمة اتجاهات الفرد نحو تلك المواقف والقضايا، ويعد فكر التطرف مدمراً لحياة الأفراد والجماعات في أى مجتمع؛ ما يؤدي إلى عدم استقراره (مفلح، محمد، 210، ص 87).

(ج) مفهوم الإرهاب:-

عرف علماء المسلمين المعاصرين الإهارب بأنه العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول. بغيا على الإنسان في دينه ودمه وماله وعقله بغير حق وكل مايتصل بصور الحراية وإخافة السبيل وقطع الطريق. وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد. ويقع تنفيذ المشروع اجرامي فردي أو جماعي. ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بايذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أموالهم للخطر. ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر (محمد، 1995).

تعرف الجمعية العامة للأمم المتحدة للإرهاب: أعمال العنف الخطيرة التي تصدر من فرد أو جماعة بقصد تهديد الأشخاص أو التسبب في إصابتهم أو موتهم. سواء كان يعمل بمفرده أو بالإشتراك مع آخرين ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو المواقف السكنية أو الحكومية أو الدبلوماسية أو وسائل النقل والمواصلات. بهدف إفساد علاقة الود والصداقة بين الدول أو

بين مواطني الدول المختلفة أو ابتزاز أو تنازلات معينة من الدول في أى صورة كانت. لذلك فإن التآمر على ارتكاب أو محاولة ارتكاب أو الإشتراك في الارتكاب أو التحريض على ارتكاب الجرائم يشكل جريمة من جرائم الإرهاب الدولي. (حسن، 1431هـ، ص ص: 232، 233)

ويعرف الإرهاب أيضاً بأنه : أى اعتداء متظم ومقصود يقوم به فرد أو جماعة أو تنظيم معين تجاه أشخاص أو أماكن معينة، بأسلوب تقليدي أو بتوظيف وسائل التقنية المعاصرة بما يضمن تحقيق أقصى درجات الضرر المادى أو المعنوى من أجل تحقيق أهداف إرهابية سبق تحديدها. (مفلح، محمد ، 2010، ص 86)

كما يعرف الإرهاب أيضاً بأنه : مجموعة أعمال العنف التي ترتكبها مجموعات من الافراد أو نظام من العنف وليس ما تستخدمه الحكومة (عبدالوهاب، 1963).

وهناك من يعرف الإرهاب بأنه : الإستعمال المنظم للإجراءات الإستثنائية للعنف بغية تحقيق هدف سياسى (أخذ/ احتفاظ/ ممارسة السلطة) وعلى وجه الخصوص، فهو مجموع أعمال العنف من اعتداءات فردية أو جماعية أو تدميريات ينفذها تنظيم سياسى للتأثير على السكان وخلق مناخ من الإضطراب أو عدم الأمن. أهدافه عن طريق إستخدام العنف، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص سواء كانوا أفراد أو ممثلين للسلطة ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة. ويعتبر هدم العقارات وإتلاف المحاصيل فى بعض الأحوال كأشكال النشاط الإرهابى. (Waiteer, 1980)

- مراحل الشباب :-

قد اختلف الباحثون حول بداية ونهاية مرحلة الشباب، فبعضهم قد اهتم بنواحي النمو الجسمى ووظائفه، وآخرون قد اهتموا بنواحي النمو النفسى، وفريق ثالث ركز على تغير الأوضاع والأدوار الإجتماعية (زايد وآخرون، 2009: 17-18). وفى هذا الإطار طرحت دراسة (Courier 2004:22) تصوراً لمفهوم الشباب، وما ينطوى عليه هذا المفهوم من دلالات يمكن حصرها فى الآتى:

1- المفهوم الأكثر عمومية والذى ينظر إلى مرحلة الشباب بإعتبارها مرحلة الطاقة الهائلة، والتي تعكس مرحلة نشاط كبير، وتطلع نحو المستقبل، وخيالات وأحلام كبيرة، وهى المرحلة التى تقع ما بين 13-30 سنة.

وتشير الأمم المتحدة فى تحديدها لفئة الشباب وفق معيار العمر إلى أنهم الذين تتراوح أعمارهم بين الخمس عشرة والرابعة والعشرين سنة (United Nations Publication, 1992:2).

ويتفق عفى (1997: 445-446)؛ ومحمد (1980: 34-35)؛ وعطية (2008: 129) على أن مرحلة الشباب هى فترة زمنية تبدأ فى السادسة عشرة من العمر، وحتى سن الخامسة والعشرين، وهى الفترة التى يكتمل فيها النمو الجسمى والعقلى على نحو يجعل المرء قادراً على أداء وظائفه المختلفة.

وكما اختلف أيضاً العلماء فيما بينهم فى تحديد بداية ونهاية هذه المرحلة، فهناك من يرى أن الشباب هم الشريحة العمرية تحت سن العشرين، ويرى آخرون أنها الشريحة العمرية ما بين خمسة عشر عاماً، وخمسة وعشرون عاماً، ويمتد بها البعض حتى سن الثلاثين. وقد اعتمدت منظمة الأمم المتحدة عام 1980 معيار العمر كمحدد لفترة الشباب، فى حين ذهب المؤتمر

الإقليمي لدول غرب آسيا الذي أقيم في العراق عام 1983 إلى أن مرحلة الشباب تمتد ما بين 10 إلى 30 سنة، وعللوا ذلك بأن نسبة كبيرة من هذه الفئة يدخلون سن العمل بحكم الظروف الاقتصادية لبلاد المنطقة (محمد سعد، 2002)، بينما ينظر علماء الاجتماع إلى مفهوم الشباب بوصفه مكانة مكتسبة على نحو لا يدخل للفرد فيه، أو كصفة يحددها المجتمع. ويحاول المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل هذه المكانة ويؤدي أدواره بناء على ذلك. أما علماء النفس وعلماء النفس الاجتماعي، فقد ركزوا في النظر إلى مفهوم الشباب باعتباره فترة من النمو يطلق عليها مرحلة الصبا، وتمتد من نهاية مرحلة المراهقة وحتى باكورة الرشد في التقسيمات التقليدية لمرحلة النمو (فادية أبو شهبه، 2006) وقد عرفت السياسة القومية للسكان في مصر للفترة (1992/1997)، واستراتيجية الشباب المنبثقة عن هذه السياسة الشباب على أنهم الفئة العمرية من 15-30 سنة (عيشة خليل، 2006).
كما رأى أحمد فؤاد الشربيني أن فترة الشباب هي " تلك الفترة من النمو والتطور الإنساني التي تتسم بسمه خاصة تبرزها وتعطيها صورتها المميزة " وتنقسم هذه الفترة في نظرة إلى أربع مراحل هي:

- 1- مرحلة المراهقة: وهي تمتد من 12-15 سنة.
 - 2- مرحلة اليافع: وهي تمتد من 15-18 سنة.
 - 3- مرحلة الشباب المبكر: وهي تمتد من 18-21 سنة.
 - 4- مرحلة الشباب البالغ: وهي تمتد من 21-25 سنة (أحمد، 1999، ص 11)
- هذا وقد تطرق بعض العلماء إلى تصنيف الشباب على أساس المهنة أو العمل ويمكننا توضيحه كالتالي:-
- 1- فئة الطلاب: وتشمل هذه الفئة طلاب الثانوية، والمعاهد المتوسطة، والعليا، وطلاب الجامعات، وهذه الفئة واسعة بحكم موقعها وامتلاكها الثقافة والتعليم.
 - 2- فئة العمال: وهذه الفئة تعتبر من الفئات الواسعة في المجتمع، ويمكنها أن تؤدي دورا في حال تنظيم فعلها وتأطيره من خلال النقابات والمؤسسات المهنية.
 - 3- فئة الموظفين: وهي فئة غير متجانسة من حيث الإهتمامات ومستوى المعيشة ومستوى التعليم.
 - 4- فئة العاطلين عن العمل: غالبيتهم من خريجي الجامعات والعمال، وهذه الفئة تصنف بأنها الأسوأ من حيث الواقع المعيشي، والإستقرار النفسي وخياراتها، واهتماماتها بسبب وضعها الإقتصادي غير المستقر. (زينب 2010، ص ص 155-156)

- خصائص ومميزات الشباب :-

في الوقت الذي نتطرق فيه إلى توضيح مفهوم الشباب فإن ما يتميز به الشباب بإعتبارهم الشريحة الأكثر أهمية في المجتمع كالتالي:-

- الشباب طاقة إنسانية تتميز بالحماسة، والجرأة والإستقلالية وازدياد مشاعر القلق، والمثالية المنزهة عن المصالح والروابط.
- يتميز الشباب بالفضول وحب الإستطلاع، فهم محبو السؤال والإستفسار بهدف الإدراك لما يدور من حولهم من قضايا ومواقف، على جميع المستويات للإلمام بأكبر قدر من المعرفة المكتسبة مجتمعياً.

- اتجاههم نحو تأكيد الذات..
 - العنفوان الداخلي للشباب فلهذا نراهم لا يقبلون بالضغط والقهر مهما كانت الجهة التي ترأس هذا الضغط عليهم سواء كانت سلطة أم أسرة.
 - يتميزون بالديناميكية والحيوية والمرونة المقسمة بالاندفاع والإنطلاق والتحرر والتضحية.
 - قدرتهم على الإستجابة للمتغيرات من حولهم وسرعة فى الإستيعاب.
 - يتميزون بتقبل الجديد المستحدث وتبتيه والدفاع عنه.
- وإن هذه السمات تعكس قناعه الشباب ورغبتهم فى تغيير الواقع الذى وجدوا فيه، وإن لم يشاركوا فى صنعه، ولأنهم يتميزون بالقدرات مالم يتميز بها أى شريحة أخرى فى المجتمع فهم أساس التغيير قوة الدفع بعجلة التنمية لمجتمعاتهم اذا تم التوجه إلى الإهتمام الفعلى بتحقيق حاجاتهم وتنمية قدراتهم ومواجهة المشكلات التى تعترضهم. (زينب 2010، ص156)
- حاجات الشباب: -

تعرف الحاجة بأنها ما تشبع الدافع إشباعاً مرحلياً مؤقتاً وغير دائم، لأن الدافع غير مستقر دائماً وغير ثابت، فالطعام يعتبر هو الحاجة عندما يكون الجوع هو الدافع. وبما أن الإنسان وما يحتاجه تتحكم فيه دوافعه، والإنسان مرتبط بالجماعة والمجتمع الذى يعيش فيه، ومدى علاقة الفرد بالجماعة وتفاعله معهم، وتتغير الدوافع وبالتالي تتغير الحاجات مع عمر الإنسان وسنه، وكذلك مع نضوج فكره وفى تعليمه ومدى تحصيله العلمى وإذا أخذنا الحاجات الأساسية التى يحتاجها الأفراد فى المجتمع نجدها كالاتى:

1- **الحاجات الإقتصادية:** وتتمثل فى حاجة الإنسان إلى العمل والتملك والتوزيع والإستهلاك والإدخار وجمع الأموال.

2- **الحاجات الدينية:** وهى حاجة الإنسان إلى الإعتقاد بوجود قوة عليا منظمة للكون تمنحه الطاقة وتساعد على أن يعيش فى أمان مع نفسه ومع الآخرين.

3- **الحاجات السياسية:** وتشيع حاجة الإنسان إلى الحماية الإجتماعية، وضمان الحقوق الأساسية، وتحقيق الملكية والعمل والتعبير عن الرأى، والمشاركة فى المسائل السياسية التى تهمه.

4- **الحاجة التعليمية والتربوية:** وتشبع حاجة الإنسان إلى التعليم والإندماج فى الجماعات التى يحيا فيها متفهماً لأساليبها ومتكيفاً مع ما تحدده هذه المعايير (علاء، 1998، ص76) .
ومن المعروف أن حاجات الشباب كثيرة، فنجد أن هناك حاجات بيولوجية تتمثل فى الحاجة إلى الأكل والشرب والحاجات الجنسية، وهناك حاجات بيولوجية هى الحاجات النفسية تتمثل فى إثبات الذات والحصول على التقدير والمكانة والإعتراف بالنفس، وهناك حاجات اقتصادية تتمثل فى تحسين الوضع الإقتصادي وزيادة الدخل والإنفصال والإستقلال اقتصادياً عن الأسرة التى تدفعه عند العمل والمثابرة والإجتهد، وكذلك يشعر بحاجته إلى المكانة الإجتماعية المرموقة التى تدفعه إلى الظهور بمظهر لائق وتدفعه إلى التعلم والدراسة والتحصيل العلمى.

ولمعرفة استعدادات الشباب وانخراطهم فى العمل المجتمعى سواء أكان نشاطاً اجتماعياً سياسياً أم تنموياً، فإن المطلوب معرفة الإحتياجات الأساسية للشباب، والعمل على تلبيتها أو أخذها بعين الإعتبار لدى صياغة خطط والبرامج، باعتبارها متطلبات ضرورية يجب

إدراكها من قبل المعنيين. مع الإشارة إلى مفهوم الحاجات مفهوم نسبي يختلف من مجتمع إلى آخر، تبعاً لطبيعة وخصوصيات المجتمع المدني، ومستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي ويتفق المتخصصون في العمل مع الشباب على الحاجات التالية باعتبارها حاجات عامة تنطبق على جميع فئات الشباب وهي:

- 1- الحاجة إلى تكوين جسم صحيح ولياقة بدنية جيدة عن طريق توثيق التربية الصحية السليمة وبث الوعي الصحي.
 - 2- الحاجة إلى قبول التغيرات البدنية العضوية المتسارعة النمو التي نظراً على جسم الشباب في الفترة الأولى من المراهقة.
 - 3- الحاجة إلى تنمية الإحسان الإنفعالي والتكيف النفسي السليم.
 - 4- الحاجة إلى تنمية الشعور بقيمة الذات وأهميتها.
 - 5- الحاجة إلى تحقيق استقلال عاطفي عن الأسرة.
 - 6- الحاجة إلى تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية ناجحة مع رفاق السن.
 - 7- الحاجة إلى قبول الدور الذي ينتظره بصفته رجلاً وزوجاً ورب أسرة، وإلى إعداد نفسه لهذه الأدوار الاجتماعية المنتظرة.
 - 8- الحاجة إلى فهم واجبات المواطن العربي الصالح وحقوقه وفهم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع العربي.
 - 9- الحاجة إلى تنمية الشعور بالتدفئة وإلى تنمية روح الجد وحب العمل.
 - 10- الحاجة إلى تكوين شعور ديني قوى يحقق الشاب في ظله الأمن والسلامة.
 - 11- الحاجة إلى فهم النفس، وفهم مالها من استعداد ومواهب وقدرات وميول عقلية وفنية ورياضية واجتماعية وإلى اختيار نوع الدراسة وطرق إبراز الميول والمواهب.
 - 12- الحاجة إلى ملء أوقات الفراغ بالأشغال بتنمية المهارات والميول والمواهب والاتجاهات اللازمة للإستعمال الحكيم المتين لها.
- هذه أغلب الحاجة التي يسعى الشباب إلى تحقيقها بجميع الوسائل، وقد يستخدم طرقاً غير مشروعة للحصول عليها، المهم إنه يسعى إلى تحقيقها دائماً (علاء، 1998، ص103).
- وبالإضافة إلى هذه الاحتياجات أن التعليم يعتبر من الحاجات الأساسية للشباب فهو وسيلة لتمكينهم بالمجتمع وجسراً للتواصل مع فئات المجتمع المختلفة وسبيلاً للتخلص من المشكلات التي يمكن أن تواجههم بالحياة كما أن التعليم كحاجة ملحة من حاجات الشباب وأساساً للرقى بهم في السلم الحضاري والإتجاه نحو التقدم في عصر اجتاحت سلسلة التغيرات المفاجئة والثورة التكنولوجية (عصر المعلومات).

- التحديات والمشكلات التي يواجهها قطاع الشباب:-

يواجه الشباب مشكلات كثيرة تختلف من شاب إلى آخر، باختلاف ظروفهم وبيئتهم وأحوالهم وطرق تفكيرهم في طرق مواجهتهم، فنجد بعض الشباب لديهم قدرة على مواجهة المشاكل، وشخص آخر ليس لديه قدرة على تفهمها ومواجهتها ومن هذه المشاكل قد يكون نفسية أو إجتماعية أو ثقافية أو سياسية أو دينية وغيرها من المشكلات التي تؤثر في حياتهم داخل المجتمع، وبالتالي يؤدي به إلى الفساد والانحلال داخله ومن هذه المشكلات:

- 1- **المشكلات الأسرية:** وتتمثل في الظروف الأسرية التي يعيشها الشاب داخل الأسرة لأنها هي البيئة التي يتربى فيها الشاب وتكون شخصياتهم، وخاصة في السنوات الأولى، كما إن

لها أثراً كبيراً على نموهم الجنسي والعقلي والإنفعالي والسلوكي، لذلك فإن الخلافات بين أفرادها والإنفصال بين الوالدين والطلاق ومرض الوالدين العصبيين والمتسلطان يعتبر سلوكهما قدوة سيئة للشباب (نرمين، 2007، ص ص 34-37).

كما أن قدرة الشباب على مناقشة الأمور الشخصية جداً، والمسائل الجنسية خاصة في سن المراهقة معها، وكذلك عدم اعتبار الوالدين أصدقاء، وكذلك الشعور بأنها يتوقعان من الشباب أكثر من طاقتهم، وأيضاً التفرقة بين الأخوة وأيضاً تدخل الأسرة في اختيار أصدقائه وعدم السماح له بالخروج ليلاً أيام الدراسة واعتباره قاصراً غير مسؤول ومعاملته كطفل، ومبالغة الأسرة في فرض الرقابة عليه وعلى طريقة ملابسه وتصرفه وحرمانه من المصروف وضبط حريته.. وغيرها من الأمور التي تؤثر على نفسية الشباب مما يخلق الكثير من المشاكل داخله أولاً، ولمجتمعه ثانياً.

2- مشكلات دراسية: تتمثل في المشاكل التي يواجهها الشباب داخل المدرسة أو المعاهد المتوسطة ويستمر معهم حتى المرحلة الجامعية، ويعنى داخل المجال الدراسي بصفة خاصة، ومنها في الجو الإجتماعي داخل المدرسة أو نوع ومكان الدراسة أو بأسلوب معاملة المدرسين له، أو بعلاقاته مع زملائه داخل المدرسة، وقد توجهه صعوبة في التذكر والشروط والسرطان الفكري وكذلك عدم القدرة على استيعاب المناهج الدراسية، وعدم قدرته على حفظه وأيضاً نقص الضبط والربط في المؤسسة التربوية وأيضاً الفشل والرسوب في الدراسة لها أثر كبير على الشباب مما يجعله غير قادر على الإستمرار في الدراسة وبالتالي يؤدي به إلى مشكلة خطيرة وهي البطالة، لذلك فإن المدرسة تمثل دوراً مهماً في حياة الشباب بعد الأسرة لأن كلاً منها يكمل الآخر وأي خلل فيهما يؤدي بالشباب إلى الانحراف والخلل في حياته.

3- مشكلات اجتماعية: تتمثل في عدم قدرة الشباب على التعامل مع بعض المواقف الاجتماعية وعلى اتصاله بالآخرين بالإضافة إلى الخوف من مقابلة الناس، فنتيجة لنقص قدرته على مواجهتهم، وإلى قلقه الشديد إلى حد الخوف، ويرجع أمر خوفه إلى قلة الأصدقاء وإلى التردد في إقامة صداقات جديدة، وقد يؤدي خوفه من عدم فهم الآخرين دواعي تصرفاته إلى رفض الجماعة له، مما يقوى الإحساس بالحرمان في المشاركة في أي نشاط ترويجي، مما يبعث فيه شعوراً بالضيق الشديد لحرمانه حقيقة من وجود من يناقش معه مشكلاته الشخصية، وتعد أكثر مشاكل الشباب تعقيداً، فترجع إلى عدم قدرة المجتمع على توفير العدد الكلي من النوادي الثقافية والعلمية والتخصصة ومن ساحات النوادي الرياضية والاجتماعية.

وكل هذا يؤدي إلى عجزهم عن العثور على حلول لمشكلاتهم الآتية:

1- مشكلات الصحة والنمو: وتتمثل في الشعور بسرعة الأعياء الزائد والخمول والركون إلى النوم الطويل والإكتفاء بأي تغذية ولو كانت غير مناسبة، إما كسلاً أو لنقص في الشهية، مما ينتج عن ذلك القلق والتوتر وانقباض وعدم اتساق معايير بدنه مع المعايير المعتادة في أعضاء أبدان غيره مثل تضخم حجم عضو من أعضائه المعرضة للأنظار أو صغره عنها، وكذلك المفرط من زيادة وزنه أو نحافته، وتكرار إصابته بالصداع أو الدوار وفقدانه للرعاية الصحية التي يحتاجها.

2- **المشكلات الإنفعالية:** وتتمثل في عدم الشعور بالمسؤولية وعدم القدرة على تحملها وفي نقص الثقة في النفس لعدم استقرار حالته النفسية، وفي القلق الدائم دون سبب ظاهر وفي نقص الثقة في النفس لعدم استقرار حالته النفسية، وفي القلق الدائم دون سبب ظاهر وفي الشعور بالخجل والارتباك وفي الشعور بالضيق والإهانة والإحساس بالفراغ والضياع والخوف من النقد والإقصاء، وأيضاً عدم أخذ الأمور بحدية وأخذها بالإستهتار والامبالاة وعن كوابيس والأحلام المزعجة وعند الشعور بالنقص والشعور بالذنب وتأنيب الضمير مما يجعله على يقين أن حظه سيء مما يؤدي به إلى ضعف شخصيته.

3- **المشكلات النفسية:** وتتمثل في نقص الثقة الإنسان في نفسه مما يجعله شخصاً منطوياً على نفسه، متردداً ضعيف العزيمة، فاقد النشاط، منقطع الصلة بأهله، لأصدقاء حقيقيين له، وخامل، وغالباً مايؤدي به الخمول إلى الهروب من حياته الفارغة، مما يؤدي به إلى تعاطي المخدرات والتبغ والمنبهات ومخيلات العقل، وعواقب كل ذلك التشرذ والضياع وارتكاب جرائم توصله إلى السجون وإلى المستشفيات النفسية.

4- **مشكلات الغلو في الدين:** ومن أهم أسبابه نقص الإرشاد الديني، المتعلق بالحياة أو الموت، وبالحيرة المتعلقة بالمعتقدات الدينية الغيبية، وبالشك في التدين وبعدهم إقامة الفرائض، والعوامل السكانية والاجتماعية لها دور مهم في تحديد البيانات اللازمة عن مشكلات الشباب، علماً بأن ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسات الثقافية والتفاعل بين كل هذه العوامل حتى يكون لها دور فعال في مواجهة تلك المشكلات المعقدة أذ يؤدي فراغ الشباب وشعور بعضهم لقلة أهميته إلى البحث عن طريقة تلفت نظر ذلك المجتمع إليه عملاً بمقولة خالف تعرف بهذا اتجه بعض الشباب.

- أسباب ظهور التطرف والإرهاب:-

لقد ظهرت بعض جماعات الغلو (التطرف) في بعض أقطار المسلمين خلال السنوات الأخيرة من هذا القرن، ولعل أبرز الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة هي:

1- **الجهل بالعلوم الشرعية:** أن الجهل وعدم معرفة حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، مع اندفاع الإنسان وراء عاطفته، قد يوقعه في الغلو في كثير من الأحيان. فإذا رأى المتحمس إنساناً يعصى الله ولو كانت معصيته صغيرة، لم يطق أو يتصور أن يكون العاصي مسلماً، أو مغفوراً له لشدة غيظه، فيؤدي ذلك إلى نوع من أنواع الغلو. والجهل يزول عادة بالعلم (محمد1995، صص104-107).

وأبرز جوانب الجهل التي كان لها أثرها في الغلاة الجدد: الجهل بالكتاب والسنة وبمقاصد الشريعة، والجهل بأدوات الاستنباط وأقوال العلماء وآثارهم، وبالواقع وملابساته. ولعل أبرز جوانب الخلل في منهجهم: الحرفية في فهم النصوص، وكثرة التأويل، وانعدام النظرة الشمولية، والتلقى المباشر من النصوص، وعدم الجمع بين الأدلة والاجتهاد من غير أهلية وانعدام الموضوعية واتباع الهوى (اللويحق، 1412هـ، ص113).

وهذه أمور كثيرة لا بد للشباب المسلم من التنبيه لأهميتها في مجال الدعوة.

2- **الفساد العقدي في حياة الأمة المسلمة:** لقد ضمرت العقيدة في النفوس على توالي العصور، ثم بدأ الانسلاخ من أركان هذا الدين رويداً رويداً الأحكام الشرعية في بعض البلاد، وتهاون بعض الناس في الصلاة والصيام والحج والزكاة، حتى تحولت الشهادة نفسها إلى ألفاظ مجردة.

وحيثما تفسد العقيدة، وتفرغ كلمة التوحيد من محتواها الكامل، ويحصر الإسلام في التلفظ بالشهادتين فقط ويبعد الدين كله في جانب نصي من الحياة، ويعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضوع وانهمزام نفسى أمام الطغيان المادى، ويهرج الحياة الزائفة، تظهر تلك الجماعة المنحرفة كردود أفعال عنيفة، ومحاولة التمرد على الواقع المنحرف بجرعات قوية، تؤدي إلى الغلو والتطرف (محمد 1995).

3- **الفساد الخلقي في المجتمع المسلم:** أن انتشار مظاهر الرذيلة في البيت والمدرسة والجامعة والشارع والمتجر والحديقة والشاطيء والإذاعة، إذا أقرها المجتمع وسكت عليها، يجب عليه أن يتوقع أنماطاً كثيرة من الغلو والتطرف. فما بالك إذا كان دور المجتمع هو تشجيع مظاهر الانحراف ودعمها وتبنيها.

4- **البطالة :** اتفقت الآراء على أن البطالة هي السبب الرئيسي للعنف ، فالشباب الذي يتخرج ويبقى 10 سنوات بلا عمل ويظل والده متكفلاً به هذا الشاب كان سهلاً اصطياًده لبوابة التطرف.

5- **الأسرة :** حسب رأي البعض أن دور الأسرة ضئيل في المجتمعات الفقيرة بالرغم من أنه دور مهم يجب العناية به ودور الأسرة تراجع بسبب العوامل الاقتصادية للأمر العاملة والأب المنهك في تحقيق الكسب سواء وهو باق مع الأسرة أو مسافر إلى الخارج ، تلك الظروف تمنع الأسرة من أداء دورها في رقابة ومتابعة أبنائها الذين هم مسؤوليتهم ولكن ظروف المعيشة وما تفرضه يحول دون ذلك .

6- **الفراغ الفكري والثقافي:** هو أمر واقع وتحمل المدرسة (التعليم) المسؤولية الأولى برأي البعض ومن ثم لابد من المدرس المتخصص لمادة التربية الدينية بالذات المثقف ليكون مسؤولاً من التوجيه الفكري الديني للتلميذ كما أن الشباب يجب أن تتوفر له الرعاية الثقافية خارج المدرسة وهذا إقرار لأهمية دور التعليم من جانب ومن جانب آخر هو إقراراً بدور الفراغ الفكري والثقافي كأحد الدوافع المهمة للعنف .

7- **المؤسسات الدينية :** اتفقت جميع الآراء على عجز المؤسسات الدينية وضعفها في أداء دورها فلا بد أن تكون هناك ندوات يقيمها أشخاص على دراية بالعلم ولديهم القدرة على الإقناع وكسب الثقة وأقر الجميع بأن مستوى أئمة المساجد هزيل غير مواكب لتطورات العصر ، وما زالوا يلقون الخطب المحفوظة لدى عامة الناس ، ولا يربطون الدين بمستجدات العصر. ومطلوب عقد دورات توعية نصف سنوية لرفع مستوى الأئمة وتبصيرهم بالجديد في العصر وارتباطه بالدين فحين يكون المستوى العلمي والفكري ضعيف فلا اقتناع ولا ثقة ولا فائدة (حسن ، 1998 ، ص ص 8 – 11)

- أشكال التطرف:-

فالتطرف يتحول من مجرد فكر إلى سلوك ظاهري أو عمل سياسى يلجأ عادة إلى استخدام العنف كوسيلة لتحقيق المبادئ التي تؤمن متطرف أو اللجوء إلى الإرهاب النفسى أو المادي أو الفكري ضد كل ما يقف عليه في طريق تحقيق تلك المبادئ والأفكار التي ينادي بها هذا الفكر المتطرف (محمد ، 1992 ، ص 5)

وذلك فإن التطرف قد يأخذ أشكالاً متعددة منها :

1- التطرف الفكري والذي يتمثل في الخروج عن القواعد الفكرية أو الثقافية التي يؤتضيها المجتمع لأي موقف من المواقف الحياتية.

- 2- وقد يأخذ التطرف شكلاً آخر يتمثل في التطرف المظهري وذلك من أجل إثارة الرأي العام وجذب انتباه الآخرين وذلك بالخروج عما هو مألوف في المجتمع .
- 3- وقد يكون التطرف في الجانب الديني وذلك بمجاوزة حد الاعتدال في السلوك الديني فكراً وعملاً (عبدالباسط ، 1997 ، ص 97)
- 4- هذا بالإضافة إلى التطرف السياسي والتطرف الوجداني والأخلاقي والتطرف في المشاعر (مصطفى ، 1989 ، ص 62) .
- 5- أيضاً هناك التطرف الاجتماعي والرفض والاحتجاج على العدالة الاجتماعية بصورها المختلفة في أنظمة المجتمع (محمد ، 1992 ، ص 164)
- سمات الحركات الدينية المتطرفة:

وتتسم الحركات الدينية المتطرفة بما يلي:

- 1- تنطلق من الجماعات الفرعية التي تنشق من اتباع الدين الرسمي.
- 2- لها زعيم ديني
- 3- تتلازم مع الأمامات التي يتعرض لها المجتمع .
- 4- تهدف إلى العودة إلى نسق ثقافي قديم كان يعمل بنجاح في الماضي.
- 5- تحاول أحداث تغيرات جذرية في البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .
- 6- يعتبر عدم الرضا والسخط على الأوضاع القائمة من أهم أسبابها.
- 7- يخرج أفرادها من الجماعات الهامشية (رزق ، 1982 ، ص 18)
- الإرهاب من منظور نفسي: -

هناك عدة اعتبارات لابد من تحديدها وهي:

- ما من أية فردية ، إلا وكانت لها مقوماتها الاجتماعية .. ففي كل موقف اجتماعي قد يظهر الفرد أنماطاً من السلوك مختلفة فريدة في ظاهرها أي أنه يلعب أدواراً اجتماعية هي عناصر في الذات الكلية تتكشف إيان عملية التكيف مع جماعة معينة .
- لكي تتكون جماعة مصطنعة لابد من وجود روابط إنفعالية (لبيدية) سواء بين أعضاء الجماعة بعضهم البعض أو بينهم وبين القائد وأي مجموعة لا توجد فيها تلك الروابط لا يمكن أن تؤلف جماعة سيكولوجية فإذا كانت العلاقات البيئية في الجماعات كما ميزها فرويد تهدف إلى التوحيد وزيادة الروابط بالموضوعات فإن ذلك يؤدي إلى قيام نوع من التوحيد يتميز بشدة الاعتماد على الغير مع الإفراط في التعبير الإنفعالي ونبذ الاستقلال العقلي.
- أن الأفراد المتعصبين هم ذوى احتياجات أساسية لم يتم إشباعها مما جعل نم شخصيتهم اعتماداً وخلف ما يعرف بالشخصية الاستبدادية لديهم والحدود الظاهري والبرود الوجداني والتوحد بالسلطان والميول الهدامة والحدود سائر أنواع التبرير والاسقاط يكمن المخاوف والقلق والحاجات العلاقات الخاضعة المستسلمة .
- يمكن استبدال قائد الجماعة بفكرة أو تجريد أو ميل مشترك
- أن الخنوع التام للقيادة أو بدائلها إنما هي تمثل الأنا للموضوع تمثلاً كاملاً مرتبط عادة باستجابات الفرد المرضية (مول ، 1970)

- النظريات المفسرة للتطرف والإرهاب :-

أهم النظريات المفسرة للتطرف والإرهاب هي كالتالي:

1- النظرية المعرفية :

(أ) القوالب النمطية كأطار لتفسير التطرف:

يتمثل المكون المعرفي للاتجاهات المتطرفة في المعتقدات والفكار الجامدة التي توجد لدى بعض الأشخاص عن بعض الأشخاص الآخرين أعضاء الجماعات الأخرى وهو ما يأخذ صورة القوالب النمطية الجامدة وقد أجريت العديد من الدراسات حول القوالب النمطية الجامدة في علاقتها بالتطرف ومكوناته (Hassan , 1987 , p p 80 – 81)

وقد خلصت دراسة خالكي إلى أن مرتفعي التعصب أحد مكونات التطرف توجد لديهم قوالب نمطية سالبة عن الأديان الأخرى أكثر من الأفراد الأقل تعصباً (Khalique , 1982,p19)

(ب) النسق الاعتقادي الجامد كأطار لتفسير التطرف:

يتسم المتطرفون بوجود نسق اعتقادي جامد حيث يتسمون بالتشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة دون أية محاولة منهم للتعرف على تلك الأفكار والمعتقدات والتفكير فيها:

وقد أجري روكيتش (Rokeach) العديد من الدراسات على هذا المنحى وقد خلصت دراساته إلى أن الجمود يمثل مناخاً خصباً لنشأة الاتجاهات المتطرفة بصورها المختلفة :

2- النظريات السلوكية كأطار لتفسير التطرف:

(أ) نظرية التعلم الاجتماعي:

يشير ممثلي مدرسة التعلم الاجتماعي إلى أن التطرف إنما يكتسب من خلال البيئة التي يعيش فيها الفرد فيشير " درنالك كبندر زوديفيد سيرز " إلى أن التطرف إنما يرجع اكتسابه إلى التعلم الثقافي الاجتماعي فالأطفال والمراهقون يكتسبون الاتجاهات المتطرفة بالتوازي مع قيمهم واتجاهاتهم السوية من البيئة الاجتماعية وأن القوى الداخلية للاتجاهات المتعلمة مبكراً وأنا لقوى الداخلية خلال حياة الفرد وفيما بعد (محمد ، 1992 ، ص 46)

ب- فرض الاحباط – العدوان:

بعد فرض الاحباط – العدوان هو أساس ما سمي بنظرية التحامل على شخص ما بتحميله خطايا غيره (كبش فداء) وتفترض هذه النظرية أن العيش في مجتمع منظم يشكل بطريقة حتمية بالنسبة لبعض الأفراد خبرة احباطية ينجم عنها عدوان عائم طليق يمكن أن يتعلق بأي موضوع وقد وصف دولارد هذه المشاعر بأنها القيود الثقافية في الطفولة وحدود الحياة اليومية عند البلوغ والتي تسبب الاحباط لكثير من الناس وينشأ العدوان كاستجابة لهذه الاحباطات وحيث أن الفرد لا يستطيع أن يوجه عدوانه نحو مصدر الاحباط فإنه يوجهه نحو مصدر آخر في شكل تحامل أو عدوان

(عز الدين ، 1980 ، ص 6)

التصور المقترح لتطوير دور المؤسسات التربوية (مؤسسات المجتمع) لحماية الشباب من التطرف والإرهاب

إن الإرهاب بعد الحرب العالمية الثانية وإلى عهد قريب أصبح وسيلة استعملتها ومازالت الدول الكبرى وممثلة بالتهديد والخطف وأعمال تخريب وزعزعة الاستقرار ضد الدول الصغيرة والجماعات والأفراد فيما تراه الدول الكبرى تجاه حماية وخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية سواء كانت محلية أو اقليمية أو دولية ولأن الإرهاب أصبح اتجاه

وحركة ووسيلة فاعلة لتحقيق أغراض مختلفة فقد انتشر استعماله خارج العالم العربي إلى العالم كله واستعمال من قبل دول صغيرة ومتوسطة وجماعات وأفراد وتعرضت له الدول الغربية التي نظمتها واستخدمته بداية لخدمة مصالحها .
أهداف التصور المقترح لتطوير دور المؤسسات التربوية لحماية الشباب من التطرف والإرهاب :

- 1- وقاية وحماية الشباب من التطرف والإرهاب.
 - 2- السعى لتحسين الجانب الفكري بالدرجة الأولى لدى الشباب والتيارات الفكرية المنحرفة.
 - 3- تثقيف الشباب ورعايتهم وبناء شخصيتهم .
 - 4- تقديم استراتيجية تدريسية متكاملة للطلاب في المدارس لتحسينهم ضد التطرف والإرهاب.
 - 5- بناء منظومة إستراتيجية وطنية شاملة لمواجهة التطرف والإرهاب.
 - 6- التكامل بين مؤسسات المجتمع لتحسين الشباب ضد التطرف والإرهاب.
- محاور التصور المقترح لتطوير دور المؤسسات التربوية لحماية الشباب من التطرف والإرهاب

المحور الأول:- تطوير دور المدرسة لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.

- 1- تعمل المدرسة على توعية النشء وتعريفهم بأمور دينهم تعريف صحيحا بعيد عن التطرف.
- 2- بث الوعي ورفع مسئول المدرسين بالمدراس.
- 3- أن يمتد التأصيل بالشعور الوطني والانتماء في المدارس ومنه إلى التلاميذ.
- 4- عدم السماح لأصحاب الأنشطة السياسية المناهضة والهدامة من العمل في مجال التعليم لما في ذلك من آثار سيئة وسلبية على تربية النشء ووعي الموجهين بنظم هؤلاء وبالأهداف التي يرمون إليها من وراء ذلك.
- 5- التركيز على الرموز الاجتماعية والنشاط الجماعي في المدرسة.
- 6- أن يتعين على المدرسة أن تجعل كل العناية لأهدافها وبرامجها وغرس القيم المثلى في نفوس الطلاب.
- 7- أن تعمل المدرسة على التربية الحرة التي تساعد على التخلص من جميع أنواع العدوانية تجاه الآخرين المختلفين عنهم.

المحور الثاني:- تطوير دور المنهج المدرسي لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.

- 1- أن يعزز المنهج المدرسي القيم التي تؤكد على المفاهيم الخاصة بالشباب.
- 2- أن تؤكد المناهج الدراسية على مفاهيم الحرية في اختيار العمل والمهنة.
- 3- أن تؤكد المناهج الدراسية على أهمية العمل كوسيلة للإنتاج والكسب لأن إنتظار العمل الحكومي يعرض الشباب للبطالة ويثير أمامهم فرص وقت الفراغ التي يمكن أن يقود إلى الانحراف والتطرف.
- 4- أن تعمل المناهج الدراسية على تدعيم الشباب بالقيم اللازمة لوقاية الشباب من التطرف والانحراف.
- 5- تبسيط القيم في صيغ إجرائية قابلة للفهم والتنفيذ للناشئة.

- 6- تؤكد المناهج على مفاهيم الإستقلالية والحرية فى العمل.
7- أن تتخذ المناهج الدراسية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية سند أو نبعا يستقى منه القصص الروائى الذى يقدم للنشئ من أجل بناء القيم التى تؤكد على الإستقلالية.
8- أن تتضمن المقررات الدراسية موضوعات تناقش أنواع الإنحراف الفكرى وأسبابه والتطرف والإهارب وطرق علاجه.

المحور الثالث:- تطوير دور المعلم لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.

- 1- عمل دورات تربوية للمعلمين دورية ومستمرة وشاملة بحيث تعطى منهاجا للعمل المتكامل فى رعاية الشباب وحمايتهم من التطرف والإنحراف.
2- استخدام التقنيات التربوية التى تسهم فى تنمية المبادئ الخلقية لدى الشباب وتدعم شخصيتهم.
3- تناول الموضوعات التى تتيح الفرصة للتلاميذ لى يتحملوا بأنفسهم المسؤولية وأن يبدعوا ويبتكروا.
4- القيام بأنشطة خارج حجرة الدراسة التى تساعد على خلق روح الإنتماء لدى الشباب.
5- قيام المعلم بإضافات فى مجال التدريس داخل حجرة الدراسة التى تساعد على وقاية الشباب من التطرف والإنحراف.

المحور الرابع:- تطوير دور المسجد لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.

- 1- أن يتحرر الخطباء والوعاظ من الأساليب التقليدية التى أعتيادوها فى الوعظ والإرشاد.
2- أن يتناول الخطباء والوعاظ القضايا الحيوية التى تشغل أذهان الغالبية العظمى من أبناء المجتمع.
3- دعم إحساس الفرد بالإنتماء الدينى إلى أسرته وذلك بحرصه على التمسك بالدين.
4- تدعيم إحساس الفرد بالإنتماء الدينى إلى مجتمعة.
5- أن تقوم المساجد بالتركيز على المناشط المختلفة والتى تشبع حاجات الجماهير من المسجد.
6- العمل على أن يكون الدعاة من نفس البيئة المحلية التى يوجد بها المسجد بحيث يكونوا أكثر إلتحاما بحاجات ومشكلات الشباب فى هذه البيئة ومن ثم يكونوا أقدر على معالجتها بما يتماشى مع الدين وأهدافه.
7- يجب أن يتحظى دور الوعاظ حدود المسجد حيث يجب أن يخرج هؤلاء إلى التجمعات الشبابية فى أماكنها فى شكل ندوات.

المحور الخامس:- تطوير دور الإعلام لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.

- 1- تنمية الإتجاهات الإيجابية والميول والقيم والأفكار والمشاعر.
2- أن تلتزم وسائل الإعلام بأيدلوجية موحدة لتنمية الشباب وإعدادهم على روح الولاء والإنتماء للمجتمع.
3- الإبتعاد عن مظاهر الإثارة التى تظهر المجرم والخارج على القانون بالمظهر البطولى.
4- أن تضع وسائل الإعلام على عاتقها إشعار الشباب بالأمل إلى المستقبل وعدم إظهار روح اليأس والقنوط التى تؤدى إلى مزيد من إغتراب الشباب وإنحرافهم.
5- يجب أن تكون وسائل الإعلام أدوات تربوية للشباب وليست أدوات هدم وأدوات خلق روح الأمل وليست أدوات اليأس.

- 6- يجب أن تكون هناك إستراتيجية إعلامية ثابتة لمناقشة مشكلات الشباب والعمل على حلها من جانب المسؤولين.
 - 7- اتباع وسائل الإعلام السياسة نشر ملائمة ومدرسة للأفعال الإرهابية بقصد تشوية الإرهاب.
 - 8- توعية وتعليم المواطنين بخصوص مسؤولياتهم تجاه التعاون مع رجال الأمن في كل مامن شأنه الكشف عن الإرهابيين ومحاربتهم.
 - 9- الإهتمام بالبرامج العلمية والتثقيفية والدينية والتركيز على شمولية الإسلام.
 - 10- توعية المعلمين والإعلاميين بخطورة الإرهاب وضرورة محاربته.
- المحور السادس:- تطوير دور الدول والمجتمع لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.**
- 1- التعاون والتنسيق بين الدول والإستعداد الكامل لتبادل المعلومات الإستخبارية والأمنية بأسرع مايمكن بين الأجهزة المعنية وعبر وسائل أمنة.
 - 2- وجود مراكز أو هيئة دولية مركزية مهمتها تبادل المعلومات والخبرات بين الدول في مجال مكافحة الإرهاب.
 - 3- وجود قاعدة بيانات دولية تتخصص في مجال مكافحة الإرهاب.
 - 4- زيادة التعاون الدولي لمواجهة الإرهاب.
 - 5- تبادل برامج التدريب والتنظيم والتقنيات بين أجهزة مكافحة الإرهاب.
 - 6- تطبيق الإتفاقيات والقرارات الدولية المتخذة تجاه مكافحة الإرهاب.
 - 7- فرص العقوبات على كل دولة توفر حماية أو تمنح ملجأ للإرهابيين.
 - 8- تشجيع الإتفاقيات الثنائية والمعاهدات الإقليمية لتسليم الإرهابيين وتشجيع تنفيذ العقوبات عليهم.
 - 9- تعاون الدول على اتخاذ الخطوات الوقائية الممكنة ضد الإرهاب.

المراجع

- 1- عبدالله بن عبدالمحسن السلطان، عن الإرهاب ، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1424هـ .
- 2- زينب أبو زيد أبو بكر، التعليم وتمكين الشباب في المجتمع، رؤية مستقبلية للتخلص من المشكلات التي تواجه قطاع الشباب، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الإجماعيين، الشارقة ، الإمارات العربية، ع106، صيف2010 .
- 3- محمد فؤاد زيد سليمان، دور المناهج التربوية في محاربة الإرهاب من خلال تعليم ثقافة التسامح، 1430هـ.
- 4- مفلح بن خليل الإكليبي، محمد آدم أحمد، استراتيجية تدريبية مقترحة لغرس قيم الأمن الفكرى لدى الطلاب لتحصينهم ضد التطرف والإرهاب مع نموذج تطبيقي لتدريس قيم المواطنة الصالحة، مجلة البحوث الأمنية، مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية ، مجلد19 ، ع 46 ، أغسطس 2010 .
- 5- حسن بكر، أسباب العنف السياسى ودوافعه، مجله الفكر العربى، معهد الإنماء العربى، بيروت ، ع93 ، صيف1998.

- 6- عيشة خليل(2006) البطالة بين الشباب وسياسات التشغيل فى مصر: رؤية مستقبلية. القاهرة: المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، المؤتمر السنوى الثامن" قضايا الشباب فى مطلع القرن الحادى والعشرين، 23-25 مايو.
- 7- فادية أبو شهبة(2006). الشباب وجرائم العنف: دراسة تحليلية لعينة من الشباب المسجل خطر. القاهرة: المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، المؤتمر السنوى الثامن" قضايا الشباب فى مطلع القرن الحادى والعشرين، 23-25 مايو.
- 8- أحمد محمد اضبيعة: التنشئة الإجتماعية للشباب، دار الكتب الوطنية، بنغازى، 1999.
- 9- علاء الدين عبدالقادر : دور الشباب والتنمية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط1- 1998.
- 10- نرمين الحوطى : التنشئة الإجتماعية للشباب : مجلة قيس، الإثنين، 30 ابريل، 13 ربيع الثانى 1428 رقم العدد: 2007، 12180 .
- 11- عبدالرحمن بن معلا اللويحق(1412هـ): الغلو فى الدين فى حياة المسلمين المعاصرة، مؤسسة الرسالة.
- 12- محمد حامد الناصر(1995): بدع الاعتقاد، جدة، مكتبة السودانى.
- 13- محمد نيازى حتاته، مكافحة الجريمة ومعاملة المجرمين، دار أبو المجد للطباعة سنة 1995م.
- 14- يحيى أحمد البناء، الإرهاب الدولى ومسؤولية شركات الطيران، منشأة المعارف بالإسكندرية سنة 1994م.
- 15- عبدالوهاب حومد(1963): الإجرام السياسى، دار المعارف- القاهرة.
- 16- أحمد زكى بدوى(1987): معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية مكتبة لبنان- بيروت.
- 17- أحمد زايد.(2006). خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.
- 18- أحمد عبدالله زايد. وفايقة محمد على حسن. وعزة عبدالكريم مبروك. وخالد عبدالمحسن بدر، وليلى كامل البهنساوى، ومحمد عبدالسلام، ومنال زكريا حسين(2009)، تنمية الإهتمام بالقراءة الحرة لدى الأطفال والشباب فى المجتمع المصرى، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مجلس الوزراء المصرى وكلية الآداب جامعة القاهرة.
- 19- أمانى أحمد نادر السيد عطية(2008)، دور مراكز الشباب فى التصدى لمشكلات الشباب الريفى دراسة ميدانية لمراكز الشباب فى بعض قرى محافظة الدقهلية، رسالة دكتوراه غير منشورة فى علم الاجتماع الريفى كلية الزراعة، جامعة المنصورة.
- 20- عبدالخالق محمد عفيفى(1997)، الرعاية الإجتماعية المفاهيم، النشأة، المجالات، مكتبة عين شمس، القاهرة.
- 21- محمد على محمد،(1980)، الشباب والمجتمع، دراسات نظرية وميدانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 22- محمد إبراهيم الدسوقي : سيكولوجية التطرف" دراسة نفسية مقارنة بين التطرفين فى اتجاهاتهم الدينية وبعض الفئات الإكلينيكية المختلفة"- رسالة دكتوراه- كلية الآداب- جامعة عين شمس 1992م.

- 23- محمد عبدالعال الشيخ: دراسة نفسية للحاجان النفسية لدى المتطرفين من الشباب الجامعي- رسالة ماجستير- كلية التربية- جامعة طنطا 1983م.
- 24- عز الدين جميل : دراسة لسمات الشخصية المرتبطة ببعض الإستجابات للإحباط- رسالة ماجستير- كلية التربية- جامعة الأزهر 1980.
- 25- رزق سند : ديناميات التطرف فى المحافظة والتحرر- رسالة ماجستير- كلية الآداب- جامعة عين شمس 1982م.
- 26- عاطف أحمد فؤاد : الحرية والفكر السياسى المصرى. القاهرة: دار الكتاب، 1988م.
- 27- محمد أحمد بيومى: ظاهرة الأسباب والعلاج، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992.
- 28- عبدالباسط محمد حسن: شباب الجامعة والقيم الدينية، مجلة العربى، ع191، الكويت، وزارة الإعلام، 1974.
- 29- مصطفى سويف: التطرف كأسلوب للإستجابة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1989.

30- Hassan & Khalique, A Study of prejudice in Hindu and Muslim college students psychologia: International. Journal of psychology in the orient 1987,30,12,.80-84.

31- Khalique, A. " Effect of religious prejudice on religious images and religious and coste stereotypes of Muslim school student". India psychological Reviem. 1982,22,4,9-15.

32- Courier.Jennifer(2004), Role of Youth survey, WWW. Takingitglobal. Org

33- United Nations publication(1992): Statistical charts and indications on the situation of youth deparment of economic and social development, statistical office, serice, series Y,1990-1970 No.6, New York .

34- Walter Laquer (1980): " Ten Years Of Terrorisme " Pedone-Paris.

الدين معاملة ، الإسلام دين السلام

م.د سبل سعد

قسم التاريخ / كلية الآداب -جامعة بغداد

مقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وسلاماً على من علّم وأفاد، وعلى من طلب العلم واجتهد.

أما بعد بدايةً افتتح بحثي بطرح مشكلة العصر الحالية والتي لها جذور قديمة وهي الاسلاموفوبيا (رهاب الإسلام) وتضمن التحامل والخوف من الإسلام وخوف من انتشاره مع تزامن وجود العولمة الدينية والتي تروج للقيم الفردية والانانية والتي لها تأثير على الهوية الاسلامية وترويج الإسرائيليات وتزوير التاريخ وقد اخترت عنوان البحث الدين معاملة " الإسلام دين السلام" والحديث في هذا الموضوع يطول الا اني اخترت محاور من هذا الموضوع لأجل الطرح

تناول هذا البحث قضية الوسطية والتطرف يُعد من أبرز التحديات في الوقت الراهن، و تسليط الضوء على الأبعاد النظرية والتطبيقية للموضوع في ضل الجدل على القضية الاسلامية وانخراط فئة كبيرة من الشباب نحو العلمانية بعد حملات تسقيط الهوية الاسلامية هذه التي استمرت لسنوات عدة فكانت النتائج الان على أرض الواقع ولأجل الوصول إلى نتائج في البحث يمكن أن تسهم في تطوير الفهم أو تقديم حلول تعالج اهم مشكلة من مشكلات العصر وهي العولمة الدينية .

لعب الإسلام دورًا مهمًا في الحد من التطرف من خلال تقديم مبادئ وقيم تدعو إلى التسامح، والانسانية، والتعايش السلمي. هناك العديد من النصوص القرآنية التي تؤكد على أهمية الاعتدال والوسطية في الحياة اليومية، بما في ذلك في التعامل مع الآخرين، سواء كانوا مسلمين أو من أهل كتاب

Abstract

Islam has played an important role in curbing extremism by presenting principles and values that call for tolerance, humanity, and peaceful coexistence. There are many Quranic texts that emphasize the importance of moderation and balance in daily life, including in dealing with others, whether Muslims or People of the Book.

Here are some of the aspects in which Islam contributes to curbing extremism:

1. Moderation: The Holy Quran calls in numerous verses for balance and moderation in worship and social life. In Surah Al-Baqarah (verse

143), God Almighty states that the Muslim nation is a "moderate" nation in all its affairs, neither inclined toward excess nor deficiency.

2. Compassion and Tolerance: Islam calls for compassion and tolerance toward others, regardless of religious or sectarian differences. In a hadith, the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) said, "He who does not give priority to others will not be given priority," meaning that Muslims must be compassionate and tolerant in their dealings with others.

3. Achieving Justice: Islam emphasizes justice and equality, which contrasts with extremist practices that promote injustice and discrimination. The Qur'an requires Muslims to achieve justice and avoid injustice in all its forms, as God Almighty says in Surat An-Nisa (verse 58): "

4. Emphasizing freedom of choice: Islam recognizes the right of man to choose his religion and belief, as stated in the Qur'an in Surat Al-Baqarah (verse 256): "There shall be no compulsion in religion." This verse emphasizes that faith should not be imposed by force, which reinforces the idea of peaceful coexistence.

5. Criticizing violence and extremism: In many hadiths, the Prophet warns against straying from moderation and oppressing people. The Prophet (peace and blessings be upon him) said: "Beware of extremism in religion, for it was extremism in religion that destroyed those who came before you."

Through these principles and others, Islam contributes to shaping a cultural and religious framework that promotes the values of tolerance and moderation and limits extremism, which could harm religion and society.

قسمت البحث إلى محاور

أولاً : معنى التطرف

١ - التطرف : جاوز حد الاعتدال متوسط

(أحمد مختار: 1396)

التطرف اصطلاحاً : هو وصف يستخدم للتعبير عن خروج الإنسان المتطرف أو المنحرف إلى ما يتجاوز المألوف أو المتفق عليه أو المتعارف عليه ، أي إنه الابتعاد عن سواء (اسماعيل عبدالفتاح : : ١٥٠) .

وقيل في تعريفه : هو تجاوز الحدود التي أحلها الله سبحانه وتعالى وشرعها ، وهو الاتيان بأراء فيها تشدد ومغالاة وهذا التشدد ما أنزل الله به من سلطان ولم يقم عليه دليل ، والتوسط مطلوب لان أمتنا الإسلامية هي الأمة الوسط

مما تقدم من التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين لنا بأن التطرف مفهوم يعنى البعد عن الوسطية وبما يلائم الفطرة الإنسانية وما اتفق عليه عقلاء البشر ، والانصراف الى جهة غير مرغوب فيها تكاد تكون بعيدة عن جادة الصواب ولها من الإنعكاسات السلبية على الفرد والمجتمع ومنهي في الدين الغلو فيه وعليه يقاس ببقية الأمور في الحياة اليومية

ثانياً الغلو : غلا في الدين غلوا تشدد وتصلب حتى جاوز الحد. (الرازي :ص ٤٨)

ومنه قوله تعالى: (لا تغلوا في دينكم غير الحق) (سورة المائدة :٧٧) .
وقال ابن الأثير : الغلو في الدين البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها.

وقال الراغب أصل الغلو تجاوز الحد؛ يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غلو (الزبيدي :١٧٨)

٢- التطرف الديني :

لهج المحدثون بهذا الاصطلاح في مطلع القرن الخامس عشر الهجري في وقت حصل فيه رجوع عامة شباب المسلمين إلى الله تعالى والتزامهم بأحكام الإسلام، وآدابه والدعوة إليه، فكان قبل ينبز من هذا سبيله بالرجعية والتعصب، والجمود، ونحوها.

ودين الله بين الغالي، والجافي، وقد كان علماء الإسلام يقررون النهي عن الغلو في الدين، وينشرون النصوص بذلك في الوقت الذي يحثون فيه على التوبة والرجوع إلى الله تعالى، فقلبت القوس ركة في هذه الأزمان، فصار التائب المنيب إلى ربه ينبز بأنه متطرف للتفسير منه، وشل حركة الدعوة إلى الله تعالى.

(بكر بن عبدالله : ١٨٩)

ثانياً : بعض الجوانب التي يسهم فيها الإسلام في الحد من التطرف:

1. الوسطية والاعتدال: يدعو القرآن الكريم في آيات عديدة إلى التوازن والاعتدال في العبادة والحياة الاجتماعية. ففي سورة البقرة (آية 143)، يذكر الله سبحانه وتعالى أن الأمة الإسلامية هي أمة "وسط" في جميع أمورها، وهي لا تميل إلى الإفراط أو التفريط.

ويشتمل ذلك على الأمور المادية إذ أن الإسلام نهى عن الرهينة وعن الثراء الفاحش لفقر كأساس للرهبنة في ميزان الدين والعقل، جعل الفكر البوذي والنصراني الفقر أساساً وشرطاً جوهرياً للانخراط في الرهينة، وكان هذا الاتجاه رد فعل للتطرف المادي للبرهمية واليهودية، فجاء الفكر البوذي ليرد على التطرف البرهمي فنأدى بالفقر وعدم التملك، والنظرة التشاؤمية للحياة، وجاء الفكر النصراني ليرد على التطرف المادي الجشع لليهود، فنأدى بأن مرور جمل في ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله.

فبينما نجد هذا الغلو نرى عظمة الإسلام الذي يحتم على الإنسان أن يعمر الحياة في ظل المنهج الإلهي القائم على استخلافه في الأرض، والمرتکز على الوسطية؛ لذا أنكر المادية المفرطة فقال: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْنَعُ فِيهَا مَا يَشَاءُ) (الإسراء : ١٨) بين للمادين والذين نظروا للحياة الدنيا واطمأنوا أن الدنيا لا تستحق أن يلهث الإنسان وراءها

(مناهج جامعة المدينة العالمية، صفحة : ٢٧١).
فقال: { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (يونس: ٢٤)

وقال ابن أبي الزناد رحمه الله - : " ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدل مثله
أن من صور التطرف التزمت بالرأي وكثرة الجدل والخصومات في الدين قال الأوزاعي -
رحمه الله - : " إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل وعن الخليفة عمر بن
عبد العزيز - رحمه الله - : " من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل"
وقيل للحكم بن عتيبة الكوفي - رحمه الله - : " ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء؟ قال:
الخصومات

قال ابن تيمية - رحمه الله - : " وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة علمائها
وعيادها وأمرائها ورؤسائها وجدت أكثره من البغي بتأويل أو بغير تأويل، وإما على نوع
من المبتدعة بزيادة على ما أمر الله به، وهو الإسراف المذكور في قولهم: { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
دُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا }
(آل عمران: ١٤٧)

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر قوله تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } آل عمران : ١٩
٢. الرحمة والتسامح: الإسلام يدعو إلى الرحمة والتسامح مع الآخرين، بغض النظر عن
اختلاف الدين أو المذهب. في الحديث الشريف، قال النبي محمد ﷺ: "من لا يؤثر الناس لا
يؤثر"، ما يعني أن على المسلم أن يكون رحيماً ومتسامحاً في تعامله مع الآخرين. ولين
التعامل النبي سبب في إنجاح الدعوة الإسلامية لو كان شديد التعامل لنفر منه الناس ولم
يتقبلوا دين الإسلام ورغم خلاف الرأي فقد سمعهم النبي واستشارهم وقد ذكر الله تعالى في
كتابه العزيز

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ (آل عمران ١٥٩)
صور التسامح في السنة النبوية

عفو النبي ﷺ عن الأعرابي:
عندما جذبه الأعرابي من رداء النبي ﷺ، لم يغضب بل ابتسم وأعطاه حاجته. (رواه مسلم)
عفو النبي ﷺ عن الرجل الذي حاول قتله :
عندما رفع الرجل السيف في وجه النبي ﷺ، قال النبي: "الله"، فسقط السيف من يد الرجل
فتعاطف معه وعفا عنه. (رواه مسلم)
عفو النبي ﷺ عن أهل مكة :
عندما دخل مكة فاتحاً، قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، رغم ما عاناه منهم. (رواه ابن
إسحاق)

3. تحقيق العدالة: الإسلام يركز على العدالة والمساواة، وهو ما يتناقض مع ممارسات
التطرف التي تروج للظلم والتمييز. يفرض القرآن على المسلمين تحقيق العدالة والابتعاد عن

الظلم بكل أشكاله، كما في قوله تعالى في سورة النساء (آية 58): "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ".

4. التأكيد على حرية الاختيار: الإسلام يعترف بحق الإنسان في اختيار دينه وعقيدته، كما ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة (آية 256): "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ". هذه الآية تؤكد على أن الإيمان لا يجب أن يُفرض بالقوة، مما يعزز من فكرة التعايش السلمي.

5. نقد العنف والتطرف: في العديد من الأحاديث النبوية، يُحذر من الخروج من الاعتدال وظلم الناس رسول الله ﷺ قال: إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين

6. الجدل يجب أن يكون محموداً

ونعني بالجدل هو الجدل، حسب ما عرفه ابن منظور شدة الفتل. وجدلت الحبل أجدلته جدلاً، إذ شددت. قتله وقتلته، قتلاً محكماً. (ابن منظور: ١٠٣)

الجدل دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبه، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصوم في الحقيقة. (هود محمد الخطاب القرآني: ١١٧)

الجدال يكون محموداً إذا تعلق بإظهار الحق وتقريره أو الوقوف عليه، وهذا ما أمر به الإسلام وقال تعالى أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (سورة النحل: ١٢٥)

قد خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى "ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتتي هي أحسن" (سورة العنكبوت: ٤٦)

تبين هذه الآيات بمستوعية الجدل الذي امر الله به ورسوله أن يجادل أهل الكتاب وغيرهم، وأن يدعوهم إلى الله بالحسنى.

ثالثاً مظاهر التطرف الديني

العلمانية تدعو إلى حكم القوانين الوضعية بدلاً من الشريعة الإسلامية، مما يُعتبر تعطيلاً لشرع الله الذين يفضلون القوانين البشرية على الشريعة الإسلامية يعتبرون منكرين لها، ويُحكم عليهم بالكفر أو الفسق أو الظلم، كما ورد في القرآن الكريم: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]

من مظاهر التطرف الديني الحملة البغيضة ضد الإسلام ومنها المحاولات فاشلة لتحريف القرآن الكريم بسبب ضعف هذه الكتب وترجماتها، بحيث لا ترقى ولن ترقى إلى منافسة القرآن الكريم في جمال إيقاعه وعمق معانيه وجاذبيته، وهذا في نظر المسلمين جزء من معجزة وحي القرآن؛ فالقرآن هو كلام الله، ولا يمكن أن تصل مثل هذه الكتب المكذوبة بضعفها ونقصها إلى بلاغة لغة القرآن

- توسيع فجوة الخلاف بين دين الإسلام وغيره من الأديان؛ بسبب انتهاك الحرمات والمقدسات من قبل الأعداء من اليهود والنصارى.

(هود محمد: ٢٠٦)

غلو أهل الكتاب وأطلاقهم مصطلحات في معنى الغلو مثل التطرف الاصولية الإرهاب والوانها بالوامر الإلهية من المسلمين بل جعلوا التمسك بالدين تهمة يدان بها المسلم فيستحق أن يبقى تحت المراقبة

(هود محمد: ١١٢)

الإسلام يعارض العلمانية بشكل جذري، حيث يعتبر فصل الدين عن الدولة والحياة العامة خروجاً عن تعاليم الشريعة الإسلامية.

الموقف العقدي شرك في التوحيد العلمانية تنكر الدين وتفصل بينه وبين شؤون الحياة، وهو ما يُعد كفراً صريحاً وشركاً في الربوبية والألوهية. فالله هو الخالق والمشرع، ولا يجوز للإنسان أن يشارك الله في التشريع أو الحكم الذين يدعون إلى الفصل بين الدين والدولة يعتبرون منكرين لشرع الله، ويُحكم عليهم بالكفر أو الفسق أو الظلم، كما ورد في القرآن الكريم: { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة: 44)

توصيات البحث

1. دعوة المسلمين على ثباتهم على دينهم وتذكيرهم بالحفاظ على كتابهم القرآن الكريم.
2. تدبر آيات القرآن الكريم حفظ ومعانيه وهو هوية المسلم
3. التمسك بالعقيدة الإسلامية وتجاهل ما يطلق من حملات تسقيط الهوية الإسلامية والمصطلحات الشائعة لكل ملتزم بالدين
4. تقبل الرأي الآخر وعدم نعت الآخرين بصفات تسيء لهم حتى وإن خالفك الرأي في العقيدة فالمبدأ الأساس لاكره في الدين
5. التحلي بالأخلاق السامية وهي شعار المسلم ورسالة رسولنا الكريم إذ وصفه الله تعالى بخلق العظيم وهي السبب الرئيسي في الصبر على نشر الدعوة الإسلامية
6. أن من أهم الأسباب التي تجعل المسلم متحصناً وقوي الحجة التفقه في الدين وهي مفتاح الوعي وتذكر من خلاله الغاية
7. أحد الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم التواضع وعدم تركية النفس في أثبات الحق للنفس ولا تزكوا انفسكم الله اعلم بأهل البر منكم

المصادر

1. القرآن الكريم
2. احمد مختار حميد عمر ، معجم العربي المعاصر عالم الكتب ، 2008 .
3. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، معجم مصطلحات حقوق الانسان ، (القاهرة ، ٢٠٠٦م)
4. بكر بن عبدالله ابو زيد ، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ ، (الرياض ، دار العاصمة ، ١٩٩٦م)
5. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ت٦٦٦هـ ، مختار الصحاح ، (الكويت ، دار الرسالة ، ١٩٨٣)
6. الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت١٢٠٥هـ ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية
7. مسلم بن الحجاج النيسابوري ت٢٦١هـ ، المسند الصحيح ، بيروت ، دار أحياء التراث العربي
8. ابن منظور ؛ محمد بن مكرم بن علي الأنصاري المصري ، ت. ٧١١هـ ، لسان العرب.
9. هود محمد منصور ، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً ، (ماليزيا ، أكاديمية الدراسات

الجيل الجديد في مواجهة التطرف: كيف يساهم التعليم الديني الحديث في مواجهة الفكر المتشدد

د. حسين محسن علي التميمي
العتبة العباسية

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، الذين جعلهم الله أئمةً للهدى ومصابيحاً للدجى، وسفناً للنجاة من التيه والضلال.

وإن العقيدة الصحيحة والمعارف الدينية الأصيلة تمثل حجر الأساس في بناء الإنسان الواعي، القادر على التمييز بين الحق والباطل، والمحصن ضد تيارات الانحراف الفكري والتطرف الديني. فالإسلام، كما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وبيّنه أهل بيته (عليهم السلام)، هو دين الرحمة والعقلانية والتسامح، وهو المنظومة المتكاملة التي تحث الإنسان على اتباع منهج الوسطية والاعتدال في الفكر والسلوك.

وإن أهل البيت (عليهم السلام) لم يكونوا مجرد رموز دينية، بل كانوا مدرسة متكاملة لبناء الإنسان والمجتمع على أسس العدل والقيم السامية. لقد قدموا لنا منظومة فكرية قائمة على العقل والحكمة، وسعوا إلى تحصين الأمة من الانحرافات التي قد تؤدي بها إلى الغلو والتشدد أو إلى التفريط والضياع. وكانت تعاليمهم المرتكزة على القرآن الكريم تبياناً لمنهج الله في الحياة، تحث على الوعي والبصيرة، وترفض الجمود والتقليد الأعمى، وتؤكد على ضرورة الجمع بين العلم والعمل، بين العبادة والفكر، وبين التقوى والاجتهاد.

وإن التحديات الفكرية التي يواجهها الجيل الجديد اليوم تتطلب العودة إلى هذا المنبع الأصيل من المعارف، حيث إن التطرف الديني لم ينشأ إلا بسبب الجهل والتفسيرات المنحرفة للنصوص الدينية، مما أدى إلى نشوء جماعات تتبنى العنف وتوظف الدين لخدمة أغراضها السياسية والمصلحية. وهنا يأتي دور التعليم الديني الحديث الذي ينهل من فكر أهل البيت (عليهم السلام) ليكون الحصن المنيع في مواجهة هذه التحديات.

ولقد أصبح لزاماً على المؤسسات التعليمية والمناهج الدينية أن تتبنى خطاباً علمياً عقلانياً، يركز على تقديم الإسلام بصورته الحقيقية، بعيداً عن التحريف والتشويه، مستنداً إلى القواعد الأصيلة في فهم النصوص، والتي أرسى دعائمها أهل البيت (عليهم السلام)، فبالعقيدة الصحيحة والمعرفة العميقة، يمكن للجيل الجديد أن يكون واعياً قادراً على مواجهة الفكر المتشدد، متسلحاً بالبصيرة التي تجعله مدركاً لخطر الانحراف الفكري، ومحصناً من الوقوع في شراكه.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى تسليط الضوء على دور التعليم الديني الحديث في مواجهة التطرف، وكيف يمكن للمنهجية المستمدة من تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) أن تكون أساساً متيناً في بناء جيل واع، قادر على رفض الفكر المتطرف، والتأسيس لمجتمع متماسك، يسوده العدل والسلام والتسامح.

بيان موضوع البحث

يتناول هذا البحث دور التعليم الديني الحديث في مواجهة الفكر المتشدد، من خلال مناهج تربوية وفكرية مستوحاة من القرآن الكريم وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام). يركز البحث على كيفية تقديم الإسلام بصورته الحقيقية بعيداً عن التحريف، مع التركيز على التربية الدينية التي تعزز قيم التسامح والوسطية وتحصّن الجيل الجديد من الوقوع في براثن التطرف.

أهمية البحث

1. حاجة المجتمع إلى مكافحة التطرف الفكري: نظراً لانتشار الفكر المتشدد، يصبح من الضروري إيجاد وسائل تعليمية لمواجهة.
2. إعادة تأصيل الفكر الإسلامي الوسطي: تسليط الضوء على التعليم الديني المستند إلى الفكر المعتدل لأهل البيت (عليهم السلام).
3. تعزيز دور المؤسسات التعليمية: إبراز أهمية تطوير المناهج الدينية لمواكبة التحديات الفكرية المعاصرة.
4. مساهمة البحث في تطوير مناهج التعليم الديني: تقديم رؤية جديدة يمكن أن تساعد في تجديد الخطاب الديني وتحديث المناهج التعليمية بما يواكب تحديات العصر.

أهداف البحث

1. تحليل مفهوم التطرف الديني وأسبابه الفكرية والاجتماعية.
2. بيان تأثير التعليم الديني الحديث في تشكيل وعي الجيل الجديد تجاه التطرف.
3. تسليط الضوء على دور أهل البيت (عليهم السلام) في ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال.
4. تقديم آليات تربوية لمكافحة الفكر المتشدد عبر المناهج الدينية.
5. إبراز دور المؤسسات التعليمية الدينية في مواجهة التحديات الفكرية الحديثة.

منهج البحث

المنهج التحليلي: لدراسة النصوص الدينية والمفاهيم الفكرية المرتبطة بالتطرف والتعليم الديني.

المنهج الاستقرائي: لتحليل أسباب التطرف ونتائجه بناءً على وقائع تاريخية ومعاصرة.

المنهج الوصفي: لرصد الواقع التعليمي الديني الحالي ومدى فاعليته في مواجهة الفكر المتشدد.

أسئلة البحث

السؤال الأصلي:

كيف يساهم التعليم الديني الحديث في مواجهة الفكر المتشدد بين الجيل الجديد؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما مفهوم التطرف الديني وما أسبابه الفكرية والاجتماعية؟
2. ما دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الفكر المعتدل؟

3. كيف يمكن تطوير المناهج الدينية لتكون أكثر قدرة على مواجهة الفكر المتشدد؟
4. ما العوامل التي تؤثر في تشكيل وعي الجيل الجديد تجاه التطرف؟
5. ما مدى تأثير المؤسسات التعليمية الدينية في نشر الفكر الوسطي؟

فرضيات البحث

1. التعليم الديني الحديث المستند إلى الفكر المعتدل يساهم في تقليل معدلات التطرف بين الشباب.
2. ضعف المناهج الدينية التقليدية قد يكون سبباً في انتشار الفكر المتشدد.
3. الفكر الإسلامي المستمد من القرآن الكريم وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) يرسّخ قيم الوسطية والاعتدال.
4. التعليم الديني إذا تم تحديثه بأساليب حديثة يمكن أن يكون أداة فاعلة لمكافحة الغلو والتشدد.

السابقة الدراسية للبحث

يتناول هذا القسم مراجعة للدراسات السابقة التي تناولت موضوع التطرف الديني والتعليم الديني، مع التركيز على ما قدمته هذه الدراسات وما لم تتطرق إليه، بحيث يبرز بالإضافة التي يقدمها البحث الحالي. سيتم تحليل ما إذا كانت الدراسات السابقة قد ركزت على التعليم الديني التقليدي فقط أم تناولت أساليب حديثة، وما إذا كانت قد دمجت فكر أهل البيت (عليهم السلام) في معالجاتها لقضايا التطرف.

التمهيد

لا شك أن التطرف الفكري والعملي يمثل أحد أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانية في العصر الحديث، إذ بات يهدد الأمن الفكري والاستقرار الاجتماعي، ويؤدي إلى تشرذم الأمة وتمزيق وحدتها. والتطرف ليس مجرد انحراف فردي، بل هو ظاهرة مركبة تنبع من عوامل متعددة، منها الجهل الديني، وسوء الفهم للنصوص الشرعية، والانغلاق الفكري، إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي قد تسهم في انتشاره. وإن من أهم أسباب ظهور الفكر المتطرف هو الابتعاد عن الفهم الصحيح للإسلام، الذي جاء رحمةً للعالمين، وجعل من العقل والتدبر أساساً في بناء العقيدة والسلوك. فالإسلام، كما قدمه القرآن الكريم ورسّخته سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، يؤكد على قيم الوسطية والاعتدال، ويرفض الغلو والانحراف بكل أشكاله، ولكن مع انتشار بعض التفسيرات الخاطئة والضيقة للنصوص، وغياب المنهجية العلمية الرصينة في دراسة العقيدة والشريعة، بات التطرف يشكّل خطراً حقيقياً يستهدف الشباب، مستغلاً عواطفهم الدينية وحماسهم الفطري في سبيل تحقيق أجندات بعيدة كل البعد عن مقاصد الدين الحنيف.

ولذلك، لا بد من تلافي هذه الظاهرة ومواجهتها بأساليب علمية ومنهجية، يأتي في مقدمتها إصلاح التعليم الديني وتطوير مناهجه، بحيث يكون قادراً على غرس القيم الصحيحة وتعزيز الوعي الديني المعتدل. فالتعليم الديني الحديث، إذا ما بُني على أسس صحيحة، يمكن أن

يكون حصناً منيعاً أمام الانحرافات الفكرية، وذلك من خلال تقديم الإسلام بمنهجيته الصحيحة، وربط المتعلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام)، بما يسهم في بناء شخصية متوازنة، قادرة على التمييز بين الحق والباطل، ومتسلحة بالعلم والبصيرة في مواجهة الأفكار المنحرفة.

وإن تربية الجيل الجديد على الفكر الوسطي، وترسيخ مفاهيم الحوار والانفتاح والتسامح، هي مسؤولية كبيرة تقع على عاتق المؤسسات التربوية والدينية، حيث يجب أن يكون التعليم الديني مرناً ومستجيباً لمتغيرات العصر، دون أن يفقد أصالته وجذوره المستمدة من الكتاب والسنة. ومن هنا، تأتي أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على دور التعليم الديني الحديث في مواجهة الفكر المتشدد، وبيان الأساليب والآليات التي يمكن من خلالها بناء جيل واعٍ قادر على مقاومة التطرف، وترسيخ قيم العدل والاعتدال في المجتمع.

المبحث الأول

التطرف الفكري في القرآن الكريم وأثره على الجيل الجديد
-الطرف الفكري في القرآن الكريم وذمه:

إنّ القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للهداية والتوجيه الإلهي، وقد تناول مختلف القضايا الفكرية التي تخصّ الإنسان، ومن بينها مسألة "الطرف الفكري"، أي الانحراف في التفكير الذي يؤدي إلى الغلو أو التساهل في فهم الحقائق. فالطرف الفكري إما أن يكون إفراطاً في التمسك بآراء معينة دون برهان، أو تقريظاً يؤدي إلى الانحلال الفكري ورفض الحقائق الثابتة.

ذمّ القرآن الكريم هذه الظاهرة بصور متعددة، منها ذمّ أولئك الذين يتبعون الظنّ والأوهام دون دليل، كما في قوله تعالى: "وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً"¹، فالقرآن يرفض التفكير القائم على التخمينات غير المؤكدة، ويدعو الإنسان إلى اعتماد اليقين والعقل السليم في البحث عن الحقيقة.

وكما يذمّ القرآن من يغلو في أفكاره ويتعصّب لها دون إنصاف، كما قال سبحانه: "قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل"².

فالطرف الفكري الذي يؤدي إلى الغلو مذموم لأنه يحجب الإنسان عن رؤية الحقيقة كما هي، ويجعله أسير الأوهام والضلال.

ومن مظاهر الطرف الفكري أيضاً التقليد الأعمى واتباع السلف دون تمحيص، كما قال تعالى: "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آبؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون"³.

فهذا النوع من الجمود الفكري يؤدي إلى تعطيل العقل وعدم الاستفادة من نور الوحي.

1 - يونس: 36.

2 - المائدة: 77.

3 - البقرة: 170.

وقد دعا القرآن إلى التوازن الفكري، حيث يجب على الإنسان أن يكون متفتحاً للحقائق، متحرراً من الأوهام، غير خاضع للعواطف والأهواء، مستعملاً للعقل والبصيرة في إدراك الحق، كما في قوله تعالى: "إنما يتذكر أولو الألباب"¹.
فالتطرف الفكري، سواء كان في صورة غلوٍ وتعصب أو في صورة تساهل وانفلات، مذموم في ميزان القرآن الكريم، لأنه يحجب الإنسان عن الهداية، ويوقعه في الضلال، ويمنعه من الاستفادة من نور العقل والوحي معاً.

المطلب الأول: مفهوم التطرف الفكري وأسبابه:

إن التطرف الفكري من الظواهر التي باتت تهدد المجتمعات الحديثة، حيث يؤدي إلى انقسامات حادة في الفكر والسلوك، وقد يتحول في بعض الأحيان إلى ممارسات عنيفة أو رفض للآخر، إن أخطر ما في التطرف الفكري هو تأثيره العميق على الجيل الجديد، إذ يُعاد تشكيل وعيه بناءً على أفكار مغلقة تفتقر إلى المرونة والانفتاح، ومع تطور وسائل الاتصال والانفتاح على العالم الرقمي، أصبح الشباب أكثر عرضةً للتأثر بالأفكار المتطرفة التي تنتشر عبر منصات التواصل الاجتماعي أو الدوائر الفكرية المغلقة، من هنا تأتي أهمية دراسة مفهوم التطرف الفكري وأسبابه، والتمييز بين الالتزام الديني الصحيح والتطرف، لضمان بناء جيل واع قادر على التعامل مع التحديات الفكرية المعاصرة بطريقة متزنة.
-مفهوم التطرف الفكري وأسبابه:

إن التطرف الفكري هو تبني أفكار ومعتقدات متشددة ترفض التنوع والاختلاف، وتؤدي إلى قناعات جامدة لا تقبل الحوار أو المراجعة، ويشمل ذلك جميع الأيديولوجيات التي تميل إلى الغلو في المواقف الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، مما يؤدي إلى تصورات غير واقعية أو متشددة تجاه الآخر، يتميز التطرف الفكري بعدم الاعتراف بالتعددية الفكرية، والانغلاق على رؤية واحدة تُعتبر هي الحق المطلق، مما يخلق حالة من العداء لكل ما هو مختلف.
وهناك العديد من العوامل التي تسهم في نشوء التطرف الفكري، ويمكن تصنيفها إلى دينية واجتماعية وسياسية. من الناحية الدينية، يؤدي الفهم الخاطئ للنصوص المقدسة والاعتماد على تفسيرات مغلوبة إلى خلق قناعات متشددة تدفع الإنسان إلى رفض الآخر والتعامل معه بروح عدائية وفي بعض الحالات، يتم استغلال الدين لأغراض أيديولوجية أو سياسية، مما يزيد من تعقيد المشكلة، أما العوامل الاجتماعية، فتشمل البيئة الأسرية والتعليمية التي ينشأ فيها الفرد، فإذا كانت بيئة مغلقة وغير قائمة على ثقافة الحوار، فإنها قد تدفعه إلى التشدد في آرائه وعدم تقبل الرأي المخالف، كما أن الأوضاع الاقتصادية والفقر والتهميش الاجتماعي قد تجعل الشباب أكثر عرضةً للانجذاب إلى الجماعات المتطرفة التي تقدم لهم وعوداً بالخلاص أو القوة.

وأما العوامل السياسية، فتلعب دوراً رئيسياً في تغذية التطرف الفكري، حيث تؤدي الصراعات السياسية والحروب إلى خلق بيئات خصبة لنشوء الأفكار المتطرفة، الأنظمة القمعية التي تحرم الأفراد من حرية التعبير وتفرض رقابة صارمة على الفكر قد تدفع البعض إلى البحث عن بدائل أكثر تشدداً، خاصة إذا تم التلاعب بالمفاهيم الدينية والسياسية لخدمة أجندات معينة، كما أن ضعف العدالة الاجتماعية وغياب سياسات الاحتواء يجعل

الشباب يشعرون بالإقصاء، مما يسهل استقطابهم من قبل التيارات المتطرفة التي تقدم لهم تفسيرات مريحة للأزمات التي يواجهونها.

-الفرق بين الالتزام الديني الصحيح والتطرف الفكري
ومن الضروري التمييز بين الالتزام الديني الصحيح والتطرف الفكري، لأن الخلط بينهما يؤدي إلى إشكالات كبيرة في فهم الدين والممارسات المرتبطة به الالتزام الديني الصحيح يقوم على الاعتدال والتوازن، ويشمل تطبيق التعاليم الدينية بطريقة متزنة تحترم الآخر وتدعو إلى الحوار والتفاهم، في حين أن التطرف الفكري يركز على الغلو والتشدد، ويرى أن أي انحراف عن رأيه هو ضلال أو كفر أو خيانة.

والالتزام الديني الحقيقي يدعو إلى الرحمة والتسامح والعدالة، ويتبنى فكراً منفتحاً على النقد الذاتي والتطور الفكري في المقابل، يعتمد التطرف الفكري على نظرة أحادية متشددة ترفض الاجتهاد وتعتبر أي خروج عن الفكر المتشدد نوعاً من الانحراف أو الضعف، كما أن الالتزام الديني الصحيح يركز على الأخلاق والقيم الإنسانية، بينما يدفع التطرف الفكري أتباعه إلى الاعتقاد بأنهم في معركة دائمة مع الآخر، مما يؤدي إلى توتر مستمر في العلاقات الاجتماعية والسياسية.

ومعالجة التطرف الفكري تتطلب إعادة النظر في مناهج التعليم الديني، وتعزيز ثقافة الحوار، وتقديم نماذج دينية متوازنة تعكس روح التسامح والانفتاح، كما أن المؤسسات الدينية والاجتماعية يجب أن تعمل على توجيه الجيل الجديد نحو التفكير النقدي والابتعاد عن الجمود الفكري فالتطرف لا ينشأ في فراغ، بل هو نتيجة تفاعل بين عوامل متعددة يمكن معالجتها إذا تم اتخاذ الخطوات المناسبة لضمان بيئة فكرية صحية ومتوازنة.

المطلب الثاني: آثار التطرف الفكري على الجيل الجديد والمجتمع:
إن التطرف الفكري مشكلة تهدد استقرار الأفراد والمجتمعات، حيث يؤثر على الشباب فكرياً ونفسياً، ويمتد تأثيره إلى الأمن والاستقرار الاجتماعي، كما يؤدي إلى تشويه صورة الدين هذه الظاهرة، التي تتفاقم بفعل العوامل السياسية والاجتماعية والإعلامية، تحتاج إلى تحليل عميق لفهم آثارها والتصدي لها بفعالية.

والشباب هم الفئة الأكثر تأثراً بالتطرف الفكري، حيث يعيشون مرحلة بناء الهوية وتشكيل الرؤية للعالم. حين يتبنى الشاب أفكاراً متطرفة، يصبح تفكيره أحادياً، غير قادر على قبول الرأي الآخر، مما يحد من قدرته على التطور والنضج الفكري. الانغلاق العقلي الذي يرافق التطرف يمنع الشاب من التفكير النقدي، فيصبح فريسة سهلة للدعاية المتطرفة التي تقدم له رؤية مشوهة للعالم، حيث يُصنّف الناس بين "مؤمن" و"عدو"، دون أي مساحة للحوار أو التفهم، هذا الفكر المتصلب يخلق حالة من العداء المستمر بين الشاب والمجتمع، ويؤدي إلى فقدانه القدرة على بناء علاقات صحية تقوم على التفاهم والتعاون.

ومن الناحية النفسية، يخلق التطرف لدى الشاب شعوراً زائفاً بالتفوق الأخلاقي والفكري، حيث يعتقد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، مما يجعله يعيش في عزلة شعورية عن الآخرين هذا الشعور بالتفوق قد يتحول إلى عدوانية تجاه المجتمع، حيث يرى أنه محاط بأعداء أو منحرفين يجب تقويمهم بالقوة إضافة إلى ذلك، فإن الانخراط في الفكر المتطرف يؤدي إلى اضطرابات نفسية مثل القلق والاكتئاب، حيث يعيش الشاب في صراع دائم بين الواقع المحيط به والأفكار التي زرعت في عقله كثير من الشباب المتطرفين يعانون من مشاكل

نفسية حادة نتيجة التناقض بين المثاليات التي يروجها الفكر المتطرف والواقع المعقد الذي يعيشونه.

وانعكاسات التطرف الفكري لا تقتصر على الأفراد، بل تمتد إلى المجتمع بأسره، حيث يصبح التطرف مصدراً لعدم الاستقرار والانقسام الداخلي، المجتمعات التي ينتشر فيها الفكر المتطرف تعاني من ضعف النسيج الاجتماعي، حيث تتصاعد التوترات بين مختلف الفئات بسبب النزعة الإقصائية التي يكرسها الفكر المتشدد. التطرف يولد التعصب، والتعصب يؤدي إلى النزاعات، وهذه النزاعات قد تتطور إلى عنف قد يهدد استقرار الدول، كثير من الحروب والصراعات في العالم الحديث كان سببها الأساسي انتشار الفكر المتطرف الذي يقسم المجتمع إلى فئات متناحرة لا يمكنها العيش معاً بسلام.

والأمن المجتمعي من أكثر المجالات التي تتضرر نتيجة انتشار التطرف الفكري، حيث يصبح الأفراد أكثر ميلاً للعنف نتيجة التشبع بأفكار قائمة على رفض الآخر، الجماعات المتطرفة تستغل هذه الأوضاع لتجنيد الشباب وتحويلهم إلى أدوات لتنفيذ أجندها العنيفة، كلما زاد انتشار الفكر المتطرف، زاد تهديد الأمن الداخلي، حيث تصبح المؤسسات الأمنية مضطرة لإنفاق موارد ضخمة لمكافحة الإرهاب والعنف الناتج عن الأفكار المتشددة، بدلاً من التركيز على التنمية وتحقيق الرفاه الاجتماعي.

وإضافة إلى المخاطر الأمنية والاجتماعية، فإن التطرف الفكري يلعب دوراً كبيراً في تشويه صورة الدين، وخاصة الإسلام، حيث يتم استغلاله من قبل بعض الجماعات لتبرير العنف والإقصاء. هذا التشويه لا يؤثر فقط على النظرة العالمية للإسلام، بل يؤدي أيضاً إلى صراعات داخلية بين المسلمين أنفسهم، حيث تنشأ تفسيرات متطرفة للنصوص الدينية تُستخدم كأداة لنشر العنف والانقسام، وسائل الإعلام العالمية تستغل هذه الممارسات لتقديم الإسلام كدين متشدد، مما يزيد من ظاهرة الإسلاموفوبيا، ويؤدي إلى تعرض المسلمين في الغرب للتمييز والعنصرية.

والمشكلة الحقيقية ليست فقط في أن التطرف الفكري يشوه صورة الإسلام، بل في أن هذا التشويه يعزز دائرة الكراهية المتبادلة، حيث يدفع بعض المجتمعات إلى اتخاذ مواقف عدائية تجاه المسلمين، مما يزيد من عزلة الشباب المسلم، ويدفع بعضهم إلى المزيد من التطرف كرد فعل على الاضطهاد الذي يشعرون به، هذه الحلقة المفرغة من العنف المتبادل تجعل من الصعب تحقيق التعايش السلمي، حيث يصبح كل طرف أكثر قناعة بأن الطرف الآخر يشكل تهديداً لوجوده.

ولمواجهة هذه الظاهرة، لا بد من استراتيجية شاملة تعتمد على التعليم والتوعية، حيث يجب تقديم فهم صحيح ومتوازن للدين، بعيداً عن التأويلات المتطرفة التي يتم الترويج لها من قبل بعض الجماعات. كما أن الإعلام له دور كبير في تصحيح الصورة، من خلال تقديم نماذج إيجابية تعكس القيم الحقيقية للإسلام، مثل التسامح والعدالة والانفتاح على الآخر، المؤسسات الدينية والتعليمية يجب أن تتحمل مسؤوليتها في نشر الفكر المعتدل، وتحصين الشباب من الوقوع في براثن التطرف، من خلال تعزيز ثقافة الحوار وتطوير المناهج الدراسية بحيث تشمل تعليماً دينياً قائماً على الفهم العميق للنصوص وليس مجرد الحفظ والتلقين.

وإذا لم يتم التصدي للتطرف الفكري بجدية، فإنه سيستمر في تهديد استقرار المجتمعات، وإعاقة التقدم، وتشويه صورة الدين، بناءً على وعي متزن لدى الجيل الجديد هو الحل الأساسي

لضمان مستقبل أكثر استقراراً، حيث يكون الشباب قادرين على التمييز بين الالتزام الديني الصحيح والتطرف، وبين الدفاع عن الهوية والانغلاق الفكري. المواجهة الحقيقية للتطرف لا تكون بالقوة وحدها، بل بالفكر والتربية وبناء مجتمعات قادرة على احتضان التنوع الفكري والثقافي دون خوف أو عداوة.

المبحث الثاني: دور التعليم الديني الحديث في مواجهة الفكر المتشدد
ويُعَدُّ التعليم الديني من أهم الأدوات في تشكيل وعي الأفراد والمجتمعات، فهو الذي يحدد طريقة فهم الناس لعقيدتهم ونظرتهم إلى الآخر، ويؤثر في مدى قبولهم للاختلاف والتعايش. في ظل التحديات الفكرية التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم، أصبح من الضروري إعادة النظر في أسس التعليم الديني بحيث يكون قادراً على مواجهة الفكر المتشدد، وغرس قيم الوسطية والاعتدال، وتحصين الشباب من الانجراف وراء الأفكار المتطرفة. والتعليم الديني الحديث لا يعني التخلي عن التراث أو القيم الإسلامية، بل يقوم على تقديم الفهم الصحيح للنصوص الدينية، بعيداً عن التأويلات المتشددة التي تؤدي إلى العنف والانغلاق. في هذا السياق، تلعب المصادر الإسلامية الرئيسية، كالمصحف الشريف والسنة النبوية، دوراً رئيسياً في بناء الفكر الوسطي، كما أن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) قدمت نموذجاً فريداً في مواجهة الغلو والتشدد، مما يجعل رؤيتهم مصدراً هاماً في تصحيح المفاهيم الخاطئة المنتشرة في بعض المناهج الدينية.

-أسس التعليم الديني في بناء الفكر الوسطي
إن التعليم الديني الوسطي يقوم على مجموعة من الأسس التي تجعله قادراً على مواجهة التطرف الفكري، ومن أهم هذه الأسس الفهم العميق للنصوص الدينية، حيث يجب أن يُقدَّم الدين للشباب بطريقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فلا يكون جامداً منفصلاً عن الواقع، ولا متساهلاً يفرغ الدين من قيمه يجب أن يكون التعليم الديني قائماً على دراسة متكاملة تشمل القرآن والسنة، إلى جانب الاستفادة من الفكر العقلي والفلسفي الذي يساعد على التفسير الصحيح للأحكام والمفاهيم الإسلامية.

ومن الأسس المهمة أيضاً، تعزيز ثقافة الحوار وقبول الآخر، حيث يجب أن تركز المناهج الدينية على مفاهيم التسامح، والتعددية الفكرية، واحترام الاختلافات، بدلاً من التركيز على الجوانب الجدلية التي تعمق الخلافات بين المسلمين أنفسهم وبين الآخرين. كما أن بناء الفكر الوسطي يتطلب أن يكون التعليم الديني منفتحاً على العلوم الحديثة، فلا يكون الدين في عزلة عن التطورات العلمية والفكرية، لأن هذا الانفصال هو أحد أسباب نشوء الفكر المتطرف الذي يرى أن كل ما هو حديث يجب رفضه أو مواجهته.

- دور القرآن الكريم والسنة النبوية في ترسيخ الاعتدال
إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو يقدم رؤية متوازنة للحياة تقوم على الاعتدال في العقيدة والسلوك. يرفض القرآن الغلو بجميع أشكاله، ويدعو إلى التعامل بالحكمة والموعظة الحسنة، كما يقول تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"¹، هذه الوسطية تشمل جميع جوانب الحياة، سواء في الاعتقاد أو في العلاقات الاجتماعية أو في المعاملات.

وأما السنة النبوية، فهي ترجمة عملية لمفاهيم الاعتدال التي دعا إليها القرآن، فقد كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) مثلاً في التسامح والتوازن، وحارب التشدد في الدين، كما جاء في حديثه: "سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة فقال: الغلاة كفار والمفوضة مشركون من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج منهم أو آمنهم أو اتئمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله (ص) وولايتنا أهل البيت".¹، هذا التوجيه النبوي يؤكد أن أي فكر متطرف لا يعبر عن جوهر الإسلام، بل هو انحراف عنه.

وإدراج هذه القيم القرآنية والنبوية في المناهج الدينية هو السبيل لترسيخ الاعتدال في وعي الشباب، بحيث يتعلمون الإسلام من منابعه الأصلية، وليس من التفسيرات التي تحمل أبعاداً سياسية أو طائفية، التعليم الديني الذي يعتمد على القرآن والسنة يجب أن يكون قادراً على تفكيك المفاهيم المغلوطة التي تروج لها الجماعات المتطرفة، مثل فكرة "الولاء والبراء" التي يتم استخدامها لإقصاء الآخر، أو فكرة "الحاكمية" التي تبرر العنف ضد المخالفين.

- رؤية أهل البيت (عليهم السلام) في محاربة الغلو والتشدد:
وقدّم أهل البيت (عليهم السلام) نموذجاً راقياً في كيفية مواجهة الغلو والتشدد الفكري والديني، فقد أكدوا دائماً على أن الإسلام دين رحمة، وليس ديناً قائماً على الإكراه والعنف، الإمام علي (عليه السلام) حارب الخوارج الذين كانوا يمثلون أول نموذج للتطرف في الإسلام، لكنه تعامل معهم بالحوار أولاً، ولم يلجأ إلى القوة إلا بعد أن بدأوا في استخدام العنف ضد المجتمع.

ووقد وصفهم كالآتي: (لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا، فبدأنا بهم، إلا أن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبارين ملوكاً، ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً، ودعوا ذكر الخوارج..)².

والإمام الصادق (عليه السلام) كان له دور كبير في مواجهة الفكر التكفيري في عصره من ناحية الصناعة الموجودة له والتي تميل بالتفكير إليه لذا قال سلام الله عليه: "أنّ علياً (ع) كان يقول لأهل حربه، أنا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكن رأينا أنّا على حق ورأوا أنّهم على حق"³،

حيث ركّز على نشر العلم والفكر المستنير، وكان يحث أتباعه على الالتزام بالأخلاق الحسنة، حتى في التعامل مع المخالفين، كما رفض الإمام الباقر (عليه السلام) التشدد الديني، ودعا إلى فهم الدين وفق مبادئ العقل والمنطق، وليس وفق العواطف المتطرفة. والتعليم الديني الحديث يمكن أن يستفيد كثيراً من رؤية أهل البيت (عليهم السلام) في مواجهة التشدد، من خلال التركيز على الجانب الأخلاقي في الدين، وتقديم صورة الإسلام كدين يدعو إلى العدالة والمساواة، وليس كأداة للسيطرة أو القمع.

1 - الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (ع): 219/2، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي.

2 - ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة (بيروت): 166/1، الناشر: دار الاضواء - بيروت، تحقيق: محقق / مصحح: شبيري، علي، الطبعة: الأولى.

3 - الحميري القمي، قرب الإسناد: 93، سنة الطبع: ١٤١٣، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - قم، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الطبعة: الأولى.

ولابد أن يتم تدريس فكر أهل البيت (عليهم السلام) في المناهج الدينية بطريقة تبرز دورهم في ترسيخ الاعتدال، وليس من خلال رؤى طائفية تؤدي إلى مزيد من الانقسام داخل الأمة الإسلامية.

- تأثير المناهج الدينية الصحيحة في بناء وعي الشباب:
إن المناهج الدينية لها دور حاسم في تشكيل وعي الشباب، فإذا كانت هذه المناهج متوازنة، فإنها تخلق جيلاً من المسلمين القادرين على فهم دينهم بطريقة صحيحة، بعيداً عن التطرف والانغلاق. أما إذا كانت المناهج تركز على الجوانب الجدلية والخلافية، فإنها تصبح وسيلة لتغذية الفكر المتشدد، بدلاً من محاربته.¹

ومن أهم معايير نجاح المناهج الدينية في بناء الوعي الصحيح أن تكون شاملة، بحيث تتناول جميع جوانب الإسلام، من العقيدة إلى الأخلاق، ومن الفقه إلى الفكر الاجتماعي. كما يجب أن تكون المناهج مبنية على أسس علمية، بحيث يتم تدريسها بطريقة تحليلية، وليس مجرد حفظ للنصوص دون فهم.

والتعليم الديني يجب أن يكون أيضاً متفاعلاً مع الواقع، بحيث يتناول القضايا المعاصرة مثل العولمة، وحقوق الإنسان، ودور المرأة في المجتمع، والتحديات الفكرية التي يواجهها الشباب في عصر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي مع البيان القانوني الذي سيترتب على عاتق كل من يذهب لهذه أمور²، كثير من الشباب يقعون في التطرف لأنهم لا يجدون في التعليم الديني إجابات واضحة على الأسئلة التي يطرحها العصر الحديث، مما يجعلهم يلجؤون إلى مصادر أخرى قد تكون متطرفة أو منحرفة.³

ولذا يمكن القول إن التعليم الديني الحديث هو أحد أقوى الأسلحة في مواجهة الفكر المتشدد، لكنه يحتاج إلى تطوير مستمر، بحيث يكون قادراً على تقديم رؤية متوازنة للإسلام، تعكس جوهره القائم على الوسطية والرحمة، وتساعد الشباب على بناء وعي ناضج يحميهم من الوقوع في فخ التطرف والانغلاق الفكري.

المطلب الثاني: استراتيجيات تطوير التعليم الديني لمواجهة التطرف.

- دور التعليم الديني في مواجهة الفكر المتشدد: أهمية الوسطية في بناء الفكر الديني الشاب:
وفي عالمنا المعاصر، حيث تتزايد الأيديولوجيات المتطرفة والمواقف المتشددة على الصعيدين الديني والسياسي، أصبح من الضروري إعادة التفكير في طرق التعليم الديني التي توجه الأجيال الجديدة نحو فهم معتدل للإسلام. الفكر المتشدد لا يقتصر على مجال واحد، بل يطال كل مجالات الحياة، من التفسير الديني إلى السياسة الاجتماعية، وغالباً ما تكون نتائج هذا التطرف مدمرة للمجتمعات. في هذا السياق، يعتبر التعليم الديني الأداة الأكثر فاعلية في مواجهة هذه الظاهرة، من خلال بناء فكر ديني معتدل قائم على مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية، ونظرة أهل البيت (عليهم السلام) للمجتمع والإسلام.

- أسس التعليم الديني في بناء الفكر الوسطي

1 - موقع جامعة البصرة، التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالاتجاه نحو التطرف لدى طلبة الجامعة (أ.د. مائدة مردان محي الطعان جامعة البصرة/كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي).

2 - موقع الجامعة المستنصرية، ندوة علمية في الجامعة المستنصرية عن دور القانون في مواجهة التطرف الفكري.

3 - موقع مجلة المصرية لبحوث والاعلام، مواقع التواصل الاجتماعي والتطرف الفكري، دراسة على عينة من طلبة جامعة الكويت: د. فاطمة سالم.

والتعليم الديني، كأداة لتشكيل الهوية الإسلامية، يعتمد على أسس متعددة تساعد في بناء فكر معتدل وواع. أول هذه الأسس هو الفهم الصحيح والموضوعي للنصوص الدينية. الإسلام دين يرفض التشدد ويدعو إلى الاعتدال في جميع مجالات الحياة، كما جاء في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"¹، تشير هذه الآية إلى أن الأمة الإسلامية يجب أن تكون وسطاً بين التطرف والتساهل، وهذا المبدأ يمثل جوهر التعليم الديني الصحيح.

ومن الأسس الهامة أيضاً، ضرورة التفريق بين الفهم العميق والتفسير السطحي للنصوص. في كثير من الأحيان، يُساء فهم القرآن الكريم أو الحديث النبوي بسبب تفسيرات مبسطة أو انتقائية، مما يساهم في نشر الفكر المتشدد. لهذا، يعد تعليم الطلاب كيفية التعامل مع النصوص الدينية بعقلية منفتحة ونقدية أمراً أساسياً. على سبيل المثال، الحديث النبوي: "إياكم والغلو في الدين"²، يجب أن يُفهم على أنه تحذير من التفریط في تقديس الأمور الدينية، وتأكيد على ضرورة الاعتدال والوسطية.

- دور القرآن الكريم والسنة النبوية في ترسيخ الاعتدال:

إن القرآن الكريم والسنة النبوية يشكلان الأساس الذي يبنى عليه الفكر الإسلامي المعتدل. في القرآن الكريم، نجد العديد من الآيات التي تدعو إلى الوسطية والاعتدال في الحياة. على سبيل المثال، يقول الله تعالى: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ"³، وهي دعوة واضحة للابتعاد عن الطرق المتطرفة التي تفرق بين المسلمين. في هذا السياق، يمكن للتعليم الديني أن يركز على تربية الشباب على فهم هذه الدعوات القرآنية التي تدعونا للتوازن والاعتدال.

وأما في السنة النبوية، فقد ورد العديد من الأحاديث التي تحث على الاعتدال وتجنب الغلو، على سبيل المثال، ورد عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله): "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"⁴، هذا الحديث يحث على أخذ الدين برفق ويسر، مما يعزز فكرة أن الدين ليس عبئاً ثقیلاً بل طريقاً يسيراً للسلامة والفلاح.

- رؤية أهل البيت (عليهم السلام) في محاربة الغلو والتشدد:

إن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا من أبرز الشخصيات التي حاربت الفكر المتطرف، وظهر ذلك في مواقفهم العديدة التي دعت إلى الاعتدال والتسامح، على سبيل المثال في عصر الإمام علي (عليه السلام)، كانت هناك جماعات متشددة مثل الخوارج الذين رفعوا شعار "لا حكم إلا لله"⁵، وتسببوا في انقسام الأمة الإسلامية، ورغم أن هؤلاء الخوارج كان لديهم آراء متطرفة، إلا أن الإمام علي (عليه السلام) لم يلجأ إلى العنف إلا بعد أن بدأوا في محاربة المسلمين قبل ذلك، تعامل معهم بالحوار، وأوضح لهم وجهة نظره في السياسة الشرعية والإسلام.

1 - البقرة: 143.

2 - ابن شعبة الحارثي، تحف العقول عن آل الرسول (ص): 104، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش، الناشر: الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية.

3 - الانعام: 153.

4 - الشريف الرضي، المجازات النبوية: 261، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي - قم، تحقيق وشرح: طه محمد الزبيني.

5 - ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين: 517، سنة الطبع: ١٣٨٢، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثانية.

والإمام الحسين (عليه السلام) كان أيضاً من أبرز المدافعين عن الوسطية في الإسلام، حيث رفض كافة أشكال التشدد والظلم في معركة كربلاء، كان موقفه في كربلاء تجسيدا عملياً لفكر الاعتدال، حيث رفض أن يكون جزءاً من النظام المتشدد والظالم الذي كان يحاول فرضه يزيد بن معاوية، الإمام الحسين (عليه السلام) واجه التشدد ليس بالعنف، بل بالصمود والتضحية في سبيل المبادئ، مؤكداً أن الإسلام هو دين العدالة والتسامح.

- تأثير المناهج الدينية الصحيحة في بناء وعي الشباب
ومن أهم الأدوات في مواجهة الفكر المتشدد هي المناهج الدينية التي تقدم للطلاب فهماً صحيحاً ومعتدلاً للإسلام، المناهج التي تركز على الفهم العميق للنصوص الدينية، وتعزز من مفاهيم التسامح والتعايش، لها تأثير كبير في بناء وعي الشباب، على سبيل المثال، المناهج الورشة مع مطالبات بكتابات واء مما تعلم الطلاب كيفية التفريق بين النصوص التي تدعو إلى التسامح والرحمة وتلك التي يمكن أن تفسر بطريقة متشددة، تساعد في تربية جيل قادر على فهم الإسلام بشكل صحيح.¹

وفي هذا السياق، يجب أن تتضمن المناهج الدينية تعليماً مستمراً ونشراً كثيفاً حول كيفية التعاطي مع التحديات المعاصرة، مثل قضايا حقوق الإنسان، والتعددية الثقافية، مثلما حدث في تصريحات الرئيس الفرنسي ماكرون بين دعوى حرية التعبير ولعبة الاسلاموفوبيا إذ غزة العالم والوطن العربي، ولذا علينا مع الشباب إن يتعلمون أن الإسلام هو دين يرفض الظلم والعنف، ويؤمن بحق الإنسان في الاختلاف، يصبحون أقل عرضة للتأثر بالأيديولوجيات المتشددة.²

وإحدى المواقف المهمة التي توضح تأثير المناهج الدينية الصحيحة، هي تجربة بعض الدول التي اعتمدت مناهج تعليمية تجمع بين الأصالة والمعاصرة في تلك الدول، تم استخدام التعليم الديني لمكافحة الفكر المتشدد، حيث تم تطوير برامج تعليمية تقوم على الوسطية، وزيادة فهم الشباب للمفاهيم الدينية الحقيقية، هذه البرامج كان لها تأثير إيجابي في تقليص ظاهرة التطرف في تلك المجتمعات، وتحقيق التوازن بين التمسك بالهوية الدينية والانفتاح على العالم الحديث.

وإن التعليم الديني الحديث يحمل في طياته القدرة على بناء جيل معتدل قادر على مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة، من خلال استثمار الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية، واستلهم رؤية أهل البيت (عليهم السلام) في محاربة الغلو والتشدد ودور وتأثير أصحابهم الخالص وهو موضوع مغيب، ويمكن من خلالها للمناهج الدينية أن تسهم في بناء مجتمع إسلامي يسعى إلى التفاهم والود ما بينهم وأكثر نضوجاً، ولذا إن تعزيز هذه القيم في نفوس الشباب يعد الخطوة الأساسية نحو بناء عالم خالٍ من العنف والتطرف، ومجتمع يحترم التنوع والتعددية، ويعيش وفقاً لمبادئ الإسلام الحقيقية.

1 - موقع جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الصرفة تقيم ندوة عن التطرف والإرهاب واثرها على حقوق الانسان، يونيو 23، 2021.

2 - موقع الدراسات الاستراتيجية جامعة كربلاء، تصريحات الرئيس الفرنسي ماكرون بين دعوى حرية التعبير ولعبة الاسلاموفوبيا، بقلم: ا.د. سامر مؤيد عبد اللطيف.

الخاتمة

نجد أن التطرف الفكري، بجميع أشكاله، يشكل تهديداً حقيقياً للمجتمعات الإنسانية، خصوصاً في ظل التحديات المعاصرة التي يواجهها الجيل الجديد. وقد بيّن البحث أن التعليم الديني الحديث يمثل أحد أهم الأدوات لمواجهة هذا الفكر المتشدد، إذا تم توجيهه نحو ترسيخ القيم الإسلامية المعتدلة التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية، وخاصة تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) التي تركز على الوسطية، الرحمة، والتسامح.

ولقد أكدت الدراسة على ضرورة تطوير المناهج التعليمية الدينية لتواكب متطلبات العصر، بحيث تكون قادرة على تمكين الشباب من التفكير النقدي والتحليلي، ومساعدتهم على التمييز بين الحق والباطل في زمن تتعدد فيه الآراء وتختلف فيه التأويلات، ويجب أن يشمل التعليم الديني على مبادئ علمية واضحة وقيم أخلاقية سامية تساهم في بناء شخصية متوازنة، قادرة على مقاومة الانحرافات الفكرية.

وإن دور المؤسسات التعليمية والدينية في هذا السياق لا يقتصر على نقل المعارف فقط، بل يتعداه إلى إعداد جيل قادر على مواجهة التطرف بفكر ناضج ورؤية متبصرة، ويسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، الفكري، والسياسي. وفي هذا الصدد، يأتي التعليم الديني الحديث كحائط صد أمام الفكر المتشدد، إذ يعمل على تحصين الجيل الجديد وتعزيز قيم الاعتدال والوسطية، مما يجعل هذا الجيل أكثر قدرة على التفاعل مع التحديات الفكرية المعاصرة بشكلٍ بناء، بعيداً عن العنف والانغلاق.

ويجب أن نؤكد على أهمية تكامل الجهود بين الأسرة، المدرسة، والمؤسسات الدينية، لتشكيل بيئة تعليمية متكاملة، تُعنى بتربية الشباب على الفكر الوسطي، وتُعزز من فهمهم الصحيح للإسلام، بما يعزز من قدرتهم على مقاومة التطرف ويسهم في بناء مجتمع تسوده قيم العدل والسلام.

النتائج

1. عراقة التاريخ العراقي بالحضارة تُعدّ من الركائز الأساسية لهوية البلاد، إلا أن تغييبها عن وعي الشباب يؤدي إلى ضعف ارتباطهم بجذورهم الثقافية والحضارية. هذا الضعف ينعكس سلباً على معرفتهم بالقيم والمبادئ التي شكلت تاريخ وطنهم، مما يجعلهم أكثر عرضة للأفكار الدخيلة والمتطرفة. فغياب الوعي بالتاريخ الحضاري يخلق فراغاً فكرياً تستغله التيارات المتطرفة لزرع أفكارها، مستغلة انعدام البدائل الفكرية الراسخة. لذا، فإن تعزيز الوعي بتاريخ العراق وحضارته العريقة يُعدّ ضرورة لمواجهة الفكر المتطرف وترسيخ الانتماء الوطني.

2. ميل الشباب إلى الانطواء والعزلة يعدّ ظاهرة خطيرة تؤثر على نموهم الفكري والاجتماعي، حيث يؤدي اعتكافهم عن المشاركة في الحوارات المعرفية والأدبية إلى ضعف مهاراتهم في التفاعل والتعامل مع الآخرين. هذا الضعف يجعلهم أكثر عرضة للتأثر بالأفكار الدخيلة، سواء داخل المجتمع أو عبر المنصات الإلكترونية، مما يسهل استدراجهم إلى توجهات فكرية منحرفة. كما أن العزلة تقلل من فرصهم في الاستفادة من تجارب الآخرين وتصحيح مفاهيمهم الخاطئة من خلال الحوار والنقاش. لذا، فإن تعزيز ثقافة التواصل

والمشاركة الفكرية بين الشباب ضرورة ملحة لحمايتهم من التأثير بالأفكار الهدامة وتعزيز وعيهم المجتمعي.

3. تُقام في الجامعات ندوات وورش عمل لا بأس بها، لكنها لا تزال بحاجة إلى تطوير لتصبح أكثر تأثيراً في الواقع المعاصر ولتحقيق ذلك، يجب تكثيف نشرها والترويج لها بشكل واسع لضمان وصولها إلى أكبر عدد من الطلاب وكما أن تعزيز دور الاستكتاب الطلابي يُعدّ عنصراً مهماً في جذب الشباب وإشراكهم بفعالية، حيث يساهم في ترسيخ المفاهيم الفكرية لديهم إضافةً إلى ذلك، فإن التعاون مع المؤسسات الدينية يمكن أن يضيف بعداً أعمق على هذه الفعاليات، مما يساعد في توجيهها نحو معالجة القضايا الراهنة بأسلوب متوازن وواع.

4. تعزيز التربية على الرحمة والتسامح: يجب غرس قيم الرحمة والتسامح في الأطفال منذ الصغر، من خلال توجيههم لفهم الدين باعتباره رسالة محبة وسلام. يتم ذلك عبر تعليمهم قصص الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام) التي تجسد العدل والتعاضد مع الآخرين. كما ينبغي تعزيز مهارات الحوار وتقبل الاختلاف، وتوجيههم إلى مصادر المعرفة الدينية المعتدلة بالإضافة إلى ذلك، يلعب الوالدان والمعلمون دوراً أساسياً في تصحيح المفاهيم الخاطئة وترسيخ التفكير النقدي، مما يساهم في تحصينهم من الأفكار المتطرفة.

5. البناء العقدي الصحيح مانع من التطرف: يُعدّ تأسيس العقيدة الصحيحة منذ الصغر من أقوى العوامل في تحصين الجيل من الفكر المتطرف، إذ يمنحهم فهماً متيناً للدين قائماً على الوسطية والاعتدال، يعتمد ذلك على تعليمهم العقائد بأسلوب يعزز الوعي، والتدبر، والفهم العميق للنصوص، بعيداً عن الجمود والانغلاق، كما يجب ربط العقيدة بالقيم الأخلاقية كالتسامح والرحمة، مما يجعلها حصناً فكرياً يحول دون الانحراف نحو الغلو أو التطرف ويلعب الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والعلماء المعتدلون دوراً محورياً في تحقيق هذا البناء العقدي المتوازن.

6. المراقبة التربوية والتواصل بين الأسرة والمدرسة لتحصين الجيل: تلعب المراقبة التربوية من العائلة دوراً أساسياً في حماية الأبناء من التأثير بالأفكار المتطرفة، وذلك من خلال المتابعة المستمرة لسلوكهم، واهتماماتهم، والمحتوى الذي يتعرضون له. يجب أن تكون هذه المراقبة مبنية على الحوار والثقة بدلاً من التسلط، بحيث يشعر الطفل بالأمان لمناقشة أفكاره دون خوف.

من جهة أخرى، التواصل المستمر بين المدرسة والأسرة يعزز هذا التحصين، حيث يساعد في كشف أي تغيرات فكرية أو سلوكية مبكرة. ينبغي أن يكون هذا التواصل تصاعدياً وفق مراحل النمو، بحيث تتكيف أساليب المراقبة والتوجيه مع المرحلة العمرية، بدءاً من المرحلة الابتدائية لترسيخ المبادئ الأساسية، مروراً بالمراهقة التي تحتاج إلى نقاش أعمق، وصولاً إلى الشباب حيث يجب التركيز على التوعية الفكرية وتعزيز المسؤولية الفردية.

7. التطرف الفكري يشكل تهديداً للأمن الاجتماعي: من خلال ما تم استعراضه في هذا البحث، يتبين أن التطرف الفكري يمثل خطراً حقيقياً على وحدة المجتمعات واستقرارها، خاصة عندما يتم استغلال الدين لأغراض سياسية أو شخصية، يؤثر التطرف بشكل سلبي على الجيل الجديد، حيث يمكن أن يؤدي إلى تشتت فكرهم وتشويش رؤيتهم للدين، مما يعرضهم للانحرافات الفكرية والعنف.

8. التعليم الديني الحديث أداة فعالة في مواجهة الفكر المتشدد:

النتيجة الرئيسية التي تم التوصل إليها هي أن التعليم الديني الحديث، إذا تم تطويره وتنظيمه بشكل يتماشى مع متطلبات العصر، يمكن أن يكون من أقوى الأدوات في مواجهة الفكر المتشدد. من خلال تأصيل القيم الإسلامية المعتدلة المستندة إلى القرآن الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام)، يمكن لهذا النوع من التعليم أن يعزز من القدرة على التفكير النقدي ويصنع توازناً فكرياً بين الشباب.

9. دور تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) في تعزيز الوسطية:
كما تم التأكيد في البحث، فإن الفكر الإسلامي الذي يقدمه أهل البيت (عليهم السلام) يمثل نموذجاً مثالياً للتوازن الفكري والاعتدال. فقد كان لهم دور أساسي في نشر مفاهيم الإسلام بعيداً عن التشدد والغلو، وهذا يمكن أن يكون مرشداً رئيسياً في المناهج التعليمية الحديثة التي يجب أن تُعنى بتعليم الجيل الجديد قيم الاعتدال والسلام.

10. ضرورة تحديث المناهج الدينية:
من النتائج الهامة التي تم الوصول إليها هي ضرورة تحديث المناهج الدينية لتواكب العصر، وتقديمها بأسلوب يتناسب مع متطلبات الجيل الجديد، بحيث تكون قادرة على تصحيح المفاهيم المغلوطة وتوعية الشباب بمخاطر التطرف. لا بد من تكامل المعرفة الدينية مع العلوم الحديثة لتزويد الشباب بقدرة عقلية وتحليلية تمكنهم من التصدي للأفكار المتشددة.

11. دور المؤسسات التعليمية والدينية في التحصين ضد التطرف:
تؤكد النتائج على أن المؤسسات التعليمية والدينية تلعب دوراً أساسياً في مواجهة التطرف الفكري من خلال توفير بيئة تعليمية تشجع على الحوار المفتوح، وتُعزز من قيم التسامح والتفاهم. كما أن هذه المؤسسات مسؤولة عن تطوير برامج تعليمية تهدف إلى تعزيز المعرفة الدينية السليمة والوعي الثقافي، مما يجعل الجيل الجديد قادراً على التفاعل إيجابياً مع قضايا العصر وتحدياته.

12. الضرورة الملحة لتكامل الجهود المجتمعية:
النتيجة الأخيرة التي يمكن استخلاصها هي أن مواجهة التطرف تتطلب جهوداً متكاملة بين الأسرة، المدرسة، والمؤسسات الدينية. فعندما تتعاون هذه الجهات بشكل فعال، يمكنها بناء جيل واع قادر على مقاومة الفكر المتشدد، مما يعزز من استقرار المجتمع ويدعم الوحدة الوطنية في مواجهة أي تهديدات فكرية قد تطرأ.

إذن، يُظهر البحث أن التعليم الديني الحديث يمثل أداة حيوية في مواجهة الفكر المتشدد، وهو يتطلب تحديثاً مستمراً وإعادة بناء للمناهج بما يتماشى مع الواقع المعاصر، ويراعي التنوع الفكري والتحديات الراهنة.

التوصيات

1. تطوير المناهج الدينية لتشمل الفكر المعتدل:
يجب على المؤسسات التعليمية والدينية تحديث المناهج الدينية بحيث تركز على الفكر المعتدل والوسطية، وتستند إلى تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام). يجب أن تركز المناهج على تربية الجيل الجديد على التفكير النقدي والتدبر، بعيداً عن التعصب والانغلاق الفكري.

2. تعزيز برامج التوعية الدينية الشاملة:

ينبغي إطلاق برامج توعية دينية شاملة على مستوى المدارس والجامعات، تركز على قيم التسامح والاعتدال في الإسلام، وتشرح بشكل علمي صحيح أسباب ظهور التطرف وأضراره على الفرد والمجتمع. يمكن أن تشمل هذه البرامج ورش عمل ومحاضرات وندوات لتعريف الشباب بمخاطر الفكر المتشدد وكيفية التصدي له.

3. استخدام التكنولوجيا ووسائل الإعلام في نشر الفكر المعتدل:

من الضروري أن تتبنى المؤسسات الدينية التعليمية استخدام وسائل الإعلام الحديثة والتكنولوجيا كأدوات فعالة لنشر الفكر الإسلامي المعتدل، يجب تطوير منصات تعليمية عبر الإنترنت، قنوات يوتيوب، ووسائل التواصل الاجتماعي لنشر محتوى ديني موجه للجيل الجديد، مما يتيح لهم الوصول إلى فكر ديني صحيح بعيد عن التحريف والتشويه.

4. تعزيز دور الأسرة في توجيه الأبناء:

على الأسرة أن تلعب دوراً محورياً في تربية الأبناء على القيم الدينية الوسطية وتعليمهم كيفية التمييز بين الحق والباطل والابتعاد عن المسلسلات التي تشجع على العنف. لذا يمكن من خلال برامج توجيهية للأسرة، تقديم إرشادات واضحة بشأن كيفية التعامل مع القضايا الدينية والفكرية المعقدة، وكذلك كيفية تحصين الأبناء من الأفكار المتشددة.

5. تشجيع الحوار بين الأديان والثقافات:

من المهم تشجيع ثقافة الحوار بين الأديان والثقافات المختلفة في المدارس والجامعات. يمكن أن يساهم هذا في تعزيز فهم الشباب لقيم التعايش المشترك، والتسامح، والاعتدال، وبالتالي يقلل من تأثير الفكر المتشدد الذي يعتمد على إقصاء الآخرين.

6. إعداد الكوادر التعليمية الدينية بشكل مستمر:

يجب على المؤسسات الدينية التعليمية تكثيف برامج تدريب وتأهيل الكوادر التعليمية لتكون مؤهلة للتعامل مع قضايا التطرف الديني بشكل علمي وموضوعي. ينبغي أن تكون هذه البرامج موجهة لتحسين مهارات التدريس وتعزيز قدرات المعلمين على تحفيز الطلاب على التفكير النقدي والاعتدال في التعامل مع الأفكار الدينية.

7. إنشاء مراكز أبحاث ودراسات فكرية متخصصة في مواجهة التطرف:

يجب إنشاء مراكز أبحاث ودراسات فكرية تركز على دراسة أسباب التطرف الفكري والعوامل المؤدية إليه، وكذلك تطوير استراتيجيات فعالة لمواجهته. يمكن لهذه المراكز أن تكون منصة للتعاون بين الأكاديميين، رجال الدين، والمثقفين لمناقشة أساليب جديدة في تعزيز التعليم الديني والحد من الفكر المتشدد.

8. تشجيع الطلاب على المشاركة في الأنشطة الثقافية والاجتماعية:

من الضروري تشجيع الشباب على المشاركة في الأنشطة الثقافية والاجتماعية التي تعزز من قيم التعاون والتسامح. المشاركة في هذه الأنشطة تمنح الشباب الفرصة لتطوير مهاراتهم الشخصية والاجتماعية، وتساعدهم على بناء شبكة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل والتفاهم.

المصادر

1. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (ع): 219/2، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، تحقيق تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي.
2. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة (بيروت): 166/1، الناشر: دار الاضواء - بيروت، تحقيق محقق / مصحح: شيرى، على، الطبعة: الأولى.
3. الحميري القمي، قرب الاسناد: 93، سنة الطبع: ١٤١٣، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - قم، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الطبعة: الأولى.
4. موقع جامعة البصرة، التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقتها بالاتجاه نحو التطرف لدى طلبة الجامعة (أ.د مائدة مردان محي الطعان جامعة البصرة/كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي).
5. موقع الجامعة المستنصرية، ندوة علمية في الجامعة المستنصرية عن دور القانون في مواجهة التطرف الفكري.
6. موقع مجلة المصرية لبحوث والاعلام، مواقع التواصل الاجتماعي والتطرف الفكري، دراسة على عينة من طلبة جامعة الكويت: د. فاطمة سالم.
7. ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول (ص): 104، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش، الناشر: الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية.
8. الشريف الرضي، المجازات النبوية: 261، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي - قم، تحقيق تحقيق وشرح: طه محمد الزيتي.
9. ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين: 517، سنة الطبع: ١٣٨٢، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة، تحقيق تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثانية.
10. موقع جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الصرفة تقيم ندوة عن التطرف والإرهاب واثرها على حقوق الانسان، يونيو 23، 2021.
11. موقع الدراسات الاستراتيجية جامعة كربلاء، تصريحات الرئيس الفرنسي ماكرون بين دعوى حرية التعبير ولعبة الاسلاموفوبيا، بقلم: ا.د. سامر مؤيد عبد اللطيف.

نبذ التطرف في ضوء الثقافة الإسلامية: وسطية الإسلام وتسامحه نموذجا

د. أنس بوسلام

anassbou352@gmail.com

مفتش تربوي، وحاصل على درجة الدكتوراه، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء

– المغرب

الكلمات المفتاحية: الوسطية، التسامح، التطرف الفكري

الملخص

ينطلق البحث من التساؤل المركزي الآتي: كيف يمكن أن تكون الوسطية والتسامح سبيلين لمواجهة التطرف الفكري؟ ومن أجل معالجة هذا التساؤل استعرضنا مختلف المعاني والقيم المرتبطة بالوسطية والتي تصب بالضرورة في نطاق مواجهة الإرهاب والتطرف الفكري مثل العدل والاستقامة والأمان والوسطية في العقيدة والشريعة، كما وضحنا مختلف العناصر والجوانب المتعلقة بالتسامح والتي لها علاقة مباشرة بمواجهة الإرهاب والتطرف الفكري باعتبار الإسلام مصدقا للديانات السماوية ومكملا وخاتما لها وضامنا لحرية العقيدة ونموذجا يحتذى في تنظيم العلاقة مع غير الآخرين.

Dr. Anass Boussalam

Educational inspector, and holds a doctorate from Hassan II

University, Casablanca - Morocco

anassbou352@gmail.com

Abstract:

The research starts from the following central question: How can moderation and tolerance be ways to confront terrorism and intellectual extremism? In order to address this question, we reviewed the various meanings and values associated with moderation, which necessarily fall within the scope of confronting terrorism and intellectual extremism, such as justice, integrity, safety, and moderation in doctrine, and Sharia. We also explained the various elements and aspects related to tolerance that have a direct relationship to confronting terrorism and intellectual extremism, considering Islam as a confirmation of the heavenly religions. It is a complement and conclusion to it, a guarantor of freedom of belief, and a role model in regulating the relationship with the others.

Keywords: moderation, tolerance, intellectual extremism.

مقدمة

إن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال والتسامح في كل شيء، وفي سائر العلاقات، في العبادات والعادات والمعاملات، وفي سائر الأحوال، والوسطية هي منهج رباني راق يؤسس لكافة العلاقات على مبدأ التوازن والاعتدال. ولهذا، فإن هذا المفهوم يختزن دلالات ومعاني عديدة إن تأملنا فيها سنجد أن استحضارها يعد أحد أهم الوسائل لمجابهة الإرهاب والتطرف الفكري، ومن هذه المعاني والقيم العدل والاستقامة والأمان والخيرية والبيئية والوسطية في العقيدة والشرعية والدعوة.

مما لا شك فيه أن عهد النبوة والخلافة الراشدة يعد المرحلة التأسيسية سواء من الناحية الدينية أو التاريخية أو حتى القانونية لقيمة التسامح في إطار المنظومة الإسلامية والتي يعتبر استلزامها والعمل بها آلية أساسية لمواجهة الإرهاب والتطرف الفكري، لذلك ارتأينا تقديم أهم القضايا المرتبطة بهذه القيمة خلال الفترة المذكورة، وهي قضايا تتعلق بموقف الإسلام من الديانات السماوية السابقة، وحرية العقيدة لأهل الكتاب، ومسألة التسامح زمن الدعوة والفتوحات، وكذا تنظيم العلاقة مع غير المسلمين، والبر بالغير، وتنظيم الأحوال الشخصية لأهل الكتاب، وإشكالية الجزية.

وقد ارتكزنا في البحث على المنهج التاريخي المستند إلى تعريف الحدث فنتفسيره ثم تركيب الخلاصات والاستنتاجات، كما اعتمدنا المنهج التحليلي، باعتباره منهجا يقوم على تجزيء الظاهرة أو المشكلة البحثية إلى العناصر الأولية التي تشكلها وذلك بغية تسهيل عملية الدراسة، وبلوغ العوامل والظروف التي أفضت إلى نشوئها إضافة إلى خصائصها ومميزاتها.

أولاً- الوسطية سبيلا لمواجهة الإرهاب والتطرف الفكري
إن الوسطية في الإسلام وسطية جامعة، تمثل موقفا ثالثا بين القطبين المتقابلين والمتناقضين، لكنها لا تغاير هذين القطبين مغايرة تامة، وإنما تجمع منهما عناصر الحق والعدل؛ لتكون منها وبها هذا الموقف الوسطي الجديد، فهي في حقيقتها رفض للغلو الذي ينحاز إلى قطب واحد من هذين القطبين: غلو الإفراط أو غلو التفريط. قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (سورة البقرة، الآية 143).
وعموما، فللوسطية معاني تميز منهج الإسلام وأمة الإسلام، ومن أبرزها:
- العدل

فمن معاني الوسطية التي وصفت بها هذه الأمة في الآية الكريمة ورتبت عليها شهادتها على البشرية كلها: العدل، الذي هو ضرورة لقبول شهادة الشاهد، فما لم يكن عدلا، فإن شهادته مرفوضة مردودة، أما الشاهد العدل والحكم العدل فهو المرضي بين الناس كافة.
وتفسير الوسط في الآية بالعدل ثابت عن النبي ﷺ؛ فقد روي الإمام أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ فسر الوسط هنا بالعدل، والعدل والتوسط والتوازن عبارات متقاربة المعنى؛ فالعدل في الحقيقة توسط بين الطرفين المتنازعين أو الأطراف المتنازعة دون ميل أو تحيز إلى أحدهما أو أحدها. وهو بعبارة أخرى: موازنة بين هذه الأطراف؛ حيث يعطي كل منها حقه دون بخس ولا جور عليه، ولا محاباة له.

وقال المفسرون في قوله تعالى: "قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون" (سورة القلم، الآية 28)، أي: أعدلهم، ويؤكد هذا الإمام الرازي في تفسيره بقوله: إن أعدل بقاع الشيء وسطه؛ لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء، وعلى اعتدال.¹

- الاستقامة

الوسطية تعني كذلك استقامة المنهج، والبعد عن الميل والانحراف، فالمنهج المستقيم وبتعبير القرآن: (الصراط المستقيم) هو - كما عبر أحد المفسرين - الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلت بين نقطتين متقابلتين؛ فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة.

ومن هنا علم الإسلام المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، هي عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة في اليوم واللييلة، وذلك حين يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته فيقول داعيا ربه: "اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" (سورة الفاتحة، الآيتان: 6 - 7).

- الأمان

كما أن الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر؛ فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد أكثر من غيرها، بخلاف الوسط، فهو محمي ومحروس بما حوله، وكذلك شأن النظام الوسط، والمنهج الوسط، والأمة الوسط.

- القوة

الوسطية، أيضا، دليل القوة؛ فالوسط هو مركز القوة، ألا ترى الشباب الذي يمثل مرحلة القوة وسطا بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة؟! والشمس في وسط النهار أقوى منها في أول النهار وآخره؟!

- الخيرية

والمقصود بالخيرية، هنا، تحقيق الإيمان الشامل، يحوطه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- الوسطية مركز الوحدة

الوسطية تمثل مركز الوحدة ونقطة التلاقي... ففي الوقت الذي تتعدد فيه الأطراف تعددا قد لا يتناهى، يبقى الوسط واحدا، يمكن لكل الأطراف أن تلتقي عنده؛ فهو المنتصف، وهو المركز، وهذا واضح في الجانب المادي والجانب الفكري والمعنوي على سواء. ومركز الدائرة في وسطها يمكن لكل الخطوط الآتية من المحيط أن تلتقي عنده، والفكرة الوسط يمكن أن تلتقي بها الأفكار المتطرفة في نقطة ما: هي نقطة التوازن والاعتدال، كما أن التعدد والاختلاف الفكري يكون حتميا كلما وجد التطرف، وتكون حدته وشدته بقدر حدة هذا التطرف. أما التوسط والاعتدال فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها.

- البينية

إن إطلاق لفظ البينية يدل على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء وقد يكون ذلك حسا ومعنى، فالبينية من لوازم وصفات الوسطية، وذلك واضح في كل أبواب الدين.

1- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، الجزء 4، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1981، ص 107.

- اليسر ورفع الحرج
من المقاصد الشريعة وقواعدها الكلية، التيسير ورفع الحرج. قال تعالى: "وما جعل عليكم في الدين من حرج" (سورة الحج، الآية 78).

- الحكمة

تحديد هذا التوسط يكون بمراعاة جميع الأطراف تحقيقا للمصالح ودرءا للمفاسد وهذه هي الحكمة الشرعية.

- وسطية الإسلام في العقيدة

يتجلى ذلك في وضوح وجلاء أسس الإيمان وأركانه، حيث توصف هذه الأسس بأنها خالية من التعقيد، والطلاسم، والغموض، فدلائل وجود الله واضحة جلية، وأصول الإيمان بوحداية الله وربوبيته واضحة كذلك.

الوسطية من أبرز ملامح العقيدة الإسلامية؛ إذ هي موافقة للحق، ومؤيدة بالحق، وهي مناسبة للفطرة، لا إفراط فيها ولا تفريط، فالعقيدة الإسلامية متوسطة بين إفراط النصارى وتفريط اليهود، وبين غلو النصارى في المسيح وتطرف اليهود في عصيان أنبيائهم، وتنطعهم في السؤال والجدال؛ وتتجلى وسطية الأمة المحمدية في نواح شتى من مسائل الاعتقاد.¹

- وسطية الإسلام في الشريعة

من أبرز سمات الشريعة الإسلامية الوسطية في العبادات والطاعات، فالمتأمل في النصوص - قولية وفعلية - يلحظ أنها مليئة بالمنهج الوسط وذلك في نواح شتى، ومن أهمها:

- الوسطية والاعتدال في أداء العبادات: نلمس هذا في مواضع لا تكاد تحصى من سيرته عليه الصلاة والسلام، وثبت أنه (ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما).²

- الوسطية في تطبيق العبادات، والتحذير من الغلو في الدين: وفي ذلك عدة أحاديث، منها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: هَلُمَّ الْفُطُ لِي فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلِكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ).³

- الوسطية في أماكن العبادات: كانت الأمم المتقدمة لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعهم؛ كما أخبر النبي ﷺ بذلك في قوله: (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصلّيت، وكان من قبلي يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم).⁴

- الوسطية في التشريعات المتعلقة بالجنايات ونظام العقوبات: وذلك - مثلا - من خلال التخيير في عقوبة القتل بين القصاص، والعفو، والدية، فشمل على العقوبات جميعها، وترك حرية الاختيار فيها لأهل القتل، لئلا يرغم على عقوبة واحدة.

- الوسطية في النظام الاقتصادي؛ إذ أنه فتح باب التملك والبيع والمعاملات أمام الناس، لإشباع شهوة التملك لديهم ولتيسر شؤون حياتهم؛ فأثبت بذلك الملكية الشخصية ونسب المال

1- بلال، عبد الحكيم بن محمد، الوسطية من أبرز خصائص الأمة، مجلة البيان، عدد: 114، صفر 1418هـ، ص 84.

2- موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية، في:

<https://www.dorar.net/akhlaq/1766/%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9>

3- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: <https://www.dorar.net/hadith/sharh/81841>

4- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في: <https://dorar.net/hadith/sharh/76539>

لصاحبه، كما في قوله تعالى: "وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا" (سورة النساء، الآية 2)، ولكنه جعل هذه المعاملات منضبطة بشرع الله تعالى، وبعدم الإضرار بالصالح العام، فكان الإسلام بذلك وسطا بين النظام الاشتراكي الذي يمنع الملكية الشخصية، وبين النظام الرأسمالي الذي يحصر الثروات بيد طبقة محدودة من الناس.¹

- الوسطية في منهج الدعوة

يقوم منهج الدعوة في الإسلام على مخاطبة الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى جداله بالتي هي أحسن، وباللين والرفق من غير ضعف، لإقامة الحجة على المخالف، وإقناعه بالتي هي أحسن، وتعتبر وسطية المسلم في كل المظاهر التي ذكرناها سالفا (الوسطية في العقيدة – الوسطية في الشريعة – الوسطية في الأخلاق والمعاملات) في حد ذاتها دعوة، لأنها تقدم المثال والنموذج القويم للآخر غير المسلم.

ثانيا- التسامح سبيلا لمواجهة الإرهاب والتطرف الفكري

- الإسلام مصدق للديانات السماوية ومكمل وخاتم لها

منذ ظهور الإسلام ونزول القرآن أكد هذا الدين على ضرورة التعايش والتسامح بين الديانات التي سبقتها، لذلك اقتضت حكمة الخالق أن يكون الإسلام مكملا لها، حيث يقول عز وجل: "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" (سورة البقرة، الآية 136)، كما أن هذه الأديان السابقة عن الإسلام، هي نابعة من معين واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، وبالتالي علينا أن نحترمها دون أن نعتدي أو نسخر ممن اتبعها. قال تعالى: "شرع لكم من الدين ما أوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه" (سورة الشورى، الآية 13)، وقال سبحانه: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" (سورة البقرة، الآية 285)، كما أن الإسلام أوجب على أتباعه الإيمان بجميع الكتب السماوية والرسل السابقين، مصداقا لقول الله سبحانه: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" (سورة البقرة، الآية 285).

- حرية العقيدة الدينية لأهل الكتاب

قال تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" (سورة البقرة، الآية 256)، وقال: "وقل الحق من ربكم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (سورة الكهف، الآية 29)، وقال سبحانه: "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مسلمين" (سورة يونس، الآية 99)، وتتجلى الحكمة الإلهية ومظاهر دعوته وحرصه على إفشاء تعاليم التعايش بين الأديان في حماية المساجد والكنائس والأماكن المقدسة للديانات السماوية، مصداقا لقوله تعالى: "ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا" (سورة الحج، الآية 40).

1- نَظَر: الزَّحِيلِي، وَهَبَةُ مَصْطَفَى، وَسَطِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَسَمَاحَتُهُ، مَنشُورٌ عَلَى مَوْقِعِ وَزَارَةِ الْأَوْقَافِ السَّعُودِيَّةِ بِدُونِ بَيِّنَاتٍ، ص 8 – 11.

- تنظيم العلاقة مع غير المسلمين

تعتبر صحيفة المدينة أبرز مرجع في هذا السياق، حيث جاء فيها: "باسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم.. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم.. وإنه من تبعنا من اليهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم"¹، أضف إلى ذلك خطبة حجة الوداع، والتي جاء فيها: "أيها الناس، ربكم واحد كلكم لأدم، وأدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى"².

كما صالح الرسول الأكرم وفد نجران - كما قلنا- وأقامهم في شطر مسجده يؤدون شعائر دينهم، وكتب لهم عهدا جاء فيه: "ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله: على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدتهم وبيعهم لا يغير أسقف عن سقيفاه ولا راهب عن رهبانيته ولا واقف عن وقفانيته"، ويروى: "ولا وافه عن وفهيته. وهو القيم على البيت المعد لعبادة النصارى"، كما نص عليه الصلاة والسلام في معاهدته معهم: "أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم، لا يحشرون ولا يعشرون ولا يطاء أرضهم جيش، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين"، ولما أرادوا أن يصلوا بالمسجد عندما حان وقت صلاتهم، هم بعض المسلمين بمنعهم فقال عليه الصلاة والسلام: دعوهم! فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم.

كما نظم النبي الأكرم، علاقة المسلمين بغيرهم من دول الجوار، فدولة الإسلام علاقتها بدول الجوار علاقة سلم واحترام، وهذا ما بدا في كتابه عليه الصلاة والسلام لملك اليمن، حيث قال له: وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان علي يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها.

وتعتبر العهدة العمرية أحد أبرز الأمثلة لتنظيم العلاقة مع غير المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين، وفي هذا الإطار أورد مجير الدين العلمي المقدسي المتوفى سنة 927هـ نصا منقولاً عن نص الطبري، الذي أسنده لسيف عن أبي حازم وأبي عثمان عن خالد وعبادة، بأن عمر بن الخطاب صالح أهل إيلياء بالجابية سنة 15هـ، وكتب لهم: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أهذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر، أهل إيلياء من أمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ومقيمها وبريئها وسائر ملتها، إنها لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنتقص منها ولا من حدها ولا من صلبانهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم، ولا يُسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن (يقصد مدن فلسطين) على أن يخرجوا منها الروم والصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعتهم وصيلبيهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصيلبيهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أرضه، فإنه لا يؤخذ منه شيء

1- ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، مكتبة الصفاء، 2001، ص 94.

2- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 21 - 22.

حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليه من الجزية".¹
- البر بالغير

لعل من أبرز صور البر بأهل الكتاب ما أوجبه الله تعالى على المسلمين ورغبهم فيه؛ قال تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين" (سورة الممتحنة، الآية 8)، وكذلك قوله عز وجل: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم" (سورة المائدة، الآية 5)، ولا أدل على هذا من قبول الرسول الأكرم هدية مقوقس مصر وزواجه من مارية القبطية.

وقد أعطى النبي الكريم مثالا أعلى في التسامح، فقد روي أنه كان يحضر ولائم أهل الكتاب ويشيع جنائزهم، ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم، حتى روي أنه لما زاره وفد نصارى نجران فرش لهم عباءته ودعاهم إلى الجلوس عليها.²

وتأكيدا لهذا قال عليه الصلاة والسلام "من أذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة، وقال أيضا: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس: فأنا حبيجه يوم القيامة".³

وعن خصوصية مودة الإسلام للمسيحية يقول تعالى: "لتجدن أقربهم للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين" (سورة المائدة، الآية 82 و83).

- على مستوى تنظيم الأحوال الشخصية لأهل الكتاب
ترسيخا لحق التعبد والاعتقاد لم يطالب الإسلام الذمي بالالتزام بالأحكام التي تتعارض مع عقيدته كأحكام العبادات والأحكام المنظمة للزواج والطلاق أو الانضمام إلى جيش المسلمين، فأعطى الإسلام للذميين من يهود ونصارى الحق باللجوء إلى قوانينهم وشرائعهم في كل ما يرتبط بأحوالهم الشخصية. قال تعالى: "فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين. وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك" (سورة المائدة، الآية 42 و43).

- الجزية
الجزية ضريبة على رؤوس المواطنين غير المسلمين لقاء إعفائهم عن واجب الجهاد، وفي مقابل الزكاة بالنسبة للمسلمين مع بعض الفروق. وهي كالزكاة لا تجب إلا على القادرين وفيما فضل من الحاجات الأساسية، بل كذلك لا تجب إلا على رجل عاقل حر، فلا تلزم المرأة ولا الصبي ولا المجنون ولا العبد، ولو كانوا ذوي الأموال، ولا تجب على الفقير ولا الرهبان ولا على شيخ كبير، لأنهم ليسوا من المقاتلين، فنطاق الجزية أضيق من نطاق الزكاة. وهي كالزكاة تدفع مرة في آخر الحول من السنة الهلالية إلا أن مقدارها غير

1- مجير الدين، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج 1، دن، دت، ص 2.

2- ليلبارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ص 285.

3- ابن حجر العسقلاني، تخریج مشكاة المصابيح، ج 4، ص 100.

منصوص عليه فتختلف حوله الآراء. ذهب أبو حنيفة إلى تصنيفه ثلاثة أصناف، ومنع الاجتهاد فيها: وهي اثنا عشرة ديناراً على الفقير وأربعة وعشرون ديناراً على المتوسط وثمانية وأربعون ديناراً على الغني. ويرى مالك أن ذلك إلى اجتهاد الإمام مطلقاً سواء في الأقل أو الأكثر، وعند الشافعي مقدرة على الأقل بدينار واحد ويترك تقدير الأكثر إلى اجتهاد الولاة، وورد عن أحمد ثلاث روايات تتفق مع كل هذه الآراء، ويبدو أن الأولى بالأخذ هو رأي مالك، حيث يمكن معه مراعاة حالات غير المسلمين في كل وقت من ناحية وحاجات الدولة من ناحية أخرى، ذلك أن آية الجزية من الآيات المدنية المنزلة في وقت متأخر من عهد التشريع (9هـ)، ولا تعارض بينها وبين دستور المدينة الذي لم ينص على جزية اليهود، فإن أحد بنوده نص على تعاون عسكري معهم للدفاع عن المدينة ضد أي عدوان خارجي، وهذا مما يسقط الجزية حتى بعد نزول تشريعها، ثم إنه من المسلم به أنه على أي فرد التزام مالي تجاه دولته وليس على مال مسلم حق سوى الزكاة. وهي لا تشرع على غير المسلمين، وعليه فلا بد أن يكون الواجب المالي في حقهم شيئاً آخر سوى الزكاة. نعم، إذا ثقلت على أسماعهم تسمية الجزية لا بأس من اختيار أي اسم آخر أكثر قبولا لديهم. فالعبرة بالمسمى لا بالاسم. تماماً كما فعل الخليفة عمر بن الخطاب في شأن نصارى بنى تغلب، حيث استبدل اسم الجزية بالصدقة مع قبولهم لتضعيفها عليهم، إذ قالوا: "أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج، فإننا نرضى ونحفظ ديننا"، ومهما يكن من أمر فالحق أن هذا الالتزام المالي من غير المسلمين المعينين زهيد وبسيط، واعترف بهذه الحقيقة باحث مسيحي، وهو "سير توماس آرنولد" في كتابه الشهير "الدعوة إلى الإسلام"، حيث قال: "لكن هذه الجزية كانت من البساطة بحيث لم تكن تثقل كاهلهم، وذلك إذا لاحظنا أنها أعفتهم من الخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت مفروضة على إخوانهم من الرعايا المسلمين.

خاتمة

إن الإسلام دين وسطي، ويُستدل على وسطيته من خلال النظر في عقائده، ومبادئه، وأصوله العلمية، وأخلاقه، وعباداته، وشرائعه، وأحكامه؛ أي أن الاعتدال والوسطية سمة بارزة لكل ما له علاقة بدين الإسلام.

الوسطية حق وعدل وخير ومطلب شرعي أصيل ومقصد أسمى ومظهر حضاري رفيع، فهي أفضل الأمور وأنفعها للناس، كما أنها الاعتدال في كل أمور الحياة ومنهجها. يظن بعض المتطرفين، أن الإسلام لا يقر بمبدأ التعايش مع الآخر، مستندين إلى نصوص وردت في السنة المطهرة فهموها على غير مقاصدها، فهو ظنٌ لا أساس له من الصحة، ومن هذه النصوص التي أشاروا إليها ما أخرجه مسلم في "صحيحه" عن عمر بن الخطاب، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب"، وما أخرجه البزار في مسنده عن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب"، غير أن العلماء المحققين يعتبرون أن المراد به بعض الجزيرة لا كلها، وهو الحجاز خاصة.

لهذا يظل التزام الوسطية وتبني التسامح أهم السبل لتجنب التطرف الفكري في عالمنا اليوم وذلك في ظل التحولات السياسية والفكرية والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتي تساهم بشكل أو بآخر في تحديد الميولات والمواقف والتصورات المختلفة للأفراد والمجتمعات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- بلال، عبد الحكيم بن محمد، الوسطية من أبرز خصائص الأمة، مجلة البيان، عدد: 114، صفر 1418هـ.
- ابن حجر العسقلاني، تخریج مشكاة المصابيح، ج 4.
- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، الجزء 4، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1981.
- الزحيلي، وهبة مصطفى، وسطية الإسلام وسماحته، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات.
- لبارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، 1974.
- مجير الدين، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج 1، دن، دب.ت.
- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:
<https://www.dorar.net/hadith/sharh/81841>
- الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، في:
<https://dorar.net/hadith/sharh/76539>
- موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية، في:
<https://www.dorar.net/akhlaq/1766/%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7:-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9>
- ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، مكتبة الصفاء، 2001.

التعددية الفكرية كمنهج لنبذ التطرف

د. أحمد كاظم الاكوش

aalakoash@yahoo.com

المقدمة

يهدف هذه البحث إلى تقديم معالم الرؤية الإسلامية بخصوص موضوع التعددية بصورتها العامة والفكرية بصورتها الخاصة، وأثرها في ثقافة الحوار والرأي الآخر، كمبدأ عام وأساسي للحياة الإنسانية، من خلال رسم بعض صور تجلياتها التي تدل وتؤكد على أنهما ضروريان للاجتماع البشري وللتعايش السلمي.

واعتمدنا أساساً في ذلك على بعض النصوص القرآنية في عرض هذه الفكرة. فالتركيز هنا ينصب في المقام الأول على ثقافة الحوار والرأي الآخر على ضوء (التعددية الفكرية) باعتبار أن غيابها يعد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نمو التطرف الديني والصراع الحضاري في العالم.

وبتعبير آخر يتطلع هذا البحث إلى إلقاء الضوء على طبيعة التفاعل الذي ينبغي أن يسود بين الشعوب والمجتمعات والأمم من وجهة نظر قرآنية.

فالصراعات والتناحرات الدينية وأشكال العنف الديني والطائفي في العالم بصورة عامة لم تكن وليدة اليوم، بل تمتد جذورها لتضرب بعيداً في أعماق تاريخ البشرية وحضاراتها. وفي العقود الأخيرة تنامي الوعي البشري بضرورة وأهمية إيجاد حلول ناجعة لمأزق البشرية، حيث بدت هناك محاولات للحد من ذلك المأزق الخطير، فأصبحت تظهر بين الفينة والأخرى مفردات تبرز ليس على سطح الأدبيات الدينية فحسب، بل وفي مختلف مجالات الفكر والثقافة، منها على سبيل المثال: قبول الآخر، التسامح الديني، التعايش الاجتماعي والسلمي، حرية الاعتقاد والتعبير، حوار الأديان والحضارات، وغيرها، ومن هذه المفردات والمصطلحات (التعددية).

وهذا المصطلح وإن لم نجد له ذكر حرفي للكلمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إلا أن فيهما – أي الكتاب والسنة - مصاديق كثيرة، وقد طبقت في صدر الإسلام عملياً. لذا فقد عقدنا هذا البحث لبيانها بالتفصيل، فجاء البحث مقسماً على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تحديد مصطلح التعددية.

المبحث الثاني: التنوع والتعددية، رؤية قرآنية.

المبحث الثالث: التنوع والتعددية، التطبيق العملي في الإسلام.

المبحث الرابع: التعددية من المنظور الفكري.

ثم النتائج والخاتمة.

نسأل الله أن يوفق القائمين على المؤتمر بما يخدم ديننا الإسلامي الحنيف، وبيان أهم الجوانب الإنسانية والفكرية فيه، وبما لله فيه رضا وللناس فيه خير وهدى وصلاح، إنه نعم المولى والصير.

المبحث الأول: تحديد مصطلح التعددية.

يمكن القول بدءاً إن مصطلح التعددية من تلك المصطلحات التي تتسم بقدر كبير من الغموض، وربما يرجع ذلك إلى تعدد الأقلام التي تناولت الموضوع دون تحديد مفهوم واحد مشترك بينهم عنه.⁽¹⁾

فالتعددية من الناحية اللغوية هو مصدر صناعي مأخوذ عن المصدر الأصلي تعدد، ويقال تعدد يتعدد تعدداً، أي صار ذا عدد، كتعدد الأصابع، والجمع أعداد، والعد الكثرة.⁽²⁾

وقيل إن أصل العد في اللغة إحصاء الشيء، وتحديد مقداره ومبلغه، ومنه العدة، وهي الجماعة قلت أو كثرت، والمدة، وإعداد الشيء إحضاره، والعدة ما أعده المرء لحوادث الدهر من المال و السلاح، أي التأهب والتهيؤ للأمر.⁽³⁾

وهو مصطلح مأخوذ من البيئة الغربية تحت مسمى (Pluralism)، ومصطلح التعددية بهذا الشكل يتضمن خاصية رئيسية هي الحرص على تطبيق حي للمواطنة في صورتها الكبرى، لأن هذه الخاصية تنطوي على أمرين:

الأول: الاعتراف بتعدد المعتقدات الدينية داخل مجتمع ما.

الثاني: التعايش السلمي بين أصحاب هذه المعتقدات مع احتفاظ كل بخصائصه العقدية. واستخدم هذا المصطلح في معان متعددة، وهو يتناول جنباً إلى جنب المواقف المتناقضة والمتنوعة في المجتمع، ثقافية كانت أم دينية. كما انه يعني التسامح تجاه هذا التنوع واختلاف الرأي وثقافة الحوار، فالإنسان في مجتمع تعددي بثقافات وأعراق وديانات مختلفة ومتواجدة معاً، إنها لا تعني نفي الآخر المخالف، بل تعني الاعتراف بوجود التنوع والاختلاف. لذا فإن مصطلح التعددية له دلالات مختلفة باختلاف المجالات التي يبحث فيها، ففي الأخلاق تدل التعددية على لون من النسبية ورفض للثبات والإطلاق في المعايير والقيم الأخلاقية، وفي السياسة تقتزن التعددية بمفهوم الليبرالية، بل تعد التعددية السياسية من إفرازات الفكر الليبرالي، أما التعددية الدينية (Religious pluralism) التي شاعت في العالم المسيحي فهي لون من ألوان الفهم في اللاهوت المسيحي.⁽⁴⁾

كما أن لها مستويات يحددها (الجامع والرابط)⁽⁵⁾ الذي يجمع ويوحد وحداتها وأفرادها، فهناك تعددية الحضارات والقوميات المختلفة، المبنية على تعدد في الشرائع والمناهج والفلسفات واللغات والثقافات، وهناك تعددية في المذاهب والمدارس الفكرية والتيارات السياسية..

فمفهوم التعددية: مفهوم مركب باعتباره تعبيراً عن ظاهرة متعددة الأبعاد.⁽⁶⁾

وقد تجلّى مفهوم التعددية الدينية في الصراعات القائمة بين أرباب الديانات، وإذا كان غالباً ما يركز أرباب الديانات على المناوشات اللاهوتية لوضوحها، فإنهم غالباً ما يهتمون بدرجة أوفى التمايزات التاريخية، على الرغم من أن هذا النوع من التمايزات له الدور الأبرز في عدم التسامح، ففكرة الاختيار الإلهي الموجودة في كل الأديان (في اليهودية، مثلاً أن اليهود

1 . مصطلح (التعددية) يستخدم للتعبير عن الممارسة الليبرالية الديمقراطية الحزبية في بعض أوروبا والولايات المتحدة وكندا. راجع: التعددية الدينية ومنطق التعايش، مجموعة باحثين.

مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2015. وأيضاً: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، مادة (التعددية)، ط 3، 1990م، ج 1، ص 768.

2 . مرعشلي، نديم ومرعشلي، أسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، دت 2، ص 84.

3 . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عدد)، نشر آداب الحوزة، 1405هـ، ج 4، ص 281.

4 . ينظر: لغنهاوزن، مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية، حوار منشور في مجلة قضايا إسلامية معاصرة، سنة 11، عدد 33 - 34، 2007م ص 255.

5 . عمارة، محمد، التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، بحث مقدم في ندوة (التعددية الحزبية والطائفية العرقية في العالم العربي) الكويت 1993 ص 1.

6 . انظر: عوض، جابر سعيد، مفهوم التعددية في الأدبيات المعاصرة، بحث مقدم في (ندوة التعددية الحزبية والطائفية العرقية في العالم العربي) 1993 ص 54.

شعب الله المختار، وفي المسيحية أن الله قد تجسد في ابنه الوحيد لإنقاذ البشرية. وفي الإسلام أن المسلمين خير أمة أخرجت للناس، عادة ما تستثمر للاحتراب في الصراع الديني والفكري والاجتماعي.

ففي القرن الثامن عشر كان المجتمع الأوروبي قد أعياه الصراع الديني والمذهبي والعنصري، فظهرت التعددية الدينية في عصر الإصلاح الديني، وكانت محاولة لوضع أساس نظري في العقيدة المسيحية للتسامح تجاه الأديان غير المسيحية، مثلت عنصرا من عناصر حركة التجديد الديني أو الليبرالية الدينية التي حدثت في المسيحية البروتستانتية في القرن التاسع عشر الميلادي بقيادة شلايرماخر (1768 – 1834م)، التي اشتهرت فيما بعد بالبروتستانتية الليبرالية. ومن بعده جون هيك (1922 – 2012م).⁽¹⁾

أما مساحة التعددية من وجهة نظر الإسلام للأديان، فأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي عرفته البشرية الذي يعمل على تحقيق التعددية والتنوع الاجتماعي من خلال النص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة، في حين أن الأديان لم تكن تعرف أي تسامح مع المختلفين دينيا وفكريا، وتاريخ أوربا والصراعات المريرة بين الكاثوليك والبروتستانت خير شاهد على ما نقول.

ولا بد من التنبيه لأمرين:

الأول: إننا لا نعني بالتعددية احتواء التناقضات بين تيارات واتجاهات متعادية ومختلفة في الأصول والجزور والمعتقدات لكي تكون موحدة أو متحدة. ولكن نقصد بها الاعتراف بحقوق الآخرين في أن يكون لهم اجتهادهم في بعض المسائل في الدين الواحد، في الوقت الذي نقصد فيه أن الإسلام أقر التعددية باعترافه القرآني بالأديان السماوية كاليهودية والمسيحية والصابئة ومن خلال تعايشه مع أديان وجدها عند الفتح فدعا أتباعها إلى الإسلام، فمن دخل كان مسلما ومن لم يدخل بقي على اعتقاده مع شروط للتعايش والمشاركة في الحياة والخيرات.

الثاني: يجب أن نفرق بين النص القرآني الكريم، الذي لا ينكر التعددية كما سيأتي بيانه، وبين سياسات الحكم باسم الإسلام التي قامت بتعريض مفهوم التعددية إلى النفي والرفض، بل إلى محاربة التعددية وقتل الآخر ببواعث سياسية - وان كانت ترتدي الرداء الديني - إلا أنها لا تمت إلى الإسلام الحقيقي بصلة.

المبحث الثاني : التعددية (رؤية قرآنية).

لقد سبق الإسلام في التنبيه على أهمية التنوع واختلاف الرأي واعتبارهما حالة طبيعية ووسيلة من وسائل الوصول إلى التعارف والتعايش والتفاهم، بحيث أبقى الإسلام على الاعتراف بأهل الكتاب من يهود ومسيحيين باعتبارهم تنوعا يفضي إلى التعارف والتكامل البشري للمجتمعات. وأبقى على طبيعة هذا التنوع باعتباره تكاملا في الطبيعة ينعكس على التكامل بين البشر من خلال التنوع والتكامل.

وفسر القرآن الكريم البشرية، قبل كل شيء اختلافها، في الألوان، وفي اللغات، وفي المواقف، والآراء، والأديان، والثقافات، ونبه أيضا إلى أن ذلك كله جزء من متطلبات الاجتماع البشري، فان الناس لو كانوا امة واحدة، ونسخة واحدة، لما وقع جدال، فلا بد من وجود ذلك

1 . انظر: مزاحم هيثم، نحو أطروحة للتعددية الدينية في العالم الإسلامي: قراءة في نظرية عبد الكريم سروش في كتاب (الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية). مجلة الكوفة، العدد (7)، 2014م، ص 204.

التفاعل، لهذا تجد إن كل شيء في الحياة مخلوق من قبل الباري سبحانه من زوجين، (الذكر والأنثى)، وذلك شامل لجميع ما على الأرض من حجر، ومدر، وبشر، وشجر، وتكوين العناصر المختلفة، من ماء وهواء، قال سبحانه: (وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) [سورة الرعد، الآية: 3] (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [سورة الذاريات، الآية: 49] لان الوجدانية منحصرة به وحده لا شريك له. أما ما سواه فهو بحاجة إلى الزوجية، وإلى التنوع واختلاف الرأي، ولولا هذه الثنائية لما حصل ذلك التفاعل.

إن اختلاف الرأي يعد أمراً طبيعياً في نظر الإسلام فهو من سنن الله سبحانه في الكون والمخلوقات فالكون كله قائم على التعدد والاختلاف في الأنواع والصور والألوان. قال سبحانه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) [سورة فاطر، الآيات: 27 - 28]

وهكذا فإن هذا الاختلاف هو اختلاف تنوع وتعدد وهو أيضاً من آيات الله سبحانه التي تدل على عظمته وحكمته قال سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) [سورة الروم، الآية: 22].

إذا، الاختلاف سنة كونية وسر من أسرار الوجود العظمى، وهو مرتكز في فطرة البشر، ذلك أن طبيعتهم تقضي بتفاوت قدراتهم، واختلاف أفكارهم و ميولهم ونظرتهم إلى الأشياء، والبشر بحكم طبائعهم واختلاف أنماطهم منهم الميسر، ومنهم المعسر.

وهذا ما قرره القرآن الكريم، فالاختلاف والتنوع أمراً مقصوداً، قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [سورة الحجرات، الآية: 13].

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية مسوقة لنفي التفاخر بالأنساب، وعليه فالمراد بقوله: (من ذكر وأنثى) آدم وحواء، والمعنى: أنا خلقناكم من أب وأم تشتركون جميعاً فيهما، من غير فرق بين الأبيض والأسود، والعربي والعجمي، وجعلناكم شعوباً وقبائل مختلفة لا لكرامة لبعضكم على بعض بل لان تتعارفوا، فيعرف بعضكم بعضاً ويتم بذلك أمر اجتماعكم فيستقيم مواصلاتكم ومعاملاتكم، فلو فرض ارتفاع المعرفة من بين أفراد المجتمع انفصم عقد الاجتماع وبادت الإنسانية. فهذا هو الغرض من جعل الشعوب والقبائل، لا أن تتفاخروا بالأنساب وتتباهوا بالآباء والأمهات.⁽¹⁾

أن الناس بما هم ناس يساوي بعضهم بعضاً لا اختلاف بينهم ولا فضل لأحدهم على غيره، وأن الاختلاف المترائي في الخلقة من حيث الشعوب والقبائل إنما هو للتوصل به إلى تعارفهم ليقوم به الاجتماع المنعقد بينهم إذ لا يتم ائتلاف ولا تعاون وتعاضد من غير تعارف، فهذا هو غرض الخلقة من الاختلاف المجعول لا أن تتفاخروا بالأنساب وتتفاضلوا بأمثال البياض والسواد فيستعبد بذلك بعضهم بعضاً ويستخدم إنسان إنساناً ويستعلي قوم على قوم فينجر إلى ظهور الفساد في البر والبحر وهلاك الحرث والنسل فينقلب الدواء داء.

التنوع إذا سنة إلهية وأمر فطري وضرورة طبيعية، شاء الله سبحانه أن يجعله مشيئة له، وبالتالي فإن احترام التنوع هو احترام لمشيئة الله سبحانه الذي لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولمنع اختلافهم (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ

1 . الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين، قم المقدسة، دت، ج 18، ص 326.

رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ] سورة هود، الآيات: 118 - 119 [1]. لذا فإن القانون الطبيعي للحياة هو التنوع وليس الوحدة التي تلغي التنوع.

قال الإمام الشاطبي في معرض تفسير قوله سبحانه: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ): إن جماعة من السلف الصالح جعلوا اختلاف الأمة في الفروع ضرباً من ضروب الرحمة، وإذا كان من جملة الرحمة فلا يمكن أن يكون صاحبه خارجاً من قسم أهل الرحمة... فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفرعي فيها، فكان فتح باب للأمة للدخول في هذه الرحمة، فكيف لا يدخلون في قسم (من رحم ربك)؟ فاختلافهم في الفروع كاتفاقهم فيها والحمد لله.⁽²⁾

وعلى هذا فإن اختلاف الرأي وتعدد الاجتهادات سنة من سنن الاجتماع، وحقيقة ملازمة للبشر في مختلف الأزمنة والأمكنة، بل إن المجتمع الذي تنعدم فيه الاختلافات هو مجتمع ميت.⁽³⁾

كما أن هناك آيات أخرى في القرآن العظيم تشير إلى بعض حكم التنوع والتعدد واختلاف الرأي التي منها تحفيز البشر على التسابق في طريق الخيرات، وقد يكون في حكمته الحض على التجديد والإبداع قال سبحانه: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[سورة المائدة، الآية: 48].

يعني حث للجماعة لكي تستثمر تنوعاتها لخير المجتمعات البشرية وتنمية قدراتها، واستيعاب اختلافها لتبني حضارتها على أساس من التعاون والتضافر. قال سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)[سورة المائدة، الآية: 2]. فإذا اختلف الجانب في المنظومة الاجتماعية بأطرافها المختلفة كان (التدافع) سبيلاً إلى إعادة الميزان إلى اعتداله والحق إلى نصابه (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)[سورة البقرة، الآية: 251]. (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[سورة الحج، الآية: 40].

إذا، التنوع والتعدد هو سمه من سمات الخلق البارزة، والحكمة منها هو أن الإبداع والتجديد لا يكون إلا مع التنوع والتغاير والتعدد حتى لو تمثل صراعاً بين النقيض والنقيض، فيؤدي – بالنتيجة – إلى ولادة جديدة تحمل سمات النقيضين مع ملامح إضافية. ومن هنا كان الإبداع والخلق طفرة نوعية إلى الأمام يولد من صراع النقيضين أو من تكامل المختلفين. وليس ذلك في مظاهر الطبيعة فحسب، بل في الفكر، والأدب، والفن، وفي جميع مجالات العلم التطبيقي.

1 . وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية: إن الإشارة بقوله: (ولذلك خلقهم) إلى الرحمة وهي الغاية التي أرادها الله من خلقه ليسعدوا بذلك سعادتهم. وذكر بعضهم. إن المعنى خلقهم للاختلاف ونسب إلى الحسن وعطاء. لو جاز عود ضمير (خلقهم) إلى الباقي من الناس بعد الاستثناء جاز عد الاختلاف غاية لخلقهم وكانت الآية قريبة المضمون من قوله: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس) الآية الأعراف: 179.

ونذكر آخرون: إن الإشارة إلى مجموع ما يدل عليه الكلام من مشيئة تعالى في خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وأرائهم وشعورهم وما يتبع ذلك من إرادتهم واختيارهم في أعمالهم ومن ذلك الدين والإيمان والطاعة والعصيان، وبالجملة الغاية هو مطلق الاختلاف أعم مما في الدين أو في غيره. ونسب إلى ابن عباس بناء على ما روى عنه أنه قال: خلقهم فريقين فريقاً يرحم فلا يختلف، وفريقاً لا يرحم فيختلف، وإلى مالك بن أنس إذ قال في معنى الآية: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير. راجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1412 - 1992 م، ج 2، ص 482. الطباطبائي، مصدر سابق، ج 11، ص 65.

2 . الشاطبي، إبراهيم ابن موسى، الاعتصام، ضبطه وصححه: أحمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج 2، ص 394 - 395.

3 . انظر: المدرسي، محمد تقي، النهج الإسلامي، قراءة في مسيرة الحركة الإسلامية، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1998 م، ص 137.

إن ظاهرة التنوع المجتمعي والتعدد الفكري يقود إلى التكامل في الحياة الإنسانية، وفي الوجود الكوني. فالصراع بين المختلفين لا يهدف إلى الفناء بل يهدف إلى بقائه وإغنائه. كما أن الجدل والاختلاف بين الناس، إن كان منضبط تحت قواعد وقيم فسيكون جدلاً واختلافاً إيجابياً، ويصبح تفاعلاً مولداً ومنتجاً. وهذا الانضباط يتلخص في أن لا ننظر إلى التنوع واختلاف الرأي الحاصل بين الناس وكأنه اختلاف عرق أو أفضليه أو تفوق لون على لون، أو نسب على نسب، أو جماعة على جماعة، أو مذهب على مذهب... بل أن ننظر إلى هذا التعدد والتنوع على أنه اختلاف "غائي" أي أن الغاية منه هو التعارف والتبادل والتداخل والتفاعل، الذي يقوم عليه نظام الحياة.

إن قبول الآخر والحوار والتعايش انطلاقاً من مبدأ التعددية هو ذاته الجذر الذي يقرره الدين كأساس لبناء أية تجربة إنسانية. إذ يعتبر التنوع مصدراً غنياً لتنوع التجارب والأفكار والمهارات والثقافات. وقد افترض القرآن أن التنوع ربما يكون مجهولاً بعضه لبعض لذا وضع التعارف هدفاً إنسانياً وقيمة علياً من القيم التي تسعى الأمم والشعوب إلى تحقيقها. التعددية في جوهرها هي إقرار بالحرية والاختلاف والتعايش السلمي في إطار الحرية والاختلاف والتنوع من غير ضرر ولا إضرار، والتعددية في فلسفتها العامة هي حقيقة فطرية وسنة كونية وقانون حياتي.

والتعددية بهذا المعنى هي إقرار واعتراف بوجود التنوع الاجتماعي وإن هذا التنوع لا بد أن يترتب عليه اختلاف في المصالح أو خلاف على الأولويات.⁽¹⁾

وتأتي التعددية هنا لتكون المقنن للتعامل مع هذا الاختلاف والخلاف بحيث لا يتحول إلى صراع يهدد سلامة الدولة وتماسك المجتمع أي أن مفهوم التعددية يشير إلى نوع من التنظيم الاجتماعي المتعلق ببنية النظام الاجتماعي وآليات عملياته المختلفة، وهذا التنظيم يسلم بضرورة وجود أفكار وقيم ومؤسسات متعددة في إطار النظام الاجتماعي والتنافس المفتوح بينهما.⁽²⁾

من خلال هذا نستطيعولوج إلى مفهوم أو مصطلح التعددية بصورتها العامة، وهذه التعددية لها حقوق وعليها واجبات، وخصوصيات يجب احترامها، وعدم فرض ثقافة على ثقافة أخرى، لهذا فإن الإسلام لا يقبل بمبدأ احترام خصوصيات الآخرين فحسب، بل إنه يطالب أتباعه والآخرين أيضاً بالوقوف مع الداعين لحماية الخصوصيات، خصوصيات الشعب على تنوعها، من لغة، وأدب، وتاريخ، وعادات، وتقاليده.. من أجل مساعدة بني البشر إلى أن يدركوا إنسانيتهم المشتركة، وإيجاد حالة تعارف تؤدي إلى التآلف الذي يؤدي إلى التعاون. لان الناس صنفان: (إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)⁽³⁾ كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهذا هو الأساس للتنوع المجتمعي، والتعددية، الذي من خلاله يمكن التعايش مع الآخر، والبناء على الإحساس بمصالح مشتركة، أو احتياج كل فرد إلى نظيره، ونحن إذ نذكر مفردة "الآخر" فهي على سبيل البيان وليست على سبيل التفرقة، لان البشرية كلها إنما هي أسرة واحدة ممتدة، وهي التناظر في الخلق.

1 . الميلاد، زكي، التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي، مجلة الكلمة، عدد (2)، 1994م، ص 18.

2 . راجع: أمل هندي، نزار جودة، التعددية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر قراءة في أفكار محمد حسين فضل الله، مجلة العلوم السياسية، العدد (46).

3 . نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع) (تحقيق صالح)، ص 427.

لهذا فان الرجوع إلى أساسيات الإسلام وأصوله نراه قد أرسى قواعد الحرية، الحرية الفكرية والعقدية، إلى حد سمح الله فيه لعبيده الملائكة أن يراجعوه ويقولوا له: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) [سورة البقرة، الآية 30]. وأيضا سمح لنبيه إبراهيم (عليه السلام) أن يجادله في قوم لوط، كما في آيات سورة هود، بل سمح لإبليس أن يحتج لديه ويقول: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [سورة الأعراف، الآية 11].

إذا، اختلاف الرأي يعد من أبرز خصائص الوجود الإنساني ومن ضرورات الاجتماع البشري، فالاختلاف سنة من السنن الكونية، هذا الكون الرحب الفسيح بهذا الاختلاف يفضي إلى التنوع والتناغم والتناسق، ويُذْهِبُ الرتابة والفتور. وهذا من شأنه أن يجعل للحياة طعما ومذاقا خاصا، فالاختلاف والتنوع يثريان الحياة، ويكسبان المرء خبرة حيث حل وحيثما ارتحل، فلو أن الناس جميعا خلقوا وجبلوا على صورة واحدة، والأماكن كلها كانت على صورة واحدة من حيث طبيعة المكان والمناخ وغير ذلك، لما احتاج الإنسان أن ينتقل من مكانه الذي ولد فيه، ولسئم العيش من أول سنوات إدراكه لمعنى الحياة لأنه لا يجد جديدا. كما أن أهمية الاختلاف لا تتأتى فقط من كون التنوع هو أصل الاجتماع البشري، بل لأنه أيضا مما تدعو إليه الفطرة وتقتضي به الطبيعة. وما الاختلاف في واقع الأمر إلا ظاهرة من ظواهر الوجود أودعت في الكائنات عموما وفي الإنسان خصوصا كما مر بيانه.

المبحث الثاني: التنوع والتعددية، التطبيق العملي في الإسلام.

لا يخفى على باحث منصف أن وجود رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بين البشر كان له منعطفات تاريخيا في حياتهم جميعا، وتحولا حضاريا متميزا في نهج حياتهم وتعاملهم. تحول الخطاب فيه من قومية الأديان ومحدودية مقاصدها إلى عالمية الإسلام وشمولية دعوته وتكامل مقاصده ومن عزلة المجتمعات البشرية وتضادها وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها. حيث سمع الناس لأول مرة في تاريخهم الإنساني فكرة المجتمع الإنساني الواحد كما سمعوا أيضا لأول مرة فكرة التعايش السلمي بينهم من غير تمايز بينهم على اختلاف أقوامهم وأجناسهم وأعراقهم وأديانهم وأوطانهم.⁽¹⁾

فكان النبي يعمل على نشر الإخاء الإنساني الذي يتجاوز المسلمين إلى غير المسلمين، وهذا ما نجده واضحا في الحلف الذي عقده النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مع اليهود، حلفا أساسه التعاون على الخير وحماية الفضيلة ودفع الأذى وحماية المدينة من كل اعتداء ومنع الظلم وردع المجرمين العابثين بالأمن وأكد النبي ذلك بالمواثيق.

ولذلك لم يجبر غير المسلمين في وقت من الأوقات على دخول هذا الدين، وهذا ما قرره بعض المستشرقين الغربيين أنفسهم مثل توماس أرنولد بقوله: (لم يحدث في تاريخ المسلمين أن جماعة أجبرت على أن تدخل في الإسلام إكراه)⁽²⁾ فقد عاشوا في بلاد المسلمين أهل ذمة لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، لهم كنائسهم ولهم بيعهم ولهم نواقيسهم ولهم أزيائهم...، ما أجبر أحد على أن يغير زيه ليكون مثل المسلمين، بل بالعكس، ما دام الإسلام قد تركه لدينه وضمن له حرية الاعتقاد فمن حقه أن يعيش بدينه وأن يقيم شعائره وأن يؤدي واجباته وأن يرعى حقوقه، وهذا من ثمرات إقرار التعدد واحترام مبدأ التسامح. وسنذكر هنا

1 . راجع: جورافسكي، الإسلام والمسيحية، عالم المعرفة، الكويت، ص 81.

2 . توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، نقله إلى العربية د. حسن إبراهيم، ص 14.

مجموعة من النماذج التي تدل على تطبيق التعددية عمليا في حياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

أولاً: (صحيفة المدينة)، حيث تعتبر أول ميثاق للتعايش في المجتمع الإسلامي دونه النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بغية بناء نسق تعاوني بين مختلف فئات المجتمع الذي ضم مسلمين ويهود ونصارى.

حيث ذكر المؤرخون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب كتاباً أو وثيقة بينه وبين اليهود، أقرهم فيها على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم، كما أن على المسلمين ذلك في المقابل.⁽¹⁾

وهذه الوثيقة هي بحق من أهم الوثائق القانونية، التي لا بد أن يدرسها علماء القانون والتشريع بدقة متناهية، لاستخلاص الدلائل والأحكام منها، وأيضاً لمعرفة الغايات التي يرمي إليها الإسلام، والضوابط التي يرتضيها، ومقارنتها بغيرها مما يتهاك المستضعفون - فكرياً - من هذه الأمة عليه، من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطرية وغيرها للإنسان.⁽²⁾

ثانياً: مع وفود بني تغلب، فقد روي: أنه قدم على رسول الله (ﷺ) وفد بني تغلب وفيهم نصارى، عليهم صُلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث. فصالح رسول الله (ﷺ) النصارى على أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.⁽³⁾

وهذا النص قد تضمن أمراً هاماً جداً، نشير إليه فيما يلي: إن هذا الذي اشترطه رسول الله (ﷺ) على نصارى بني تغلب، وهو: أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية، يشير إلى:

1- إن النبي (ﷺ) قد عامل نصارى تغلب بالرفق والعفو، حين رضي منهم أن يقرهم على دينهم، مع أن له كل الحق في معاملتهم بالشدة والعنف، ما دام أنه قد قهرهم بالحجة، فلجوا في طغيانهم، وأصرروا على باطلهم وأقاموا على الجحود على ما أصبح واضحاً أنهم يعلمون بطلانه وبواره.

2- إنه (ﷺ) أثر أن يرفق بهم، ليحفظ حق أبنائهم في الاختيار، وليضمن لهم حرية الفكر والاعتقاد، ثم حرية الموقف والممارسة.. فطلب منهم: أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية.

3- إن هذا الاشتراط يعطينا: أنه ليس من حق أحد أن يستغل سذاجة أي إنسان، حتى لو كان ولده، ليفرض عليه عقيدته، وما يدين به، بل عليه أن يفسح له المجال، ليصل إلى قناعاته الدينية واعتقاداته عن طريق الدليل والبرهان.. ولا يجوز له أن يهيمن على فكره وعقله وقلبه من خلال أجواء يثيرها، أو إحياءات يمارسها، ما دام أن الطرف الآخر غير قادر على التمييز بين الحق والباطل، أو كان ذلك مما يصرفه عن التفكير في هذا وذاك.

4- إن هذا المبدأ لا يختص بصورة ما لو كان الطرف الآخر لا يدين بالإسلام، بل هو مما يفرضه الإسلام حتى على المسلمين أنفسهم، إمعاناً منه في إنصافهم، وفي إجراء سنة العدل

1 . راجع: ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ج 3، ص 273.

2 . العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، دار الحديث العلمية الثقافية، قم- إيران، ط1، 1426هـ، ج 5، ص 128.

3 . ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت - لبنان، د . ت، ج 1، ص 316.

فيهم، ففرض على كل مسلم أن يحصل قناعاته عن طريق الحجة والدليل، ولا سيما فيما يختص بالتوحيد والنبوة، وبعض المعتقدات الأخرى.⁽¹⁾ حيث لم يرض منه بتقليد الناس جهابذة العلم، وأساطين الفكر، فإنه لا يرضى بأن يقلد أحد أحدا من غير العلماء حتى تقليد الأبناء لأبائهم أو لغيرهم كما هو واضح. إن التعددية الدينية في أرحب مفاهيمها قد تبناها الإسلام ودعا إليها، وخطة الرسول الكريم (ﷺ) كانت هي إبلاغ مبادئه إلى المجتمع فإن شاءوا آمنوا بها وإن شاءوا تركوها قال الله تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) [سورة الكهف، الآية: 29]. إن خطة الرسول (ﷺ) هي الأداء والتبليغ يقول تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) [سورة الغاشية، الآية: 21]. ويقول تعالى: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) [سورة ق، الآية: 45].. وليس على الإسلام من ضرر وبأس أن أصر المنتسبون إلى المسيحية وغيرها على بقاء عقيدتهم يقول سبحانه مخاطبا لنبيه الكريم: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) [سورة يونس، الآية: 99]. إن الإسلام قد تبنى سياسة التسامح الديني مع كل الشعوب التي امتد إليها الفتح الإسلامي.

يقول (جولد تسيهر): سار الإسلام لكي يصبح قوة عالمية على سياسة بارعة ففي العصور الأولى لم يكن اعتناقه أمرا محتوما فإن المؤمنين بمذاهب التوحيد أو الذين يستمدون شرائعهم من كتب منزلة كاليهود والنصارى والزرادشتية كان في وسعهم حتى متى دفعوا ضريبة الرأس (الجزية) أن يتمتعوا بحرية الشعائر وحماية الدولة الإسلامية، ولم يكن واجب الإسلام أن ينفذ إلى أعماق أرواحهم إنما كان يقصد إلى سيادتهم الخارجية. بل لقد ذهب الإسلام في هذه السياسة إلى حدود بعيدة ففي الهند مثلا كانت الشعائر القديمة تقام في الهياكل والمعابد في ظل الحكم الإسلامي.⁽²⁾

إن الإسلام ألزم المسلمين باحترام حق الغير في عقيدته فليس لأحد أن يكره غيره على اعتناق عقيدة خاصة وإذا أراد أن يعارضه في عقيدته فعليه أن يقنعه بالتالي هي أحسن ويبين له الوجه في خطأ عقيدته عن اقتناع فإن ثاب إلى الحق فذاك وإلا فليس عليه الضغط ولا مجال ولا حق لأحد في استعمال القوة في هذا السبيل.

ومن مظاهر هذه الحرية التعددية في المجال العقائدي التي أعلنها الإسلام أنه لا يلزم غير المسلمين بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على واقع حياتهم لاسيما في الأحوال الشخصية فإنهم يرجعون إلى أحكام دينهم في هذا الموضوع.

ثالثا: وهناك وثيقة أخرى تبين حرية التنوع والتعددية، بل وتكفلها أيضا. ولأهميتها سنذكر نصوص منها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله إلى الناس كافة، بشيرا ونذيرا، ومؤتمنا على وديعة الله في خلقه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والبيان، وكان عزيزا حكيما. للسيد ابن الحارث بن كعب ولأهل ملته، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبا وبعيدا فصيحها وأعجمها، معروفها ومجهولها،.. بإعطاء العهد على نفسي بما أعطاهم عهد الله وميثاقه،.. ذمتي وميثاقي

1 . العالملي، مصدر سابق، ج 28، ص 130.

2 . باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط الثانية، 1978م، ص 187.

وأشد ما أخذ الله على بني إسرائيل من حق الطاعة، وإيثار الفريضة، والوفاء بعهد الله أن أحفظ أقاصيهم في ثغوري بخيلي، ورجلي، وسلاحي، وقوتي، وأتباعي من المسلمين في كل ناحية من نواحي العدو بعيدا كان أو قريبا سلما كان أو حربا، وأن أحمي جانبهم وأذب عنهم، وعن كنائسهم، وبيعهم، وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح، حيث كانوا من جبل أو واد أو مغار أو عمران أو سهل أو رمل، وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا من بر أو بحر شرقا وغربا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من أهل ملتي، وأن أدخلهم في ذمتي وميثاقي وأماني، ومن كل أذى ومكروه أو مؤونة أو تبعة، وأن أكون من ورائهم ذابا عنهم كل عدو يريدني وإياهم بسوء بنفسي وأعواني وأتباعي وأهل ملتي وأنا ذو السلطنة عليهم، ولذلك يجب علي رعايتهم وحفظهم من كل مكروه، ولا يصل ذلك إليهم حتى يصل إلي وأصحابي الذابين عن بيضة الإسلام معي، وأن أعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة والخراج إلا ما طابت به أنفسهم، وليس عليهم إجمار ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا تغيير أسقف عن أسقفية، ولا راهب عن رهبانيتها، ولا سائح عن سياحته، ولا هدم بيت من بيوت بيعهم، ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد، ولا منازل المسلمين.. ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام، (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)، ويخفض لهم جناح الرحمة، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا من البلاد. وإن أكرم أحد من النصارى أو جنى جناية فعلى المسلمين نصره والمنع والذب عنه، والغرم عن جريرته، والدخول في الصلح بينه وبين من جنى عليه، فأما من عليه أو يفادى به، ولا يرفضوا ولا يخذلوا ولا يتركوا هملا، لأنني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام والذب عن الحرمة، واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم. ولا يحملوا من النكاح شططا لا يريدونه، ... ولهم إن احتاجوا في مرمة بيعهم وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم إلى ردف من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها أن يرفدوا على ذلك، ويعاونوا ولا يكون ذلك دينا عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله موهبة لهم ومنة لله ورسوله عليهم. ولهم أن لا يلزم أحد منهم، بأن يكون في الحرب بين المسلمين وعدوهم رسولا أو دليلا أو عوناً أو متخبرا، ولا شيئا مما يساس به الحرب، فمن فعل ذلك بأحد منهم كان ظالما لله، ورسوله عاصيا، ومن ذمته متخليا، ولا يسعه في إيمانه إلا الوفاء بهذه الشروط التي شرطها محمد بن عبد الله رسول الله لأهل ملة النصرانية...⁽¹⁾

رابعا: ومن سماحة الإسلام ومرونته في التعامل مع التعددية في المجتمع أن يضمن أمن الفرد غير المسلم ولو كان مشركا. نقرأ مثلا قوله سبحانه: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة التوبة، الآية: 6]. فمعنى الآية: إن طلب منك بعض هؤلاء المشركين الذين رفع عنهم الأمان أن تأمنه في جوارك ليحضر عندك ويكلمك فيما تدعو إليه من الحق الذي يتضمنه كلام الله فأجره حتى يسمع كلام الله ويرتفع عنه غشاوة الجهل ثم أبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ حتى يملك منك أمانا تاما كاملا، وإنما شرع الله هذا الحكم وبذل لهم هذا الأمن التام لأنهم قوم جاهلون ولا بأس على جاهل إذا رجي منه الخير بقبول الحق لو وضح له. وهذا غاية ما يمكن مراعاته من أصول الفضيلة وحفظ

الكرامة ونشر الرحمة والرفاة وشرافة الإنسانية اعتبره القرآن الكريم، وندب إليه الدين القويم.⁽¹⁾

وهكذا نفهم أن من منح الأمان لا تمتد إليه يد بالإيذاء وأنه يعان على العودة إلى مأمنه مع الوفاء له دون غدر به أو خيانة له.

ومهما يكن من أمر فإن التاريخ لم ينقل أن الرسول (ﷺ) قتل كتابيا لأنه لم يسلم، أو عذبه أو سجنه أو منعه من التعبد على طريقته، بل على العكس من هذا، فإن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لما ظفر بأصحاب بدر، وكانوا مشركين لم يقتلهم بل أخذ منهم الفداء وتركهم على شركهم، فلم يجبرهم على الإسلام، وكذلك فعل بأهل مكة فإنه (صلى الله عليه واله وسلم) قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء⁽²⁾، فلم يقتلهم ولم يجبرهم على الإسلام، وكذلك صنع بأهل حنين.. إلى غير ذلك مما لا يخفى على من له أقل إلمام بتاريخ الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وهذا هو المقطوع به من سيرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بل وسيرة المسلمين طوال التاريخ الإسلامي، فإنه لم يعهد من أي مقاتل من المسلمين أن يقتل جميع الكفار الذين لم يكونوا أهل كتاب ولم يسلموا، بل مختلف أنواع الكفار كانوا يعيشون في كنف الحكومات الإسلامية بسلام، كما لا يخفى ذلك على من راجع التاريخ⁽³⁾. نعم فرض عليهم الجزية وبعض الأمور الأخرى التي ذكرتها كتب الفقه الإسلامي بالتفصيل.

وهكذا تجد أن هذه الأسس قد طبقتها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع الجميع، حيث اعترف حتى للمعارضة المسلحة التي استخدمت السيف ضده بحق الحياة والرزق كما فعل مع الخوارج الذين ثاروا عليه. بل انه لم يكفرهم ولم يخرجهم عن الإيمان بل قال: (لَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ - كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ) وهو إشارة إلى أن الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلا، بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا بالباطل بالعرض. ومن لم يكن غرضه إلا الحق فلا يمكن أن نحكم عليه بالبطلان.⁽⁴⁾

فلو كان الإسلام ضد التعددية لما دعا إلى الاعتراف بالتعايش مع أهل المسيحية واليهودية، واحترام طقوسهم وعقائدهم. والدين الإسلامي هو آخر دين انزله الله سبحانه، وفيه توجيه بالتزام واحترام الرسائل السماوية السابقة واعتبارها من عند الله سبحانه، وبالتالي فإن الحكمة الإلهية اقتضت هذه التعددية وأقرتها على المسلمين وجعلت احترامها مسؤولية فردية للمؤمن ومسؤولية رسمية للحاكم. ولم يقتصر التعدد على الاعتراف بالرسالات السماوية السابقة فحسب، بل تتعدى إلى الاجتهاد والرأي الفقهي، والتنوع المذهبي، والمنطلق التشريعي المحدود على استخلاص النص المقدس، والتمايز الفكري بشأن كثير من الأمور مثل الدولة والفرد والثقافة والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية.

والنظر إلى آيات القرآن الكريم توضح هذه الحقيقة، بما لا يدع مجالا للشك. قال سبحانه: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [سورة البقرة، الآية: 256]. وقال سبحانه: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [سورة الكافرون، الآية: 6]. وقال سبحانه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [سورة النحل، الآية: 125]. وقال سبحانه: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ

1 . الطباطبائي، مصدر سابق، ج 9، ص 154. وانظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج 15، ص 226.

2 . انظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، دت، ج 2، ص 337.

3 . الشيرازي، السيد محمد، كتاب الجهاد، دار العلوم - بيروت، ط الثانية 1409 هـ - 1988 م، ج 48، ص 299.

4 . انظر: البحراني، ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلمية - قم - إيران، ط الأولى، ج 2، ص 155.

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران، الآية: 64]. (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَؤُلَاءِ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [سورة العنكبوت، الآية: 46]. وغيرها من الآيات الكريمة.

المبحث الثالث: التعددية من المنظور الفكري.

لا يمكن جعل العقيدة حائل أو مانع من نشوء التعددية والاختلاف في المجتمع، أو من تلاقي الأفكار بين أفرادها، لأن نفس موضوع العقيدة – في بعض الأحيان – هو أمر خارج عن الإنسان، وقد يفرض في بعض الأحيان دون الدليل ودون البرهان. يقول الدكتور علي الوردي : (إن العقيدة في الواقع ليست بيد الإنسان، وهو لا يستطيع أن يحصل عليها أو يتركها كما يريد، إنها قناعة لا شعورية تأتي نتيجة الإيمان القوي والمراسل الطويل والانغمار الذي لا يخامره شك أبدا. إن العقيدة التي تكون في العقل الظاهر ولا تتغلغل إلى العقل الباطن قد تضر ضرراً بليغاً من هذه الناحية، وهي ربما أدت إلى عكس النتيجة المتبتغة منها... إن صاحب هذه العقيدة السطحية لا يكاد يضع قدمه على النار اقتداءً بفقراء الهنود مثلاً، حتى يأخذ عقله الباطن بالتخوف والاستغاثة، فهو يقول لنفسه: أقدم ولا تخف، ولكن عقله الباطن يهمس في أغوار النفس بهمسات الخطر ودنو الأجل).⁽¹⁾

قال البوطي: إن الاختلاف في الرأي ظاهرة طبيعية، فالأفراد الإنسانيون بما ركب فيهم من طبائع مختلفة، وقدرات واستعدادات ذهنية وجسمية متفاوتة، وبما نشأوا عليه من ثقافات متنوعة، وفي بيئات مختلفة، ينتظر منهم أن تختلف مواقفهم من القضايا الإنسانية والاجتماعية والدينية بصفة خاصة، لما لها من علاقة وطيدة بتركيبية الشخصية الإنسانية والذاتية والاجتماعية.

وبناء على تنوع هذه الاستعدادات الطبيعية في الإنسان يصبح من العبث أن نطلب من الناس ألا يختلفوا في أفكارهم، وألا تتعدد آراؤهم في مسائل من هذه الطبيعة. وإذا كانت التعددية سنة، فإنها لا تكون بذلك أمراً مشروعاً فقط، ولكنها تعني أنها أمر مركوز في فطرة الإنسان، ومفهوم الفطرة، الذي هو وصف الشريعة الأعظم كما قال بن عاشور، يعني أنه ليس لأحد كائناً من كان أن يمنع الإنسان إياها أو يحرمه ممارستها.

ثم إن الاختلاف حقيقة شرعية، والأدلة التي أثبتت مشروعية التنوع والاختلاف كثيرة، ومن ذلك كون مصادر الأحكام متعددة، منها ما هو متفق على حجيته، ومنها ما اختلف في حجيته، وقد نشأ عن ذلك اختلاف وتنوع في اجتهادات الفقهاء، وتعدد مذاهبهم.

ومن الأدلة على ثبوت الاختلاف والتنوع أيضاً كون نصوص الأحكام الشرعية تنقسم من حيث دلالتها إلى قطعية وظنية، ولا شك أن مساحة الظنيات القابلة لتعدد الرؤى واسعة جداً، كما قال أحد الباحثين وأما المسائل والأحكام التي دلت عليها أدلة ظنية، فلا جرم أن سبيل الاعتماد على هذه الأدلة إنما هو الاجتهاد، إذ لا يكون الدليل ظنياً إلا لأنه يحتمل أكثر من معنى واحد، دون أن يكون ثمة ما يقطع بصحة واحد منها من دون المعاني الأخرى، وربما

1 . الوردي، علي، خوارق اللاشعور، ص 184.

تفاوتت درجة الظن في أكثر الأدلة، واختلفت قوة الاحتمال فيها، فيكون الاختلاف في الوصول إلى مدلولاتها أمراً متفقاً مع طبيعتها وطبيعة العقول المفكرة.⁽¹⁾ إن من مميزات الفكر الإنساني هو إنه يسير سيرا عرضياً، ولا يسير سيرا يرتكز على جانب دون آخر، وعلى جهة دون أخرى، فكما إن للمسلمين أيديولوجيات معينة اتجاه الوجود تمتن المنهج العقلي والمنطقي القائم على البرهان والدليل، كذا للمسيحيين أيديولوجيات معينة اتجاه الوجود، وكذا اليهودية كأديان سماوية، كما وإن للبوذيين والزرادشتي والمائوي والصابئي وغير ذلك رؤيتهم للوجود والإنسان وغير ذلك. والفكر الإنساني في جوهره ومكامن حقائقه هو حركة تسير اتجاه اكتشاف مجاهيل الوجود الإنساني، بل الكوني، وحتى الغيبي، وذلك الاكتشاف ينطلق بمرتكزات ما هو معلوم من الفكر والمعرفة لتتشكل (نظرية المعرفة) الإنسانية، التي ساهمت في تشكيلها جميع العقلانيات الإنسانية، وجميع أفكار البشر، فهي نتاجات فردية عملت على صناعة أسرة ومجتمع يختلف في ما بينه، في الرؤى والأفكار وإعراب الوجود والنظرة إلى الحياة، وتقديس ما يمكن تقديسه، ونبذ ما يمكن نبذه، وحتى نتج مجتمع العولمة، وعولمة المجتمع، ذلك المجتمع الحديث والعصري، والذي انتهت إليه غاية ما كانت تؤسسه نظرية المعرفة الإنسانية أو لنقل البشرية بالعرض على مر حركة التاريخ بمكانه وزمانه.

ونظرية المعرفة الإنسانية (البشرية) تستند في قوتها وبقائها اليوم على مشروع تعدد الرؤى والأفكار وقوالب المعرفة ونمط التفكير والأساليب الكيفية والكمية للتخاطب والتواصل مع أفراد المجتمع.

وكما كان القبول بالأفكار والرؤى أياً كانت بشرط منهجيتها، كلما كان المجتمع يتحرك نحو الديناميكية الثقافية، لنتج ديناميكية الوعي الثقافي المجتمعي بنفس موضوع التعددية، ونفس موضوع شرعية الاختلاف، وإنما دليل شرعية الاختلاف سيكون ولید تلك الديناميكية التي تريد فكراً مغايراً وثقافة أخرى ووعياً جديداً على الدوام.

لذا فالتعددية الفكرية والإقرار بشرعية الاختلاف والرأي الآخر هو نوع من أنواع التنوع المجتمعي، بل وأهمها، حيث يتيح ذلك التنوع والاختلاف للحركة الثقافية والفكرية بأن تتواجد دائماً للفرد وللمجتمع بقوة وهدف وكيان كامل ومستقل عن كل شيء لنأخذ منها كل شيء.

وكما كانت لغة الاختلاف مشروعة في المجتمع، تحمل في طياتها معاني التعددية، كلما كان المجتمع يستوعب الثقافة بلغتها العالمية، وبلغتها التقدمية والحدثية، والحدثية هي ولیدة المجتمعات الحركية والفعالة، والمحتوية على المختلفين في شتى صنوف المعرفة والعلوم والتشريعات، والاختلاف في ذاته يصنع تعدد الرؤى والأفكار والنظريات، ليكون ذلك المجتمع هو الأقوى في حل قضايا المصيرية، وهو الأقوى في إيجاد الحلول لكل مشاكله المستعصية، وهو الأقوى في بناء دولته المدنية والعصرية والمتطورة في جميع صنوف المعارف كبروياتها وصغروياتها.

وركود المجتمع وفقدانه لهذه اللغة الإنسانية (ثقافة الحوار، الرأي الآخر، التنوع، الاختلاف، التعددية) يعني إبادة المجتمع وأفراده، ويعني انعدام الرؤى للواقع الذي يعيشونه، ويعني ظهور الجريمة والعنف والإرهاب، ويعني ظهور التخلف والجهل، وغياب لغة العدالة

1. البوطي، محمد سعيد رمضان: محاضرات في الفقه المقارن، دار الفكر، دمشق، ط 12، 1401 هـ - 1981 م ص 12.

وظهور لغة المظلومين، بصورة ظاهرة حية تكبل حركة النهضة في ذلك المجتمع، وتقيد تعدد المعارف والعقليات والأفكار التي تستوعب همها ومشاكلها وتخلفها وانعزالها عن العالم الخارجي، والذي أخذ بالتطور والتقدم بصورة السوبر سرعة، أو وصوله إلى مرحلة النتائج المعرفية الكبرى، ومرحلة الوعي المعقد، أو الباطن الفكري والذهني التعقلي لقضايا الكون والوجود والإنسان والحياة.⁽¹⁾

وبالنظر في التاريخ الإسلامي نجد أن التعددية الفكرية بمستوياتها المختلفة قد وجدت في ظل الدولة الإسلامية، وأنه كان للمل والنحل المخالفة لدين الإسلام من يمثلها، بل كان بعضهم ممن يتبوء منصباً مهماً في بعض تلك الدول، فكانوا كتاباً للسلطان ووزراء لديه، من متأدبة ومتفلسفة ومتطبعة، سواء كانوا كتابيين أو مجوساً، أو صابئةً ومانويين. هذا فضلاً عن المنتسبين إلى القبلة بمختلف درجاتهم، من سنة وأشاعة ومعتزلة وإمامية.

إن مفهوم التعددية من المنظور الفكري يتحدد في ثلاث أمور:

الأمر الأول: الاعتراف بوجود تنوع في مجتمع ما بفعل وجود عدة دوائر فيه ضمن هويته الواحدة، دون أن يكون هذا التنوع مصدراً من مصادر الخلاف أو الشرخ في الهوية، أو كما يقول (هيجل) عن العالم الشرقي والصيني بشكل خاص: (لقد سادت المساواة في الصين بين كل الأفراد – الذين تتألف منهم الإمبراطورية –، وبالتالي كانت الحكومة كلها في مركز واحد هو الإمبراطور حتى أن الأفراد لم يكن باستطاعتهم أن يبلغوا الاستقلال والحرية الذاتية. والدرجة التي تلي هذه الوحدة هو أن يتفوق الاختلاف ويصبح في خصوصيته مستقلاً في مواجهة الوحدة التي تسود الكل. إن الحياة العضوية تتطلب من ناحية، نفساً واحدة ومن ناحية أخرى، تتطلب الانتشار إلى اختلافات تتفرع وتتشكل في جزئيتها مكونة نسقاً متكاملًا).⁽²⁾

الأمر الثاني: احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف واختلاف في العقائد والمصالح وأنماط الحياة والاهتمامات ومن ثم الأولويات ضماناً لسلامة المجتمع من الانقسامات الحادة والنزاعات المسلحة.

الأمر الثالث: إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك كله بحرية في أطار مناسب وبالحسنى وبشكل دون نشوب صراع يهدد سلامة المجتمع. وكما يقول (روزفان فالون) في كتابه (تكريس المواطن): (أن نظرية التمثيل – البرلماني – تتضمن اعترافاً بالتناظر والتنوع القائمين داخل المجتمع).⁽³⁾

إن التعددية أمراً لا يمكن إنكاره أو الانقلاب عليه في أي مرحلة من المراحل. لكن في مرحلة يأخذ الحديث عن التعددية (معبر الخلاص) للمجتمع من حالة التقاتل التي يعيش فيها نتيجة لسيادة التطرف والتعصب على الحياة العامة. وفي مرحلة أخرى، يأخذ الحديث عن التعددية صفته كـ(مفهوم معرفي) يساهم في تأصيل الاحترام المتبادل بين أعضاء المجتمع الواحد باعتباره الفضاء الملائم إلى الوحدة المنشودة وتحقيق المساواة والعدالة، سواء في الحقوق أو في الواجبات أو في الفرص الممكنة التي يوفرها الاعتراف بالتعدد والتنوع للجميع لتطوير حياتهم وممتلكاتهم العقلية والثقافية والتربوية.

1 . راجع: مرجعاً، محمد عبد الرحمن، أصالة الفكر العربي، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1982 ص9. وأيضاً: الكعبي، عبد الحكيم، التعددية الفكرية وشرعية الاختلاف، منشورات صفحات للدراسات والنشر، 2009م، ص79 .

2 . هيجل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة الفقيه – بيروت، ص104.

3 . نقلاً عن: بحر العلوم، حسن عز الدين، التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، العارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 2011م، ص32.

إن الانشغال الفكري لدى المسلمين لا يزال متوقفا عند مرحلة الصراع حول إثبات التعددية وحق التنوع، ولم يتمكن من الانتقال نحو تعميق هذه الثقافة لخدمة الأغراض الأساسية لدعوة التعددية. والسبب في ذلك يعود في أحد أبعاده إلى استمرار عقليات مترسخة بقناعة "ملكية الحقيقة المطلقة".

إن ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة يعني إلغاء الآخرين وعدم الاعتراف بحقيقتهم وحقوقهم مما يعني تشديد عملية التذويب القسري للتنوع والاختلاف والرأي الآخر على الضد من الحكمة الإلهية في خلق هذا التنوع وهذا الاختلاف وثقافة الحوار. وهنا تلعب الأيدولوجيات المتعصبة دورا في إلغاء الوقائع بحيث تتجه إلى إلغاء التنوع والتعامل مع البشر على أنهم نوع واحد متشابه لا مجال فيه للاختلاف. ولا بد من الإذعان إلى أن لا أحد غير المعصوم يمكن أن يدعي أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، أو أنه محيط بها إحاطة تامة، فإن الإذعان لهذا الأمر سوف ينمي في نفس الإنسان احترام الآخر، واحترام وجهة نظره، وإن حدث أي اختلاف في وجهات النظر فإن الجميع سيكونون في مستوى لا يؤدي إلى التنازع، لأن من أهم عوامل التنازع والاختلاف في الرأي هو توهم البعض بأنهم يمتلكون الحقيقة، وإن غيرهم على باطل، فإن هذا التنوع المجتمعي والتعدد الفكري سيؤدي بلا شك إلى نوع من التالف والتعاون.

لذا يجب أن ننظر إلى التعددية باعتبارها أمرا مفروغا منه لا يمكن التشكيك في وجوده واعتبار الاختلاف حقا من حقوق الإنسانية المحترمة. وقد أكد القرآن الكريم هذا الحق، سواء في الأديان التي جعل الاعتراف بها في الإسلام جزءاً أساسيا من الإيمان، أو في الطبيعة حين جعل الأعمال والنشاط البشري الروحاني وفعل الخير، أي التقوى، هي المميز لهذا التنوع وأفضليته وليس العراق أو اللون أو الغني أو القوة. لأن التعددية تضمن تحقيق عدد من المصالح الحقيقية للأمة، منها:

1- إتاحة الفرصة لإيجاد التوافق بين الرؤى المتفاوتة والاجتهادات المتباينة ضمن الدائرة الإسلامية. كما تسهم في إثراء الفكر وأساليب الأداء. فضلا عن أن التعددية تعالج مشكلات الاختلاف في الرأي والاجتهاد من خلال آليات اجتهادية لممارسة التشاور بين ممثلي الرؤى المختلفة.

2- إن التعددية تجنب الأمة احتمالات الاستبداد، وما يمكن أن يترتب عليه من مفسدة. لأن الاعتراف بالتعددية ضمن إطار قانوني ودستوري يتيح شيوع الحريات العامة واكتمال الجهود الفردية.

3- تجنب التعددية – في حال إقرارها في إطار دستوري وحقوقى فعال –، الأمة الصراعات الحادة وأثارها السلبية.

4- تمنح التعددية الفرصة لتيار أو جماعة أخرى عندما يعجز غيرها عن حل مشاكل البلاد أو تحقيق طموحات الجمهور، أو عندما لا يفي بالوعود التي قطعها على نفسه، وهي بهذا تجعل الطرف المقصر يعيد النظر في أدائه وتوفر فرصا دائمة للمراجعة والتجديد.⁽¹⁾

النتائج:

1. القرآن الكريم اقر فكرة التعددية واعتبرها سنة في الخلق. وهو المصدر الأول للتنوع والتعددية في الإسلام.
 2. نماذج التعايش والتعددية في تاريخ الإسلام كثيرة, جسدها النبي الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) ومن سار بسيرته.
 3. الأفكار تختلف وتتعدد باختلاف الأمم والشعوب, وذلك يرجع إلى التباين الحاصل في العقول والافهام, وتعدد الشرائع والملل, واختلاف الأزمنة والأمكنة.
 4. التعددية الفكرية تعني: وجود جماعات بشرية مختلفة, من حيث الشرائع والثقافات والقوميات والأجناس والأعراق والأفكار والطروحات, ضمن إطار تنظيمي اجتماعي وقانوني, يضمن منع تعدي أي فئة على أخرى, وهي قائمة على أساس أن البشر مختلفون في أفكارهم ومعتقداتهم, ولهم الحق في العيش بأمان دون فرض الآراء, أو إجبار على اعتناق المعتقدات.
 5. التعددية لها ايجابيات كثيرة ينبغي الاستفادة منها والعمل عليها, وان كانت هناك من سلبيات أو نواقص فيها, فيجب العمل على معالجتها وسد النقص الحاصل فيها.
 6. إن الاعتراف بالآخر هو شرط وقاعدة التعايش والتفاهم السلمي ومن شروط التعددية أن يعترف كل طرف بالآخر من غير مصادرة رأي ولا محاربة موقف, وان يكون الاحترام والتفاهم والتعايش هو القاعدة والأصل وهذا جزء من امن المجتمع الذي يجب المحافظة عليه شرعا وعقلا.
 7. التعايش المجتمعي, هو نوع من أنواع التعاون المشترك القائم على أساس الثقة والاحترام المتبادلين, بطوعية واختيار, حيث يهدف إلى تحقيق أهداف متفق عليها, من خلال التعايش المشترك, والقبول بالتنوع, بما يضمن وجود علاقة ايجابية مع الآخر.
- وفي ختام البحث نقول: لقد وقفنا في هذا البحث على بعض تجليات التعددية كما تظهر من خلال النصوص القرآنية, ولا نحسب أننا قد أتينا عليها جميعا, لكننا ركزنا على أهمها من وجهة نظرنا, فالموضوع جد طويل ويحتاج إلى كتابات عديدة وعميقة ومتأنية تقرب من تحديد معالم قضية التعدد وذلك بتوفر عنصر أساسي, ألا وهو ضرورة قراءة كل النصوص القرآنية والحديثية التي لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بمسألة اختلاف الراي وثقافة الحوار ومظاهره.
- يمكن القول بأن المنظور القرآني يقر التعددية بكل صورها وألوانها ويبين للمسلمين وغير المسلمين أن الحياة تتسع للموافق والمخالف. ونستطيع أن نخلص بأن الاختلاف حقيقة كونية وفريضة شرعية أقرها الإسلام. فإذا وصلنا إلى هذه النتيجة أيقنا أن الذين يتحدثون عن زوال هذا الاختلاف أو نفي وجوده أصلا وعن اجتماع الناس على رأي واحد غير منصوص عليه بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة, وهو الذي يمثل ثوابت الإسلام وأركانه, كلامهم يحتاج إلى نظر حيث يصعب إثباته أو تطبيقه, وهو ما لم يحدث حتى في عهد أصحاب النبي الذين اختلفوا والرسول بينهم ينتزل عليه الوحي. فالإنسان لا يمل من هذا اختلاف الراي سواء كان في أمور شرعية أو أمور حياتية صرفة, ما دام ذلك بعيدا عن التنازع المؤدي إلى التفرقة والشقاق والبغضاء والشحناء. بل من المهم أن يكون اختلاف الراي منهج حياة يطبقه الزوج والزوجة في بيتهما مع أولادهما وتطبقه المؤسسات على اختلافها وتنوعها بداية من الأسرة,

النواة الأولى لبناء المجتمع، وصولاً إلى مؤسسة الدولة أو مجموعة الدول أو العالم بأسره، وذلك لترسيخ قيم الحوار والتسامح اللذان يعتبران من أرقى الروابط السامية للاجتماع البشري والعلاقات الإنسانية.

المصادر والمراجع:

1. ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت - لبنان، د. ت.
2. ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1988م.
3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1412 - 1992 م.
4. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عدد)، نشر آداب الحوزة، 1405هـ.
5. أمل هندي، نزار جودة، التعددية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر قراءة في أفكار محمد حسين فضل الله، مجلة العلوم السياسية، العدد (46).
6. انظر: المدرسي، محمد تقي، النهج الإسلامي، قراءة في مسيرة الحركة الإسلامية، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1998 م.
7. باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط الثانية، 1978م.
8. البحراني، ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلمية - قم - إيران، ط 1.
9. البوطي، محمد سعيد رمضان: محاضرات في الفقه المقارن، دار الفكر، دمشق، ط 12، 1401 هـ - 1981 م.
10. الشاطبي، إبراهيم ابن موسى، الاعتصام، ضبطه وصححه: احمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
11. الشيرازي، السيد محمد، كتاب الجهاد، دار العلوم - بيروت، ط الثانية 1409 هـ - 1988م.
12. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرسين، قم المقدسة، د. ت.
13. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، د. ت.
14. العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، دار الحديث العلمية الثقافية، قم - إيران، ط 1، 1426هـ.
15. عمارة، محمد، التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، بحث مقدم في ندوة (التعددية الحزبية والطائفية العرقية في العالم العربي) الكويت 1993 م.
16. عوض، جابر سعيد، مفهوم التعددية في الأدبيات المعاصرة، بحث مقدم في (ندوة التعددية الحزبية والطائفية العرقية في العالم العربي) 1993 م.
17. لغنهاوزن، مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية، حوار منشور في مجلة قضايا إسلامية معاصرة، سنة 11، عدد 33 - 34، 2007م.
18. مرحبا، محمد عبد الرحمن، أصالة الفكر العربي، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1982 م.

19. مرعشلي، نديم، ومرعشلي، أسامة، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، د.ت.
20. مزاحم، هيثم، نحو أطروحة للتعددية الدينية في العالم الإسلامي: قراءة في نظرية عبد الكريم سروش في كتاب (الصرافات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية)، مجلة الكوفة، العدد (7)، 2014 م.
21. الميانجي، علي الأحمد، مكاتيب الرسول، دار الحديث – طهران، ط الأولى، عام 1419 هـ.
22. الميلاد، زكي، التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي، مجلة الكلمة، عدد (2)، 1994 م.
23. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع) (تحقيق صالح).

الخطاب الديني في العراق وأثره في بناء الاعتدال

دراسة لسانية نفسية

خطاب مرجعية السيد علي الحسيني السيستاني مثلاً

م. د. صادق علي خليل الزبيدي

sa_7814@yahoo.com

جامعة ديالى – كلية التربية المقداد

المقدمة :

لقد فهم علماء المسلمين قديماً وحديثاً التعاليم الإسلامية, وجسّدوها بمواقف وسلوكيات كان لها أثر مهمّ على أخلاق الأمة ونظرتهم إلى الدين , بل أسهموا برفعة قيمه التي دعا إليها, ناهلين من القرآن والسنة الشريفة منهجاً لتلك المواقف النبيلة , والأخلاق الرفيعة منطلقين من مسؤولية شرعية توجب عليهم الالتزام بهذه القيم وتجسيدها عملياً , فقد استقوا هذه القيم من تعاليم إلهية, تعرف طبيعة الانسان , ودعت للصالح والتكامل والسعادة . وتشخص التحديات التي تواجه الشعوب الإسلامية وتضع الحلول انطلاقاً من فهم عميق وناضج للإسلام وأحكامه وتعاليمه , بما يعزز القيم الدينية وبما يحقق السعادة للبدان والشعوب . وإنّ المجتمعات الغربية أهملت الجانب الديني وأهملت التعاليم الإلهية فأصبحت في بعض مواقفها تمثل إرادة الشيطان من إراقة دماء البشر وتدميرهم والتكيل بهم , والاستيلاء على خيرات بلدانهم , وأصبحت يد الشيطان للقضاء على كرامة الانسان , ونشر الكراهية والحقد والتناحر , وأوضح مصداق لذلك الحروب والفتن التي تقودها دول لا تعرف معنى للقيم الإنسانية , ولا تتوانى عن سفك الدماء البريئة , وهدر كرامة الإنسان .

وفي العراق البلد الذي تعددت أديانه ومذاهبه وقومياته وطوائفه , وتعددت الحروب والفتن التي مرّته , تباين الخطاب الديني أمام هذه الفتن والصراعات , بين خطاب معتدل عقلاني واع يدعو للعدل والتسامح والتعايش والمحبة , وبين خطاب متطرفٍ ظلامي جاهل يدعو للظلم والكراهية واستباحة دم الآخر وكرامته وماله وعرضه , لذا يمكن تقسيم الخطاب الديني باعتبارات متعددة , فباعتبار الحيادية على (معتدل أو متطرف) وباعتبار الفاعلية على (حركي أو خامل) وباعتبار الخبرة العلمية على (متخصص أو جاهل) وغيرها من التقسيمات .

ومن جهة ارتباطه وانتمائه, فهو إما خطابٌ يرتبط بمؤسسة دينية أو يدعي الارتباط وإما غير مرتبط بأية مؤسسة (شخصي) .

وقد كان للخطاب الديني في العراق تأثير كبير على أتباعه في السلم والحرب , وفي الشدة والرخاء , وفي ظروف مختلفة , لا سيما عند الأحداث المهمة , والتحديات الكبيرة , على اختلاف مذاهبهم الإسلامية وتعدد انتماءاتهم الدينية .

ومن هذه المؤسسات الدينية المؤثرة في الواقع العراقي قديماً وحديثاً هي الحوزة العلمية في النجف الأشرف وعلمائها الذين كانت لهم مواقف مهمة في أزمنة صعبةٍ المّت بهذا البلد ودهمت أبنائه في أوقات حرجة فكانت لهذه المؤسسة كلمة أزاء هذه الأحداث المهمة

انطلاقاً من واجب ديني يلزمهم ببيان الموقف والتكليف للفرد المسلم , وكان للمراجع هذا التكليف ولا سيما المرجع الأعلى في الحوزة الذي يتحمل الجهد الأكبر في التصدي لبيان التكليف .

وفي وقتنا المعاصر كان للسيد السيستاني هذا الجهد بوصفه المرجع الأعلى للشريعة في العالم , وكان لخطابه ومواقفه أثر كبير ومؤثر في الأحداث والتحديات والفتن التي مرّ بها العراق , ومنها الخلافات المذهبية , والنعرات الطائفية , واستطاع أن يبني إلى حد كبير وعي الاعتدال وثقافة قبول الآخر , وقسم البحث على تمهيد ومبحثين , تناول التمهيد بياناً لمفاهيم عنوان البحث , وتناول, وتناول المبحث الأول : أثر خطاب المرجعية في بناء الاعتدال بين الأديان , واختار رسالة المرجعية إلى الحبر الأعظم البابا فرنسيس لتكون مثال البحث والتحليل, وتناول المبحث الثاني : أثر خطاب المرجعية في بناء الاعتدال بين المذاهب الإسلامية , وقد اختار البحث بياناً للمرجعية في الوحدة الإسلامية ليكون مدار البحث والدراسة , ثم خاتمة ذكرت فيها جملة من النتائج والتوصيات .

التمهيد :

الخطاب : للخطاب تعريفات متعددة في اللغة منها تعريف ابن فارس الذي قال إنّ : الخاء و الطاء و الباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يُخاطبه خطاباً، و الخُطبة من ذلك ((¹أما تعريفه في الاصطلاح فقد تعددت تعريفاته باعتبارات مختلفة حاول كلّ تعريف أن يحدّد ماهية الخطاب ويبرز أهم خصائصه ومن هذه التعريفات " مخاطبة الآخر بقصد الإيصال التام الكامل للرسالة أو الخبر أو الفكرة أو الكلام إليه . وبناء على هذا التعريف لا يمكننا قصر الخطاب على الكلام , لأن عملية الخطاب تستوجب الاجتهاد لإيصال الرسالة بصورة كاملة غير مجزوءة أو مشوهة أو منفرة للطرف الآخر ؟ والخلل الواقع في بعض الاوساط هو التركيز على الكلمات التي تطلق في الخطاب وإهمال مدى تقبل عقل المخاطب للكلمات وقلبه . وبذلك لا يحقق الخطاب هدفه , أو لا يصل إلى مستوى التأثير في المخاطب " .⁽²⁾ ويركّز هذا التعريف على جانب التأثير في الكلام ليكون خطاباً لذا سيكون الخطاب مؤثراً في المتلقي عندما يتخير منه منشئ الكلام , وينتقي مفرداته بدقة لتكون ملائمة للمعاني التي يريد بها مؤثرة مفيدة .

وللخطاب أهداف متعددة ومن هذه الأهداف المهمة " تحريك المحفزات الوجدانية لإحداث تغيير سلوكي أو تبني قناعة جديدة لدى الطرف الآخر , فتعديل السلوك يعدّ الهدف الاسمي للخطاب شريطة ان تكون النزعة ذاتية عند المغيّر لسلوكه . كما أنّ تعديل السلوك يعد فرعاً عملياً من فروع علم النفس التطبيقية , ويتضمن التطبيق المنظم للإجراءات المستندة إلى مبادئ التعلم بهدف تغيير السلوك الانساني ذي الأهداف الاجتماعية ويتم ذلك من خلال إعادة تنظيم الظروف والمتغيرات البيئية الحالية ذات العلاقة بالسلوك وبخاصة منها تلك التي تحدث بعد السلوك وتتضمن كذلك مذهب القناعات وإعادة تأطير الصور الذهنية. "⁽³⁾ فإن الخطاب يمارس أثر بناء القناعات , وتغيير السلوك , وإثبات أفكار وهدمها , وإن لكل متكلم طريقة في استعمال نظام اللغة لينتج خطاباً مؤثراً قادراً على جذب المتلقي

1 معجم مقاييس اللغة , ابن فارس : ج 2 ، ص 198

2 ظ: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة / محمود عكاشة / ص 17- 18

3 ظ: استراتيجيات الخطاب / ميثم سلمان / ص 30

وإمالاته لمقاصده ، والتأثير في وجدان المتلقي ، ومشاعره وأحاسيسه ليحقق هدف من أهداف الخطاب .

الخطاب الديني : إنَّ الدِّين لديه رؤية تاريخية واضحة حول الطبيعة الإنسانية نشأة وتطوراً ؛ مما يجعله عارفاً بهذه الطبيعة ولديه القدرة والمعرفة الأوسع بما يتناسب وما لا يتناسب معها وبخاصة مع إيمان المتدين بأن الدِّين رسالة إلهية يبلغها أنبياء الله وهو ما يعني أنه صادر عن الله خالق الانسان ومبدعه وهو الأعم والأعلم بما خلق وصنع .⁽¹⁾ والخطاب الديني خطاب يستند إلى نصوص كتابية دينية ووحى إلهي وتقليد ديني وفكر لا هوتي.⁽²⁾ فيكون بناء الخطاب بناءً يعتمد النصوص الشرعية والحقائق ، ويندرج ضمن الفلك الروحي الذي يربط الانسان بخالقه، وقد تكون مساراته ضمن الأطر الدينية الصحيحة وقد يوظف توظيفاً يخدم المصالح الشخصية والأهواء وتزييف الحقائق ، وغالباً ما يصدر من الفقهاء والعلماء المتصدين للإفتاء ، وطلبة العلوم الدينية ، وأئمة المساجد والجماعة ، والكتاب والباحثين في الشأن الديني وغيرهم .

ويهدف الخطاب الديني الإسلامي إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفرادها على المحبة ، والمودة ، والتألف ، والرحمة ويبتعد عن الشقاق، والاختلاف، والعداوة ، والبغضاء ، وقد اعتمد الإسلام على تربية أتباعه وفق هذه المبادئ، وذلك بتوحيد عقيدتهم أولاً ، فيتم تجانسهم الفكري ، وتتحد مقاييسهم الخلقية ، وتتوحد مصادر التلقي عندهم ، إذ كلهم يأخذون من الكتاب والسنة ، ويصدرون عنهما في أقوالهم وأفعالهم.⁽³⁾

أهمية الخطاب الديني :

تُكمن أهمية الخطاب الديني بوصفه يكتنز معاني دينية ، تمثل لدى المتلقي طريق الوصول إلى طاعة ربّه والامتثال إلى أوامره ونواهيه ، ويحدد سعادته وشقاءه في الدارين ، وإنَّ فطرة الإنسان تدفعه للبحث في رحلة نجاته الأبدية مفتشاً في المواقف والألسنة وسيكون الخطاب الديني أهم طرائق هذا الوصول .

وتمثل الشرائع الإلهية الحلّ الأمثل لتغليب قيم العدالة في المجتمعات على حساب المصالح الفئوية وذلك في حال طبقت تطبيقاً أميناً وهو لا يتم إلا في حال كان القائم على تطبيق الشريعة ممن تتوفر فيه صفة العدالة .⁽⁴⁾ ولقد أنزل الله تشريعاته تستنكر على الإنسان أن تتملكه هذه الروح في السيطرة والعداوة بينه وبين أخيه الإنسان، وتستبدل بتلكم الروح روح المحبة والأخوة الجامعة .⁽⁵⁾ وخاصة في بلداننا الإسلامية ومنها العراق الذي تدين أغلبية ابنائه بدين الاسلام ، وقد كان للخطاب الديني وقد واجه أزمات وحروب وكوارث كان سببها نشر الكراهية والحقد وبغض الآخر .

1 ظ: الاسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش ، عبد الهادي الفضلي، 26 ، اعداد وتقديم حسين منصور سلسلة الدراسات الحضارية ، مكتبة مؤمن قريش ، الطبعة الأولى بيروت 2014م

2 <https://www.risalaty.com/veiw12.php?non=679&ft=tree> 104=2 مقال مكتبة الإسكندرية المؤتمر السادس للإصلاح العربي العالم العربي بين الحاضر والمستقبل" محور الثقافة والإعلام في العالم العربي رازق سرياني 2 آذار 2009

3 إبراهيم العمري ، عبدالعزيز إبراهيم العمري، 1405 هـ ، 1985 م، أبعاد ادارية واقتصادية واجتماعية في السيرة النبوية، ط 1 مكتبة الرياض، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

4 ظ: الاسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش ، عبد الهادي الفضلي، 39 ، اعداد وتقديم حسين منصور سلسلة الدراسات الحضارية ، مكتبة مؤمن قريش ، الطبعة الأولى بيروت 2014م

5 الاسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش ، عبد الهادي الفضلي، 36 ، اعداد وتقديم حسين منصور سلسلة الدراسات الحضارية ، مكتبة مؤمن قريش ، الطبعة الأولى بيروت 2014م

تعريف الاعتدال :

الاعتدال في اللغة " توسط حال بين حالين في كم أو كيف، كقولهم : جسم معتدل بين الطول و القصر، و ماء معتدل بين البارد و الحار، و يوم معتدل طيب الهواء ضد معتدل، بالذال المعجمة. و كل ما تناسب فقد اعتدل؛ و كل ما أقمته فقد عدلته " (1) فهو حالة الوسطية وعدم التطرف ، فلا إفراط ولا تفريط ، وهو من الكمالات الإنسانية التي يكون الإدراك والمعرفة أساس تلّبسها بالفرد .

تعريف اللسانيات النفسية :

اللسانيات أو علم اللغة الحديث علم يهدف إلى دراسة اللغة دراسة موضوعية و وصفية (2). وتحدث عبد القاهر الجرجاني عن الأثر النفسي للكلام " ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوجشك في موضع آخر " (3) أما اللسانيون النفسيون ، فمعنيون بوصف الأداء اللغوي (4) واللسانيات العامة حيادية وهي تنتهي التمثيلات البنيوية الكلامية ، وتقدم البدائل ، في حين تكون اللسانيات النفسية هي التي تنتهي التأويل المفضل وتختار من خلال وزن الاحتمالات، واختيار الملائم منها . (5) وهي " ملامح وإشارات تنعكس على النفس الإنسانية فتحدث فيها استجابة معينة ، سواء أكانت لفظية أم حركية ، إرادية أم غير إرادية ، ويدخل فيها أفكار الإنسان ومشاعره ، وأحاسيسه ، وميوله ، ورغباته ، وذاكراته ، وانفعالاته ، على نحو (سلوك حركي ، وسلوك انفعالي ، ووجدانيات ، وعمليات نفسية تشمل : والكلام ، والحركة ، والعمليات العقلية والانفعالية الفسيولوجية " (6) وهي علم يبحث عن المعاني النفسية ، والمواقف الشعورية ، والاشارات العاطفية ، وما يبثه وجدان المتكلم من أصوات وألفاظ وتراكيب في أي كلام أو سلوك لغوي يتباين شدة وضعفاً بين الأفراد . وهي كاشف لغوي ، ومحلل كلامي نصل من خلالها إلى شخصية المتكلم ، وطريقة تفكيره ، ومواقفه النفسية ، وما يحمل من قيم ومعتقدات، ورؤى معرفية عن الحياة والمجتمع والأشخاص والحالات والظواهر وغيرها ، وموضوع هذه الدلالة الخطاب بما يحمل من أبعاد نفسية وشعورية وعاطفية . (7)

سيرة السيد السيستاني :

هو السيد علي بن محمد باقر بن علي الحسيني السيستاني ، ولد في التاسع من شهر ربيع الأول عام 1349 للهجرة في المشهد الرضوي الشريف في أسرة علمية معروفة ، فوالده من الأسر العلوية الحسينية التي كانت تقطن مدينة (أصفهان) في القرن الحادي عشر الهجري ، ومن ابرز أعلام أسرته يومذاك الفيلسوف الشهير (محمد باقر الداماد) صاحب كتاب القبسات، و العلم الكبير (السيد محمد) الذي عين في منصب (شيخ الاسلام) في بلاد (سيستان) . وقد نشأ في مسقط رأسه المشهد الرضوي وفي أواخر عام 1368 هـ انتقل إلى الحوزة العلمية الدينية في قم المقدسة فحضر بحوث الدراسة .

1 لسان العرب ، ابن منظور : 433 / 11

2 ظ: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي : جمعة سيد يوسف: 16

3 دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : 47

4 ظ: أسس اللسانيات النفسية ، إيفام فيرنانديز ، وهيلين سميث : 36

5 ظ: أسس اللسانيات النفسية ، إيفام فيرنانديز ، وهيلين سميث : 97

6 التعبير القرآني والدلالة النفسية ، عبد الله محمد الجيوسي : 42

7 الدلالة النفسية في نهج البلاغة مقارنة تواصلية ، صادق الزبيدي : 26

وفي أوائل عام (1371 هـ) غادر السيد مدينة قم متجهاً إلى النجف الأشرف، وحضر البحوث الفقهية والأصولية، ولقد برز السيد السيستاني (دام ظلّه) في بحوث أساتذته بتفوق بالغ على أقرانه وذلك في قوة الإشكال وسرعة البديهة وكثرة التحقيق والتنقيب ومواصلة النشاط العلمي وإمامه بكثير من النظريات في مختلف الحقول العلمية الحوزوية، ومما يشهد على ذلك أنه منح من بين زملاء وأقرانه في عام 1380 هـ وهو في الحادية والثلاثين من عمره - (شهادة الاجتهاد المطلق) من قبل أستاذه السيد الخوئي والشيخ الحلي. اشتغل سيدنا الأستاذ (دام ظلّه) من أوائل عام 1381 هـ بإلقاء محاضراته (البحث الخارج) في الفقه وبدأ بإلقاء محاضراته في علم الأصول من شعبان عام (1384 هـ) وعندما التحق الإمام الخوئي بالرفيق الأعلى في (8/ صفر / 1413 هـ)، وبعد وفاة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، وآية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبايكاني عمّ تقليده وبشكل سريع مختلف الأقطار الإسلامية ورجع إليه معظم المؤمنين في العراق والاحساء والقطيف وإيران ولبنان ودول الخليج وباكستان والهند والمغتربين في أوروبا والأمريكيتين وأستراليا وغيرهم، و اليوم - هو المرجع الأعلى للطائفة الإمامية، أدام ظلّه السامي ونفع بوجوده الإسلام والمسلمين.

للسيد السيستاني مؤلفات بلغ عددها 37 كتاباً ورسالة منها : (شرح العروة الوثقى في شرح معظم كتاب الطهارة وقسم من كتاب الصلاة والخمس، والبحوث الأصولية وهي عدة مجلدات دورة اصولية كاملة وكتاب القضاء وكتاب البيع والخيارات، ورسالة في الصلاة في اللباس المشكوك وغيرها)¹

المبحث الاول : أثر خطاب المرجعية في بناء الاعتدال بين الأديان
إنّ التعدّد الديني في العالم واقع لا يمكن تجاهله، وموضوع لا يمكن إهمال مسارات الالتقاء والافتراق فيه، وتُعد إدارة هذا التعدد والتعامل معه من التحديّات التي تواجه الشعوب والحكومات على مرّ العصور.

وإنّ تنوع الثقافات يمكن ان يكون سببا للعنف والحروب فغالبا ما تعتدي الثقافة الاقوى عسكريا واقتصاديا على الاضعف حتى صار العنف الثقافي ظاهرة عالمية و واصبح لباحثي السلام الذين يحاولون تحويل سلبيات التنوع الثقافي الى ايجابيات، والنظر الى المزيج الثقافي المتنوع سواء في الاخلاق او الدين سببا لقوة الانسانية عن طريق تكاملها كما يكون التنوع في النباتات والكائنات الحية قوة للنظام البيئي. ⁽²⁾

وقد برزت الحاجة إلى معالجة آثار هذا التنوع، وفهم التكليف الديني للتعامل مع الآخر والعمل به، وكان لأتباع هذه الأديان سلوكيات وممارسات إيجابية تارة وسلبية تارة أخرى، وكان للخطاب الديني أثر كبير في تحديد شكل هذه التعاملات بين أتباع هذه الأديان، وقد حدّد الدين الإسلامي طبيعة التعامل مع الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية والصابئية والمجوسية، والأقليات الدينية الأخرى، ويتناول هذا المبحث مثلاً على الخطاب الديني وكيفية تعامله مع هذا الاختلاف، وهو تشخيص دلالات خطاب المرجعية في ضوء علم

1 موقع مكتب السيد علي السيستاني <https://www.sistani.org/arabic/data/1/>

2 التربية والسلام / نعمة عبد السلام ياسين : ص 48 / ط1 - 2010 / دار وائل للنشر الاردن

اللسانيات النفسية , وأثر هذا الخطاب في بناء الاعتدال ونبذ التطرف . وسيتناول البحث رسالة السيد السيستاني الى الحبر الأعظم البابا فرنسيس جواباً على رسالته إليه (1) نجد البعد اللساني النفسي في هذا الخطاب المكتوب في صورٍ متعددة منها: الألفاظ الوجدانية: الألفاظ الوجدانية في الخطاب, والمعاني القلبية الروحية , والإشارات النفسية ملأت أفق النص, وشكلت أركانه الأساس فقد وردت فيه ألفاظ : (سرّني التسامح , الاحترام , حافزاً , وحسن التعايش , رعاية , المضطهدين , المظلومين, المآسي , الاضطهاد الفكري والديني , وغياب العدالة , قمع الحريات , الحركات المتطرفة , الفكر , العقيدة, الطمأنينة , الكراهية , العنف , للإيمان بالله , والالتزام بالقيم, التزوّد بالجوانب الروحية والمعنوية , فطر الله , رعاية التقوى , الكرامة الإلهية , ألهم الله, دعائي , وتضرّعي , يلهمنا, تمنياتي) فضلاً عن الآيتين الكريميتين : ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (ونفس وما سوّاهما فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاهما). التي وردت فيها (أكرمكم , أتقاكم , ألهمها , تقواها , زكّاهما) , وإذا نظرت ستجدها ألفاظ مشاعر ووجدان وإدراك , وهذا التكتيف النفسي بأن في تراكيب الخطاب , فقد أنتقل من صورة نفسية روحية الى صورة نفسية أخرى , فكانت الألفاظ مختارة بدقة , وبنية الخطاب تعتمد الأصل الديني , وتستقي من البعد الروحي , وتقرز معاني مشاعرية , في سياق نفسي حاصر في الخطاب كله, وهذا يناسب طبيعة موضوع الخطاب , ومقام شخصيتي الخطاب الدينية , فالخطاب مفعّم بمعاني الإيمان بدلالة ألفاظه ومعانيه .

تراكيب الاحترام والتأدّب: وهي تراكيب تضمّنت بنيتها الكلامية معاني نفسية , تعطي للآخر مكانة إنسانية , وتستعمل معه مفردات وتراكيب تدل على التأدّب والاحترام , مغمسة بمشاعر القبول والمرونة والرضا بالآخر . بقوله : (حضرة الحبر الأعظم البابا فرنسيس رئيس دولة الفاتيكان المحترم), استعمل الخطاب مبدأ التأدّب وهو أحد المبادئ اللسانية , ومثلت التعبيرات استهلالاً شعورياً , ورسالة عاطفية تمهّد للتلقّي , وبنية كلامية تضمّنت مفردات تحمل معاني احترام شخصية الآخر, فاستعمل : (حضرة , المحترم) وقوله : (تحية , طيبة الاحترام , التقدير) وتكرار معنى الاحترام, بقوله : (محترم , احترام), ومخاطبه الآخر بصفته الدينية تارة بقوله: (الحبر الأعظم , البابا) وبصفته الرسمية تارة أخرى بقوله: (رئيس دولة الفاتيكان) .

واستعمال إشارات الجمع في بنية اللغة , وخطاب المتلقي فيه فرد لا جماعة بقوله: (كتابكم , لزيارتكم , بكم , أشرتكم , رسالتكم, أشارككم) وهو يخاطب البابا بهذه الإشارات كرمز ودالّ على احترام الآخر , وإعطائه منزلته المعروفة في المجتمع بوصفه رئيساً ورمزاً دينياً , وهي لغة مرنة هادئة تترشح منها معاني الاحترام والمعرفة والتقدير .
ظاهرة الرمز الديني : وهي ظاهرة نصية برزت في الخطاب , وتعالقت مع بنيته بل شيدت جزءاً من بنيته الكلامية , تجسّدت في الخطاب بـ استعمال مفردات وتراكيب تضمّنت المعنى الديني الباعث على بناء الروح واستقرارها , والحفاظ على الفطرة وترميمها , فهو يشير إلى لطف الخالق ورحمته وقدرته وهي: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) , الدين والعقيدة , الاضطهاد الديني, العقيدة, للإيمان بالله تعالى, برسالاته,

فطر الله, رعاية التقوى, الكرامة الإلهية, القرآن المجيد, برحمته الواسعة, وعطائه, الله, العلي القدير, (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)¹ (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها)², ألهم الله سبحانه النفس, رحمته الواسعة), فيها رسائل نفسية متعددة منها أنها تعني التمسك بالقيم الإسلامية والثواب, والواقعية, والمصادقية, ولم يكن خطاباً مبتعداً عن الدين لأجل إرضاء الآخر لأن التعايش لا يعني أن تتلبس بغير لباسك الديني أو تتنازل عن قيمك الدينية والأخلاقية.

ثنائية الصفة والموصوف, تنشرت في فضاءات مستهلّ الخطاب, استعمال بنية تركيبية تكثف من استعمال تعبير الصفة والموصوف, فكانت الصفة محببة إلى النفس, ومطمئنة للنفوس, فقد ورد في الخطاب: (الحبر الأعظم, رئيس دولة الفاتيكان المحترم, تحية طيبة, كتابكم الكريم, لزيارتكم التاريخية (وهو بوح شعور نفسي مضمّر, والإعلان عن خلجات نفسية, واستهلال ببثّ العواطف في جبهة الخطاب, وعتبة الكلام, طريقاً للتفاهم والتقارب, والاحترام.

ثنائية التقديم والتأخير: فقد استعمل إشارات شخصية, (سرّني كتابكم) (بعثتم, إليّ) (جمعني بكم) استعمل لغة الجمع للمفرد بقوله كتابكم تعظيماً له واحتراماً, (الذي بعثتم به إليّ) بالمقابلة خاطبه بالجمع وعبر عن نفسه بالإفراد, إعطاء مساحة معنوية للآخر من خلال استعمال (بعثتم - إليّ) (بمناسبة الذكرى الثانية لزيارتكم التاريخية للعراق), انزياح مضمّر من الخاص إلى العام, ومن الفردانية إلى الوطنية, وفهم مآزجه حباً للوطن وإبراز قيمته, عندما جعل الزيارة للعراق ولم يُقحم (الأنا) في فضاءات النص, بمعونة الإشارات الشخصية, حسب تعبيره وصف الزيارة بالتاريخية (واللقاء الذي جمعني بكم) التقديم والتأخير, إعطاء المساحة كذلك جمع مقابل مفرد, نفسياً فيه تواضع, وفيه تقديم للآخر, (في النجف الأشرف, ذلك اللقاء المهم الذي أصبح حافزاً للكثيرين من أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية - بل ولغيرهم أيضاً).

بناء فكرة الاعتدال الديني: تتمثل بناء فكرة الاعتدال في الخطاب بتكثيف إشارات الاعتدال والوسطية ونبذ التطرف, المرتوية بالجانب النفسي, المؤثرة مشاعرياً في عالم التلقي, فنجد بنية الخطاب متضمنة لهذه الاشارات بحسن اختيار اللفظ, وجودة تصدير المعنى, وتضمينه معاني التسامح, وحسن التعايش, والمحبة, والاحترام, وإعطاء الحقوق, وتثبيت القيم, ونبذ التطرف والكراهية والحقد, وحفظ الأسرة, مما يعزز حضور هذه المعاني في الذهن وتجسيدها بأفعال وسلوكيات على مستوى الفرد والجماعة, وقد كان للخطاب أهداف ووسائل تحقق الاعتدال منها:

إدراك الزمن, والوعي بالظرف المعاصر الذي تتجلى فيه تحديات, لذلك يستدعي التهيؤ النفسي, والاستعداد الوجداني للتسامح وحسن التعايش مع المختلف في الدين أو المعتقد بقوله: (للتحليّ بقدر أكبر من التسامح وحسن التعايش مع من يخالفهم في الدين والعقيدة). وقد أكد الخطاب على التسامح وحسن التعايش؛ فإنّ التسامح (Tolerance) من المفاهيم المتداولة اليوم التي تستخدم في السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية التي تصف مواقف وممارسات واتجاهات تتسم باحترام الآخر ونبذ التطرف والعنف والتسامح مع الآخر

المختلف في الفكر والعقيدة والموقف , اي بمعنى آخر قبول الآخر المختلف سواء في الدين أو العرق أو السياسة أو الثقافة والتعامل معه كمختلف .⁽¹⁾ , ومعروف أنّ حسن التعايش يرسخ ويقوي المواطنة بين كافة افراد المجتمع ونقصد بالتعايش الاحترام المتبادل والتعاون بين عامة المواطنين وفي مختلف المجالات : الثقافية والاجتماعية والتجارية وغيرها ... فالإنسان مهما كانت ديانته أو انتماؤه له حقوق بوصفه شبيه لنا في الخلق وبوصفه من مخلوقات الله تعالى التي أوجدها على الأرض فينبغي احترامه أو تقديره سواء أكان من العلماء والمتقنين أم من أصحاب الرأي والفكر أو العمال والتجار وسواهم . ظ: المواطنة بين الحقوق والواجبات / ص105 , إلا إذا كان مجرماً ظالماً متعدياً على المجتمع , وكان مهدداً لكرامتهم وأمنهم فقد تعامل معه الدين الإسلامي تعامللاً خاصاً فعندئذ لا ينبغي تقديره واحترامه؛ لما يحمل من أفكار متطرفة , وما يمارس من أفعال مجرمة .

- وصف التجربة الناجحة , وذلك بإرسال إشارات إيجابية عن اللقاءات شخصية أو جماعية , لأنها تعزز جانب الثقة والاطمئنان , وتوحي للآخر بأهميته فقال : (ذلك اللقاء المهم الذي أصبح حافزاً للكثيرين من أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية - بل ولغيرهم أيضاً) -

- نشر ثقافة الاعتدال بين الأديان , وتجلّت في خطاب المرجعية وأهم وسائلها :

- 1- الترويج لثقافة التعايش السلمي
- 2- نبذ العنف والكرهية
- 3- تثبيت قيم التآلف بين الناس
- 4- رعاية الحقوق والاحترام المتبادل الأديان والاتجاهات الفكرية وهو ركن الاعتدال وأساسه

وقد عبّر الخطاب عن هذه المفاهيم صراحة بقوله: (أهمية تضافر الجهود في سبيل الترويج لثقافة التعايش السلمي ونبذ العنف والكرهية وتثبيت قيم التآلف بين الناس، المبني على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين معتنقي مختلف الأديان والاتجاهات الفكرية).

الدعوة إلى التعايش العالمي : ويتجسّد هذا المفهوم في إشارات الخطاب بصور تركيبية ومقاطع, منطقاً من فكر إسلامي أصيل لأنّ الإسلام هو النظام العالمي الوحيد الذي احتوى على تشريعات يمكن أن يعيش العالم في ظلّها في سلام ووثام ولو في مساحة صغيرة من الأرض , يهوداً ونصارى ومسلمين بل وغيرهم⁽²⁾ .

وهذه الإشارات التي وردت في الخطاب :

أ-الاضطهاد ومسؤولية العالم: , إذ أكّد الخطاب على المظلومية العالمية , والدعوة إلى نصرّة المظلومين باستعمال تركيب يعبر عن إحساس وخوف ومسؤولية بمصير المضطهدين والمظلومين في العالم , وعدم القناعة بما يبذل من جهودٍ فهي لم تصل إلى المستوى المطلوب لأنصافهم وإنقاذهم , فقال (بذل المزيد من الجهود للدفاع عن المضطهدين والمظلومين في مختلف أنحاء العالم)

1 سوسيولوجيا العنف والارهاب/ ابراهيم الحيدري: ص271

2ظ: مبادئ التعايش السلمي في الاسلام منهجا وسيرة / عبد العظيم ابراهيم المطعني / ص1

ب- عالم مليء بالمآسي : قراءة في أصناف أولئك الذين يعانون في العالم من المآسي والاضطهاد والفتن والحروب والفتن والصراعات , فهي نظرة عالمية ليست ضيقة ؛ أي ليست محدودة بمكان في الأرض أو شعب من الشعوب , أو بما يحدث في العالم الإسلامي بل العديد من شعوب العالم , وذكر فئات عرقية , واجتماعية , فقال : (منوهاً الى أن للمآسي التي يعاني منها العديد من الشعوب والفئات العرقية والاجتماعية في أماكن كثيرة في شرق الأرض وغربها)

ج- صناعة التطرف العالمي : إن التوجهات المتطرفة والمتشددة موجودة عند جميع الأديان والمذاهب , وهو ليس بالأمر الطارئ والعارض في الحياة , لكن الأمل معقود على العقلاء للتعامل بلغة العقل والحوار وتغليب الحكمة من أجل التخفيف من حدة هذه الاختلافات والاحتقانات . (1)

بقوله (لقد أشرتم في رسالتكم الكريمة الى بعض المواضيع التي أكدنا عليها في ذلك اللقاء الرائع) إذ يذكر الخطاب أسباب التطرف , متمثلة بأمور وهي :

1- الاضطهاد الفكري

2- الاضطهاد الديني

3- قمع الحريات

4- غياب العدالة الاجتماعية

وقد تناول الخطاب أسباباً أربعة تصنع التطرف , والحركات المتطرفة في العالم فقال : (نتيجة لما يمارس ضدها من الاضطهاد الفكري والديني وقمع الحريات الأساسية وغياب العدالة الاجتماعية - دوراً في بروز بعض الحركات المتطرفة التي لا تتورع عن الاعتداء على الآخرين المختلفين معها في الفكر أو العقيدة) .

الاهتمام العالمي لتحقيق العدالة ومنع الظلم : بقوله : (وأجد أن من المهم أن يولي الجميع اهتماماً أكبر برفع هذه المظالم ، ويعملوا بما في وسعهم في سبيل تحقيق قدر لائق من العدالة والطمأنينة في مختلف المجتمعات ، ومن المؤكد أنه سيساهم في الحد من مظاهر الكراهية والعنف بشكل عام) .

مواجهة التحديات العالمية ومنها التطرف : لقد ذكر الخطاب جملة من الوسائل للتغلب على هذه التحديات , وقد ترجم الخطاب الرؤية الإسلامية للتعامل مع التحديات , وهي رؤية قرآنية أصيلة , وتجسيد للسنة النبوية الشريفة , لخصها الخطاب لتكون خارطة طريق , ومنهج للتعامل العالمي , فهي دعوة للعالم وليس للمسلمين فقط , إن الدين الإسلامي ليس دين عقيدة فقط , حيث يهدي الإنسان إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته , بل هو دين كامل شامل يهدي الإنسان إلى شؤون الحياة جميعها , ويضع منهجاً له في علاقته مع نفسه ومع عائلته والمجتمع , ومع الكون والمخلوقات ؛ فهو ينظم حياة الإنسان في جميع مستوياتها , ويوجه الفرد المسلم لأداء تكليفه بما يحقق الرضا والأمن النفسي والسعادة في الدنيا والآخرة . (2)

وهذه الوسائل التي ذكرها الخطاب وهي :

1 أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع / حسن موسى الصفار / ج 8 ص 391

2 : مدخل إلى علم النفس الإسلامي محمد عثمان نجاتي : 44 , دار الشروق - القاهرة - الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م

- 1- الإيمان بالله وبرسالاته , فهو أول وسيلة يستطيع بها العالم مواجهة هذه التحديات , بعيداً عن الانحرافات العقائدية التي لا تؤمن بوجود الله : بقوله : (التأكيد عليه من الدور الأساس للإيمان بالله تعالى وبرسالاته)
- 2- أهمية الالتزام بالأخلاق الكريمة السامية بقوله : (والالتزام بالقيم الأخلاقية السامية في التغلب على التحديات الكبيرة التي تواجهها الإنسانية في هذا العصر ،)
- 3- الاهتمام بالجانب الروحي المعنوي السليم , بقوله : (وحاجتها الماسة الى التزود بالجوانب الروحية والمعنوية السليمة)
- 4- الحفاظ على الأسرة وقيمها، فهي لبنة مهمة لبناء الإنسان ونقاء المجتمع بقوله : (والى الحفاظ على كيان الأسرة وقيمها كما فطر الله الإنسان عليها)
- 5- رعاية التقوى : فهي مصدر الكرامة والخير والبركات , وبها ينال العالم السعادة (والى رعاية التقوى التي بها ينال الانسان الكرامة الإلهية كما ورد في القرآن المجيد (إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقد ألهم الله سبحانه النفس البشرية جانباً مهماً منها كما ورد في قوله تعالى: (ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها). لأنَّ الإنسان لا يستطيع بما وهبه الله من عقل و إدراكات حسيّة أن يصل بمفرده إلى الحقيقة إلا بمعرفة الله وتوفيقه , وبما يوحي به إلى رسله وأنبيائه (1) لهداية البشر وإصلاح شؤونهم الدينية والدنيوية , ولهذا فإن الخطاب الديني يمثل تعاليم التكليف الإلهي .

المبحث الثاني : أثر خطاب المرجعية في بناء الاعتدال بين المذاهب الاسلامية
تعددت المذاهب الإسلامية , وتعددت معها البنى الفكرية , والمدارس الفقهية, وأصبحت لكل مذهب أسس شرعية يلتزم بها , يرى فيها أتباعه طريقاً يوصلهم إلى إحراز التكليف الشرعي وطاعة الخالق , اعتماداً على أدلة يذكرونها ويستنبطون منها الأحكام الدينية , ولا شكَّ أنهم يشتركون جميعاً في أصول دينهم الإسلامي الحنيف , ويتمسكون باتباع نبي الرحمة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) إمام قائد , ورسول شاهد .
وقد وُلِدَ الخطاب الديني مع ولادة الأديان , وانتشر في الأوساط الاسلامية ليكون وسيلة إرشادية توجيهية تربط الناس بدينهم , وسأتناول خطاب المرجعية الدينية في النجف الأشرف متمثلاً بخطاب السيد علي السيستاني وهو فقيه إسلامي يتبعه ملايين المسلمين الشيعة في العالم, وله مواقف مؤثرة في تاريخ العراق المعاصر , وسيقف البحث على خطابه وأثره في بناء الاعتدال ونشر ثقافة المحبة والتسامح بين المذاهب الإسلامية , ومنه ما صدر عن مكتبه في بيان يؤكد على الوحدة الاسلامية و الاحترام والمحبة و تعزيز المواطنة من خلال تحليل الخطاب في ضوء علم اللسانيات النفسية.
وسيوقف البحث على خطاب واحد من جملة خطابات أكدت على الاعتدال وأشارت إلى أهمية التعايش والتسامح ونبذ التطرف , لأنَّ تناولها يحتاج إلى مساحة بحثية أوسع . وسيقف البحث على هذا الخطاب المكتوب , والكتابة نظام سيميائي مرئي ودلالي يبدي فونيمات ومقاطع تعمل عامة كدالات عن الوحدات المطابقة لها في اللغة المحكية(2)

1 ظ: مدخل إلى علم النفس الإسلامي محمد عثمان نجاتي: 45 , دار الشروق – القاهرة - الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م

2 لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء , نعمان بوقرة: 20 , دار الكتب العلمية , بيروت لبنان , ط1, 2012م

ومن هذا الخطاب بيان المرجعية (1)

بنية الخطاب:

تضمّن الخطاب إشارات نفسية متعددة , توزعت على مسارين أساسيين هما البنية العقلية الإدراكية التي تعتمد الأدلة والحجج والعقل والمنطق , والتذكير بالتجارب , وبنية وجدانية التي تستند على ألفاظ الوجدان , وتراكيب المشاعر , وتحفيز الروح , والتعبير عن الخلجات النفسية .

وسيتناول البحث بيان المرجعية حول الوحدة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) إذ ابتدأ البيان ببسمة و ب آية قرآنية تدعو للوحدة ونبذ الفرقة , و استهلال بالقرآن الكريم الذي يتفق المسلمون على صدقه ودعوته وتعاليمه , لذا الاستهلال إشارة الى المشتركات , وتذكير بتعاليم إلهية , وهو استحضار لتعاليم دينية , مشترك إسلامي أصيل .

البنية النفسية : إذ تضمّنت بنية الخطاب إشارات كلامية وتعبيرات وجدانية , فيها دلالة التحذير ومعاني الترقّب والتحذير وهي : (ظروف عصيبة , أزمت كبرى . تحدّيات هائلة , تمسّ , تهدّد) , مما يجعل المتلقي متوجه النفس , منعقد القلب على التفكير والتدبر في معنى الخطاب , وهو يُذكر بواقع خطير وحوادث تهدد وجود الأمة واستقرارها , متوقعاً ومتهيئاً لأن التهيو أو التوقع العقلي من العوامل التي توجّه الإدراك حيث تصبح التوقعات بمثابة الموجهات للبنى العقلية التي تشارك في تحقيق فهم المثيرات . (2) جاء في الخطاب : (تمرّ الأمة الإسلامية بظروف عصيبة و تواجه أزمت كبرى و تحدّيات هائلة تمسّ حاضرها و تهدّد مستقبلها) كما استعمل في النص أفعالاً مقترنة بزمان تبدأ بصوت التاء الشديد المهموس (تمرّ , تواجه , تمسّ , تهدّد) لأن فيها معنى الحدث والاستمرارية ومعنى الشدة , ثم يؤكد على أهمية إدراك الجميع باستعمال الفعل يدرك الذي يحمل معنى الاستمرارية (و يدرك الجميع - و الحال هذه , مدى الحاجة الى رصّ الصفوف و نبذ الفرقة و الابتعاد عن النعرات الطائفية و التجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية)

وقد امتلأت فضاءات الخطاب بمفردات وتعبيرات توجيهية لكنها ليست مباشرة بل نجد الفعل الكلامي التوجيهي بصيغة مصدر وليس فعل أمر ثم ينتقل الخطاب إلى استعمال المصدر خال من الزمن باستعمال المصادر التي تحمل معنى الثبوت وهي : (رَصّ , نبذ , ابتعاد , تجنّب) , ليكون الخطاب خطاباً هادئاً يعرض المطلوب على نحو مناسب بلا استعلاء , لتكون بنية الخطاب بنية وجدانية مقبولة إسلامياً فهي موجهة للمسلمين كافة , على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم , ومراعياً للجانب النفسي في عالم التلقي ؛ فإنّ بعض أتباع المذاهب قد لا يستمعون إلى غير مرجعياتهم , استعملت فيها أدوات كلامية فيها دعوة إلى إحياء القيم الإلهية التي توجب سعادة البشر وتحقيق السلام والكرامة في حياتهم .

وأكد الخطاب على أمور أربعة وهي :

1- (رَصّ الصفوف)

1 بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية 14 محرم 1428 هـ , <https://www.sistani.org/arabic/statement/1504/>

2 لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء , نعمان بوقرة : 116

2- (ونبذ الفرقة)

3- ((الابتعاد عن النعرات (1) الطائفية)

4- (تجنب إثارة الخلافات المذهبية)

نجد في النص إشارات وجدانية تَصَمَّتْ البعد من خلال بنية التركيب فقد استعمل مفردات (تلك , مضى, قرون متطاولة) تلك إشارة شخصية للخلافات وهي للبعيد مضى ابتعد ورحل , (قرون متطاولة) إشارة الى طول مدة الخلاف , فقال: (تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة و لا يبدو سبيل الى حلها بما يكون مرضياً و مقبولاً لدى الجميع) .

كما تَصَمَّن الخطاب الموضوعية والإدراك والإطلاع والتجربة على واقع هذا الاختلاف بين المذاهب , وتشخيص دقيق يترك للمتلقى حرية القناعة , ' مستعملاً بنية لغوية تخفف من الحكم القطعي بعدم الحل , وهي طريقة لسانية تسمى مخففات الخطاب وقوله : (و لا يبدو سبيل إلى حلها) , ولم يقل لا سبيل إلى حلها , لأن كل طرف متمسك بما يدين به فلا يمكن للأطراف أن ترضى جميعها بحل مقبول و مرضي للجميع .

واستعمل الخطاب أداة الحاجز النفسي والتنبيه (لا) بقوله : (لا ينبغي) , فإن بنية الكلمة تحمل معاني المنع والتحذير والإبعاد, وهي علامة توقف نفسي ولحظة تدبر وإدراك بقوله: (فلا ينبغي إذا إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرّصين , و لاسيما أنّها لا تمسّ أصول الدين و أركان العقيدة) فإنّ الحلّ عدم إثارة الجدل حولها أمام الناس في أماكن العبادة وفي الفضائيات ومواقع التواصل وليكن الحديث عن الخلافات المذهبية في حلقات العلم والدراسة ومراكز البحث بين متخصصين يفقهون جذور الاختلاف وأدلته ويعرفون مبادئ الحوار , ويفهمون أن الأمة بحاجة الى وحدة وتعايش . لأن إثارة هذه الخلافات بين عامة الناس من غير العلماء ستوقظ في الانسان جذوة التحدي والكره والانتقام من الطرف الآخر , وهذا من مضامين الخطاب الذي يؤسس للإدراك , ويبني الاعتدال. (فلا ينبغي إذا إثارة الجدل) (خارج إطار البحث العلمي الرصين) الأصل الديني والتأكيد على المشتركات :

تقديم بعض الألفاظ وتصدره الخطاب له دلالاته الوجدانية وإرساله في مستهل فقرة كلامية , (فإنّ الجميع) كان له سيميائية خاصة , واختيار دقيق , فقد أثبت العقيدة الاسلام للمسلمين , ونبذ التكفير والكره والتطرف , فإن لفظ (الجميع) ومعناه شمول الأفراد كافة , لم يستثن مذهباً من المذاهب, وهو لفظٌ يحملُ من قوة المعنى الديني الصريح - وهو يصدر من فقيه إسلامي معروف وكبير- له دلالاته الدينية القوية والصريحة بأن الجميع داخل في دائرة الاسلام, وهو يقطع الطريق على تجار الفرقة والفتن والصراعات .

واللغة التي استعملت في النص تحاكي الحالة النفسية للمتلقى المسلم , وتتناغم مع وجدانه , لأن الإيمان هو اعتقاد نفسي , وفي الوقت نفسه تبعث برسائل مجتمعية لشريحة واسعة تدين بالإسلام , وتعزز الانتماء لأصل واحد , لذا ناسبه أن يكون التركيب في هذا النص يرتبط بجذر واحد وهو الإيمان الذي تجسد في النص بكلمة يؤمنون : (بِالله , برسالة, بالمعاد) , فقد ذكر الخطاب الأصول الثلاثة المشتركة التي تطلق من التوحيد : (الإيمان بالله - الايمان بالنبوة- الايمان بالمعاد) فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد و برسالة النبي

1 معنى النَّغْرَة لغة , النعير: اختلاط الأصوات في حرب أو شر, نحو الصراخ , و نعور: لصوت في الخيشوم. و النعرة: الخيشوم و هو نغائر في الفتن؛ أي نهّاض ظ: جمهرة اللغة ابن دريد, محمد بن حسن ؛ ج2 ؛ ص774 . المحيط في اللغة ؛ ج2 ؛ ص21

المصطفى صلى الله عليه وآله وبالمعاد , وأشار إلى مصدري التشريع المشترك وهو القرآن والسنة , وأشار إلى رفض تهمة التحريف بقوله : (صانه الله من التحريف) , ثم تبني مسار الفكر الاسلامي الحق والمعتدل بنظرته لأهل البيت عليهم السلام وقال : (وبمودة أهل البيت عليهم السلام ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة) , استعمال لفظ المسلمين وتأكيد معنواً بلفظ (عامة) يدعم معنى الاشتراك والوحدة بينهم .

وقد مارس الخطاب اتجاه القبول والمحبة لأبناء الاسلام , ومارس سلوك الوحدة الاسلامية ؛ في تجسيد رؤية الاسلام في التأكيد على المشتركات في الخطاب , وكان الكلام مكتنزاً بمعاني الوحدة والاشترار والجماعة , ولم يكن فيه إشارة مذهبية تتوقع خلف مسميات مذهبية معينة . فهذه المشتركات هي الاساس القويم للوحدة الاسلامية , فلا بد من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة و المودة بين أبناء هذه الأمة الواحدة.

قال: (فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد و برسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وبالمعاد) , (و يكون القرآن الكريم الذي صانه الله تعالى من التحريف - مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكام الشرعية) (و بمودة أهل البيت عليهم السلام) , (و نحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة) (و منها دعائم الاسلام : الصلاة و الصيام و الحج و غيرها)

كيف نحقق التعايش بين المذاهب؟ :

استعمل الخطاب عبارات مباشرة ومفهومة وواضحة لبناء التعايش ونبذ التطرف بين المذاهب الإسلامية وهي :

1- الاحترام المتبادل

2- الابتعاد عن المشاحنات

3- الابتعاد عن المهاترات المذهبية والطائفية

ثم يقول البيان : (و لا أقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل و بعيداً عن المشاحنات و المهاترات المذهبية و الطائفية أيّاً كانت عناوينها). ذكر البيان مسائل مهمة لتحقيق التعايش بين أبناء الأمة الاسلامية , وهي : الاحترام المتبادل , الابتعاد عن المشاحنات , وترك المهاترات المذهبية .

وتضمن الخطاب إشارات وجدانية , وتحذيرات نفسية , من وهم الإدراك , أو الخداع الإدراكي فقد مارست بعض الخطابات الدينية في العراق التحريض وبث الكراهية , ودعت إلى التطرف والظلم , ومارس خطاب الخداع الإدراكي والتمويه والتدليس . وتعود بعض أسباب الخداع الإدراكي إلى عوامل ذاتية ومنها عوامل القلق والاضطراب النفسي والتعب الجسمي الشديد ونقص الأمن من أكثر العوامل النفسية المؤدية إلى حدوث الخداع الإدراكي فيرى الأشياء على غير حقيقتها .⁽¹⁾ لذا فقد عبّر البيان عن ذلك بقوله: (و في إطار هذا المخطط تنشر بعض وسائل الإعلام - من الفضائيات و مواقع الانترنت و المجلات و غيرها - بين الحين و الآخر فتاوى غريبة تسيء إلى بعض الفرق و المذاهب الاسلامية و تنسبها إلى سماحة السيد دام ظله في محاولة واضحة للإساءة إلى موقع المرجعية الدينية و بغرض زيادة الاحتقان الطائفي وصولاً إلى أهداف معينة).

1 لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء , نعمان بوقرة : 123

ومما ورد في الخطاب حول رؤية المرجعية لأتباع سائر المذاهب , بقوله : (و ما أوصى به أتباعه و مقلديه في التعامل مع إخوانهم من أهل السنة من المحبة و الاحترام) والتأكيد على حرمة دم المسلم وعرضه وماله من أي مذهب من المذاهب الإسلامية بقوله : (و ما أكد عليه مراراً من حرمة دم كل مسلم سنياً كان أو شيعياً و حرمة عرضه و ماله و التبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً أيّاً كان صاحبه) و لو جرى الجميع وفق هذا المنهج مع من يخالفونهم في المذهب لما آلت الأمور الى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب كل مكان و قتل فظيع لا يستثنى حتى الطفل الصغير و الشيخ الكبير و المرأة الحامل و الى الله المشتكى) العنف هو الغلظة والخشونة والقوة غير المشروعة المقرونة بفزع الانسان , أو أية ممارسة تخلو من الرفق واللين , وتمثل التعدي على الحريات ... وبكلمة مختصرة فهو يعني إلغاء الآخرين لأسباب وطرق غير قانونية وغير منطقية .¹

الخطاب الذي تناوله البحث في الدراسة وهذا نصهما كاملاً :
رسالة سماحة السيد (دام ظلّه) الى الحبر الأعظم البابا فرنسيس جواباً على رسالته إليه²
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضرة الحبر الأعظم البابا فرنسيس رئيس دولة الفاتيكان المحترم
تحية طيبة مع الاحترام والتقدير

وبعد: فقد سرّني كتابكم الكريم الذي بعثتم به إليّ بمناسبة الذكرى الثانية لزيارتكم التاريخية للعراق، واللقاء الذي جمعني بكم في النجف الأشرف، ذلك اللقاء المهمّ الذي أصبح حافزاً للكثيرين من أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية - بل ولغيرهم أيضاً - للتحلّي بقدر أكبر من التسامح وحسن التعايش مع من يخالفهم في الدين والعقيدة.
لقد أشرت في رسالتكم الكريمة الى بعض المواضيع التي أكدنا عليها في ذلك اللقاء الرائع، ومنها أهمية تضافر الجهود في سبيل الترويج لثقافة التعايش السلمي ونبذ العنف والكرهية وتثبيت قيم التآلف بين الناس، المبني على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين معتنقي مختلف الأديان والاتجاهات الفكرية.

إنني أشارككم الرأي في ضرورة بذل المزيد من الجهود للدفاع عن المضطهدين والمظلومين في مختلف أنحاء العالم، منوهاً الى أنّ للمآسي التي يعاني منها العديد من الشعوب والفئات العرقية والاجتماعية في أماكن كثيرة في شرق الأرض وغربها - نتيجة لما يمارس ضدها من الاضطهاد الفكري والديني وقمع الحريات الأساسية وغياب العدالة الاجتماعية - دوراً في بروز بعض الحركات المتطرفة التي لا تتورع عن الاعتداء على الآخرين المختلفين معها في الفكر أو العقيدة، وأجد أنّ من المهمّ أن يولي الجميع اهتماماً أكبر برفع هذه المظالم، ويعملوا بما في وسعهم في سبيل تحقيق قدرٍ لائق من العدالة والطمأنينة في مختلف المجتمعات، ومن المؤكّد أنه سيساهم في الحدّ من مظاهر الكراهية والعنف بشكل عام.

ويهمّني أن أشير هنا الى ما سبق التأكيد عليه من الدور الأساس للإيمان بالله تعالى وبرسالاته والالتزام بالقيم الأخلاقية السامية في التغلب على التحديات الكبيرة التي تواجهها الإنسانية في هذا العصر، وحاجتها الماسة الى التزوّد بالجوانب الروحية والمعنوية السليمة، والى الحفاظ

1 العنف والسلام : مؤسسة البلاغ / ص 14 / منتدى الشباب / ط 2 - 2010

2 موقع السيد علي السيستاني <https://www.sistani.org/arabic/archive/26802/>

على كيان الأسرة وقيمها كما فطر الله الإنسان عليها، وإلى رعاية التقوى التي بها ينال الإنسان الكرامة الإلهية كما ورد في القرآن المجيد (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وقد ألهم الله سبحانه النفس البشرية جانباً مهماً منها كما ورد في قوله تعالى: (ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها).

وختاماً أكرر دعائي وتضرّعي إلى الله العليّ القدير بأن يلهمنا جميعاً الصواب في القول والعمل، ويتفضّل على البشرية جمعاء من الخير والصلاح والسلام ما يليق برحمته الواسعة وعطائه الذي لا حدود له. كما عبّر عن تمنياتي لشخصكم الكريم بالصحة والسلامة والتعافي من العارض الذي ألمّ بكم مؤخراً.

النجم الأشرف في الرابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام عام 1444هـ الموافق
2023/7/3م

علي الحسيني السيستاني
التوقيع / الختم

بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الاسلامية ونبذ الفتنة الطائفية¹

١٤ محرم ١٤٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)

تمرّ الأمة الاسلامية بظروف عصيبة و تواجه أزمات كبرى و تحديات هائلة تمسّ حاضرها و تهدّد مستقبلها ، و يدرك الجميع - و الحال هذه - مدى الحاجة الى رصّ الصفوف و نبذ الفرقة و الابتعاد عن النعرات الطائفية و التجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية ، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة و لا يبدو سبيل الى حلّها بما يكون مرضياً و مقبولاً لدى الجميع ، فلا ينبغي اذاً إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين ، و لاسيما انها لا تمسّ أصول الدين و اركان العقيدة ، فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد و برسالة النبي المصطفى صلى الله عليه و آله و بالمعاد و بكون القرآن الكريم - الذي صانه الله تعالى من التحريف - مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكام الشرعية و بمودة أهل البيت عليهم السلام ، و نحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة و منها دعائم الاسلام : الصلاة و الصيام و الحج و غيرها .

¹ <https://www.sistani.org/arabic/statement/1504/>

فهذه المشتركات هي الأساس القويم للوحدة الإسلامية ، فلا بدّ من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة و المودة بين أبناء هذه الأمة ، و لا أقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل و بعيداً عن المشاحنات و المهادنات المذهبية و الطائفية أيّاً كانت عناوينها .

فينبغي لكل حريص على رفعة الاسلام و رقيّ المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم و التقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لئلا تؤدي الى مزيد من التفرق و التبعض و تفسح المجال لتحقيق مآرب الاعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الاسلامية و الاستيلاء على ثرواتها .

و لكن الملاحظ - و للأسف - أن بعض الأشخاص و الجهات يعملون على العكس من ذلك تماماً و يسعون لتكريس الفارقة و الانقسام و تعميق هوة الخلافات الطائفية بين المسلمين ، و قد زادوا من جهودهم في الآونة الأخيرة بعد تصاعد الصراعات السياسية في المنطقة و اشتداد النزاع على السلطة و النفوذ فيها ، فقد جدّوا في محاولاتهم لاطهار الفروقات المذهبية و نشرها بل و الاضافة عليها من عند أنفسهم مستخدمين أساليب الدسّ و البهتان لتحقيق ما يصبون اليه من الاساءة الى مذهب معين و التنقيص من حقوق أتباعه و تخويف الآخرين منهم .

و في إطار هذا المخطط تنشر بعض وسائل الإعلام - من الفضائيات و مواقع الانترنت و المجالات و غيرها - بين الحين و الآخر فتاوى غريبة تسيء الى بعض الفرق و المذاهب الاسلامية و تنسبها الى سماحة السيد دام ظله في محاولة واضحة للإساءة الى موقع المرجعية الدينية و بغرض زيادة الاحتقان الطائفي وصولاً الى أهداف معينة . ان فتاوى سماحة السيد دام ظله انما تؤخذ من مصادرها الموثوقة - ككتبه الفتوائية المعروفة الموثقة بتوقيعه و ختمه - و ليس فيها ما يسيء الى المسلمين من سائر الفرق و المذاهب أبداً ، و يعلم من له أدنى إلمام بها كذب ما يقال و ينشر خلاف ذلك .

و يضاف الى هذا ان مواقف سماحته و البيانات الصادرة عنه خلال السنوات الماضية بشأن المحنة التي يعيشها العراق الجريح ، و ما أوصى به أتباعه و مقلّديه في التعامل مع إخوانهم من أهل السنة من المحبة و الاحترام ، و ما أكد عليه مراراً من حرمة دم كل مسلم سنياً كان أو شيعياً و حرمة عرضه و ماله و التبرؤ من كل من يسفك دماً حراماً أيّاً كان صاحبه كل هذا يفصح بوضوح عن منهج المرجعية الدينية في التعاطي مع أتباع سائر المذاهب و نظرتها اليهم ، و لو جرى الجميع وفق هذا المنهج مع من يخالفونهم في المذهب لما آلت الامور الى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب كل مكان و قتل فظيع لا يستثني حتى الطفل الصغير و الشيخ الكبير و المرأة الحامل و الى الله المشتكى .

نسأل الله تبارك و تعالى أن يأخذ بأيدي الجميع الى ما فيه خير هذه الأمة و صلاحها انه على كل شيء قدير .

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) النجف الاشرف

14 / المحرم / 1428

2007/2/3

الخاتمة :

- من جملة النتائج التي توصل إليها
- بنية الخطاب المستعملة في بناء فكر الاعتدال بنية تجمع بين العقلية والنفسية , وتشع بإشارات وجدانية مؤثرة .
- القدرة على تشخيص التحديات والصراحة والموضوعية في عرضها للجمهور مع مراعاة المقامات وحزaze الوضع الراهن الذي يعيشه العالم .
- لفظياً في خطاب المرجعية استعمال لغة دقيقة في التعامل مع قضايا دينية حساسة , والتعبير عنها بوضوح من غير تعقيد أو غموض لأنها موجهة لعامة الناس .
- معنوياً خطاب يحمل إشارات كلامية غير متحيزة لمذهب دون آخر بل هي مثال للخطاب الاسلامي المعتدل .
- أعتمد الخطاب في مواضع متعددة الشاهد الديني , والبرهان العقلي البسيط , لإيصال الفكرة , وتبليغ المضمون , مرتوياً بأحاسيس ومشاعر.
- التعبير عن المختلف بألفاظ خاضعة لمبدأ التأدب , واستعمال الأوصاف المحببة إلى النفس .

التوصيات :

- أقترح على جامعة ديالى تأسيس مركز علمي متخصص واسمه : (مركز الاعتدال ونبذ التطرف) يضم متخصصين في العلوم الإسلامية والنفسية والاجتماعية يأخذ المركز على عاتقه مسؤولية وضع الخطط والبرامج التي تهتم بصناعة الاعتدال ومكافحة التطرف , وينشر قيم المحبة والتسامح بين أبناء الوطن الواحد لا سيما في وزارتي التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة التربية , والوزارات الأخرى , وإقامة الأنشطة التي تعزز من التقارب والتفاهم والاحترام بين أبناء الوطن الواحد على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وقومياتهم وانتماءاتهم المتعددة . كالمؤتمرات والندوات والملتقيات والدورات التي تصنع الاعتدال وتحارب الكره والتطرف , وطباعة المنشورات.
- يمكن أن يكون خطاب المرجعية من ضمن خطابات اسلامية تدرس في مراكز بحثية تدرس للإفادة منها في بناء الاعتدال ونبذ التطرف لأنها نبعت عن تجربة وقدرة على مواكبة التحديات والتطورات الكبيرة في العراق والعالم .

المصادر والمراجع:

- أبعاد ادارية واقتصادية واجتماعية في السيرة النبوية، إبراهيم العمري ، عبدالعزيز ابراهيم العمري، 1405 هـ ، 1985 م، ط 1 مكتبة الرياض
- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع / حسن موسى الصفار , مؤسسة العارف للمطبوعات , بيروت لبنان , ط1, 2012 م .
- أسس اللسانيات النفسية , ايفام فيرنانديز , هيلين سميث كيرنز , ترجمة عقيل الشمري , جداول للنشر والترجمة , بيروت لبنان , ط1, حزيران يونيو 2018 م .
- الاسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش , عبد الهادي الفضلي , اعداد وتقديم حسين منصور سلسلة الدراسات الحضارية , مكتبة مؤمن قريش , الطبعة الأولى بيروت 2014 م

- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم , محمود عكاشة , دار النشر للجامعات , القاهرة , ط1, 1435هـ-2014م
- التربية والسلام / نعمة عبد السلام ياسين : ص48 / ط1- 2010 / دار وائل للنشر الاردن
- التعبير القراني والدلالة النفسية , عبد الله محمد الجبوسي , دار الغوثاني للدراسات القرآنية , دمشق , ط1, 1426هـ-2006م
- جمهرة اللغة , محمد بن حسن ابن دريد , دار العلم للملايين , بيروت- لبنان , ط1, 1988
- دلائل الاعجاز لابي بكر عبد القاهر الجرجاني , قراءة وتعليق ابو فهر محمود محمد شاكر , شركة القدس للنشر والتوزيع , مطبعة المدني السعودية , ط3 , 1413هـ - 1992م
- الدلالة النفسية في نهج البلاغة , صادق علي الزبيدي, دار روافد , بيروت لبنان , ط1, 1443هـ-2022م
- سوسيولوجيا العنف والارهاب/ ابراهيم الحيدري , دار الساقى , 2017م
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي , جمعة سيد يوسف , اصدار عالم المعرفة الكويت , جمادى الآخرة 1410هـ - يناير كانون الثاني 1990 م .
- العنف والسلام : مؤسسة البلاغ / ص14 / منتدى الشباب ط2- 2010
- لسان العرب , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري , دار صادر , بيروت ط3 , 1414 هـ .
- لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء , نعمان بوقرة: 20 , دار الكتب العلمية , بيروت لبنان , ط1, 2012م
- مقال مكتبة الإسكندرية المؤتمر السادس للإصلاح العربي العالم العربي بين الحاضر والمستقبل " محور الثقافة والإعلام في العالم العربي رازق سرياني 2 آذار 2009
- <https://www.risalaty.com/veiw12.php?non=679&ft=tree>
- موقع مكتب السيد علي السيستاني <https://www.sistani.org/arabic/data> /1/ ,
- موقع السيد علي الحسيني السيستاني <https://www.sistani.org/arabic/archive> /26802/
- مبادئ التعايش السلمي في الاسلام منهاج وسيرة / عبد العظيم ابراهيم المطعنى / ص1
- المحيط في اللغة , صاحب إسماعيل بن عباد , تحقيق محمد حسن آل ياسين , عالم الكتب , بيروت , ط1 , 1414 هـ
- مدخل إلى علم النفس الإسلامي محمد عثمان نجاتي: 44 , دار الشروق – القاهرة - الطبعة الأولى 1422هـ-2001م
- معجم مقاييس اللغة , أحمد بن فارس , مكتب الإعلام الإسلامي - قم , ط1 , 1404 هـ .

أثر التهذيب الاجتماعي في الحد من التطرف رؤية تحليلية في ضوء الصحيفة السجادية

د. أحمد جعفر صادق
دكتوراه نباتات طبية ، مدرب تنمية بشرية
مديرية زراعة بابل
حسنين صادق عبكه

Hassaninsadik17@gmail.com
ماجستير علم النفس ، مدرب مستشار معتمد
تنمية بشرية ، دائرة صحة بابل

مشكلة البحث

يتصدر موضوع القيم و التهذيب الاجتماعي من أولويات المنظومة الأخلاقية لاعتبارات كثيرة ومنها الحد من الامراض النفسية السلوكية من حيث تنوعها و خطورتها وتشعبها عبر الزمن، و لاسيما التطرف و السلوكيات الدخيلة على المجتمعات الشرقية باعتبارها محافظة على ثوابتها وتقاليدها واعرافها من جهة، ومن جهة التزام اغلب تلك المجتمعات بالمفاهيم الإسلامية باعتبارهم على الاعم الاغلب مسلمين .
وتفاقم خطورة التطرف فكرياً او سلوكياً يؤدي الى كوارث في البنية الشخصية من حيث الفطرة والنزعة والانسانية ، وهذه الكوارث من الويلات والحروب لا حصر لها تهدد البشرية جمعاء ابتداء من أقلها ضرراً مثل اضطراب القلق و الأرق و التعب و الخمول و الإدمان تشتت بالأفكار ... الخ ، و وصولاً الى المحاولات الانتحارية والقتل و الاقصاء والتهميش والتنمر. كما ان العوامل البيئية المكتسبة في بعض الدول تساعد من انتشار هذه الامراض النفسية الدخيلة (التطرف) في توطن هذه الأفكار جيلا بعد جيل مع بالغ الأسف، لأغراض توسعية واستعمارية لطرد التعايش السلمي وتشثيت وتمزيق الوحدة الإنسانية بين القوميات والمذاهب وقتل روح الاخوة بين أبناء الجنس الواحد.
و من هنا جاء تراث الامام زين العابدين (ع) في الصحيفة السجادية (رسالة الحقوق) و التي تعد دستوراً اجتماعياً ومؤسسياً واسرياً مميزاً باعتبارها استطاعت فكرياً حقيقياً ان تعيد بناء المنظومة العقائدية والاخلاقية والاجتماعية والأسرية لدى ثلاثي القطب من الفرد والمجتمع والمؤسسة.

و الصحيفة السجادية حملت مفاهيم ودلالات تربوية سامية واخلاقيات عالية انبثقت من هداية القرآن والسنة النبوية الشريفة، ولما كان تهذيب السلوك الوظيفي او الاجتماعي ذو اهمية عالية في بلوغ الهدف من نبذ التطرف والغاية من خلال تجسيد القيم والمبادئ الانسانية نحو تحقيق نظام عادل من التواصل الوظيفي والاجتماعي من شقين المعاملات الإنسانية التي تؤمن بمنهجية العدل والمساواة و الحرية و الكرامة لتحقيق العائد الإيجابي للنفس من الامن النفسي والطمأنينة و الارتياح و المرونة والشفافية، لذا فإن رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (ع) اقرب ما تكون دستور للقيم عبر الازمنة يهذب البشرية كافة لو اتبعت قولاً

وفعلاً بكافة بنودها، وفي تطبيقها هو الامتداد الطبيعي للسنة النبوية الشريفة، كما عدت من معالم تراث الأئمة (ع) المعتبر لدى المسلمين جميعاً قبل غيرهم من الأديان الأخرى بغض النظر عن العرق واللون والمذهب.

ان أبواب هذه الرسالة السجّادية لهي الشذرات رفيعة المقام و عالية الأنام ، يتشعب منها أبواب لكل باب منها سلسلة من موضوعات تهتم في التهذيب الشخصي التربوي والعلاج الذاتية و الامن الروحي و كما تحتوي على تطبيقات عملية معنوية للحد من المشاكل الكثيرة و الخطيرة و المنحرفة التي تواجه البشرية كافة وبمختلف مجالات الحياة اليومية. فهذه المشكلة هي محور بحثنا ومن هنا ارتأينا ان ندرس اثر التهذيب الوظيفي أو الاجتماعي في الحد من التطرف على ضوء فقرات الصحيفة السجّادية.

أهمية البحث:

ان الاهتمام البالغ في كافة شرائح المجتمع المختلفة كانت ولا زالت من أولويات الشارع الإسلامي المقدس منذ 1400 سنة الماضية ولحد الآن، حيث كرس من قواعد تهذيبه و تنظيمه ⁽¹⁾ فضلاً عن ترويضه في معالجته للمشاكل و التحديات في الماضي والحاضر والمستقبل كما ان الوقوف على مشاكله وإيجاد افضل السبل من تقديم النصح والموعظة بغية السيطرة على الآفات الاجتماعية التي تواجهه وكذا الحال القضاء على المتحورات السلوكية أمثال الفساد الأخلاقي و المؤسساتي و الاسري ... الخ، حيث عدت من مهامه و واجباته. ومن هنا فقد واجه القادة من الرسل والانبياء والاوصياء والائمة (ع) سيل غير منقطع من هذه السلوكيات ولم يدخروا محاورة ونصيحة وارشاد الى مجتمعاتهم حتى لا يلاقوا العذاب الرباني في الدنيا قبل الآخرة والقرآن الكريم يذكر لنا قصص كثيرة حدثت لغرض العبرة والعبرة لكافة التجمعات البشرية ومن أمثال تلك القصص هي قصة نبي الله لوط(ع) عندما خاطب قومه لتقومهم سلوكياً ودرء الانحراف والتطرف و الفساد عنهم ونهي ما يخالف الغريزة كما ورد في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ طَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ⁽²⁾

وكذلك لقمان الحكيم عندما أوصى ابنه بوصايا تهذيبية تكاد تكون شعاراً يرفرف عبر الأزمنة دروساً وعبر للمجتمعات كافة فمنها في التواضع كما ورد في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ⁽³⁾

وكذلك في حسن التصرف كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ

الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ⁽⁴⁾

و الشواهد كثيرة ومعتبرة في القرآن الكريم يضاف اليها احاديث السنة النبوية والائمة الاطهار .

كل ذلك قد يحمل البشرية مسؤوليات كبرى في التحلي بالأخلاق السامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كافة المجالات الاجتماعية و الثقافية و التربوية والاسرية والعلمية،

1 . نهج البلاغة ،ص 76 .

2 . سورة العنكبوت، آية 28.

3 . سورة لقمان، آية 18.

4 . سورة لقمان، آية 19.

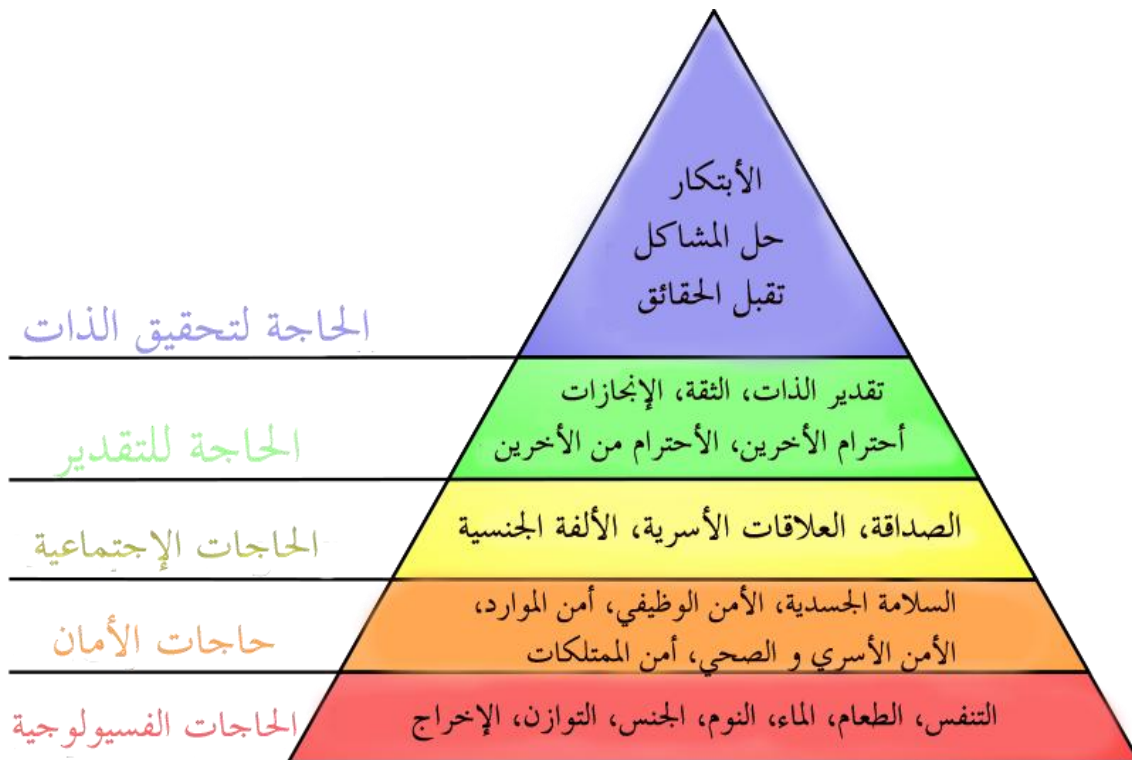
وهذه الرحمة والعطف الرباني لم تأت جزافاً أو بدون تخطيط مسبق بل استعملت رسائل سماوية للتوجيه و التحذير والتنبيه و النصيحة لتشذيب الحواشي من الأفعال التي قد يسلكها البشر بدراية أو بدونها أو للاتعاض ممن سلكها من الاقوام التي عاشوا قبلنا و وصلت لنا سيرتهم وآثارهم .

لذا فإن الانسان لابد ان يعرف ماله وعليه من الحقوق والواجبات التي تعزز التهذيب تماشياً مع الفكر الإسلامي الذي يشكل ركيزة أساسية ورصينة في استدامة العلوم ومنهجاً قوياً في تجسيد الحقوق البشرية مع اختلاف مسمياتها وقومياتها وطوائفها ودياناتها وموقعها، ومن تلك الأمثلة الحية و العالقة في الازهان دأبت بعض التجمعات الجماهيرية مؤخراً من القرن العشرين استحداث مؤسسات ومنظمات ذات هيكلية تنظيمية تؤمن في تحقيق اهداف تخدم التنشئة الاجتماعية من حيث متغيرات التفاعل الجماهيري مثل التكافل و الضمان الاجتماعي وتقديم العون والمساعدة في الازمات والكوارث كما تؤمن في تحقيق معالم العدالة و المساواة بين الجنسين ونبذ التطرف والعنف تبعاً لنظريات التشريع السماوي في القرآن الكريم وتطبيقاً للتعاليم الدينية الحقة التي وضعها الانمة المعصومين و لاسيما صاحب الذكرى الامام السجاد (ع)، كون احاديثه الملهمة في ترسيخ قواعد البرهان في تحقيق الأمان للفرد والاسرة والمجتمع إضافة الى المؤسسة التي ينتمي اليها.

لذا سعت و حذت واهتمت تلك المؤسسات بالعنصر البشري باعتباره المستهدف وجعلته في قائمة أولوياتها وشرعت له حقوقاً و ذكرت له واجبات، ان في صلاحه صلاح المجتمع كله والعكس صحيح، وهذا ما وجد فعلاً في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (ع) وكذلك كونه الميسر في اثبات او تغيير او نفي السلوك الغير مرغوب فيه، وفق تلك الرسائل التهذيبية، وفي هذا السياق حرص الامام السجاد(ع) أن يكون منهاجه ذو خطط صحيحة و إيجابية لا يشوبها الخطأ لتأهيل شخصية الانسان واعداده فكرياً و مهارياً و تسليح معالم وجوده تربوياً واجتماعياً و تعليمياً توازي تلك الانحرافات والتطورات السريعة المربكة و المفاجئة في ساحة الحياة كنوع من أنواع التحصين والاستجابة السريعة للحيلولة و السيطرة على متغيرات الأمور.

فموضوع حسن التصرف أو الآداب العامة أو التهذيب الفردي أو الجماعي لا يحسب كونه موضوعاً تراثياً قديماً بل حضارياً مستداماً يتجدد كلما شعرنا بوجود ثغرة او مشكلة اجتماعية، لذا الحاجة اليه كحاجة المريض الى الدواء المناسب، وأن فائدته وأهميته تكن في عملية التطبيق لا في التنظير، باعتبار ان المهارات تنطبع في الذاكرة شيئاً فشيئاً وأبلغ عند متبنيها من البشر.

وفي هذا السياق اذا اردنا معرفة الأولويات من غير الجانب الإسلامي فقد أشارت اليها الكثير من الدراسات والبحوث وادبيات الدافعية والحاجة حسب رغبة الانسان وميله وعواطفه وغرائزه، و كان ممن نادى بنظرية الحاجات صائلاً لمعرفة ان الانسان بطبيعته هو كائن اجتماعي فعّال له حاجاته الذاتية والاجتماعية والاسرية و وضع في سلم هرمي مبسط و رائع من قبل العالم ابراهام ماسلو (1) وكما يلي :



و الجدير بالذكر في القياس مع وجود الفارق فقد ذكر ان من معالم الشخصية لدى القائد الخادم أن يتسم تهذيبياً لأنه قدوة بغض النظر عن مجال تخصصه ويكون في قمة الهرم الاجتماعي ممن يتحلى سلوكيات حيادية عقلانية بعيدة عن الميول و التطرف، كما يتسم بثوابت قيمية عليا باعتبار لتزويد من ترسيخ مكانته الاجتماعية او بين قومه او عشيرته او مؤسسته او أسرته.

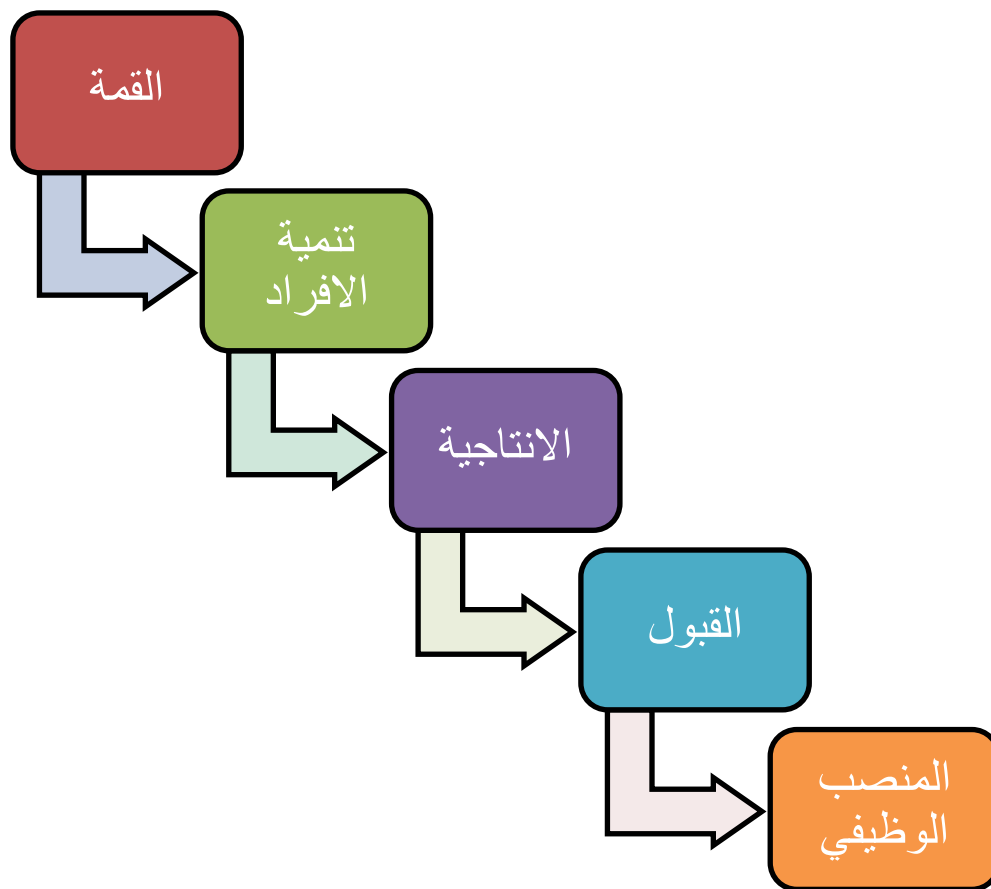
لذا من المنطوق وضع تسلسل لمستويات للقيادة تسمى ب(المستويات الخمسة للقيادة) تبدأ من القاعدة وهي المنصب الوظيفي ثم تتدرج الى القبول ثم الإنتاجية ثم تنمية الافراد الى ان تنتهي في اعلى مستوى وهو القمة (القيادة) والتي تعني بأن يتبعك الآخرون بسبب تأثيرك عليهم أو ما تمثله⁽¹⁾ ، لأنك قادر على ان تترك ارثاً واثراً عظيماً وجوهراً، يضاف الى ذلك أن من صفات القيادة التحلي ب الخلق الرفيع من التهذيب بعيد عن الشذوذ و التصرف غير اللائق.

وخير ما ذكر في الخطاب القرآني ظاهرة ترسيخ أسلوب التهذيبي الذي تمتع به النبي الكريم محمد (ص) في وصف رب الخلائق له لم يوصف به لا من قبله ولا من بعده احد من البشرية كافة كما ان في ذكره منح وساماً اخلاقياً لتمييزه على سائر الكائنات لم يمنح لغيره لا من الأنس و لا من الجن وكما في قوله تعالى في سورة القلم {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}.⁽²⁾

1. جون سي ماكسويل، ص 234.

2 . سورة القلم، آية 4.

وتعزيزاً على ما ذكرناه سابقاً فقد أشار جون سي ماكسويل في كتابه مستويات الخمسة للقيادة (1) مخططاً تهذيبياً يبين وجه مقبولية القائد وتأثيره على تنمية الافراد و المؤسسة و الإنتاج وكالاتي:



ومن هنا تأتي أهمية القيم و التحلي بالمبادئ والأخلاقيات العامة ،كلما يتبرمج الانسان عليها تحقق عائداً إيجابياً ملموساً على الصعيد التهذيب الشخصي او الاجتماعي، كما لها اثر بالغ الأهمية في ارتفاع لديه ملكة الفهم والوعي والادراك والاختيار والمعرفة (2) ، كل ما ورد انفاً يدخل في مفهوم وأهداف البرمجة في تنمية الانسان واعداده اعداداً حسناً وقوياً و ذو سلوك ايجابي معطاءً وأكثر مقبولية ومرونة وتواضعاً. واخيراً فالمحصلة النهائية كلما كان تأثيره عالٍ بالآخرين كلما كانت انتاجيته واستجابته اكثر (3).

وفي السياق ذاته لابد للإشارة ايضاً ان من يتحلى بالثوابت والمبادئ وترك النفس الامارة بالسوء ينضوي في خانة الجهاد الأعظم و هي جزء من تطوير ذاته وشخصيته و وعيه وتهذيبه، يجعل له من القادة الصالحين وأصحاب الرسائل انموذجاً في تألقهم وتأثيرهم بالآخرين، وما ارقى أن يكون القدوة هو الامام علي بن الحسين (ع) بشخصه واحاديثه وترائيه ... الخ .

1 . جون سي ماكسويل، 2015.

2. طاقة العقل الباطن، ص 28.

3. دي ماكلانتشان، ص 96.

وسنذكر بعض المرويات عن الائمة الاطهار وكما قال امير البلغاء الامام علي بن ابي طالب (ع) :

" أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها " .
وقال ايضا (عليه السلام) "الاشتغال بتهذيب النفس أصلح " .⁽¹⁾

كما ان لصاحب الذكرى رصيذاً من التهذيب حيث ذكر في حديث عن حق النفس " وَأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ فَأَنْ تَسْتَوْفِيَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَنُودِّي إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ وَإِلَى يَدِكَ حَقُّهَا وَإِلَى رِجْلِكَ حَقُّهَا وَإِلَى بَطْنِكَ حَقُّهُ وَإِلَى فَرْجِكَ حَقُّهُ وَتَسْتَعِينَ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ " .⁽²⁾

وعلى صعيد المؤسسات فإن تهذيب النفس البشرية أصبحت شرطاً جازماً من شروط حسن السلوك وسياقاً يتبع في المنظمات او مؤسسات القطاع العام و الخاص لضمان الإنتاجية والتوصيف الوظيفي بشكل مقبول حسب الأعراف الاجتماعية، حيث تضع قائمة من تلك القيم في لائحة السلوك يتطلب من الموظف المنتمي لتلك المؤسسة معرفتها والالتزام بها وعدم الاخلال باي من بنودها، وحرى بالموضوع فخراً ان يتجذر هذا المؤشر الإيجابي ضمن اسرته وافراد عائلته و التعامل مع اقربائه، كما ان التعامل المهني بين اقرانه من الموظفين في مجالات التدريب باتت في تحقيق شروط التنمية المستدامة ذات منفعة للصالح العام للمشاركين ، كما انها تصب في فاعلية وأداء وإنتاج المؤسسة في تحقيق معايير الجودة الشاملة للتنافس بين باقي المؤسسات الأخرى.

ومن جهة أخرى فإن عملية الحفاظ على سمعة المؤسسات أصبحت مقترنة في رصانة و جودة الإنتاج وتحقيق أهدافها بفضل التزام المنتمين اليها بشروط رسالتها و أهدافها باعتبارها أهمية تنموية مؤسساتية مثلى⁽³⁾ فضلا على انها ذات ابعاد ايجابية اقتصادية واجتماعية وتربوية من جهة أخرى ، فعملية الارتقاء السلوكي في عملية الاستثمار البشري ظاهر صحية ومهنية لما يحققه الدور الريادي من الاشتراك في دخول الدورات وبرامج تدريبية تأهيلية .⁽⁴⁾

وخلاصة القول نود الإشارة ان ارتكاز جوهر الانسان جزء لا يتجزأ من مفاهيم حقوقه هو ما يستند على تلك القواعد التهذيبية السابق ذكرها لأنها اهتمت بالإنسان وفي برمجة باطنه .⁽⁵⁾

ومن أسباب استقرار الانسان نفسياً وصحياً و ذاتياً اجتماعياً هي قيمة السلوك ففقدانها لا يعوضه شيء لا في المنصب ولا في الجاه ولا النسب ولا الحسب.

ان الأشخاص الذين يتصفون بأفكار وسلوكيات خاطئة كالعنف و السرقة و القتل والتطرف والتتمر ماهي الا نقص وعقد في ذات الشخصية تنمو معها وتنشأ حسب البيئة التي تغذيها، كما ان العامل الثقافي المنحرف و الفكري المتطرف ضمن المجتمعات يساعدان على انتشار هذه الافة كالهشيم في النار، وهؤلاء الأشخاص لهم تفسير آخر في معرفة شخصياتهم بانهم محرومون عاطفياً و يشعرون بهذه عقدة النقص لعدم وجود من يشبع هذه الحاجة من

1 . ميزان الحكمة ، ج ٤ ، ص ٣٣٢٧ .

2 . الصحيفة السجادية ، ص 383.

3 . د. اوهان فرج يونان ، 2018.

4 . د. محمود عبد الفتاح رضوان ، 2012.

5 . صالح حسوني، 2010.

بداية نموهم، وهم معرضون واقع الحال الى الضغوط النفسية المختلفة بسبب نمط حياتهم الاجتماعية والاسرية فضلا عن الوظيفية، وكذلك الحرمان والجوع والخوف و القتل والتهجير وعدم حرية الرأي وعدم تقبل الآخر والإقصاء يزيد من تلك الضغوط تدريجياً لتنتهي الى التطرف في جميع مستوياته، كل ذلك يحدث لعدم الايمان الكافي بمبادئ تلك القيم الإنسانية التي اشرنا لها سابقاً و التي تقع على عاتق المدراء والمسؤولين والرعاة و أصحاب المناصب و المقامات حتى الآباء والأمهات مشمولين بهذا الخطاب ، هذا الاجحاف القيمي من عدم التهذيب جزء لا يتجزأ من عدم التقريب في وجهات النظر وعدم معرفة ما تخفيه النفس البشرية ، في حين السعي في اصلاحها وتطويرها وردم الخلافات فيما بين أبناء الجنس الواحد بغض النظر عن المسميات كافة بالحوار الهادئ والالفة من المنجيات و المحاسن التي يثاب الانسان عليها، كما ان الالتزام بالخلق القرآني والموروث عن الرسل والانبياء وائمتنا الاطهار(ع) لهو المسار الحقيقي في التعايش السلمي و كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (1)

والآية صريحة جداً من حيث الإقرار بمبدأ التعايش والتفاهم والتناغم الإنساني باعتبار الإنسانية دين الشعوب مهما تنوعت واختلفت في العادات والتقاليد والمعتقدات ولها قراءة أخرى في نبذ العنف و السلوكيات المنحرفة.

الامر لم ينتهي بالمقصود الاجتماعي بين الشعوب و الجماعات فحسب، لا بل تعدى الامر على صعيد العائلة فالهدف اسري وتربوي أيضا.

هدف البحث :

توجد بعض الأهداف سنشير اليها في هذه الدراسة وكما يلي :

1. معرفة أثر التهذيب الاجتماعي لدى موظفي الصحة في محافظة بابل.
2. مقارنة نتائج المشاركين في استبانة الاتكيت الاجتماعي على ضوء احاديث الامام علي بن الحسين (ع) .

حدود البحث :

يحدد مجتمع البحث الحالي بمجموعة من الموظفين في دائرة صحة بابل ممن تتراوح أعمارهم من 20 سنة فما فوق في مركز محافظة بابل لعام 2024 م .

تحديد المصطلحات :

- التهذيب الاجتماعي:

وعرّفه الكثيرون من العلماء و لاسيما الباحث د. كريم مشط الموسوي هو "حسن الأداء او التصرف بمنتهى التهذيب والحساسية" أو هو "آداب المعاشرة وقواعد التشريفات والاحترام" (2).

و كذلك تجسدت المؤشرات الأخلاقية كجانب أساسي إضافي لمفهوم التهذيب الاجتماعي وهو الإتيكيت، وكذلك عرّفه المشهداني (3) على انه:

1 . سورة الحجرات ، آية 13.

2 . الموسوي 2018.

3 . مجلة الإدارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، 2016.

" التغيرات الحركية واللفظية الشعورية واللاشعورية الناتجة عن وجود مؤثرات اجتماعية تحمل الفرد على القيام بنشاط سلوكي مرضي او غير مرضي لإشباع حاجات نفسية واجتماعية لموقف معين كالبحث عن الراحة والمتعة، وهو كرد فعل للسلوك العمل او أعباء الحياة "

التعريف الاجرائي :

هو المستوى الكلي الذي يحصل عليه المستبئين في ضوء فهمه واجابته على كافة فقرات استبانة الاتكيت الاجتماعي

كلّ ما ورد أنفاً فهو التأييد الظاهر والباطن لأحاديث الامام علي بن الحسين (ع) الإنساني تجاه المجتمع بالرغم من فارق الزمن الشاسع بالقرون ، وما أجمل حقوق الرعية في العدالة حيث قال :⁽¹⁾

" وحق رعيّتك بالسلطان أن تعلم أنهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكر الله على ما آتاك من القوة عليهم "

لذا نحن حريصون جداً أن يكون بحثنا هذا مختلفاً عن من سبقه من الدراسات العمليّة و علمياً بإحصاءاته من جهة ومتميزاً و نوعياً بأفكاره من جهة أخرى .
منهجية البحث:

بما ان نمط بحثنا هو دراسة تحليلية تنموية مقارنة من حيث القياس مع وجود الفارق بين أدبيات اهل البيت (ع) وتحديداً الامام علي بن الحسين (ع) كنموذج حيّ وشاهد على تجسيد المضامين التهذيبية في أحاديثه الشريفة ، حيث اقتبسنا بعضاً منها لأجل المقارنة و بين تطبيق استبانة التهذيب الاجتماعي على عينة مسحية ، لتبيان الفروقات الإحصائية و المثل العليا بين الأسس و القواعد كمتغير مستقل من جهة وبين ما دلّ للمجتمع سلوكياً توكيدياً كمتغير تابع من جهة أخرى ، وعموماً بأن اغلب الافراد والمجتمعات اظهروا صورة ذهنية واضحة المعالم لسلوكياتهم امام الآخرين .

وجوهر القول لابد ان يذكر في نهاية المطاف بان من جملة مفاهيم التعايش وضمنان حقوق الانسان هو ما يستند على تلك القواعد او المبادئ السابق ذكرها لأنها اهتمت بالإنسان وفي برمجة جوهره⁽²⁾ وبمستوى تطور سلوكه لكافة مراحل ومجالاته نمو قدراته وامكانياته وطاقاته البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية والذاتية باعتباره الهدف الأسمى⁽³⁾ .
وفي الختام تناولنا هذا الموضوع لأنه يعد مطلباً تربوياً واجتماعياً و وظيفياً و تنموياً⁽⁴⁾ فوق كل اعتبار اخر .

التهذيب الاجتماعي ونبذ التطرف عند الامام علي بن الحسين(ع) في رسالة الحقوق:

1. حقوق الرعية :

" وحق رعيّتك بالسلطان أن تعلم أنهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكر الله على ما آتاك من القوة عليهم "

1 . الصحيفة السجادية،ص396 .

2. صالح حسوني، 2010.

3. الكمالي، 2015.

4. د. مدحت أبو النصر، 2012.

اجتماعيا حيث أنّ الأشخاص يحبون ان يعاملوا بتقدير واهتمام وعدالة وانصاف من قبل الآخرين وكسب ثقتهم لا يختلف عليه اثنان ، وخصوصاً المسؤولين وأصحاب المناصب و المقامات بل عزّز ذلك من قبل الدين الإسلامي بأعتباره أمر منطقيّاً و تستحسنه العقول و تطمئنّ عليه ، ونهى عن كل شيء تستقبحه العقول الذكية.

وربما يعتقد البعض اعتقاداً خاطئاً أنّ الدين الإسلامي مجرّد من الإفصاح وابداء الرأي والمشاورة وإعطاء الحرية والمساحة الفكرية في التعبير في فن التعامل وفق مفاهيم التعزيز والثواب وتحقيق المساواة المجتمعية ، ومن الخطأ ايضاً ان يظن قسم من الناس بعيداً على ان تراث الائمة خالي تماماً من الالتزام و الاحترام و صون الكرامة وحفظ الحقوق ومنح الواجبات ، ولكن في الحقيقة هذا ليس ظنّ بل وهم وظلم واجحاف ، باعتبار الشريعة الإسلامية كائن حي نابض ودائم النماء لا يقف ولا يجمد، لأن الوقوف عن الحركة سنّة الأموات، والجمود طبيعة العاجزين .

والمعنى الإسلامي واضح جليا ، أنه عقد بين متعاقدين... بين الراعي والرعية بعيدا عن التطرف و العنف، وهو من قبيل التعاون على البر والتقوى، لأن الحياة الإنسانية لا تقوم إلا بهذا التعاون ولا تستقيم إلا بهذا النظام العادل .

والعقد أساسه الاختيار والرضا، لا التعسف والإكراه و التعصب والعنف... الخ، فالسلطان ليس شخصا مقدّسا حاكما بأمره، وليس وارثا لملك، ولا مهيمنا على عقائد الناس وقلوبهم، إنه طرف في عقد ليقوم بأعمال الوكالة باسم الجماعة كجزء او المجتمع ككل .

لذا أن يكون بين رعاياه عادلا و منصفا لا تنال من عدالته غرور الحياة ، من هوى أو قربى أو مصلحة شخصية ، فليس من الجائز للحاكم أن يفضلّ بعض الناس على بعض، فالتفضيل عند الخالق وحده ، وليس لحد من البشر الحق في قيمومته على الآخر من حيث اللون والجنس والعرق واللغة ... الخ ، وهنالك من الاحاديث النبوية وأئمة أهل البيت (ع) الكثيرة في هذا المضمار قد أشبعت هذا المفهوم فناً وادباً ومهارة .

2. حقوق الناس : (1)

- حق المنعم بالولاء :

"وأما حق المنعم عليك بالولاء فتعلم أنه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذل الرّق، ووحشته إلى عز الحرية، وأنسها، وأطلقك من أسر الملكة، وفك عنك حلق العبودية، وأوجدك راحة العز، وأخرجك من سجن القهر، ودفع عنك العسر، وبسط لك لسان الإنصاف، وأباحك الدنيا، فملكك نفسك، وحل أسرك، وفرغك لعبادة ربك، واحتمل بذلك التقصير في ماله، فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولي رحمك في حياتك وموتك، وأحق الخلق بنصرك ومعاونتك، ومكافأتك في ذات الله فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج اليك"

حيث أنّ للمولى المنعم على عبده بالعنق حقاً كبيراً ، وثواباً عظيماً فقد فك عنه القيود والاغلال، وانقذه من ذل العبودية و التطرف، وأطعمه عز الحرية و الكرامة انصافاً بالإنسانية ، والواجب عليه أن يقابله بالشكر و الاحترام فينصره ويعينه ، ويكافئه في ذات الله وفاء لجميل احسانه ومعروفه ، سبحانه الله في نعمه وتوفيقه .

- حق المولى : (1)

" وأما حق مولاك، الجارية عليه نعمتك، فإن تعلم أن الله جعلك حامية عليه، وواقية وناصرًا، ومعقلًا، وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه، فبالحري أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثواب منه في الآجل ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم مكافأة لما أنفقته من مالك عليه، وقمت به من حقه بعد إنفاق مالك، فإن لم تخفه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه، ولا قوة إلا بالله " .

وبهذا الجانب قد دعا الإمام السجّاد (ع) المولى إلى مراعاة حقوق أرقائه ، فإن سبحانه قد جعله عليهم وكيلًا وحامية عليهم فاللزم عليه مراعاة حقوقهم الانسانية ، ومعاملتهم معاملة كريمة، والإحسان إليهم بكل ما يتمكن .

- حق الجليس : (2)

" حق جليسيك إن تلين له كنفك وتطيب له جانبك وتنصفه في مجارة اللفظ و لا تقوم من مجلسك الا بأذنه ومن تجلس يجوز له القيام عنك بغير اذنك و تنسى زلاته وتحفظ خيراته ولا تسمعه الا خيرا "

ما أروع النظام الانساني الذي خطه الإسلام فقد راعى فيه جميع شؤون الاجتماعية والفردية ، وقارب فيه ما بين العواطف والمشاعر، وقضى على الفجوات المعنوية التي تباعد بين المسلمين، وتفرق جماعتهم، وكان من بين ما سنه الإسلام في هذا المجال حقوق الجليس، وقد رعى فيها الآداب العامة رعاية أخوية كاملة .

- حق الجار : (3)

" و حق جارك حفظه غائباً، و اكرامه شاهداً، ونصرته اذا كان مظلوماً ، و لا تتبع له عورة ، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه وان علمت انه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه و لا تسلمه عند شدائده ، و تقيل عثراته وتغفر ذنبه ، وتعاشره معاشرة كريمة . ولا تدخر حلمك عنه اذا جهل عليك ، ولا تخرج ان تكون سلماً له ، تردّ عنه لسان الشتيمة وتبطل فيه كيد حامل النصيحة ولا حول ولا قوة الا بالله " .

واهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالجار، وأوصى برعايته، وقد تضافرت الأخبار عن أئمة الهدى (ع) بالوصاية، والعناية في أموره، وذلك لإيجاد التضامن الاجتماعي بين الانسانية جمعاء ، وبناء مجتمع إسلامي تسوده المحبة والألفة، بعيداً عن التئمر و الكراهية والبغضاء ولا ثغرة فيه للخلاف والشقاق بين أبنائه .

- حق صاحب : (4)

" وحق صاحب إن تصحبه بالفضل و الإنصاف، وتكرمه كما يكرمك ، ولا تدعه يسبق الى مكرمة فإن سبقك كافيته، وتود كما يودك ، وتزجره عما يهم به من معصية ، وكن عليه رحمة و لا تكن عليه عذاباً ، ولا قوة إلا بالله " .

1 . الصحيفة السجادية الكاملة ، ص 404 .

2 . الصحيفة السجادية الكاملة ، ص 408 .

3 . الصحيفة السجادية الكاملة ، ص 408 .

4 . المصدر السابق، ص 409 .

- حق الكبير : (1)

" و أما حق الكبير توقيره ، لسنّه واجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك ، وترك مقابله عند الخصام ، ولا تسبقه إلى طريق ، ولا تسبقه الى طريق ، ولا تتقدّمه ، ولا تستجعله ، وان جهل عليك احتملته واکرمته لحق الاسلام وحرمته فإنما حق السن بقدر الإسلام، ولا قوة إلا بالله " .

من أروع الآداب الاجتماعية التي سنّها الإسلام من أجل بناء مجتمع أصيل احترام الشيخ الكبير إذا كان من أهل الفضل والسابقة في الإسلام ، وان لم يكن فهو في خندق الإنسانية .

- حق الصغير : (2)

" وأما حق الصغير فرحمته، وتثقيفه، وتعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائمه، فإنه سبب للتوبة، والمداراة له وترك مباحته، فإن ذلك أدنى لرشده".

- حق السائل : (3)

"وأما حق السائل فاعطاؤه إذا تهيأت صدقة، وقدرت على سد حاجته، والدعاء له في ما نزل به، والمعاونة له على طلبته، وإن شككت في صدقه، وسبقت إليه التهمة، ولم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدّك عن حظّك ويحول بينك وبين التقرب إلى ربّك، وتركته بستره، ورددته ردّاً جميلاً، وإن غلبت نفسك في أمره، وأعطيته على ما عرض في نفسك منه، فإن ذلك من عزم الأمور. "

حيث حثّ الإمام (ع) على البر بالسائل، وإسعافه، وسد حاجته تحقيقاً للتكافل الاجتماعي ، وأبعاداً لشبح الفقر والمجاعة ، هذا فيما إذا علم صدق السائل، وإن شك المسؤول في أمر الفقير واتهمه بالكذب في إظهار الفقر، فإنه ليس من المستبعد أن تكون هذه التهمة من كيد الشيطان ومكره ليحرم المسؤول من الثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى للمتصدقين، وإن خالف المسؤول هذا الوهم فأعطى الفقير فإن ذلك من عزم الأمور.

- حق اهل الملة : (4)

" وحق أهل ملّتك إضمار السلامة، ونشر جناح الرحمة لهم والرفق بمسيئهم وتألّفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك، فإن إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك، إذ كفّ عنك أذاه، وكفّك مؤونته وحبس عنك نفسه، فعّمهم جميعاً بدعوتك، وانصرهم جميعاً بنصرتك، وأنزلهم جميعاً منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتكّ تعاهدته بلطف ورحمة، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه" .
وما اعظم تلك الوصايا التي ذكرها الامام السجاد (ع) بأن للمسلمين حقوقاً عامة، على كل مسلم أن يقوم برعايتها، وصون مبادئها ، و الحفاظ على قيمها وانسانيتها .

1 . الصحيفة السجادية الكاملة ، ص 417 .

2 المصدر السابق ، ص 418 .

3 . الصحيفة السجادية الكاملة ، ص 419 .

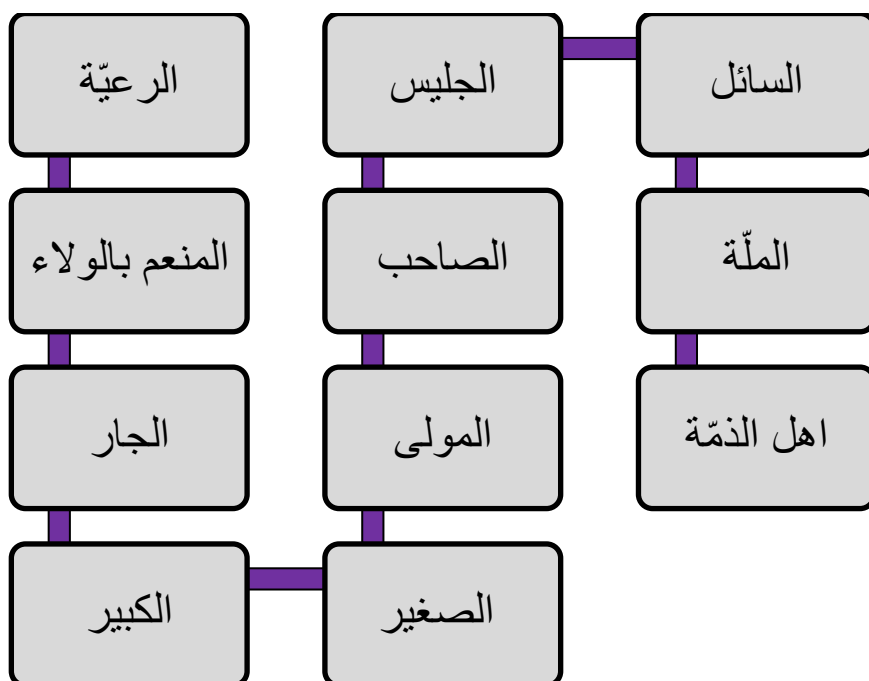
4 . الصحيفة السجادية الكاملة ، ص 423 .

– حق اهل الذمة : (1)

" وأما حق أهل الذمة أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل منهم ولا تظلمهم من وفوا الله عز وجل الله بعهد ، وتقي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه في ما طلبوا من أنفسهم، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك في ما جرى بينك وبينهم من معاملة، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهد وعهد رسوله حائل فإنه بلغنا أنه قال: (من ظلم معاهداً كنت خصمه) فاتق الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

وهنا رعى الإسلام أهل الذمة، وهم اليهود والنصارى من الذين دخلوا في ذمة الإسلام فإنه يعاملهم كما يعامل المسلمون في التمتع بالحرية والرخاء والأمن والاستقرار و الحقوق دون العنف.

لذا ممكن تلخيص تلك (الحقوق) عند الامام السجاد (ع) ما ذكر أعلاه ، كما في المخطط التالي :



ومما تقدم أعلاه من احاديث الامام علي بن الحسين (ع) في رسالة الحقوق ، يمثل كل منها عنواناً مستقلاً لموضوعات تنموية متعددة وخصوصاً التهذيب الاجتماعي تضمن حقوق للإنسان من باب المعاملات وحق الله سبحانه من باب العبادات يشتق منها جملة من الأسئلة و الفقرات المبوبة تصلح كل واحدة ان تكون مرجع قيمياً وأنموذج يحتذى به ، و يطبق بعدها في دراسات وبحوث تربوية واجتماعية مستفيضة ، لتشخيص أغلب المشاكل الاجتماعية والوظيفية المعاصرة والوقوف عندها . على أي حال سنقارن ما ورد سلفاً في دراسة حالية لنبيين للقراء الاكارم وجه الارتباط بين ما موجود في عصرنا الحالي بقلب جديد وبين ما تناوله الامام السجاد (ع) في رسالته التاريخية .

دراسة تحليلية تنموية :

وبهذا الصدد دأبنا في عمل دراسة عن التهذيب الاجتماعي ونبذ التطرف وفق المنظور الصحفية السجادية لمجموعة مسحية عشوائية تبعا لبعض المتغيرات الديمغرافية أمثال الجنس و الفئة العمرية و التحصيل الدراسي ولمعرفة القواعد الرئيسية التي استندت اليها الدراسة في اختيار محاور الحقوق و كانت كالآتي :

هدف البحث:

معرفة أثر التهذيب الاجتماعي لدى موظفي الصحة في محافظة بابل تبعا لبعض المتغيرات الديمغرافية وفقا لفكر الامام علي بن الحسين (ع) .
الطرائق :

مجتمع البحث

مجموعة مشاركين من حملة شهادة الدبلوم فما فوق (ذكور واثنا) ، ممن تتراوح أعمارهم من 20 سنة فما فوق ، والبالغ عددهم (170) للفترة من 4 / 1 – 20 / 5 / 2024 في محافظة بابل .

عينة البحث

مجموعة مشاركين من حملة شهادة الدبلوم فما فوق (ذكورا واثنا) ممن تتراوح أعمارهم من 20 سنة فما فوق ، والبالغ عددهم (170) مشارك (90 ذكر و80 انثى) تبعا لبعض المتغيرات الديمغرافية في محافظة بابل ، حيث تم توزيع استبانة الاتكيت الاجتماعي لهم الكترونياً من اجل الاجابة على فقراته .

التحليل الاحصائي

تم ادخال البيانات الكترونياً باستخدام برنامج SPSS، حيث تم تطبيق الوسط الحسابي والانحراف المعياري وكذلك التحليل الاحصائي باستخدام Student's t-test ، وعلاقة ارتباط معامل بيرسون بين المتغيرات لمقارنة درجات المتدربين و الجنس و الفئة العمرية وسنوات الخدمة ، وتم اعتماد مستوى الدلالة $\alpha \leq 0.05$ لتحديد العلاقات المعتدة احصائياً.

أدوات البحث

تم تطبيق استبانة الاتكيت الاجتماعي و الوظيفي وهي تحتوي على (27) فقرة ، لتبيان الحالة المعنوية للتهذيب الاجتماعي ، على ان تكون الاجابة بصدق وشفافية وما يتوافق مع شخصية المُستبين ، حيث تم اعدادها عام 2022 م من قبل د. ماجد عبد جواد كاظم – جامعة بغداد/ كلية الآداب ⁽¹⁾ وتم التعديل عليها لتناسب مع نوع العينة ... وهي كالآتي :-

مقياس الاتكيت الوظيفي أو الاجتماعي

الجنس :	التحصيل الدراسي :
العمر :	الحالة الاجتماعية :
السكن :	سنوات الخدمة :

اختر ما يتوافق مع شخصيتك بصدق وشفافية ، مع وضع علامة (√) امام الفقرة المناسبة مع الاحترام

ت	الفقرة	دائما	غالبا	احيانا	نادرا	ابدا
	اشعر انني ايجابي في التعامل مع الاخرين					
	أحرص على عدم استعمال اساليب التعالي والغرور					
	أستخدم السلوك الإيجابي لحل مشكلات المجتمع					
	أشعر أن الاتكيت فن السلوك الانساني					
	أسعى لتحسين مهامى المجتمعية					
	أشارك الاخرين افراحهم وتقدير التهاني لهم					
	أهتم بسعادة المجتمع					
	انظر للحياة نظرة ايجابية					
	الصدق يؤدي الى الانسجام مع الاخرين					
	لدي القدرة على تقبل الاخرين كما هم					
	أهتم بالإتكيت لأنه فن العمل					
	أهتم بحسن التصرف في الظروف المفاجئة					
	أهتم بالجلسة الاجتماعية مهما تكن الظروف					
	أشعر انني مقبول من الاخرين					
	أحافظ على تنظيم الوقت					
	اهتم بتقدير الضيوف وأرحب بهم					
	لدي شعور بالأمان					
	احافظ على مواعيد الاتصال بالهاتف					
	أهتم بالصور و المخططات لإيصال الفكرة					
	أهتم بتوجيه الحديث الى الهدف المنشود					

● اتكيت قليل = 20 - 46

● اتكيت متوسط = 47 - 73

● اتكيت عال = 74 - 100

إذ إن:

دائما = 5 درجات

غالبا = 4 درجات

أحيانا = 3 درجات

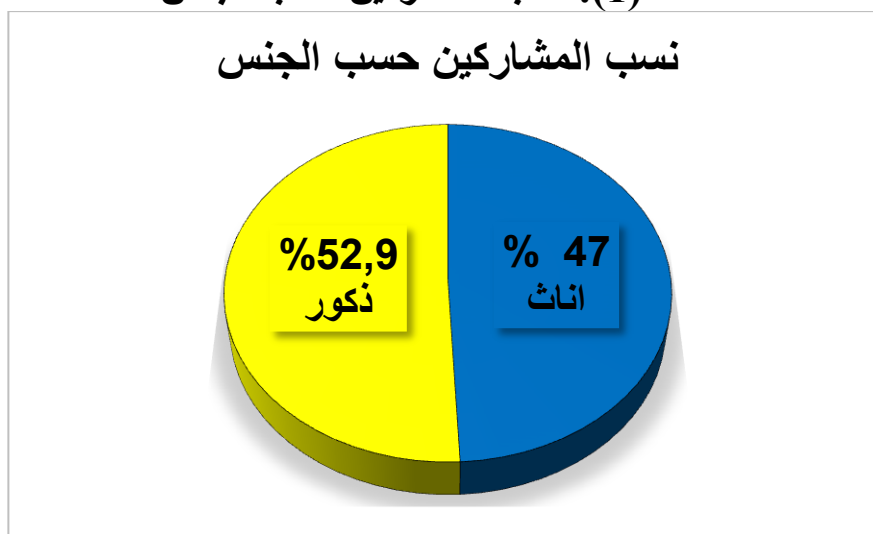
نادرا = 2 درجة

ابدا = 1 درجة

النتائج : ا. من حيث متغير الجنس

شملت الدراسة المسحية (170) مشاركا (90 ذكر و80 انثى) ، نسب المشاركين من حيث الجنس كما موضح في المخطط (1).

مخطط (1): نسب المشاركين حسب الجنس



شكّلت الإناث النسبة الأقل بين المشاركين حيث بلغت نسبة الإناث الى الذكور: 0.96 (1) ، علماً تم احتساب درجات المتدربين من (100) نقطة ، وتمت مقارنة الدرجات بين الذكور والإناث من خلال الاختبار الاحصائي ولم يظهر وجود فرق معتمد احصائياً عند الذكور و كذلك الإناث حيث ان وكما في الجدول (1).

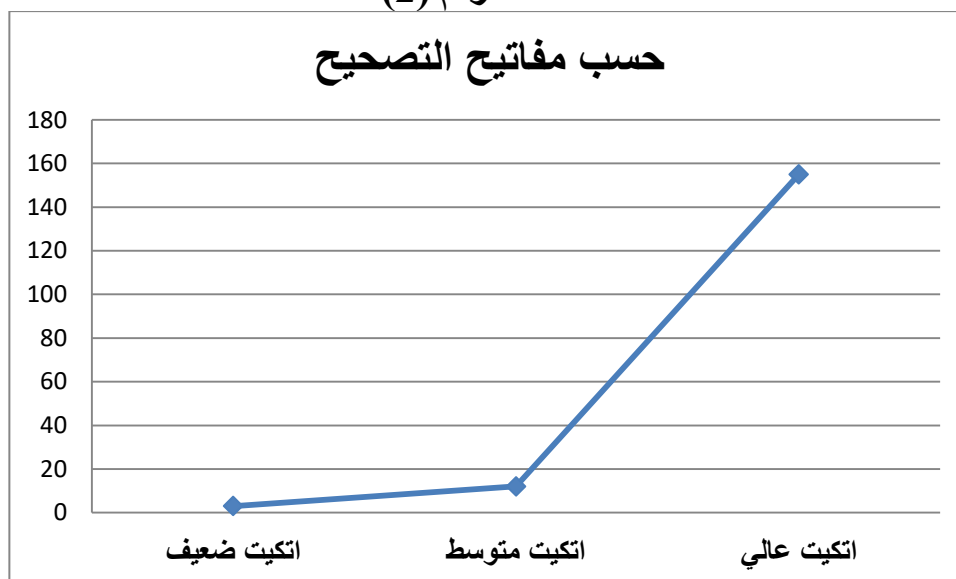
جدول (1): درجات المشاركين في الاختبار حسب مفاتيح التصحيح تقسيم المشاركين حسب مفاتيح التصحيح و الدرجات (2)

المفاتيح	الدرجات	العدد	النسبة
اتكيت ضعيف	20 - 46	3	1.7%
اتكيت متوسط	47 - 73	12	7%
اتكيت عالي	74 - 100	155	91.1%
		170	100%

1 . د. مصطفى محمد علي وحودي ، طبيب اختصاص طب مجتمع في قسم الصحة العامة لدائرة صحة بابل

2 . زيد ستار عبد العباس ، اختصاص تمريض ، قسم الصحة العامة ، دائرة صحة بابل

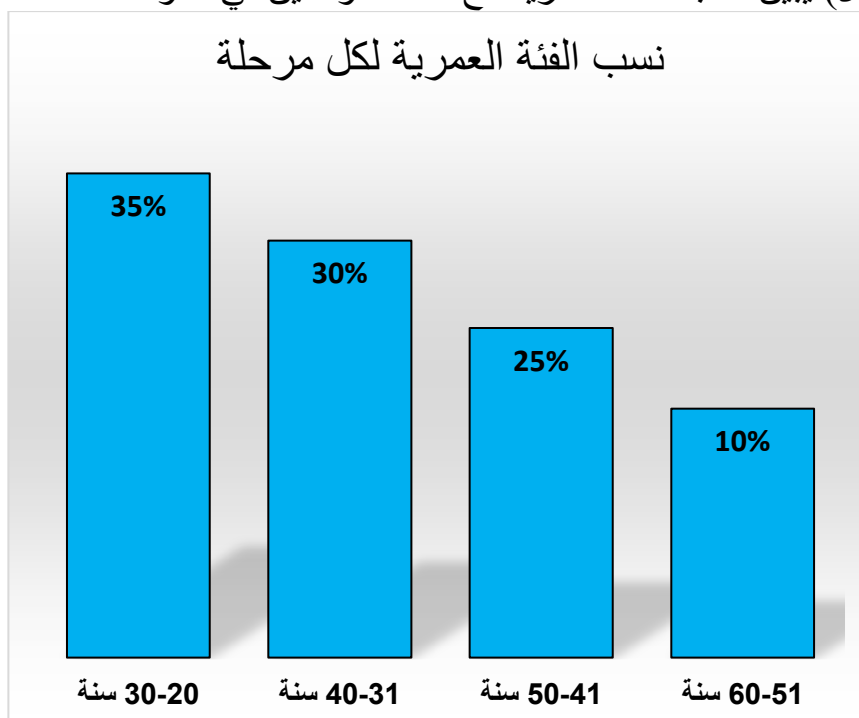
المخطط رقم (2)



2- متغير العمر
بصورة عامة لم يكن هنالك علاقة ارتباط بين متغير العمر ودرجات مؤشر التهذيب الاجتماعي ، تبعاً للمؤشر الاحصائي قيمة P- Value (0.756) عند مستوى دلالة (0.05) . وكما في الجدول رقم (2)

العدد	الفئة العمرية
60	30-20 سنة
52	40-31 سنة
49	50-41 سنة
9	60-51 سنة
170	المجموع

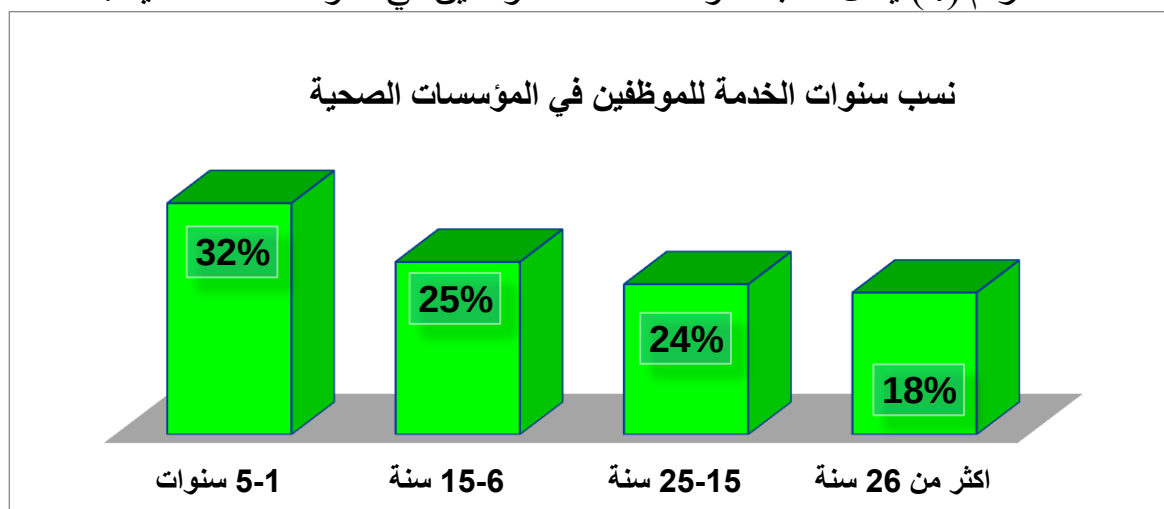
المخطط رقم (3) يبين نسب الفئة العمرية مع عدد الموظفين في المؤسسات الصحية



4. تتبعا لسنوات الخدمة للموظفين في المؤسسات الصحية : كما في الجدول رقم (4) :

سنوات الخدمة	العدد
5-1 سنوات	55
15-6 سنة	43
25-15 سنة	41
اكتر من 26 سنة	31

المخطط ادناه رقم (4) يمثل نسب سنوات الخدمة للموظفين في المؤسسات الصحية :



4. تبعاً لأحاديث الامام علي بن الحسين (ع) من حيث حق (الذات والرعية) حق (الناس) و
كما يلي : جدول رقم (5)

المحور	فقرات استبيان التهذيب الاجتماعي
حق الذات و الرعية	2،18، 11، 5، 3، 4،20
حق الناس	8،7،19،17،16،12،10،9،15،1،14،13،6

ا. علاقة حق الذات والرعية مع الفئة العمرية

	العمر	العدد	p value
الرعية	20-29	29	
	30-39	56	
	40-49	43	0.001
	50-59	38	
الناس	20-29	29	
	30-39	56	
	40-49	43	0.567
	50-59	38	
التوكيد	20-29	29	
	30-39	56	
	40-49	43	0.36
	50-59	38	

- وجدت علاقة عالية ودالة احصائيا ، ذات فروق طردية بين الفئة العمرية (40-49 سنة)
والتهذيب الاجتماعي لحق الذات والرعية بدلالة قيمة الارتباط (0.001) عند مستوى
(0.05) .

ب. علاقة حق الذات والرعية مع الجنس (ذكر وانثى)

التهذيب	الجنس	N	الانحراف المعياري	p value
التوكيد	ذكر	112	4.7797	
	انثى	54	5.25004	
الرعية	ذكر	112	2.5476	
	انثى	54	2.31363	0.001
الناس	ذكر	112	3.00316	
	انثى	54	3.35756	

-وجدت علاقة عالية ودالة احصائيا وذات فروق طردية بين الجنس (ذكر، انثى) و التهذيب
الاجتماعي لحق الذات والرعية بدلالة قيمة الارتباط (0.001) عند مستوى (0.05)

الاستنتاجات :

في ضوء ما سبق فقد استنتجنا ما يلي :

1. ان ارتفاع مؤشر تهذيب الحوار و التواصل لحق الذات والرعية لكلا الجنسين مقترن مع ازدياد عدد سنوات الوظيفة، يظهر لديهم شعور كبيراً بالانتماء الفطري والعائدي نحو التهذيب السلوك الاجتماعي في الاتصال و التواصل و فن الحوار.
2. يعزز ارتفاع تهذيب السلوك الوظيفي او الاجتماعي هو عامل العمر للحد من التطرف في الاقوال والافعال ، فكلما كانت شريحة الموظفين من ذوي الفئات العمرية العالية كلما زاد تهذيب السلوك الذاتي لما يتمتعون من خبرة السنين في التعامل الإنساني وكيفية السيطرة على المشكلات وإيجاد الحلول الناجعة لها .
3. يرسخ ارتفاع نسبة تهذيب السلوك الوظيفي او الاجتماعي لحق الذات والرعية مفهوم ذاتي عن مصالحة الذات ومحاسبتها و التواصل و الطموح لدى ذات الموظف من ذوي الفئات العمرية العالية.

التوصيات

وعلى ضوء ما جاء من نتائج البحث فان الباحثان يوصيان بما يلي:

1. إضافة متغيرات لاستبانة التهذيب الاجتماعي من أجل بحوث شاملة تضم عوامل ديمغرافية أخرى مثل الحالة الاجتماعية ومحل السكن و صنف الدم، لمعرفة العلاقة الإحصائية فيما بينها .
2. بناء استبانة للتهذيب الذاتي والاجتماعي شاملة لكل المحاور تستند الى احاديث أئمة أهل البيت (ع) ولا سيما احاديث الامام علي بن الحسين (ع) كونها تمثل الخط الجوهري لنبذ التطرف و العنف كمنظومة سلوكية يعتد بها في منظمات وهيئات حقوق الانسان.
3. اعداد مناهج علمية تخص مبادئ حقوق الانسان وتدرس في مؤسسات وزارتي التربية و التعليم وتكون أساسية في تقييم سلوك الطلبة من حيث ابداء الحوار وفن التواصل وتشجيع الأفكار ورفض الظلم ونبذ التطرف وتشخيص مواطن ضعف الذاتي او الاجتماعي.

المصادر

1. القرآن الكريم
2. أبو نصر ، مدحت ، مراحل العملية التدريسية ، المجموعة العربية للتدريب والنشر ، القاهرة ، مصر ، 2018 .
3. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1998.
4. الصحيفة السجادية الكاملة ، مؤسسة انوار الرسول الأعظم ، طهران ، ايران ، 2012.
5. الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، ج 4 ، دار الحديث للطباعة والنشر و التوزيع ، قم ، ايران ، 2019 .
6. الكمالي، طلال فائق، التنمية البشرية في القرآن الكريم، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، العراق ، 2015 .
7. العلمي، مهدي فكري، التدريب القيمي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن ، 2015 .

8. الموسوي، كريم مشط، المراسم والاتكيت والتفاوض، جامعة بغداد، بغداد، 2018 .
9. جون سي ماكسويل، المستويات الخمسة للقيادة، مكتبة جرير، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 2015 .
10. حسوني ، محمد صالح، دليل المدرب البرمجة اللغوية والعصبية، مطابع دائرة العيادات الطبية الشعبية للطباعة والتصميم، بغداد، العراق، 2012.
11. دي ماكلا ناتشان، التأثير والاقناع، مكتبة جرير، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 2017 .
12. رضوان، محمود عبد الفتاح، فن الاتكيت والبروتوكول، المجموعة العربية للتدريب، و النشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2012.
13. كاظم، ماجد عبد جواد، الاتكيت الوظيفي او الاجتماعي، مجلة كلية الآداب المجلد (2) ، العدد 141 ، جامعة بغداد، بغداد، العراق ، 2016 .
14. محمد عبده ، نهج البلاغة ، خطب الامام علي (ع) ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان .
15. نجيب، بصيلة، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد8، العدد1، جامعة ام البواقي، الجزائر، 2021.

مقومات الترابط الاسري في النص القرآني

أ.م صباح محمد حسين
السيد فاضل حاتم الموسوي
جامعة ديالى / كلية العلوم الاسلامية

خلاصة البحث

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وكماله، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار، ومن تبعهم بإحسان، وسلك طريقهم إلى يوم الدين، ونستفتح بالذي هو خير، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

الأسرة في الإسلام لها مكانتها، ولها مزيتها، فهذه الأسرة المكونة من رجل وزوجة تقوم على المحبة والمودة، فالزواج في الإسلام سكن للنفس، وراحة للقلب، واستقرار للضمير، وتعايش بين الرجل والمرأة على المودة، والرحمة، والانسجام، والتعاون، والتناصح، والتسامح، وقد صور القرآن الكريم هذه العلاقة الفطرية الأبدية بين الرجل والمرأة تصويراً رقيقاً شائقاً، تشيع فيه أنداء السكينة والأمن والطمأنينة، ويفوح منه عبير المحبة والتفاهم والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

ان الاسرة المسلمة اليوم تعيش حالة من التفكك التشطي التي تجعل الفرد ذكر ام انثى في مهب ريح كثير من المغريات التي دخلت له الى عقر داره وهي تهدد مصيره ومستقبله ومن هنا جاءت اهمية استشراف النص القرآني للنهل منه ما يقوض جهود الاعداء والسعي الى بناء الانسان بناء متراسا من خلال الوقوف على مجموعة من المقومات التي تبني الاسرة بناء سليما من خلاله تكون الاسرة منتجة وناجحة في رسالتها في المجتمع الانساني .

يشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث يسيقها تمهيد المح فيه الى مفاهيم الموضوع من جانب اللغة والاصطلاح ان المقوم الاول لبناء كيان الاسرة هو الزواج الناجح فاول خطوة يمكن ان يخطوها الانسان في بناء كيان الاسرة هو الارتباط بالطرف الاخر وهذا الارتباط ان كان قائما على اسس قوية يكون البناء قويا وهذا ما سيتم مناقشته في المبحث الاول ضمن منظور قرآني .

وبعد ان تتحرك عجلة الحياة في ظل ذلك الترابط يجب ان تسود اجواء معينة للعلاقة بين الطرفين ومن اسرار نجاح وديمومة كيان الاسرة هو قوة تلك العلاقة وهو من المقومات الاساسية التي شخصها القران في بناء الاسرة وهذا ما اتعرض له في المبحث الثاني ان نتاج ذلك الترابط الانساني هو انجاب ذرية التي بها ديمومة الجنس البشري وهذه الذرية تعد الاساس لبناء اسرة اخرى فمهمة رعايتها امر في غاية الخطورة ويجب التركيز عليه لان بها يقام ويصلح المجتمع ككل وهذا ما سأبينه في المبحث الثالث ان عنصر الاختيار عنصر مهم في بناء الاسرة فاختيار الطرف الاخر على وفق ضوابط الشرع من خلق طيب وصفات حميدة يوفر اسرة ذات اساس متين . وتوصلت في هذه الدراسة الى جملة من النتائج هي :

- 1- ان النص القراني كان ولا زال هو المنبع الصافي الذي يمكن ان ينتهل منه لصحيح مسار الانسان كفرد واسرة ومجتمع ففيه احصى الله كل شئ .
 - 2- ان القران سعى الى ان يصل بالانسان الى حالة من النضج المعرفي بحيث يبتعد به عن كل ما يبعده عن الاتصاف بالانسانية التي هي تمثل كرامة الهية فضلا عن صفة الحياة التي منها ايها ولا يتحقق ذلك الا اذا كان الانسان ملتزما بخطى الشرع يربي نفسه وفقها
 - 3- ان النص القراني مفعم بكل ما هو من دوره يصلح حال الانسان وينتقل به من حالة الى حالة بل يرقى به الى الغاية التي ارادها الله تعالى لذا يجب على المربين والمرشدين ان ينتهلوا من هذا المنهج المتكامل في بناء الفرد والمجتمع .
 - 4- يسعى النص القراني دوما الى ايجاد حالة من الوئام والتلاحم الاسري بعيدا عن منغصات الحياة وهمومها لانه يدرك ان نجاح بناء الانسان لا يكون الى في ذلك الجو المتناسق بين افراد الاسرة الواحدة ابتداء بالوالدين والابناء
 - 5- ان بناء الاسرة بصورة سليمة بعيدا عن كل ما ينحرف بها ويسقطها في مهاوي الانحراف باتت اليوم تمثل الهم الاكبر الذي يخالج الاباء والدعاء والمصلحين من علماء دين ومرجعيات لما يعيشه العالم اليوم من انفتاح منقطع النظير
 - 6- يوصي القران بضرورة ان يدرك كل فرد من افراد الاسرة مسؤوليته اتجاه الآخر فالاب عليه ان يربي عائلته ويكون قيم عليهم والاب ان توفر حالة الانس والوعاء الطيب والابناء الطاعة والاحترام لوالديهم.
 - 7- يوصي القران ان نتعاهده دوما لان فيه كل خير وصالح فالقران منهج متكامل لبناء الانسان .
- وفي الختام لا يسعني الى اتقدم بوافر شكري والتقدير لك ولكل من شارك في قول او فعل انجاح هذا المؤتمر . والحمد لله اولا واطرا والصلاة والسلام على محمد واله وصحبه .

المقدمة :

لقد خلق الله الانسان وجعله بفطرته يميل الى الانس ببني جنسه فكانت بين ابناء الجيل الواحد والبلدة الواحدة والحي الواحد والعشيرة الواحدة وابناء البيت الواحد صلات يرتبطون فيها فمرة تمثل ارتباطهم الى البلد الواحد ومرة تمثل ارتباطهم الى العشيرة ومرة اخرى تمثل ارتباطهم الى الاسرة الواحدة وكانت تلك الصلات في كثير من الاحيان احد مقومات وجود الانسان فقد حظي الانسان بين تلك الارتباطات على القوة التي تؤهله من الدفاع عن نفسه امام كثير من الاعداء . وتعد الاسرة الكيان الاساس الذي يقوم عليه المجتمع والحاضنة الاولى للفرد البشري فمنها وعليها يعتمد الانسان في بناء مستقبله فهي الارض التي يبذر بها الفرد زرعته لذا كانت الدراسات قديما وحديثا قد اولت هذا الكيان الاهمية القصوى في مجال البحث النفسي والاجتماعي والاقتصادي والديني ، وحيث ان القران منهج حياة الانسان فقد اولى هذه المفردة الكثير من الاهتمام لما تمثله من اللبنة الاساس لبناء مجتمع ناجح وهو ما يهدف اليه النص القرآني بجميع ما جاء به من احكام وتعاليم .واليوم وبعد ان عصفت بنا رياح الاعداء وهي تحاول ان تبعدنا عن هذا المنهل الصافي الذي اشتمل على كل صغيرة وكبيرة (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) كان لزاما علينا ان نرجع اليه ونتمسك به فهو الملاذ الاوحد الذي يمثل لنا بر الامان والسلام من جميع الاعداء .

ان الاسرة المسلمة اليوم تعيش حالة من التفكك التشظي التي تجعل الفرد ذكر ام انثى في مهب ريح كثير من المغريات التي دخلت له الى عقر داره وهي تهدد مصيره ومستقبله ومن هنا جاءت اهمية استشراق النص القرآني للنهل منه ما يقوض جهود الاعداء والسعي الى بناء الانسان بناء متراسا من خلال الوقوف على مجموعة من المقومات التي تبني الاسرة بناء سليما من خلاله تكون الاسرة منتجة وناجحة في رسالتها في المجتمع الانساني . ويشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد المح فيه الى مفاهيم الموضوع من جانب اللغة والاصطلاح ان المقوم الاول لبناء كيان الاسرة هو الزواج الناجح فاول خطوة يمكن ان يخطوها الانسان في بناء كيان الاسرة هو الارتباط بالطرف الاخر وهذا الارتباط ان كان قائما على اسس قوية يكون البناء قويا وهذا ما سيتم مناقشته في المبحث الاول ضمن منظور قرآني .

وبعد ان تتحرك عجلة الحياة في ظل ذلك الترابط يجب ان تسود اجواء معينة للعلاقة بين الطرفين ومن اسرار نجاح وديمومة كيان الاسرة هو قوة تلك العلاقة وهو من المقومات الاساسية التي شخصها القران في بناء الاسرة والتي من خلالها تنتظم مسيرة الاسرة ضمن كيان المجتمع ، وهذا ما اتعرض له في المبحث الثاني . ان نتاج ذلك الترابط الانساني هو انجاب ذرية التي بها ديمومة الجنس البشري وهذه الذرية تعد الاساس لبناء اسرة اخرى فمهمة رعايتها امر في غاية الخطورة ويجب التركيز عليه لان بها يقام ويصلح المجتمع ككل وهذا ما سأبينه في المبحث الثالث الذي به اختتم مضان بحثي هذا مع خاتمة ابين بها المهم وما يمكن ان يوصى به والحمد لله اولا واخرا

التمهيد : مفهوم المقومات والاسرة بين اللغة والاصطلاح .

اولا : المقومات : لغة من الفعل قامَ لـ يُقُوم، فُؤم، قُؤمًا والمصدر منه قِيَامًا وقَامَةً، فهو قائم وقِيَمَ وقَوِّمَ الْمُعْجَجَ: سَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ، وَأَزَالَ عِوَجَهُ (1) وجاء في العين بنفس هذا المعنى و (قَيِّمُ الْقَوْمَ: من يسوس أمرهم وَيُقَوِّمُهُمْ. ورمح قَوِيْمٌ، ورجل قَوِيْمٌ) (2). وكل ما يستقيم به الشيء ويكون معتدل الصورة والهيئة فهو مقوم ف (قِوَامُ الجسم: تمامه وطوله. وقِوَامُ كل شيء: ما استقام به) (3) وكل كثير وجيد، وحسن فهو مُقَوِّم .

اما المعنى الاصطلاحي فلم اقف على معنى معين بحد ذاته فمعناه موكول الى قرينته فنقول مقومات الحياة اي ما يمكن ان تستقيم به الحياة وتستقر ونقول مقومات البناء اي المواد المراد توفرها لإنشاء البناء فالمقومات هي كل ما يستلزم لبناء شيء ما يكون به ذلك الشيء قائما بحد ذاته لا ميل ولا نقص فيه ويمكن ان نضع له تعريفا بحسب فهمنا فنقول : (المقومات هو كل ما يجب ان يتوفر لقيام نظام او بناء او فكرة او منهج او وطن بل قيام اي شئ اخر حتى الانسان والدين) ومقومات الاسرة (الأسس والركائز التي تتبني عليها نظام الأسرة) (4)

(1) ينظر : د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج 3 ، ص 1874 و 1875

(2) الخليل ، العين ، ج 5 ، ص 231

(3) المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 232

(4) حواء عبد القادر نور الله ، مقومات البناء الاسري في الاسلام (رسالة ماجستير) ، ص 9

ثانيا : الاسرة : لغة : جاء في لسان العرب ان لفظ الاسرة من الاسر وتعني (أسر: الأسرة: الدِّرْعُ الْحَصِينَةُ ، الأُسْرَةُ: عَشِيرَةُ الرَّجُلِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ)⁽¹⁾ لأنه يتقوى بهم ، والاسرة من الأسر أيضا وهو الشَّدُّ فأفراد الاسرة مرتبطين بأواصر تشد بعضهم الى بعض .
وجاء في بيان معناها ايضا ان (أسره الإنسان: عشيرته ورهطه الأدنون، مأخوذ من الأسر، وهو القوة، سموا بذلك، لأنه يتقوى بهم، والأسرة: عشيرة الرجل، وأهل بيته، وقال أبو جعفر النحاس: الأسرة: أقارب الرجل من قبل أبيه.)⁽²⁾
اما اصطلاحا فتعني (هي الجماعة المعتمدة نواة المجتمع والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، ثم يتفرع عنها الأولاد وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات، ومن إخوة وأخوات، ومن الأحفاد (أولاد الأولاد) والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم)⁽³⁾ ويرى بعض الباحثين ان الاسرة (هي الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة ويتم من خلالها تنشئة الفرد اجتماعيا ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة ويجد فيها أمنه وسكنه)⁽⁴⁾

المبحث الاول

اهمية الزواج في بناء الاسرة من خلال النص القرآني
يعد الزواج الخطوة الاولى في مسيرة البشرية وبناء المجتمعات وتكوين الحضارات وانشاء دولة الانسان التي كانت ولا زالت مستمرة به الى ما شاء الله ، وهنا تكمن اهمية الزواج في استمرارية وادامة الجنس البشري الذي اختاره الله من بين مخلوقاته ليكون خليفته في ارضه ولأجل هذه الاهمية البالغة جعل الله لهذا الامر احكاما وقوانين سنها من خلال ما جاء من كتب سماوية ارسل بها رسله وكان خاتمهم القران الكريم فقد جاء فيه ما يؤكد على تلك الأهمية فضلا عن الاحكام التي جاءت فيها نصوص كثيرة تبين الاسس والمبادئ التي يرتسم عليها هذا البناء . فضلا عما رواه النبي من تفصيل لتلك الاحكام.
ان كل لفظ (زَوْج) في القران جاء موصوفا بالخير فقال تعالى : (زَوْجٌ بَهِيْجٌ) وقال : (زَوْجٌ كَرِيْمٌ) ، فالبهجة والكرم هما صفتا الزوج في القران ، فحالة المزوجة اذا كانت ضمن الشروط المحددة فأنها ايجابية تنتج كل ما هو طيب يبعث البهجة على الانسان ويضفي عليه حالة من الاكرام .

ان الزواج هي اقدس رابطة في المجتمع الانسان اهتم بها القران اهتماما بالغاً اذ تعد الخطوة الاولى في بناء كيان الاسرة التي هي اللبنة في بناء المجتمع الانساني الذي يسعى القران وما جاءت من كتب سماوية الى تنظيم حركة المجتمعات في احقاب زمنية مختلفة تسعى للوصول بالإنسانية الى الخير والفضيلة والسلام . ورد في القران كثير من النصوص وهي تضع الخطوط العامة لبناء الاسرة من خلال رابطة الزواج تبين من خلالها ما لهذه الرابطة من القدسية فقال تعالى : (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 4 ، ص 19

(2) د محمود عبد الرحمن عبد المنعم ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، ص 174

(3) د. وهبة الزحيلي ، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر ، ص 20

(4) حمودة وعساف ، الأحوال الشخصية ، ص 13

يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَيَاةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) اهتم القرآن بعنصر الاختيار لكل من الزوجين فان المدار لا يكون الاعجاب هنا وانما هو ما يحمله الانسان من حالة ايمانية هي تمثل المحور الاساس في اختيار لكل طرف صاحبه وهذا ما تضمنه هذا النص ، وهو ما كان سببا لنزول هذا النص كما يروي الطبري انها (نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان يأتي مكة ويخرج منها أناساً من المسلمين كانوا بها سرّاً من أهل مكة فلما قدم مكة، جاءته امرأة يقال لها عناق، كانت بينهما خلة في الجاهلية، فقالت له: هل لك أن تخلو بي؟ فقال لها: يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، وقد حرمت علينا. ولكنني أسأل رسول الله ﷺ، ثم أتزوجك إن شئت. فلما رجع إلى رسول الله ﷺ سأله عن ذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرَكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ (1) فقد حرم القرآن اقتران المسلم بمشركة اذ ان تلك المرأة ستكون الوعاء الذي يضع فيه نسله والحضن الذي يحتضن اطفاله والتي تقع على عاتقها تربية اطفاله فحالة الشرك لا تنسجم وواقع الاسلام ف (لا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبٍ أَمْرٍ) (2) كما روي عن النبي محمد (ص) . فدور المرأة في ادارة الاسرة وتسكين الغريزة وتربية النسل اكثر واهم من دور الرجل لذا كان التركيز على مسألة الاختيار فيجب ان تتصف بالصلاح والايمان والطاعة لله تعالى كما وصفها الله تعالى بقوله : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ . ومن اساسيات الزواج هو حالة التكافؤ العلمي الى حد قريب جدا لان تلك الحالة توفر الانسجام بين الطرفين وتكون نتيجة هذا النوع من الترابط طيبة مباركة ولا تنعدم حالة الاستواء بينهما ، قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

ان الزواج هو من موجبات بقاء النوع الانساني قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ ان في النص دلالة تنبئ ان حالة التزاوج هي التي منها تنشئ المجتمعات فيكون رجالا كثيرا ونساء والتي بدورها لو تم التزاوج بينهم لاتسعت المساحة البشرية الانسان وقد دعا النبي (ص) الى الزواج فقال : (تَنَاجَوْا، تَكَثَّرُوا، فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (3) وفي موضع اخر دعا الى اختيار المرأة الولود فقال : (تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، إِنِّي مُكَاثِّرُ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (4) ونهى عن الرهينة والتبتل اذ قال : (لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ) (5) والرهبانية أساسها العزوبة وترك الزواج ، وفي النص صورة من صور الاعجاز الالهي التي اراد ان ينبئ بها عباده فقد خلق تعالى كل ما وجد من بشرية على وجه الارض من نفس واحدة وهو ادم عليه السلام وحواء التي عبر بها نفسه اشعارا بحالة القرب بين الزوج وزوجته .

وسعى القرآن الى ائصال المسلم الى حالة الاشباع مما توفره الزوجة لزوجها ماديا ومعنويا فاذا لم تتم حالة الاكتفاء مع زوجة واحد فشرع له ان يتخذ زوجا اخرى او بغض النظر عن حالة الاكتفاء لكن متطلبات منه الزواج الثاني او الثالث اجيز له ذلك ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وهنا

(1) السمرقندي، بحر العلوم ، ج 1، ص 146

(2) احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج 2، ص 349 حديث رقم : 8577

(3) الصنعائي ، مصنف ، ج 6، ص 173 حديث رقم : 10391

(4) احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج 20، ص 63 حديث رقم : 12613

(5) البغوي ، شرح السنة ، ج 2، ص 371

يتضح من النص ان الامر مشروط بالعدالة اي (إن خفتم أن تجوروا فلا تعدلوا، فانكحوا منهن واحدة) ⁽¹⁾ التي يراد منها العدالة الظاهرية وليس العدالة القلبية .

ان الزواج في المنظومة الاسلامية يمثل ركيزة أساسية في قيام المجتمع وديمومته فلا يمكن ان يحاد عنه فهو من اسباب الرزق التي وعد الله به تعالى عباده قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فالنص واضح الدلالة والمفهوم على ان من اسباب الرزق هو اتخاذ الزوجة للرجل واتخاذ الزوج للمرأة على حد سواء ف(وعد الله تعالى بإغناء الفقراء المتزوجين طلب رضى الله عنهم واعتصاما من معاصيه، وقال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح) ⁽²⁾ وذهب بعض الفقهاء ان الامر في الآية افاد الوجوب ما يؤكد على اهمية هذه المرحلة من حياة الانسان وذهب البعض ان المراد هنا الذنب وليس الوجوب واختص الصالحين هنا بالذكر لان يمثل البذرة الصالحة التي تنشئ مجتمع سليم بعيدا عن السلبيات التي قد يعاني منها المجتمع في يوم ما.

ومن دلالات الغنى هنا ايضا هو الغنى المعنوي فالزواج يعصم الانسان عن كثير من المنزلات المحرمة التي تبعده عن ساحة عبودية الله تعالى والذي يبتعد عن الله يكون هو الفقير بمعنى من المعاني قال القشيري (يغنيهم الله في الحال، أولا بالنفس ثم غنى القلب وغنى القلب غني عن الشيء، فالغني عن الدنيا أتم من الغنى بالدنيا) ⁽³⁾ ونرى في النص حالة من الترغيب في التزويج ، للأحرار والعبيد، والوعد بالغنى والرزق على ذلك لان كثير من المشاكل التي يعاني منها المجتمع اليوم يكون حلها في الزواج فهو سنة من سنن الاسلام يحفظ بها كيان الفرد والاسرة والمجتمع قال النبي محمد (ص): (من أحب فطرتي، فليستن بسنتي ، ومن سنني النكاح) ⁽⁴⁾ فالزواج هو سنة نبوية كما انها سنة انبياء الله تعالى من قبل قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾. وقد عبر القرآن عن العلاقة الزوجية باللباس وهو في ذلك اجمل تعبير وابلغ صورة في وصف تلك الحالة التي تخالج الانسان قال تعالى : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ اي (هن سكن لكم وأنتم سكن لهن ويقال هن ستر لكم من النار وأنتم ستر لهن من النار) ⁽⁵⁾ وان لفظ (اللباس) هنا مستعار ، واراد وصف به حالة القرب بين الزوجين واشتمال بعضهم على بعض ، كما تشتمل الملابس على الأجسام وعلى هذا المعنى كنوا عن المرأة بالإزار ⁽⁶⁾ ووصف القرآن حالة القرب بين الزوجين بالسكون فقال : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فجعل طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة اية من آيات الله تعالى فإنسان لا تعرفه قد لم تره من قبل مجرد ان تكون بينك وبينه مجموعة من الكلمات يتم بها عقد الزواج ترتبط به ارتباط روحي وقلبي وتكون هناك محبة ومودة لم تكن من قبل فهي اية من آيات الله تعالى فقد (جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما من

(1) الطبري، جامع البيان، ج 7، ص 531

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 4، ص 180

(3) القشيري، لطائف الإشارات، ج 2، ص 608

(4) البيهقي، السنن الكبرى، ج 7، ص 77

(5) السمرقندي، بحر العلوم، ج 1، ص 151

(6) ينظر: الرضى، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ج 2، ص 119

شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما)⁽¹⁾ فلا نظير ولا شبه للألفة والرحمة والمودة بين الزوجين لذا يكون غاية سحر الساحر هو تقرييق هذه العلاقة حين وصف الله الساحر بقوله : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾. أن حالة الاجتماع هذه التي وصفها الله تعالى في هذا النص بين الذكر والأنثى ان النفس لتستريح وتسكن بها ويطمأن القلب ازائها فلا نعمة أجل ولا أعظم من نعمة تفيض على الإنسان الأمن والسكينة. وكما ان القرآن ذكر ما للزواج من اهمية وحث عليه وبين احكامه ذكر ان تكلفت هذه العلاقة الانسانية بالفشل وهذا امر محتمل الوقوع لسبب ما فيمكن ان يفترق كل عن صاحبه وجعل ذلك في احكام خاصة ضمن احكام عرفت بأحكام الطلاق ولا اريد ان اذهب بها مذهبا كبيرا لأنه يمثل الجانب السلبي في هذه العلاقة التي امتدحها الله تعالى بالمودة والرحمة فالطلاق ابغض الحلال كما ورد ان (أبغض الحلال عند الله الطلاق)⁽²⁾ من خلال ما مضى اتضح لنا ومن خلال النص القرآني اهمية هذه العلاقة الانسانية التي كانت ولا تزال سببا في ديمومة الجنس البشري وان القرآن اطرها باطار الرحمة والمودة والكرامة الانسانية في حفظ النفس والانساب من خلال قانون الزواج واحكامه التي بثها في عدد من آياته فضلا عما جاء في السيرة النبوية مما يخص هذا الجانب من حياة الانسان ، فمنذ ان يختار الانسان شريكة حياته مروراً بالعقد واللقاء والمعاشرة وطبيعة العلاقة بين الزوجين وتربية الاطفال وخلق جو عائلي ملائم هذه الامور بينها الشرع المقدس في القرآن الكريم تلميحا قد يكون ولكن في السنة النبوية ما اثر عن علماء الاسلام كان بصورة مفصلة الى حد كبير .

لذا فان الزواج هو المقوم الاساس في بناء الاسرة لذا نلاحظ هذا الاهتمام الكبير من خلال النص القرآني فيه لأنه يمثل الخطوة الاولى في مسيرة جيل كامل من بني الانسان فالرجل الواحد قد يكون له من الذرية ما يكون شعبا او امة في يوم ما كما ان البشرية كانت من ادم عليه السلام .

المبحث الثاني

العلاقات الاسرية في النص القرآني

اهتم النص القرآني ببيان طبيعة العلاقات الانسانية لتوفير حالة الانسجام والترابط بين افراد المجتمع الانساني وحيث ان الاسرة هي الكيان واللبنة الاولى لبناء المجتمعات لذا فقد اورد القرآن كثير من النصوص التي تنظم طبيعة العلاقة بين افراد الاسرة الواحدة . ويمكن بيان طبيعة تلك العلاقات بين افراد الاسرة من خلال مجموعة من الحقوق والواجبات التي لو التزم بها افراد الاسرة فانه ستتوفر داخلها حالة الانسجام الدائم والنص القرآني بين تلك الحقوق خير بيان والتي يمكن اجمالها في ثلاث محاور هي :

المحور الاول : حقوق الزوج اتجاه زوجته : لقد اشتمل النص القرآني على حزمة من الحقوق التي تترتب على عاتق الزوجة ان تلاحظها وتكون نصب عينها لكي لا تراحم الرجل في اداء دوره واعطاء حقه الذي ضمنه الله له ومن هذه الحقوق ما جاء في قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لقد فرض الله تعالى ومن

(1) الواحدي ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج 3، ص 431

(2) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج 1، ص 650 رقم الحديث : 2018

خلال هذا النص ان تكون القيمومة بيد الرجل وهو حقه الطبيعي ان يكون الرجل قيم على المرأة فيكونون الرجال (أمرين ناهين كما يقوم الولاية على الرعايا وسموا قوماً لذلك)⁽¹⁾ ولم يترك النص القرآني حكم القوامة دون بيان سبب تلك القوامة وهو بما فضل الله الرجال على النساء اذ جعل في الرجال من الصفات ما لم تتوفر في الرجل فقد (فضل الرجل على المرأة بزيادة العقل، وتوفير الحظ في الميراث، والغنيمة، والجمعة، والجماعات، والخلافة، والإمارة، والجهد، وجعل الطلاق إليه، إلى غير ذلك)⁽²⁾ وهذا ما نجده مفسراً عملياً في السيرة النبوية لرسول الله (ص) (ف) لم يول امرأة على قوم ولا أعطى امرأة منصب القضاء ولا دعاها إلى غزاة بمعنى دعوتهم إلى أن يقاتلن)⁽³⁾ . ان ما يمتلك الرجل من صفات ومؤهلات ما جعله مناسباً في مقام القوامة على المرأة ، ويرى البعض ان حكم القوامة هنا ذو إطلاق تام اي ليس منحصر بالرجل قبال زوجته فقط بل انه يشمل جنس الرجال مقابل جنس النساء في الامور العامة التي تستلزم حالة من التعقل كالقضاء والحكم .

ومن الحقوق التي افترضها الله تعالى على المرأة هي طاعتها لزوجها وقد ورد في ذلك حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ما رواه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها . قلت : فأبي الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال : أمه)⁽⁴⁾ . والنص السابق به دلالة على ضرورة طاعة الزوجة لزوجها بما له من اسباب القوامة عليها والطاعة المراد منها هي ضمن الحدود التي تحفظ بها كيان الاسرة من التشتت والتمزق فمنها الحفاظ قال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ والمقصود من النص هنا طاعة الزوج والقيام بحقه (الصَّالِحَاتُ) كما يروى عن ابن عباس المراد منها : الصالحات المحسنات لأزواجهن ، لأنهن إذا أحسن لأزواجهن فقد صلح حالهن معهن⁽⁵⁾ . وان تحفظه في ماله وفي نفسها في حال غيبة الزوج في ان تحفظه بما امرها الله تعالى⁽⁶⁾ ، ففي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك)⁽⁷⁾ وقيل الغيب هنا خلاف الشهادة أي ان تحفظ زوجها اذا كان غير شاهد لها بما يجب عليها ان تحفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال⁽⁸⁾ . ومن الحقوق الاخرى للزوج عدم النشوز قال تعالى : ﴿الَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ النشوز هنا الخروج عن الحد وهو يتناقض وامر الطاعة الزوجية التي امر الله تعالى بها ، فالنص القرآني هنا يضع لنا علاجاً لحالة النشوز التي قد تصدر من الزوجة اتجاه زوجها فهو امر سلبي في بناء الاسرة فيمكن ان يعالج بالموعظة كمرحلة أولى فاذا تجاوز حد النشوز ولا يمكن علاجه بالوعظ فللرجل ان يتخذ طرقاً اخرى قد تصل الى الضرب والهجران وهناك حقوق اخرى قد يضيق المقام بنا لذكرها يمكن بينها في مواضع اخرى من دراسات لاحقة .

(1) الزمخشري ، الكشاف ، ج 1 ، ص 505

(2) ابن قيم الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج 1 ، ص 401

(3) الطبطباتي ، الميزان ، ج 4 ، ص 119

(4) الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، ج 4 ، ص 167 رقم الحديث : 7244

(5) ينظر : ابو حيان الاندلسي ، البحر المحيط ، ج 3 ، ص 249

(6) ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 5 ، ص 168

(7) الطيالسي ، مسند أبي داود الطيالسي ، ص 306 رقم الحديث : 2325

(8) ينظر : السفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ج 1 ، ص 354

المحور الثاني : حقوق الزوجة اتجاه زوجها : كما ان للزوج حق على زوجته فان للزوجة حق على زوجها تمثل من اساسيا بناء الاسرة بناءا متماسكا اذا ما حفظت تلك الحقوق ومن هذه الحقوق قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ وقال عز وجل : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ وقال : ﴿ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾ ان الحق الاول للزوجة على زوجها هو المهر وهو عنصر مادي يدفع للمرأة عند ارادة الزواج منها ويكون ضمن شروط صحة العقد فلا عقد بدون مهر (فإن(الأجر) : العوض الذي يبذله الزوج للمرأة للاستمتاع بها، وهو المهر) (1)، ووجوبه بنص القرآن قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ اي (وأعطوا النساء اللواتي تعقدون عليهن المهور عطاء هبة يكون رمزا للمودة التي ينبغي أن تكون بينكما، وآية من آيات المحبة، ودليلا على وثيق الصلة والرابطة التي تجب أن تكنفكما وتحيط بسماء المنزل الذي تحلان فيه) (2) فر(المهر نحلة من الله تعالى للنساء حيث لم يوجب يوجب عليهن وأوجب لهن) (3) فقله (نحلة) ينبي عن وجوب المهر ، اي فريضة كما صرح بها في نص اخر قوله : ﴿فَاتَّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ اي فرضا واجبا وهو مما اوجبه الله للزوجة .

ان النفقة هي احد الفروض التي اوجبها الشرع للزوجة على زوجها فيجب ان يوفر لها اسباب الحياة الكريمة من مسكن وملبس ومأكل قال تعالى : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ ان هذا النص من سورة الطلاق اذ فرض لمن اراد ان يطلق زوجته ان يوفر لها مكان للعيش تسكن فيه هذا في حال اراد ان يطلقها فكيف اذا كانت شريكة حياته وبينهما حالة من الانسجام والمودة فمن باب اولى ان يكون السكن من اسباب العيش الرغيد الذي يجب على كل زوج ان يوفره لزوجته ، وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فالنص يشر الى حالة الانفاق التي تلازم الاب اتجاه زوجته واولاده ان ينفق عليهم في مآكلهم وملبسهم دون اسراف او اقتار وانما في حد السعة قال تعالى : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ اذ ان ذلك يزيد من حالة الترابط بين افراد الاسرة الواحدة وفي ذلك قال النبي محمد (ص) : (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) (4) ، وعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحينا عليه؟ قال: (أن تُطْعَمَها إذا طَعِمْتَ، وتَكْسُوَها إذا اكْتَسَيْتَ ولا تضرب الوجه، ولا تُقَبِّحَ، ولا تَهْجُرَ إلا في البيت) (5) ولا تختص النفقة وغيرها من حقوق الزوجة على زوجها في الجوانب المادية فقط بل عليه مراعاتها من جانب النصيحة والارشاد والتعليم لأحكام الدين واصول الشرع ويحاول ان يقوي صلتها بالله تعالى من خلال حثها على العبادات لان زيادة الارتباط بالله تعالى يقوي من اواصر الاسرة فلا شيء يماثل قوانين الله قوة اذا سادت بين افراد الاسرة .

المحور الثالث : حق الاولاد : لقد فرض الله تعالى للأولاد حق على والديهم يجب ان يرعى ذلك الحق للوصول الى نتيجة طيبة في بناء اسرة ممكن ان نتقدم بها خطوة في مسيرة تكامل البشرية ، فالذرية الطيبة مطلب الانبياء والرسل قال تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً

(1) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 9، ص 590

(2) المراغي ، تفسير المراغي ، ج 4، ص 184

(3) السمرقندي ، بحر العلوم، ج 1، ص 281

(4) مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ص 886 باب حجة النبي رقم الحديث : 1218 .

(5) أبو داود ، سنن أبي داود ، ج 3 ص 476 ، رقم الحديث : 2142.

طَبِيبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) فيبدأ أول حق في اختيار الارض الصالحة الذي يمكن ان ينبت بها الزرع الصالح الطيب وهي الزوجة قال النبي محمد (ص) : (تتكح المرأة لأربع ، لدينها وجمالها ومالها وحسبها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك) (1) فعندما تتصف المرأة بالصالح والتدين والالتزام الحقيقي بأحكام الاسلام فإن الزرع يكون طيبا لا محال فـ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ ومن الحقوق الاخرى للأبناء هو حسن التسمية ففي سيرة النبي محمد دروس وعبر في اهمية اختيار الاسم للمولود فقد ورد في صحيح البخاري ما يشير الى ذلك قوله : (ولد لي الليلة ابن سميت على اسم أبي إبراهيم) (2) ومن الحقوق الاخرى للأبناء هو حسن التربية وفي الحوار الذي دار بين لقمان الحكيم وابنه خير درس يرويه لنا القرآن في باب التربية قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَأَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19) ﴾ آيات مباركات تروي لنا مبادئ تربية الاولاد في حوار مقتضب ذي دلالات جميلة وان تلك النصائح والإرشادات التي جاءت في النص هي من حقوق الابناء على اباءهم قال النبي محمد : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع) (3) فالتربية الصالحة اثر كبير وهو زرع طيب يحصده الانسان في اخرته فعن النبي محمد (ص) قوله : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقه جاريه وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له) (4) فصلاح الابناء يضمن لنا استمداد الخير ودوامه وان مات العبد وانقطع عن هذا العالم .

المبحث الثالث

التربية الصالحة للأبناء من خلال النص القرآني
ان النص القرآني يمثل الملاذ الامن الذي يلجأ اليه المسلمون في حل او ايجاد حل لجميع المشاكل التي يعانون منها ففيه تبيان لكل شيء واذا اردنا ان نبحث عن اسس وقواعد التربية نجدها في كثير من النصوص فالله تعالى خبير بمن خلق فهو يعلم كيف يربي هذا المخلوق , فقد كفل الله الأساليب والطرق المناسبة لتربية الإنسان من الطفولة حتى البلوغ . ففي القرآن, أساليب وطرق شتى لتربية الابناء , التي لو اتبعت فهي السبيل بخروج انسان صالح , الذي بدوره يؤدي بصورة او بأخرى الى صلاح المجتمع الإسلامي. فالقرآن بما جاء به من اسس

(1) مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ص 1082 باب نكاح ذات الدين ، رقم الحديث : 1466.

(2) احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج 20، ص 316 حديث رقم : 13014

(3) الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين، ج 1، ص 311 حديث رقم : 708

(4) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 3، ص 53 حديث رقم : 1376

وقواعد هو ذاته الذي استطاع ان يغير واقع الفرد الجاهلي ويجعله عبدا سويا مطيعا لله حيث اعاده الى فطرته السليمة التي فطر عليها .

ولأجل الخوض في بيان ما جاء في القرآن من قواعد تربوية لا بد ان نبين مفهوم التربية ولو باختصار فالتربية في باب اللغة هي : وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال رَبَّه، وربّه وربَّه. وقيل: (لأن يربني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربني رجل من هوازن) (1) وجاء لفظ التربية في القرآن بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ اي : (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا فِي مَنَازِلِنَا. وَلِيدًا طِفْلاً سَمِيَ بِهِ لِقَرَبِهِ مِنَ الْوِلَادَةِ. وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ قِيلَ لَبِثَ فِيهِمْ ثَلَاثِينَ سَنَةً) (2) وقد جاء مفهوم التربية في القرآن بلفظ اخر قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ اي : (يظهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة) (3) ولو نظرنا الى هذا المفهوم من جانب الاصطلاح لوجدنا ان معانيه تتجدد بتجدد الازمان فمستلزمات والاليات التربية تختلف من جيل لآخر الا انهم قالوا في بيان معناه انه (تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل في جميع الجوانب العقدية والعبادية والأخلاقية، والعقلية والصحية، وتنظيم سلوكه وعواطفه في إطار كلي يستند إلى شريعة الإسلام، من خلال الطرق والإجراءات التي تقبلها الشريعة) (4).

ان تربية الابناء مهمة في غاية الخطورة فعليها يعتمد صلاح وفساد المجتمعات اذ كل انسان او رب عائلة هو مسؤول عن تنشئة جيل كامل من خلال تربية ابنائه ، فتربية الأبناء أمانة ومسئولية، لذا قال النبي (ص) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ رَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (5) وليس هذا فحسب بل قد يشترك الآباء والابناء بالمصير بسبب التربية سواء كانت صالحة او طالحة قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ ان الذرية اذا كانت في درجة نازلة عن ذرية الآباء في الجنة فإنهم يلحقون بهم في الدرجات العليا، حتى يحصل الاجتماع في الآخرة كما حصل الاجتماع في الدنيا، فاراد الله تعالى ان (يكمل عليهم سرورهم بأن يلحق بهم ذرياتهم فإن الانفراد بالنعمة عمن القلب مشتغل به من الأهل والولد والذرية يوجب تنغص العيش) (6)

وفي الطرف الثاني من المعادلة الالهية نجد ان تعالى دعا الى الحفاظ على الالاه والابناء وطلب الوقاية لهم من خلال تربيتهم تربية صالحة ضمن حدود الشريعة الاسلامية فقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ اي : (قُوا أَنْفُسَكُمْ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَأَهْلِيكُمْ بِأَنْ تَأْخُذُوهُمْ بِمَا تَأْخُذُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ) (7) فدلّت الآية على :

(1) الراغب الاصفهاني، مفردات القرآن، ج 1، ص 336

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 4، ص 135

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 74

(4) د. حسين با نبيلة، أصول التربية الوقائية للطفولة، ص 16

(5) البخاري، صحيح البخاري، ج 17، ص 312 حديث رقم : 5200

(6) القشيري، لطائف الإشارات، ج 3، ص 474

(7) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 4، ص 568

: (وجوب الأمر بالمعروف في الدين للأقرب فالأقرب) (1) فمن أولويات رب العائلة ان يحافظ على سلامة عائلته من الوقوع في المحرمات مما يقربهم مما وصفتهم الآية وذلك بان يحثهم وبصورة عملية على الطاعة والابتعاد عن كل ما حرم الله بان يكون لهم خير قدوة في ذلك لا ان يدعوا الى ترك الحرام وهو غارق في المعصية فهنا قد لا ينمو زرعه .

ان القرآن يروي لنا قصص فيها من المشاهد التربوية عدت أنموذجا متكاملا في التربية الانسانية فهذا خليل الله ابراهيم عليه السلام يأتيه الامر بان يذبح ابنه اسماعيل وهو اختبار صعب للاب والابن الا ان الآية تروي لنا تلك الطاعة التي قل نظيرها من قبل الاب اتجاه خالقه والابن اتجاه خالقه واباه وهو ينم عن تربية عالية وخلق عظيم ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ . فيروي اهل التفسير ان اسماعيل قال لأبيه : (إن كان يطيب قلبك بأن تذبح ابنك لأجل الله فأنا يطيب قلبي أن يذبحني أبي لأجل الله) (2) فاي طاعة هذه واي تربية ربي بها ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ففي النص حث على طاعة الابناء للأباء في كل ما يتعلق بالله تعالى لان ذلك طريق النجاة في الدنيا والاخرة فقد فدى الله نبي الله اسماعيل بذبح عظيم كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ وهنا نلاحظ ان كان له الفداء بالدنيا والمقام العظيم عند الله في الاخرة .

ويحث القرآن على الاباء متابعة الرعاية لأبنائهم في كل حال فهذا نبي الله يعقوب وهو في حال الاحتضار نرى لم يترك الوصية لأبنائه بالالتزام بما جاء به من سنن واحكام الالهية ويدعوهم الى التمسك بها لان يدرك ان خلاصهم وخلاص المجتمعات هي في ان تكون في طريق الله تعالى فقال وهو يوصيهم : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ أن يعقوب (ع) في النص اقتدى بابيه ابراهيم (ع) ، ودعا بنيه إليه، وقادهم على ذلك وأخذ اعترافهم بين أن مع وصيته لأولاده كان على جملة اعترافه معهم لم يعن بقوله: (ما تعبدون من بعدي) العبادة المشروعة فقط، وإنما عنى جميع الأعمال، وكأنه دعاهم أن لايتحروا في أعمالهم غير وجه الله - عز وجل- (3) فالنص يوضح لنا سبيل الانبياء في تربية تربية اولادهم وحثهم على الطاعة لله تعالى وبيان ما يقع على عاتقهم من نقل تعاليم السماء الى المجتمعات البشرية جيلا بعد جيل فالامر ليس منحصرافصلاهمهم فقط وانما يمثلون حملة لتعاليم وقيم يجب ان تؤدي الى ابناءهم من بعدهم وهكذا اراد الله تعالى ان يكون الانسان وهكذا يجب ان يتعامل الفرد مع ابناءه لان هناك في الاخرة سيكون حساب دقيق جدا فاذا كان الاب مقصرا اتجاه ولده تقصيرا ما سيقف ويحاسب ، فقول النبي محمد (ص) (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ينبئ عن ذلك الواقع فيسأل المرء عن تقصيره في ايصال ابناءه الى بر الامان والقيام بوظيفة الوقاية التي امر بها والتي اشرنا لها سابقا .

الخاتمة ونتائج البحث :

1 (التفسير ، لطائف الإشارات ، ج 3، ص 607

2 (المصدر نفسه ، ج 3، ص 238

3 (الاصفهاني ،تفسير الراغب الاصفهاني ، ص 320

- ان الاسرة تمثل الاساس الذي يبتني عليه المجتمع بل المجتمعات البشرية لذا ان النص القراني لم يترك هذا الهم الذي كان ولا زال يشغل بال المنظومة الانسانية منذ ان اوجدها الله وبعد هذا البيان المقتضب لحديثيات البحث يمكن ان نخلص الى مجموعة من النتائج هي :
- 8- ان عنصر الاختيار عنصر مهم في بناء الاسرة فاختيار الطرف الاخر على وفق ضوابط الشرع من خلق طيب وصفات حميدة يوفر اسرة ذات اساس متين .
- 9- ان النص القراني كان ولا زال هو المنبع الصافي الذي يمكن ان ينتهل منه لصحيح مسار الانسان كفرد واسرة ومجتمع ففيه احصى الله كل شئ .
- 10- ان القران سعى الى ان يصل بالانسان الى حالة من النضج المعرفي بحيث يبتعد به عن كل ما يبعده عن الاتصاف بالانسانية التي هي تمثل كرامة الهية فضلا عن صفة الحياة التي منها ايها ولا يتحقق ذلك الا اذا كان الانسان ملتزما بخطى الشرع يربي نفسه وفقها .
- 11- النص القراني مفعم بكل ما هو من دوره يصلح حال الانسان وينتقل به من حالة الى حالة بل يرقى به الى الغاية التي ارادها الله تعالى لذا يجب على المربين والمرشدين ان ينتهلوا من هذا المنهج المتكامل في بناء الفرد والمجتمع
- 12- ان مسؤولية بناء كيان الاسرة هو واجب مقدس يقع على عاتق الاب منذ اللحظة الاولى التي يتم بها العقد بالزواج على الطرف الاخر من هذا الكيان
- 13- ان الاب اذ ضمن صلاح اسرته سوف يعيش السعادة الحقيقية كونه في ذلك اعطى للمجتمع دافعا ايجابيا في التقدم خطوة الى الامام .
- 14- ان الالتزام بما جاء في القران من وصايا وارشادات هو ضامن ان يكون بناء الاسرة بناء رصينا وبالتالي سوف يتحقق حالة من القوة المجتمعية التي نحتاجها في الوقوف امام اعداء الانسانية .
- 15- يسعى النص القراني دوما الى ايجاد حالة من الوئام والتلاحم الاسري بعيدا عن منغصات الحياة وهمومها لانه يدرك ان نجاح بناء الانسان لا يكون الى في ذلك الجو المتناسق بين افراد الاسرة الواحدة ابتداء بالوالدين والابناء .
- الوصايا :
- ان بناء الاسرة بصورة سليمة بعيدا عن كل ما ينحرف بها ويسقطها في مهاوي الانحراف باتت اليوم تمثل الهم الاكبر الذي يخالج الالباء والدعاء والمصلحين من علماء دين ومرجعيات لما يعيشه العالم اليوم من انفتاح منقطع النظير يجعل من مصادر الانحراف بيد اي فرد من افراد الاسرة لذا يمكن ان نضع هذه الوصايا التي نطق بها النص القراني :
- 1- يوصي القران بضرورة اختيار الزوجة الصالحة المناسبة التي تعي حقيقة اهمية انشاء الاسرة .
- 2- يوصي القران بضرورة ان يدرك كل فرد من افراد الاسرة مسؤوليته اتجاه الآخر فالاب عليه ان يربي عائلته ويكون قيم عليهم والاب ان توفر حالة الانس والوعاء الطيب والابناء الطاعة والاحترام لوالديهم .
- 3- يوصي القران ان نتعاهده دوما لان فيه كل خير وصلاح قالقران منهج متكامل لبناء الانسان .
- لا نريد ان نطيل الكلام فالنص القراني ضمن لنا حالة الصلاح الى البشرية جمعاء اذا التزمت به وفي كل مجال من مجالات الحياة .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
1. الأسرة المسلمة في العالم المعاصر ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000 م .
2. أصول التربية الوقائية للطفولة ، د. حسين با نبيلة ، (رسالة دكتوراه) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، 1425 هـ.
3. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لأبي الخير عبد الله بن عمر البضاوي، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة، ط/2 - عام 1388 هـ.
4. بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1413 هـ.
5. البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي، اثير الدين محمد بن يوسف، ت 754 هـ، مط السعادة بمصر 1328 هـ.
6. تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي ط. إحياء التراث العربي - بيروت 1365 هـ.
7. تلخيص البيان في مجاز القرآن- للشريف الرضى- تحقيق محمد عبد الغنى حسن- مطبعة عيسى الحلبي سنة 1955 م.
8. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرئاسة العامة لإدرات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ط الأولى 1404 هـ
9. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد ، ومحمود شاکر. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
10. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري، المتوفى سنة 671 هـ)، في عشر مجلدات، المكتبة العربية، القاهرة 1387 هـ/1967 م.
11. زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت 597 هـ، دمشق 1965.
12. سنن ابن ماجة: (207 - 275 هـ) حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع. ط 1975 دار إحياء التراث العربي، بيروت.
13. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275 هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
14. سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، لبنان ط 2، 1983 م. المكتبة الإسلامية، القاهرة.
15. السنن الكبرى، للبيهقي (الحافظ أحمد بن الحسين علي البيهقي المتوفى سنة 458 هـ)، الطبعة الأولى في الهند بمطبعة مجلس دائرة المعارف سنة 1244 هـ.

16. شرح السنة ، أبو محمد الفراء البغوي تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى 1400هـ.
17. صحيح البخارى ، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ط. المكتبة الإسلامية استانبول- تركيا 1979 م
18. صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربى.
19. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال
20. فقه الاحوال الشخصية ، محمود محمد حمودة ، محمد مطلق عساف . ، مؤسسة الوراق للنشر ، عمان – الأردن: 2000م
21. الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري. دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. منشورات مكتبة المتنبي ببغداد
22. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
23. لطائف الإشارات ، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465 هـ)، تحقيق سعيد قطيفة، الناشر المكتبة التوفيقية بالقاهرة، بدون تاريخ.
24. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - 1422 هـ .
25. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، المطبعة الحسينية بمصر عام 1326.
26. المستدرک على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان.
27. المسند، للإمام أحمد. المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، 1405هـ. المصنّف، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى 1392هـ.
28. معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م
29. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية"، تأليف: محمود بن عبد الرحمن بن عبد المنعم، الناشر: دار الفضيلة، القاهرة
30. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة 1418هـ- 1997م.
31. مقومات البناء الأسري في الإسلام (حواء قسم السيد عبد القادر نور الله) وهي رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية ، إشراف د. فيروز عثمان صالح ، يوليو 2002م

32. الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي. الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت. تأريخ الاصدار : 1417هـ
33. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: الواحدي، تح محمد حسن أبو العزم، القاهرة 1406 هـ.

السلام منهج قرآني رؤية شاملة لحياة آمنة ومستقرة

أ.م. صباح محمد حسين
جامعة ديالى كلية العلوم الاسلامية
م.م. فاضل حاتم الموسوي
as39406@gmail.com
كلية الامام الكاظم (ع)

ملخص البحث

السلام هو أحد القيم العليا التي جاء بها الإسلام، وجعلها القرآن الكريم منهجاً للحياة. فليس السلام مجرد غياب للحرب أو الصراع، بل هو حالة شاملة من الأمن والطمأنينة والعدل التي تسود بين الأفراد والمجتمعات. في هذا المقال، سنستعرض كيف يقدم القرآن الكريم السلام كمنهج متكامل للحياة، وكيف يمكن تطبيق هذا المنهج لتحقيق التعايش السلمي والاستقرار المجتمعي.

السلام في القرآن ليس مجرد كلمة تقال، بل هو قيمة جوهرية ترتبط بالإيمان والتقوى. يقول الله تعالى: "وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ" (يونس: 25). دار السلام هي الجنة، ولكنها أيضاً رمز لحالة من السلام الداخلي والخارجي يمكن تحقيقها في الحياة الدنيا. فالسلام في القرآن يشمل السلام مع النفس، والسلام مع الآخرين، والسلام مع البيئة.

القرآن يقدم السلام كأسلوب حياة يعتمد على العدل والرحمة والتسامح. فهو يدعو إلى حل النزاعات بالحكمة والموعظة الحسنة، كما في قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ" (النحل: 125). هذا الأسلوب يعلمنا أن نتعامل مع الآخرين باحترام وحكمة، حتى في حالات الخلاف.

من أهم مبادئ السلام في القرآن هو التعايش السلمي بين الناس، بغض النظر عن اختلافاتهم الدينية أو الثقافية. يقول الله تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ" (الممتحنة: 8). هذه الآية تؤكد على أهمية التعامل بالبر والعدل مع غير المسلمين، ما داموا لم يعتدوا على المسلمين.

لا يمكن تحقيق سلام حقيقي دون تحقيق العدل. فالعدل هو العمود الفقري للمجتمعات الآمنة، والقرآن يحث على إقامة العدل حتى مع الأعداء. يقول الله تعالى: "وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" (النساء: 58). العدل هنا ليس فقط في القضاء، بل في كل تعاملاتنا اليومية، سواء في الأسرة أو العمل أو المجتمع.

التسامح والعفو من القيم الأساسية التي يعززها القرآن لتحقيق السلام. يقول الله تعالى: "وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى" (البقرة: 237). العفو ليس ضعفًا، بل هو قوة تعكس سمو النفس ورغبتها في تحقيق السلام. فالتسامح يزيل الأحقاد ويفتح أبواب الحوار والتعاون بين الناس. السلام في القرآن ليس مسؤولية الحكومات فقط، بل هو مسؤولية كل فرد في المجتمع. فكل شخص مطالب بأن يساهم في نشر السلام من خلال تعامله اليومي مع الآخرين. يقول النبي محمد ﷺ: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده". هذا الحديث يوضح أن السلام يبدأ من الفرد، ثم ينتشر إلى المجتمع ككل.

السلام في القرآن ليس مجرد مفهوم نظري، بل هو منهج عملي يتطلب تطبيق قيم العدل والتسامح والرحمة في جميع جوانب الحياة. إنه دعوة للتعايش السلمي والتفاهم بين الشعوب، وسبيل لبناء مجتمعات آمنة ومستقرة. فإذا أردنا أن نحقق السلام الحقيقي، علينا أن نعود إلى المنهج القرآني الذي يقدم لنا خارطة طريق واضحة لحياة مليئة بالأمن والطمأنينة.

توصيات:

1. تعزيز الوعي بمفهوم السلام القرآني من خلال التعليم والإعلام.
 2. تشجيع الحوار بين الثقافات والأديان لتعزيز التعايش السلمي.
 3. تطبيق مبادئ العدل والتسامح في حل النزاعات المحلية والدولية.
- السلام في القرآن هو نور يهدي إلى طريق الحياة الكريمة، وهو رسالة خالدة لكل البشرية والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه .

المقدمة:

الحمد لله على ما انعم والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه المنتجبين وبعد ونحن نعيش في عالم يموج بالصراعات والنزاعات، تبرز الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى منهج واضح يحقق السلام والاستقرار. السلام ليس مجرد غياب للحرب، بل هو حالة من الأمن والطمأنينة التي تسمح للأفراد والمجتمعات بالازدهار. وفي هذا السياق، يأتي القرآن الكريم ليقدّم لنا رؤية شاملة للسلام، ليس كفكرة مجردة، بل كمنهج عملي للحياة. يعد السلام قيمة جوهرية في المنهج القرآني، إذ يشكل ركيزة أساسية لتحقيق الاستقرار والأمان في حياة الأفراد والمجتمعات. فالقرآن الكريم يضع السلام في صلب العقيدة والسلوك، ويؤسس لمبادئ التعايش والتسامح والعدل، مما يجعله نهجًا شاملاً يهدف إلى بناء مجتمع متماسك يسوده الأمن والاستقرار. في ظل التحديات والصراعات التي يشهدها العالم اليوم، تبرز الحاجة إلى استلهام الرؤية القرآنية للسلام بوصفها منهجًا قادرًا على معالجة الأزمات وتحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات.

إشكاليات البحث

يطرح هذا البحث عدة إشكاليات، منها:
كيف يقدم القرآن الكريم تصورًا شاملاً للسلام في أبعاده المختلفة (الفردية، الاجتماعية، والعالمية)؟

ما المبادئ القرآنية التي تؤسس للسلام، وما سبل تطبيقها في الواقع المعاصر؟
كيف يسهم المنهج القرآني في تحقيق التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

توضيح المفهوم القرآني للسلام، وأبعاده المختلفة.
استكشاف القيم والمبادئ القرآنية التي تعزز السلام والاستقرار في المجتمعات.
تحليل سبل تطبيق الرؤية القرآنية في الواقع المعاصر لتعزيز التعايش السلمي.
تقديم حلول مستمدة من القرآن لمعالجة التحديات المتعلقة بالصراعات وعدم الاستقرار.
هذا البحث يسعى إلى تقديم رؤية متكاملة حول السلام كمنهج قرآني شامل، بما يسهم في تعزيز الفهم العميق لدور القرآن في بناء مجتمع آمن ومستقر. فالسلام في القرآن ليس مجرد مفهوم نظري، بل هو منهج عملي يتطلب تطبيق قيم العدل والتسامح والرحمة في جميع جوانب الحياة. إنه دعوة للتعايش السلمي والتفاهم بين الشعوب، وسبيل لبناء مجتمعات آمنة ومستقرة. فإذا أردنا أن نحقق السلام الحقيقي، علينا أن نعود إلى المنهج القرآني الذي يقدم لنا خارطة طريق واضحة لحياة مليئة بالأمن والطمأنينة.

التمهيد:

اولا : الدلالة اللغوية لمفهوم السلام : ان النظر الى كل مصطلح في مورثنا المعجمي له من الفائدة الكثير فهو يكشف لنا الاصول الاولى للمصطلح وهل له اشتقاقات تساعدنا في عرض صورة جديدة من دلالاته فضلا عن ذلك فان المفهوم المعجمي يمد لنا جسورا بين لغتنا اليوم والماضي ويكشف لنا حالات التنقل الدلالي التي مر بها المصطلح ليصل لنا بمفهومه ودلالاته اليوم وهل طرأ عليه تغيير خلال حقبة التاريخ.

مفهوم السلام لغة : جاء في العين (سلم: السَلَمُ: دَلْوٌ مُسْتَطِيلٌ لَهُ عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ، وَجَمْعُهُ: سِلَامٌ وَالسَّلَامُ: لَدَغُ الْحَيَّةِ. وَالْمَلْدُوغُ يُقَالُ لَهُ: مَسْلُومٌ، وَسَلِيمٌ. وَسُمِّيَ بِهِ تَطْيِيراً ، لِأَنَّهُ يَقَالُ: سَلَّمَهُ اللَّهُ. وَرَجُلٌ سَلِيمٌ، أَي: سَالِمٌ، وَقَدْ سَلِمَ سَلَامَةً .

والسَّلَامُ: ضَرْبٌ مِنْ دِقِّ الشَّجَرِ⁽¹⁾. وَالسَّلَامُ يَكُونُ بِمَعْنَى السَّلَامَةِ. وَقَوْلُ النَّاسِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَي: السَّلَامَةُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ. وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَقِيلَ: السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ، فَإِذَا قِيلَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ [فَكَانَهُ] يَقُولُ: اللَّهُ فَوْقَكُمْ. وَالسَّلَامَى: عِظَامُ الْأَصَابِعِ وَالْأَشْجَاعِ وَالْأَكَارِعِ، وَهِيَ كَعَابِرُ كَأَنَّهَا كِعَابٌ، وَالْجَمِيعُ: السَّلَامِيَّاتُ. ⁽²⁾ وَقَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) وَقَدْ فُرِئَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ (السَّلْمُ وَالسَّلْمُ وَالسَّلْمُ) ، وَالسَّلْمُ: ضِدُّ الْحَرْبِ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ السَّلَامَةِ⁽³⁾. (وَقِيلَ: لِلَّهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ سَلَّمَ مِمَّا يَلْحَقُ الْخَلْقَ مِنْ آفَاتِ الْغَيْرِ وَالْفَنَاءِ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي يُفْنِي الْخَلْقَ، وَلَا يَفْنَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ⁽⁴⁾ وَالسَّالِمُ مِنَ الْقَابِ أَجْزَاءُ الْعُرُوضِ: مَا سَلَّمَ مِنَ الزَّحَافِ فِي جَمِيعِ الْأَجْزَاءِ ⁽⁵⁾

وفيه دلالة على الاخلاص كما في قولهم (سَلَّمَ فَلَانٌ لِفُلَانٍ أَي خَلَصَ لَهُ) ⁽⁶⁾ و (قَالَ الْفَرَاءُ: وَسَلِّمْ وَسَلَامٌ وَاحِدٌ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْأَوَّلُ مَنْصُوبٌ عَلَى سَلِّمُوا سَلَاماً، وَالثَّانِي مَرْفُوعٌ عَلَى مَعْنَى أَمْرِي سَلَامٌ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، أَي لَا دَاءَ فِيهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَصْنَعَ فِيهَا شَيْئاً وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّلَامُ جَمْعُ سَلَامَةٍ) ⁽⁷⁾

1) اما سبب تسمية نوع من الشجر بالسلام فهو ما ذكره ابو منصور الهروي في التهذيب قوله : (السَّلَامُ الشَّجَرُ فَهُوَ شَجَرٌ قَوِيٌّ عَظِيمٌ أَحْسَبُهُ سَمِّيَ سَلَاماً لِسَلَامَتِهِ مِنَ الْآفَاتِ) ابو منصور الهروي ، تهذيب اللغة ، ج 12 ، ص 309

2) الخليل ، العين ، ج 7 ، ص 257

3) ابن دريد الازدي ، جمهرة اللغة ، ج 2 ، ص 858

4) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج 12 ، ص 309

5) نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ج 5 ، ص 3162

6) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 6 ، ص 112

7) المصدر نفسه ، ج 12 ، ص 289

السلام اصطلاحاً : جاء في التعريفات في معنى السلام قوله هو (تجرد النفس عن المحنة في الدارين)⁽¹⁾. ان النظر الى هذا التعريف يشعرا بان صاحبه كان جامعاً مانعاً في تعريفه هذا اذ لا عبره في ذكر غيره اذ ان السلام هو منهج حياة ، الحياة السعيدة التي ارادها الله للإنسان بعيداً عن كل ما لا يتلاءم وارادة الله تعالى التي جاء بها من خلال بعثة الانبياء وارسال الكتب السماوية التي تعاقبت على حقب الزمان . فالسلام حالة انسانية تبعث الامن والطمأنينة والحب والترابط والتماسك والقوة والنجاح والفوز للفرد والمجتمع بل ان السلام هو رضا الرب وهو ارادة الله في الارض ان يكون الانسان كما اراد الله تعالى وكما شرع له ، ونجد ان السلام هو فطرة انسانية فالإنسان مسالم بطبعه وفطرته قال تعالى : ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وفطرة الله تعبت الى الامن والسلام ، الا ان ما يصاحب نشأته من تلوث يحول دون استمرار حالة السلمية في نفس الانسان .

يتضح من البحث في المعاجم العربية أن السلام يحمل دلالات متعددة، لكنه يركز بشكل عام على معاني الطمأنينة، الخلو من الآفات، السلامة، والمصالحة. ومن أبرز هذه المعاني:

1. السلامة من الضرر: يُستخدم السلام بمعنى النجاة والخلو من الأذى، كما في قولهم "سلم فلان" أي نجا.

2. التحية والتمني بالخير: قول "السلام عليكم" يعبر عن الدعاء بالسلامة والأمان.
3. المصالحة ونبذ الحرب: "السلم" في اللغة يعني المصالحة والابتعاد عن العداء.
4. إحدى أسماء الله الحسنى: السلام كاسم من أسماء الله يشير إلى كماله وتنزهه عن العيوب والنقائص.

اما الاستعمال القرآني لمفهوم السلام

فمن خلال استقراء مواضع ورود مفهوم "السلام" في القرآن الكريم، نجد أنه يأخذ معاني أوسع وأعمق مما جاء في المعاجم، ومن أبرز دلالاته القرآنية:

السلام كمنهج حياة شامل: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: 208)، حيث يدل السياق على دعوة شاملة للسلام كمنهج ديني واجتماعي.

السلام كصفة إلهية: في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ (الحشر: 23)، يبرز السلام كصفة إلهية تعني الكمال والبعد عن النقص والآفات.

السلام كمال نهائي للمؤمنين: ورد في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: 127)، حيث يعبر عن الجنة باعتبارها دار السلام، أي دار الأمن والطمأنينة الأبدية.

السلام في العلاقات الإنسانية: كما في التحية القرآنية ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: 86)، مما يؤكد على قيمة السلام في التفاعل الاجتماعي.

يُظهر التحليل أن المفهوم القرآني للسلام يتجاوز معانيه اللغوية، حيث يجعله القرآن مبدأً إلهياً وأساساً للحياة الاجتماعية والأخلاقية، كما يربطه بالمآل الأخروي للمؤمنين. وهكذا، فإن القرآن يعمق ويطور المفهوم اللغوي للسلام، ليصبح أكثر شمولاً وارتباطاً بالمقاصد الإلهية الكبرى.

المطلب الاول : السلام ودلالاته من خلال القرآن الكريم

لقد جاء لفظ (السلام) في القرآن الكريم في مواضع متعددة ما يقارب خمس مواضع مع الالف واللام وبلغت (سلام) فقد جاء ما يقرب تسع عشرة مرة مع اختلاف دلالتها كل بحسب

القرينة التي تدفع باللفظ الى معين بذاته . وهناك ثمة فرق بين ان يرد لفظ السلام في حالة التعريف مع الالف والام وبين ان يأتي بصورة التجرد من الالف واللام فقد ذكر الرازي في تفسيره ان (لفظ السلام على سبيل التنكير كثير في القرآن فكان أفضل) ف (ما ورد من الله والملائكة والمؤمنين فقد ورد بلفظ التنكير على ما عدناه في الآيات، وأما بالآلف واللام فإنما ورد في تسليم الإنسان على نفسه قال موسى عليه السلام) ⁽¹⁾ (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) ⁽²⁾ وان يكون لفظ السلام منكرا هو افضل وذلك (أن لفظ السلام بالآلف واللام يدل على أصل الماهية، والتنكير يدل على أصل الماهية مع وصف الكمال، فكان هذا أولى) ⁽³⁾ ان ما ذكره الرازي هنا يكشف لنا ان دلالة التنكير هي ابلغ في التعبير فحالة التنكير تتلاءم مع عظمة الخالق وماهيته التي لا يمكن ان تدرك من قبل المخلوق أيا بلغ ما بلغ من العلم لذا عندما يكون لفظ السلام يصدر عن الله جاء منكرا اذا لا حدود لما يصدر عن الله فالإطلاق صفة لخلق الله تعالى اما ان حالة التعريف فيها دلالة على الحدية فجاءت ملائمة لما يصدر عن المخلوقين كانبيااء الله تعالى .

اولا : السلام هو اسم من اسماء الله الحسنى : وجاء لفظ السلام في القرآن بدلالات متعددة فمن اسماء الله تعالى هو (السلام) قال تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ) ⁽⁴⁾ فالسلام هو اسم من أسماء الله الحسنى ، وجاء وصفه تعالى نفسه بهذا المسمى (على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة في الوصف، أي ذو السلام) ⁽⁵⁾ فالسلام من يلاقيك بالسلامة والعافية من غير شر وضر ⁽⁶⁾ ف(هو الذي يسلم خلقه من ظلمه) ⁽⁷⁾ وسلم من العيوب والنقص في الصفات و الافعال وقال البعض انه تعالى (سمى نفسه: سلامًا؛ لما هو سالم عن الآفات، وغيره من المخلوقين لا يسلمون من حلول الآفات بهم) ⁽⁸⁾ او (لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء) ⁽⁹⁾ اذن يمكن ان نقول هنا ان الذي افاض بالسلام على الوجود هو رب السلام ومن وصف نفسه بالسلام وكل ما تنزه عن العيب فهو تجلي لصفة السلام التي نعت الله تعالى نفسه بها .

ثانيا : السلام هو التحية : ومن الدلالات الاخرى للفظ السلام في القرآن هو التحية فقد جاء في اكثر من موضع وهو يدل بقرينة واضحة على ارادة التحية من لفظ السلام ومن هذه النصوص التي اريد بها هذا المعنى قوله تعالى : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا) ⁽¹⁰⁾ جاء في تفسير هذا النص ان المراد بالتحية السلام كما ورد في تفسير علي بن إبراهيم عن الباقر والصادق (عليهما السلام) أن: (المراد بالتحية في الآية السلام وغيره من البر) ⁽¹¹⁾ وقد جاء الإسلام بكلمة " السلام " مصطلحا للتحية بين المسلمين، والآية موضوع

1 (الرازي ، مفتاح الغيب ، ج 10 ص 164

2 سورة طه الآية : 47

3 (الرازي ، مفتاح الغيب ، ج 10 ، ص 164

4 (سورة الحشر ، الآية : 23

5 (ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 28 ، ص 120

6 (الطباطبائي ، الميزان ، ج 19 ، ص 222

7 (الطبري ، جامع البيان ، ج 23 ص 302

8 (الماتريدي ، تأويلات اهل السنة ، ج 9 ص 604

9 (السمرقندي ، بحر العلوم ، ج 3 ص 432

10 (سورة النساء الآية ، 86

11 (الشيرازي ، الامثل ، ج 3 ، ص 365

البحث مع كونها عامة شاملة لأنواع التحية، لكن المصداق الأوضح والأظهر لها يتجسد في كلمة " السلام " وبناء على ذلك فإن المسلمين مكلفون برد السلام بأحسن منه، أو على الأقل بما يماثله وفي آية أخرى إشارة واضحة إلى أن السلام هو التحية حيث تقول: فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ⁽¹⁾ ويمكن الاستدلال من هذه الآية على أن عبارة (السلام عليكم " هي في الأصل " سلام الله عليكم " أي ليهبك الله السلامة والأمن، وهكذا يتضح لنا أن السلام يعتبر دلالة على الحب والود المتبادل، كما هو دلالة على نبذ الحرب والنزاع والخصام ⁽²⁾.

ثالثا : السلام تحية اهل الجنة : ومن الدلالات الأخرى للفظ السلام انه تحية اهل الجنة قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ ⁽³⁾ وقال تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ ⁽⁴⁾ اي يحي بعضهم بعض يوم يلقون ثواب الله بان يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات والفوز بنعيم ثواب الله ولقاء الله لقاء ثوابه لا رؤيته ⁽⁵⁾ والسلام من الله تعالى لهم إثبات السلامة الأبدية والأمن من الآفات والعذاب. وقيل: يسلم الله عليهم تسليماً ⁽⁶⁾. وقال تعالى : ﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ⁽⁷⁾ فمن خلال هذه النصوص التي اوردناه في هذا المقام يتضح لنا ان جاء لفظ السلام وهو يمثل تحية اهل الجنة وكثير من النصوص الأخرى التي جاءت وهي تفيد هذا المعنى. فالجنة هي الدار التي لا فيها تعب ولا نصب وفيها من كل الخيرات والثمرات ما لا عين رأت ولا عين سمعت فجاءت التحية بما يلائم هذا المقام وهي لفظ السلام لتدل لنا ان المجازاة تكون في كل شيء حتى في اللفظ والتحية بما يبعث الطمأنينة والأمان في النفس .

رابعا : ان السلام هو اسم للجنة : ورد في القران ما يدل على ان لفظ السلام جاء كمسمى للجنة قال تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ⁽⁸⁾ ان المراد بدار السلام هو الجنة وهو ما ذهب اليه جميع المفسرين اي لهم دار السلامة من الآفات والبلايا التي يمكن ان يمر بها العاصي والبعيد عن رضا الله تعالى وسميت دار السلام لان كل من يدخلها يسلم من البلايا والرزايا وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلام ⁽⁹⁾ وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ ⁽¹⁰⁾ ان السَّلام هو الله جلَّ وعزَّ - فالله يدعو إلى داره، وداره الجنة ⁽¹¹⁾ ان ما يحمله الاسم (السلام) من توفير اجواء الامن والطمأنينة داخل النفس بما يحمله من معان تدل على ذلك كان هنا في مقام الدعوة والترغيب في الاقبال على الله تعالى فهو يدعوهم الى داره التي وصفها ووسمها باسمه (أي يدعو الناس جميعاً إلى دار السلامة عن كلِّ مكروه

(1) سورة النور ، الآية ، 61

(2) الشيرازي ، الامثل ، ج 3 ، ص 366

(3) سورة ابراهيم الآية ، 23

(4) سورة الاحزاب الآية ، 44

(5) الطوسي ، التبيان ، ج8 ، ص 348

(6) السمعاتي ، تفسير القران ، ج4 ، ص 293

(7) سورة يونس ، الآية ، 10

(8) سورة الانعام ، الآية ، 27

(9) ينظر : البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القران ، ج2 ، ص 159

(10) سورة يونس ، الآية ، 25

(11) الزجاج ، معاني القران واعرابه ، ج3 ، ص 15

وأفة وهي الجنة وإنما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضاً للآفات أو إلى دار الله تعالى وتخصيص الإضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك أو إلى دار يسلم الله أو الملائكة فيها على من يدخلها أو يسلم بعضهم علي (بعض) (1)

المطلب الثاني : السلام منهج للفرد :

لا يمكن ان نحصر السلام كمفهوم فيما ذكرنا من الدلالات في المبحث الاول بل يتسع هذا المفهوم في مجالات متنوعة ونستطيع ان نصفه بانه حالة انسانية تصاحب فكر الفرد وما يحيط به من اعتقادات وعلاقات فردية واجتماعية ويمكن ان يكون السلام منهجا لحياة الفرد بحيث يعيش حالة من الراحة والطمأنينة والاستقرار ويكون ذلك من خلال تنظيم علاقته وفق منهج السلامة من العيب ومن كل ما يمكن ان يؤثر عليه سلبا دنيويا واخرويا وسوف نوضح ذلك من خلال الاتي :

اولا : السلام مع الله تعالى : ان علاقة العبد بربه هي اقدس علاقة والله هو السلام خلق الانسان وهو يسعى لإيصاله الى دار السلام فارسل له الرسل وانزل له الكتب السماوية عله يصل الى الهدف الذي اراده له فالسلام مع الله يعني ان يسلم العبد امره له في كل صغيرة وكبيرة قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (2) فهنا يكون التسليم بكل ما امر الله من نواهي وواجبات فرضها ومستحبات ندبها فكلها تحاول ان تصل بالإنسان الى حالة من الاستقرار والطمأنينة التي تلازم رضا الله تعالى ومن الآيات التي تدلل على معنى التسليم لله تعالى في كل شيء قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فهو يحييني وهو يميتني وأنا أتوجه بصلاتي وسائر المناسك إلى الله لا إلى غيره (3)، فكل شيء مسلم لأمر الله تعالى تعالى العبادة من صلاة ومناسك عبادية اخرى والمحيا والممات كله مسلم لأمر الله وهذا هو التسليم الحقيقي عندها يكون العبد في حالة من الامن والسلام عن كل ضرر وبلاء يمكن ان ينتابه . و (يقال من علم أنه بالله علم أنه لله، فإذا علم أنه لله لم يبق فيه نصيب لغير الله فهو مستسلم لحكم الله، لا معترض على تقدير الله، ولا معارض لاختيار الله، ولا معرض عن اعتناق أمر الله) (4). فمن الضروري ان تكون عبادة العبد لله تعالى لأنها لا تكون لولا هدايته ولطفه وان حياة العبد وما يتعلق بها من فنون الطاعات ومماته وما يتعلق به من وصية والختم بالخيرات له تعالى هو كائن اليه لأنه بتدبيره فقط (5) وقد وعد الله من يسالمه ويتجسد فيه السلام من خلال التسليم والطاعة ان يدخله الجنة دار السلام التي وعد بها عباده قال تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (6) فالمقام الاول في منهج السلام ان يكون مع الخالق وذلك بان يكون العبد مطيعا مطيعا ساعيا وراء كل خير ورضا الله تعالى .

(1) ابي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 4 ص 137

(2) سورة الاحزاب الآية ، 56

(3) الواحدي ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 1 ، ص 384

(4) القشيري ، لطائف الاشارات ، ص 515

(5) الطبرسي ، مجمع البيان ، ج 4 ، ص 207

(6) سورة البقرة ، الآية ، 112

ثانيا : السلام مع النفس : ان المجال الثاني الذي يمكن ان نبين منهج السلام في حياة الفرد هو النفس الانسانية فيطلب من الفرد ان يجعل نفسه بالمقام الذي ارادها الله بعيدة عن الغواية انسجاما مع فطرته التي فطره عليها قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ 》⁽¹⁾ يفصح لنا هذا النص وبدلالة واضحة البيان من يسلم نفسه عن المعاصي ويكون في دائرة رضا الله وإرادة الله فانه سوف يكون جزاءه من الله ان يدخله دار السلام فما موجود في نفس ذلك العبد من حالة المسالمة هي من سنخ دار السلام الذي سيدخله فيكون في المحل الذي يتلاءم مع حالة نفسه . وفي مقام اخر من مقامات بيان السلم واثره على النفس فالنفس قد تعيش حالة من الظلمانية والعمى والتهيه اذا شطنت عن حالة المسالمة اما اذا كانت في طاعة الله مسالمة لأمر الله فتنها تحيى حالة الابصار ، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا 》⁽²⁾ فالعمى حالة تكون نصيب كل من يبتعد عن المنهج الالهي الذي اراده للإنسان والابصار هي الحالة السليمة التي يمكن من خلالها الانسان ان يسلك طريقه بسلام وامان بعيدا عن كل ما يختلجه من عثرات ومزالق تذهب بقدمه الى مهالك الدنيا والاخرة .

ان حالة السلام عندما يعيشها الفرد وتكون منهجا له والتي قصدنا فيها السلام مع الله ومع نفسه فان سينال حالة القرب في المقام الآخروي من مثال الانسانية المتكامل النبي محمد (صلى الله عليه واله) وهو ما يؤكد بقلوبه : (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا) ⁽³⁾ فالفرد اذا كان مسالما في خلقه ووفر حالة السلام فانه سينال مقام القرب بل يكون الاقرب وفي ذلك الاسلوب التي عبر فيه النبي (صلى الله عليه واله) يدل على ان الناس مقامات كل بحسب ما يكسبه فيوجد افضل ويوجد من هو الافضل ومقام القرب للمقام النبي(صلى الله عليه واله) لا يكون الا اذا كان للعبد صفات نفسية وعبادية واخلاقية هي تقارب ما يملكه صاحب القرب الاول وهو النبي (صلى الله عليه واله) فهو حالة التكامل البشري الذي تمثل الانموذج الذي تسعى البشرية بل الوجود لبلوغه مقاما ومنزلة . وفي موضع اخر في حديث للنبي يفصل من هو اقرب والابعد مقاما فيقول : (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون، المتشدقون، المتفيهقون)⁽⁴⁾ ان حالة المسالمة التي يصورها لنا النبي (صلى الله عليه واله) من خلال ما ورثناه عنه من سيرة طيبة هو خلق عظيم ووصفه بالعظمة انما هو لا يأتي من فراغ بل متأتي من حالة من الصراع في توفير حالة السلام مع النفس والشيطان والهوى ليكون في صف عباد الله تعالى ولذا نجده صلوات الله عليه واله يقول في ذلك : (حسن الخلق خلق الله الأعظم) ⁽⁵⁾ وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُذَاهُ فَلَا يَظِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى 》⁽⁶⁾ ان حالة الاعراض التي يصفها النص انما هي الحالة المغايرة لصورة السلام التي هي مقدمة في الآية السابقة والتي دلل عليها بوصف الهداية ،

(1) سورة النازعات ، الآية ، 40 - 41

(2) سورة الانعام ، الآية ، 104

(3) النزاعي ، جامع السعادات ج1 ص343

(4) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 1 ، ص 211

(5) النزاعي ، جامع السعادات ج1 ص343

(6) سورة طه ، الآية ، 123 - 124

قال الامام الرضا عليه السلام في ذلك : (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون) ⁽¹⁾ فالذنوب التي يكسبها المرء هي المؤدي الوحيد الذي يقود الانسان الى مقام هو محل كل بلاء ويفقد عندها الانسان الشعور بالأمن والسلام ، فكل انسان يوغل بالمعصية مهما ما بلغ من مقام ومنزلة بين افراد مجتمعه ، الا انه يعيش حالة من الخوف وعدم الاستقرار وحالة صراع تحرمه الشعور بالأمن والطمأنينة فنرى ان نفسه تلازم العذاب وغير الراحة وان كان يمتلك كل اسباب الراحة .
فيجب علينا ان يؤدب كل فرد فينا نفسه بإرتكاب ما يضاده ، ويشق عليها عقوبة بعد تعييرها وتوبيخها، مثل منعها من الشهوات بالصوم، واذا وقع عليها غضب مذموم يعاقبها بالصبر عليها أو يعرضها لأهانت السفهاء حتى يكسر جاهه.

ثالثا : السلام مع المجتمع : ان كل الفرد يمثل عنصرا فاعل في المجتمع يؤثر ويتأثر سلبا وايجابا فلا مجال لانفصال احدهما عن الاخر . وسلامة الفرد من سلامة المجتمع والعكس صحيح فنحن نعلم ان المجتمع انما هو بناء لبناته من افراد المجتمع لذا ركز الاسلام على بناء الفرد فاذا صلح صلح المجتمع .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ لقد قرن النص وبدلالة هي افصح ما قيل في مقام ان هناك ثمة علاقة بين اصلاح المجتمع والفرد فحالة التغيير الايجابي التي ينشدها الجميع التي دائما نعبر عنها بالإصلاح وبتعبير بحثنا حالة السلام والتي هي طموح وهدف كل مصلح ونبي مرسل وولي وعالم رباني ان ذلك التغيير لا يكون الا بصلاح نفس الانسان فمتى ما يوفر الفرد حالة السلام مع الله ومع نفسه عندما يكبح جماحها في الخوض في غمار المعاصي فانه عندئذ سيكون شارك في اصلاح المجتمع ككل ونحن قلنا سابقا وكما هو معروف ان المجتمع انما هو بناء تكاملي من مجموعة من اللبانات التي تمثل افراد المجتمع فاذا صلح جزيئة منه فهو مشاركة في بناء لبنة من ذلك البناء وقد عبر رسول الله (صلى الله عليه واله) عن هذه العلاقة بتشخيص دقيق عنما قال : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ⁽²⁾ وهنا نلاحظ دقة التعبير في كلام النبي صلى الله عليه واله وبلاغته حيث ذكر ثلاث عناصر محورية في بناء المجتمع يجب ان تتوافر في بناء المجتمع لكي يعيش حالة الصحة الدائمة وهذه العناصر الثلاث هي المودة والرحمة والعطف فالمودة هي خالص المحبة و الرحمة تعني لونا من الشفقة على المرحوم والتوجه له، ومحبة الخير له، والتأذي بما يحصل له من الضر وأما التعاطف فإن العطف يدل على شفقة على المعطوف عليه .
وهنا اراد ان يؤكد لنا على حالة التضامن الاجتماعي التي تضمن ديمومة العيش الرغيد للمجتمع فلا يكون مسلم في ظرف غير مستقر الا وتساعد اخوته من ابناء المجتمع لرفع عنه الحيف وما يعانیه من ظرف . ونشير هنا الى نكتة بلاغية في غاية الطافة هي رسم صورة للمجتمع على انه جسم واحد وهل هناك ملاصقة وتلاحم أكثر من لحمة أعضاء الجسد الواحد بعضهم لبعض ؟ إنها بلاغة في التشبيه ما بعدها بلاغة , لو مكثت تبحث عن تشبيه أرقى من هذا ومعبر أكثر من هذا عن وجوب اللحمة بين أفراد المجتمع الواحد ما وجدت أبداً أروع من مثل (الجسد الواحد) وهو نقلة بلاغية من المعنوي (التضامن) والذي يعبر عنه

(1) الريشهري ، ميزان الحكمة ج3 ص360 و361

(2) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج2 ص321

بالتواد والتعاطف والتراحم وكلها قيم إنسانية إلى المحسوس (الجسد الواحد) توضح المقصود في ذهن المستمع وعنه (صلى الله عليه وآله): مثل مؤمن لا يرعى حقوق إخوانه المؤمنين كمثل من حواسه كلها صحيحة، فهو لا يتأمل بعقله، ولا يبصر بعينه، ولا يسمع بإذنه، ولا يعبر بلسانه عن حاجته، ولا يدفع المكاره عن نفسه بالإدلاء بحججه، ولا يبطش لشيء بيديه، ولا ينهض إلى شيء برجليه، فذلك قطعة لحم قد فاتته المنافع، وصار غرضا لكل المكاره، فكذاك المؤمن إذا جهل حقوق إخوانه فاتته ثواب حقوقهم، فكان كالعطشان بحضرة الماء البارد فلم يشرب حتى طفى... فإذا هو سليب كل نعمة، مبتلى بكل آفة (1)

وان كيان الانسان في اعماله كيان مترابط واساس ذلك هو حالة السلام التي يواجه بها المجتمع لذا فان فساد هذه الجزئية يمثل فساد لجميع ذلك الكيان ففي حديث النبي (سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) (2) فحالة الفساد التي تصيب جزئية من جزئيات بناء الشخصية المسلمة تجعل ذلك البناء هشاً وتفسد ما صلح منه من اعمال اخرى فالسلام مع المجتمع من خلال حسن الخلق يمثل اساس يبتني عليه عمل الانسان ، وتحضر هنا مقولة وجيزة وجامعة : (الدين المعاملة) تنص عليه من أهمية السلوك والمعاملة في حقيقة التحلي بالإسلام وتطبيقه لأن المعاملة معيار التزام المسلم بدينه وبرهان ايمانه وتقواه بحيث لا يجدي تدبير لا يستقيم على احسان المعاملة . وقال صلى الله عليه وآله : (أفاضلكم : أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون) (3) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من إن يسع الناس بخلقه) (4) قال (عليه السلام) : (البر وحسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار) (5) وهنا يدل حديث الامام الصادق عليه السلام ان حالة السلام اذا توافر فإنها كفيلة بحصول حالة استقرار البلاد وعمرانها ، وان نظرة الى الاحداث التي مرت بها البشرية فان كل بقعة من بقاع الارض عاشت السلام نجد ان العمران واكب تلك البقعة وان ما كانت منها تعاني الحرب وعدم السلام لم نجد فيها الا الخراب والدمار والشواهد كثير واقرب مثال ما يمر به العراق اليوم فان فقدان السلام على مستوى الفرد والمجتمع لم يجلب لنا الا الدمار والتأخر والخراب .

رابعا : السلام مع البيئة : يمثل الاسلام منهجا متكاملا لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ذكر لها حكم معين ، وقد اهتم الاسلام اهتماما كبيرا في البيئة لما لها من صلة وثيقة بحياة الانسان وقد سخر الله كل ما فيها للإنسان من خلال نظام بيئي منسجم ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (6) ، الا ان الانسان الذي دائما ما يسعى للإفساد بدافع اللهو والافساد في الارض وهنا جاء الاسلام بمنهجه ليضع حدا للإنسان في اعتدائه على البيئة فجعل له قوانين لا يمكن ان يتعدها من خلال النص القرآني وما ورد من السيرة العطرة للنبي وآله الاطهار (صلوات الله عليهم اجمعين).

(1) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام): 320 / 162.

(2) الكليني ، أصول الكافي ج2 ص321

(3) المصدر نفسه : ج2 ص102

(4) الكليني ، أصول الكافي: ج2 ص100

(5) المصدر نفسه : ج2 ص100

(6) سورة الجاثية ، الآية ، 13

قال تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (1) ان للفساد الذي يصوره لنا النص دالتين اذ لا يمكن ان نحصره بدلاله واحدة الاولى وهي الدلالة المعنوية ف(هذه الآية تدل على وجود ارتباط وعلاقة قريبة بين أعمال الإنسان والنظام التكويني للحياة، فإذا سار الناس وفقاً لأصول الفطرة وقوانين الخلق فستشملهم البركات الإلهية، وعند فسادهم يفسدون حياتهم) (2) وهو ما يذهب اليه اكثر المفسرين ، فمن مظاهر الفساد (انتشار الشرك والظلم ، والقتل وسفك الدماء ، والأحقاد والعدوان ، ونقص البركة في الزروع والثمار والمطاعم والمشارب ، وغير ذلك مما هو مفسدة وليس بمنفعة) (3) والآخرى وهي الدلالة المادية في الأرض ذاتها؛ في مائها، وهوائها، وتربتها. وان اهل التفسير لم يذكروا الفساد البيئي في تفسيراتهم لانهم (لم يتصوروا أن يصل الفساد إلى تلوث الهواء بالغازات السامة، بفعل الوقود الحجري والأسلحة الكيميائية التي لم يكن لها وجود في أيامهم، ولا أن يلوث الماء بمخلفات المصانع من الكيماويات، ولا أن تدفن النفايات الذرية في البر والبحر) (4). ونجد في باب الاحكام انه نهى عن الصيد في وقت محدد وهو وقت الاحرام وليس فقط الصيد بل التعرض للبيئة باي شكل من الاشكال فقال تعالى : ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فمن اسباب التحريم هنا الحفاظ على البيئة ف(كثرة الزوار وكثرة تردهم في كل سنة على هذه الأرض المقدسة، لقضي على وجود الكثير من الحيوانات القليلة أصلاً في تلك الأرض القاحلة الخالية من الماء والزرع، رفقاء هذا التشريع لضمان بقاء حيوانات تلك المنطقة والحفاظ عليها من الإنقراض). (5) وهنا تبين تبين لنا وبدلالة واضحة أنّ لهذا التشريع ارتباطاً وثيقاً بقضية الحفاظ على البيئة وعلى النبات والحيوان في تلك المنطقة، وصيانتها من الإبادَةِ. وهناك كثير من الآيات التي نهت عن حالة الافساد في الارض منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (6) ومنها ايضا قوله : ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (7) وفي موضع اخر قوله : ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (8) فجميع ما ذكرنا من نصوص تدل لحالة الافساد المعنوي اي (لا تعملوا في الأرض المعاصي بعد ما بين الله تعالى طريق الحق وأمركم بالطاعة) (9) ف (هذا نهى عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ماهيته في الوجود فيتعلق بجميع أنواعه من إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ماهيته في الوجود فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان) (10) وقد اشتمل القرآن على كثير من الشواهد التي تدعو الى الحفاظ على البيئة فضلا عن النهي عن افسادها فقد نهى عن رفع الاصوات واحداث الضوضاء وهي حالة مستهجنة في مفهوم القرآن عبر

(1) سورة الروم ، الآية ، 41

(2) الشيرازي ، الامثل : ج 15 ص 537

(3) الطنطاوي ، الوسيط : ج 1 ص 3346

(4) حمامة ، د. حسني حمدان الدسوقي ، آية الإنسان والبيئة في القرآن / بحث منشور على الرابط الالكتروني : <https://www.alukah.net>

(5) الشيرازي ، الامثل : ج 4 ص 154

(6) سورة الاعراف ، الآية ، 56

(7) سورة العنكبوت ، الآية ، 36

(8) سورة القصص ، الآية ، 77

(9) السمرقندي ، بحر العلوم ، ج 2 ، ص 127

(10) ابو حيان ، البحر المحيط ، ج 5 ، ص 362

عنها من خلال التشبيه بصوت الحمير قال تعالى : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)⁽¹⁾ وغيرها من الشواهد القرآنية على الدعوة في احلال حالة من السلم مع البيئة فكلما اعتدى الانسان على بيئته فانه سيلاقي بالمقابل الاثر السلبي الذي يؤثر على حياته وحياة غيره والشواهد اليوم كثير ما يشهده العالم من تلوث بيئي حتى أسست منظمات تدعو الى الحفاظ على البيئة بسبب حالة الافراط في الاساءة اليها وبالمقابل فان البيئة سوف تفقد حالة الصلاح التي خلقها الله عليها وتكون غير صالحة لتوفير حياة مسالمة للإنسان فتنشر الاوبئة والامراض لان حالة الانسجام التي خلقها الله بين الانسان والطبيعة فقدت بسبب اعتداءات الانسان التي لا حصر لها والشواهد كثيرة على ذلك يضيق المقام بذكرها لذا نكتفي بهذا القدر في هذا المقام .

الإسلام هو منهج متكامل للسلام يشمل علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبالمجتمع، وبالبيئة. وفيما يلي أمثلة تطبيقية لكل جانب:

1. سلام الفرد مع الله
الصلاة والعبادة: المواظبة على الصلاة والتقرب إلى الله بالعبادات تمنح الإنسان راحة نفسية وسكينة.

الاستغفار والتوبة: يشعر الإنسان بالسلام الداخلي عندما يطلب المغفرة من الله على أخطائه. التوكل على الله: الاعتماد على الله والثقة به يزيل القلق والخوف من المستقبل.

2. سلام الفرد مع نفسه
القناعة والرضا: قبول ما قسمه الله والسعي نحو الأفضل دون حقد أو حسد.

التحكم في الغضب: قال النبي ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب."⁽²⁾

الاهتمام بالصحة الجسدية والنفسية: عبر الرياضة والتغذية السليمة والراحة النفسية.

3. سلام الفرد مع المجتمع
الصدق والأمانة: التحلي بهما يحقق الثقة بين الناس ويمنع الظلم.

التسامح والعفو: كما قال الله: «وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»⁽³⁾

بر الوالدين والإحسان إلى الجار: من أسس العلاقات الاجتماعية السليمة في الإسلام.

4. سلام الفرد مع البيئة
الحفاظ على النظافة: قال النبي ﷺ: "إمطة الأذى عن الطريق صدقة."⁽⁴⁾

عدم الإسراف والتبذير: الإسلام يدعو إلى ترشيد استهلاك الموارد.

التشجير والاعتناء بالطبيعة: قال النبي ﷺ: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفلح."⁽⁵⁾

هذه الأمثلة تبرز كيف أن الإسلام هو دين سلام شامل يوجه الإنسان نحو الخير في جميع نواحي الحياة

(1) سورة لقمان ، الآية ، 19

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأدب - باب: الحذر من الغضب ج 5 ص2267 (٥٧٦٣)

(3) سورة آل عمران ، الآية : 134

(4) صحيح البخاري ، كتاب المظالم باب إمطة الأذى ج 3 ص133 (2466)

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 20 ص 290 (12981)

المطلب الثالث : السلام منهج للمجتمع

ان السلام اذا توافر في المجتمع يجعل منه قوة عملاقة لا يمكن السيطرة عليها من قبل اي قوة اخرى فالسلام في التلاحم وفيه التعاون وفيه المحبة وفيه التطور وفيه النجاح ، والقران يرسم لنا صور جميلة عن السلام عندما يعم في البلد يكون امنا مطمئنا ، ومن أهم المقاييس الأساسية لتقويم أي مجتمع، تشخيص حالة السلم الاجتماعي فيه، فتوافرها علامة على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه، بينما اهترأؤها دلالة سوء وتخلف .

اهتم النص القرآني ببناء المجتمع ووفر له منهج متكامل من السلم الذي يمثل السر في ديمومة اي نظام مجتمعي ومن الآيات التي دعت الى حالة السلم قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾⁽¹⁾ ان الارتباط بالخالق هو الكفيل الوحيد الذي يوفر للفرد والمجتمع حالة السلم وكل عقوبة مرت على البشرية انما هو نتيجة لفك ذلك الارتباط بين العبد وربّه وهنا لا تتوفر حالة السلم ، فالإنسان كلما ارتبط بالله تعالى كان اكثر سلما على اخيه الانسان وللمجتمع اجمع فالحل الوحيد لحصول السلم الاجتماعي هو الدخول في بيضة الاسلام وكنفه والالتزام بأحكامه حيث اعتبر الله سبحانه خطوات الشيطان الطريق المضاد للسلم، ووضع الإنسان أمام أمرين لا ثالث لهما: إما الدخول في السلم، وإما اتباع خطوات الشيطان التي هي عين الشقاق والنزاع والشر والفساد ، فدعا الله الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة ، حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان . فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان ، إما الدخول في السلم كافة ، وإما اتباع خطوات الشيطان ، إما هدى وأما ضلال ، إما إسلام وإما جاهلية إما طريق الله وإما طريق الشيطان وإما هدى الله وإما غواية الشيطان ، وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه ، فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات⁽²⁾ فالمسلم من سلم الناس من يده ولسانه حسبما ورد في الحديث واليوم نرى المجتمعات البشرية عانت الامرين والبلاءات تلو البلاءات وفقدان الامن وكل ما يمت للسلام بصلة بسبب جبروت وطغيان بعض فئات المجتمع التي انحرفت عن منهج الحق واطلقت على نفسها الشعوب المتحضرة وهي في الواقع اشد الشعوب ظلما وبطشا ولا نعم ونقصد هنا الحكومات المتسلطة على تلك الشعوب كأمریکا وما درار في فلکها .

وقال تعالى في موضع اخر وهو يدعو رسوله الكريم بالجنوح للسلم قوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽³⁾ السلم حالة ايجابية يدعو الله نبيه لها في حال بدر من الطرف المعادي اي صورة من صور السلم وجاء التعبير هنا عن الميل إلى السلم بالجنوح ، تعبير لطيف ، يلقي ظل الدعة الرقيق . فهي حركة جناح يميل إلى جانب السلم ، ويرخي ريشه في وداعة! كما أن الأمر بالجنوح إلى السلم مصحوب بالتوكل على الله السميع العليم⁽⁴⁾ ف(إذا بسطوا أجنحتهم للسلم فابسط جناحيك أنت للسلم أيضاً)⁽⁵⁾ ولكن ضمن شروط تحفظ كرامة الاسلام والمسلمين منسجمة مع المنطق السليم والعقل . اما اذا كان فيه ما يقلل من شأن المسلمين فالله تعالى عن الخوض في مثل هذا الصلح قال تعالى :

(1) سورة البقرة، الآية ، 208

(2) سيد قطب ، في ظلال القران ، ج 1 ، ص 189

(3) سورة الانفال، الآية ، 61

(4) سيد قطب ، في ظلال القران ، ج 3 ، ص 433

(5) الشيرازي ، الامثل ، ج 5 ، ص 470

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (1) والنص لا يفرض الميل الى الهدنة ان كان في الامر ما هو منافي لمصالح المسلمين فـ(الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً) (2)

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْفَوَّاءُ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (3) والدعوة هنا قد لا تغاير في دعوتها الى السلم ان وجد من الطرف المقابل بوادى الصدق والسلم الحقيقي بما يحفظ المسلمين دمايتهم وكرامتهم .

فـ(الله لا يسمح للمسلمين بالمساس بقوم عرضوا عليهم الصلح وتجنبوا قتالهم، وإن المسلمين مكلفون بأن يقبلوا دعوة الصلح هذه، ويصافحوا اليد التي امتدت إليهم وهي تريد الصلح والسلام) (4) ان المبدأ الأساسي في العلاقات بين البشر هو مبدأ السلم والتعاون وهذا ما اقره الاسلام من خلال القرآن الكريم الذي ترجمه النبي الكريم محمد صلى الله عليه واله قولاً وعملاً من خلال سيرته العطرة .

وقد حذر القرآن الكريم من الصراع الذي يقوض مباني السلم وبناء مجتمع اسلامي متكامل وشخص النص القرآني الامراض الاجتماعية التي تتنافى مع توافر حالة السلم من خلال كثير من النصوص منها قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (5) فالنص يوضح لنا وبوضوح وبوضوح خطر التفرقة والنكرات المجتمعية طائفية كانت او قومية في تشتيت الجمع وفت عضد الاسلام فما هي نتيجة النزاع الا الفشل وانهيار القوة. ومن اهداف الشيطان ايقاع العداوة والبغضاء بين افراد المجتمع الواحد عندها يحرم المجتمع من التمتع بالسلم الذي يوفر لكل فرد فيه العيش الرغيد فقال تعالى محذرا من ذلك : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ (6) فالقوى المناوئة للإسلام تسعى وبجهد من اجل تمزيق وحدته واثارة العداوات بين فئاته من خلال اثارة النكرات الطائفية بين ابناءه. قال تعالى وهو يصف لنا حالة التنازع وما لها من دور في تشتيت المجتمع قوله : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (7)

تلعب المؤسسات الاجتماعية دوراً حيوياً في تحقيق السلام من خلال تعزيز القيم الأخلاقية والتعاون بين أفراد المجتمع. أولاً، تسهم المؤسسات الدينية في نشر ثقافة التسامح والمحبة وتعزيز الوعي بالقيم الإسلامية التي تدعو إلى العدل والإحسان. ثانياً، تعمل المؤسسات التعليمية على تنشئة الأجيال على الحوار والاحترام المتبادل، مما يقلل من النزاعات ويساعد في بناء مجتمع أكثر استقراراً (8).

كما تسهم المنظمات الخيرية في تحقيق التكافل الاجتماعي عبر مساعدة الفقراء والمحتاجين، مما يقلل من الفجوة الاقتصادية التي قد تؤدي إلى اضطرابات اجتماعية. وتلعب وسائل

(1) سورة محمد، الآية ، 35

(2) ابو حيان ، البحر المحيط ، ج 6 ، ص 97

(3) سورة النساء ، الآية ، 90

(4) الشيرازي ، الامثل ، ج 3 ، ص 375

(5) سورة ال عمران ، الآية ، 103

(6) سورة المائدة ، الآية ، 91

(7) سورة الانفال ، الآية ، 46

(8) أهداف التربية الإسلامية : د ماجد عرسان الكيلاني ، ص 156

الإعلام دورًا رئيسيًا في نشر ثقافة السلام عبر التوعية بخطورة العنف وتعزيز مفاهيم التعايش السلمي⁽¹⁾.

بالإضافة إلى ذلك، تعمل المؤسسات الحكومية على سن القوانين التي تضمن العدالة والمساواة بين الأفراد، مما يعزز الأمن والاستقرار. كما تساهم مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز الحوار بين الثقافات المختلفة، مما يقلل من النزاعات العرقية والطائفية. وأخيرًا، تلعب الأسرة دورًا مهمًا كمؤسسة اجتماعية أولى في غرس قيم الحب والاحترام، مما ينعكس على سلوك الأفراد داخل المجتمع⁽²⁾.

إن السلام هو أساس ازدهار المجتمع واستقراره، حيث يعزز التعاون والتسامح بين الأفراد، مما يخلق بيئة آمنة ومزدهرة. بتطبيق مبادئ العدل والمساواة والتكافل، يتحقق التعايش السلمي الذي ينعكس إيجابًا على جميع جوانب الحياة. لذلك، فإن الالتزام بقيم السلام هو مسؤولية مشتركة بين الأفراد والمؤسسات لضمان مستقبل مستقر ومشرق.

الخاتمة ونتائج البحث :

بعد هذه الرحلة مع دلالة مفهوم السلام في القرآن الكريم ، بلغ بنا المقام الى مسك الختام وهو ان اوجز ما اجدته مناسباً للمقام من نتائج هذه الدراسة ويمكن اجمالها في الاتي :

1- كان النص القرآني دقيقاً في ايراد لفظ السلام فقد اود هذا المفهوم وفي دلالاته معاني كثيرة فعندما يكون نكرة له معنى يغير ما كان معرفة منه .

2- يمتاز مفهوم السلام في النص القرآني بالشمولية فهو لا يقتصر جانب دون جانب من حياة الانسان .

3- يمكن ان يعيش الفرد حالة السلام مع نفسه عندما يكون قريباً من الله بعيداً عما حرمه عز وجل من محرمات .

4- السلام حالة انسانية يمكن ان يكون بين الانسان واخيه الانسان يوفر حالة من التلائم والانسجام بين افراد المجتمع .

5- السلام مصدر قوة لبناء مجتمع متكامل فحالة السلام عندما تسود المجتمعات ينعم افرادها بالأمن والطمأنينة .

6- لقد شخص اعداء الانسانية السر في السلام وما يخلق من اجواء لا تناسب توجهاتهم لذا عمدوا الي اركانها محاولين زعزعتها لذا نجد حالة عدم الاستقرار في المجتمعات البشرية ام دائم ومستمر .

7- ان القرآن الكريم ومن خلال منهج متكامل هو الضامن الوحيد لحل جميع مشكلات العالم فكل ما تحتاجه البشرية قد جمع فيه فالالتزام به يبحر بالبشرية الى ساحل السلام .

وختاماً ادعوا من الله اكون قد وفقت في عرض هذا المفهوم بما هو مناسباً والحمد لله اولا واخرا.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .

(1) أهداف التربية الإسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني ، ص 156

(2) بناء المجتمع الإسلامي : د نبيل السمالوطي: 69

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، تحقيق عبد القادر عطا، مكتبة الرياض الحديثة، ومطبعة السعادة.
2. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني. الناشر: المكتبة الإسلامية / طهران
3. الامثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب / قم. تأريخ الاصدار: 1426 هـ
4. أهداف التربية الإسلامية: د ماجد عرسان الكيلاني الأردني: دار القلم، الطبعة: الأولى
5. بحر العلوم للسمرقندي، تحقيق محمود مطرجي، دار الفكر، ط1
6. البحر المحيط: ابو حيان الاندلسي، اثير الدين محمد بن يوسف، ت 754 هـ، مط السعادة بمصر 1328 هـ.
7. بناء المجتمع الإسلامي: د نبيل السمالوطي: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة 1418 هـ - 1998 م
8. تأويلات أهل السنة للشيخ أبي منصور الماتريدي. ت: د. محمد مستفيض الرحمن. ط: 1404 هـ - 1983 م. مطبعة الإرشاد - بغداد.
9. التبيان في تفسير القرآن - تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (الطوسي) - تقديم: الشيخ آغا بزرك الطهراني - تحقيق وتصحيح: أحمد قصير العاملي، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي - لبنان، بيروت
10. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر: 1972 م. وطبعة 1984 م.
11. التعريفات: الشريف الجرجاني، علي بن محمد، ت 816 هـ، البابي الحلبي بمصر 1938.
12. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489 هـ)، دار الوطن، الرياض - السعودية، الأولى، 1418 هـ - 1997 م
13. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)، دراسة وتحقيق دار الامام المهدي .
14. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد السيد الطنطاوي، دار الرسالة، ط3، 1407 هـ / 1987 م.
15. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ت: 370 ت: أحمد عبد العليم البردوني الدار المصرية للتأليف. تحقيق د: عبد السلام هارون دار القومية العربية للطباعة. 1964 م.
16. جامع البيان، لابن جرير الطبري - بيروت - 1389 هـ - 1978 م.
17. جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي الكاشاني، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان
18. جمهرة اللغة، ابن دريد الازدي دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م
19. حماسة، د. حسني حمدان الدسوقي، آية الإنسان والبيئة في القرآن / بحث منشور على الرابط الالكتروني: <https://www.alukah.net>
20. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، ت 297 هـ، بيروت: دار الكتب العلمية.

21. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ)
22. صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، المحقق: د. مصطفى ديب البغا : (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق ، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
23. في ظلال القرآن. لسيد قطب (ت1387) ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط 7. 1391هـ / 1971م.
24. كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ). تحقيق: د. عبد الله درويش. ط 1967/ بغداد.
25. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ت: 975 هـ، مؤسسة الرسالة بيروت. 1979.
26. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت ، ط: 1، 1410هـ.
27. لطائف الإشارات ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1420 هـ ، 2000 م.
28. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي منشورات مكتبة الحياة بيروت- لبنان 1380 هـ- 1961 م.
29. مسند الإمام أحمد بن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]- عادل مرشد – وآخرون : مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
30. معالم السنن: لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، الناشر: محمد راغب الطباخ، حلب، ط. الأولى، 1352 هـ.
31. معاني القرآن واعرابه: الزجاج، أبو اسحاق ابراهيم بن السري، ت 311 هـ، تح د. عبد الجليل عبده شلبي، القاهرة 1974.
32. مفاتيح الغيب "المشتهر بالتفسير الكبير"، للإمام الرازي، وبهامشه تفسير العلامة أبي السعود - القاهرة - 1289هـ.
33. ميزان الحكمة. محمد الريشهري. الناشر: دار الحديث - قم. الطبعة: الأولى. سنة النشر: 1422 هـ.
34. الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي. الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت ، 1417هـ
35. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار الشامية، ط1

دور القرآن الكريم والسنة النبوية في محاربة التطرف ونشر ثقافة المحبة والتكاتف

م. عبد القدوس رحمان حميد حسن الأركي

Abdalgudus91@gmail.com

جامعة ديالى

كلية العلوم الاسلامية

قسم العلوم المالية والمصرفية الاسلامية

الكلمات المفتاحية: دور، ثقافة، المحبة، تكاتف

الخلاصة

الحمد لله تعالى وكفى، واصل واسلم على حبيبه المصطفى، وعلى آله ائمة الهدى والتقوى، وصحابته أهل الصفا والنقا .

وبعد :

لا يخفى على الباحثين في ميادين العلوم الشرعية أن للقرآن الكريم والسنة النبوية دورا فعالا في محاربة التطرف ونشر السلم المجتمعي والدعوة الى المحبة والتكاتف، فحري بنا أن نسلط الضوء في هذا الموضوع تحت ظلال كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى (صلى الله تعالى عليه وسلم) وعليه وسمنا بحثنا بـ (دور القرآن الكريم والسنة النبوية في محاربة التطرف ونشر ثقافة المحبة والتكاتف) ليتفيء تحت هذا العنوان مبحثين مسبوقين بتمهيد يتحدث عن نبذ التطرف بصورة عامة، ليأتي بعده المبحثين متحدثين عن دور القرآن الكريم والسنة النبوية في محاربة التطرف، اذ يستجمع الباحث الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الصحيحة التي لها صلة بموضوع البحث، ويستقي مدلولات تلك الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة من أمات الكتب معرجا على حديثها أيضا، ملتزما بالمنهجية العلمية في صياغة بحثه إن شاء الله تعالى ومن ثم خاتمة مبينا فيها خلاصة ما انساب به قلمه . والله ولي التوفيق .

Abdalqudus Rahman

Abstract:

Praise be to God Almighty, and may peace and blessings be upon His beloved, the Chosen One, and upon his family, the leaders of guidance and piety, and upon his companions, the people of purity and chastity. And then :

It is no secret to researchers in the fields of Islamic sciences that the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah play an effective role in combating extremism, spreading societal peace, and calling for love and solidarity. It is fitting for us to shed light on this topic under the auspices of the Book of God Almighty and the Sunnah of His Chosen Prophet (peace and blessings be upon him). Accordingly, we have titled our research "The Role of the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah in Combating Extremism and Spreading the Culture of Love and Solidarity." Under this title, two chapters are preceded by an introduction that discusses the rejection of extremism in general. The two chapters are then followed by a discussion of the role of the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah in combating extremism. The researcher gathers the noble verses and authentic Prophetic hadiths relevant to the research topic, drawing on the implications of these noble verses and hadiths from the most authentic books, also touching on their context. He adheres to a scientific methodology in formulating his research, God willing, followed by a conclusion that summarizes his pen's output.

And God is the Grantor of success.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طيب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وقوت الأرواح وغذائها، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد:

لا يخفى على الباحثين في سوح العلم والمعرفة أن القرآن الكريم بحر خالد لا يدرك غوره ولا تنقضي عجائبه، فكل يدلوا بدلوه بحسب ما يفتح الله تعالى له، قال تعالى: ((قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا))⁽¹⁾ .

فالباحث أرتأى أن يرتشف من ذلك البحر العظيم المعجز بما يقوم به صفحات بحثه الذي وسمه بـ (دور القرآن الكريم والسنة النبوية في محاربة التطرف ونشر ثقافة المحبة والتكاتف) مقسما ذلك على مبحثين مسبقين بتمهيد يتعرف فيه على مفهوم التطرف وأنواعه، ومن ثم يليه المبحث الأول يحدثنا عن درر من نصوص التنزيل الحكيم في نشر

(1) سورة الكهف آية: 106 .

ثقافة التكاتف وتحقيق السلم المجتمعي، ليتقيء تحت ظلال النصوص الكريمة دلالتها المباركة بعد عرضها على أمات كتب التفسير المتقدمة، فضلا عن المتأخر منها، و ثم ينساب قلم الباحث بخلاصة أو صفوة ما نثر من عبير تأويلات السادة المفسرين مرتبا أي التنزيل الحكيم بحسب ترتيبها في المصحف الشريف .

و ثم يأتي المبحث الثاني مستقيا نماذج من أحاديث خير البرية في تحقيق السلم المجتمعي ونبذ التطرف والعنصرية، ومنهجنا في هذا المبحث كمنهجنا في المبحث الذي سبقه، إذ سطعت دلالات هذا المبحث من أمات كتب شروح الحديث، ومن ثم خلاصة لتلك المدلولات التي فاحت من مضانها .

ويختتم الباحث بحثه بخاتمة يبين فيها خلاصة ما انساب به قلمه في رحلته المباركة في نبذ ظاهرة التطرف ونشر منهج الوسطية والاعتدال .

ومسك الختام: فما أخطأت فيه فمن نفسي، وما أصبت فيه فمن توفيق الله تعالى، فحسبي أنني طوَّلب علم أرثشف من أنوار أهل العلم ما أقوم به بحثي، والله تعالى الموفق والهادي الى طريق مستقيم . وصلى الله تعالى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التمهيد

مفهوم التطرف وأنواعه

أدناه نتحدث عن مفهوم التطرف في اللغة والاصطلاح، و ثم نتعرف على أنواعه جميعها بتفصيل موجز بحسب الآتي:

أولاً: التطرف لغة: هو من الفعل (طرف) والطرف الناحية، والطائفة من الشيء، يقال فلان كريم الطرفين، أي أصابها بشيء فدمعت، وقد طرفت عينه فهي مطروفة⁽¹⁾، و (الطرف الناحية من النواحي)⁽²⁾ .

ثانياً: التطرف اصطلاحاً

في الحقيقة لم أعر في كتب في كتب القدماء على تعريف اصطلاحى لكلمة (التطرف)، وإن الذي خاض فيه القدماء هو مصطلح (الغلو) الوارد في نصوص التنزيل الحكيم والسنة النبوية الشريفة، وحقيقة أن هذا المصطلح - أعني الغلو - مرادفاً لمصطلح (التطرف)، وعليه يمكننا تعريفه قياساً على تعريفه في اللغة: بأنه كل ما خرج عن حد التوسط فهو تطرف، وقد يكون ذلك التطرف دينياً أو اجتماعياً أو فكرياً أو سياسياً .

ثالثاً: أنواع التطرف

للتطرف أنواع عديدة انتشرت في المجتمعات نوجزها بحسب الآتي :

1- التطرف في الدين: وهو خروج الفرد المسلم عن منهج الوسطية والاعتدال في فهمه للنصوص الدينية، مما يشكل ذلك سلماً على سلوكه، مما يجعله ينحاز الى فكر أو منهج معين دون غيره، والذي قد يخالف نصوص الشريعة الإسلامية الغراء⁽³⁾ .

2- التطرف الفكري: وهو أن يتمسك ويتعلق الفرد بأفكار نحو موضوعات سياسية أو دينية أو اجتماعية، ويتأمل فيها على أن ما ينتهجه صحيحاً وغيره خطأ مما يشكل ذلك فجوة بينه وبين أبناء مجتمعه محاولاً أقناع المجتمع بأفكاره ومنهجه⁽⁴⁾ .

(1) ينظر: مختار الصحاح 403/1 .

(2) تهذيب اللغة 218/13 .

(3) ينظر: مقال منشور في مجلة علمية بعنوان "الارهاب والتطرف الفكري"، حمزة المعاينة، ونشر بتاريخ 2020/9/2 .

(4) ينظر: مقال منشور في مجلة علمية جزائرية بعنوان "عوامل نمو التطرف في المجتمعات العربية"، يوسف خطابية عبد السلام بتاريخ 2019/2/5 م .

3- التطرف الاجتماعي: هو انحراف الفرد عن الاعراف المجتمعية والسلوكيات التي تسود في المجتمع فيشذ عن أبناء مجتمعه بأفكار ومنهجية تخالفهم في كثير من الأحيان.

4- التطرف السياسي: وهو أن ينتهج الفرد منهجا سياسيا معين، رافضا من خلاله لغة الحوار والمناقشة، ذاهبا نحو التعصب لأفكاره ومنهجه السياسي، ظانا أن ما يقدم من عمل سياسي هو الصحيح دون غيره، وهذا ما يدفعه الى عدم احترام القانون والمجتمع⁽¹⁾.

وهذه الأنواع اسدلت عليها النصوص القرآنية والنبوية ستار العلاج الناجع، وهذا ما سنبينه في المبحثين المقبلين بعد هذا التمهيد إن شاء الله تعالى .

المبحث الأول

درر من نصوص التنزيل في نشر ثقافة التكاتف وتحقيق السلم المجتمعي

نتناول في هذا المبحث نصوصا قرآنية كريمة قد عالجت ظاهرة التطرف، مرتبة بحسب ترتيبها في المصحف الشريف، مستقيا من دلالاتها منهاجيا ووسطيا معتدلا، وبحسب الآتي:

أولاً: قال تعالى: ((فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))⁽²⁾.

النص الكريم دلالاته جلية في الإشارة الى التسامح والتكاتف، ودعوة الى السلم المجتمعي، والحث على العفو والصفح، ونبذ أي فكر من شأنه التحريض على العداوة والكراهية .

والفعل هنا للأمر كما هو معلوم، ودلالة ذلك أننا مأمورون بنص الكتاب على سلوك طريق العفو والصفح .

وهناك نصا آخر في سورة النور قال جل وعلا: ((وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))⁽³⁾ ، أي من أحب وأراد أن يغفر الله تعالى له فليعفو وليصفح، ليكون متقياً تحت ظلال النصوص الكريمة⁽⁴⁾.

والعفو إنما يكون عن الاساءة والخطأ، والصفح إنما يكون بالإعراض عن المسيء وعن الجهل⁽⁵⁾.

يقول الواحدي في تفسيره "الوجيز" : يكون الصفح بالإعراض عن مساوئ الأخلاق والكلام وغل القلوب⁽⁶⁾، فأصل الصفح يكون من الاعراض⁽⁷⁾، وهو أبلغ من العفو فقد يعفو يعفو الإنسان ولا يصفح، إذ الصفح هو الاعراض عن الذنب وتجاوز الصفحة التي أثبت فيها إساءة المسيء والتجافي عنه⁽⁸⁾.

فسلوك طريقي العفو والصفح عما يكون من جهل أو عداوة إنما هو امتثالا وتمسكا بنصوص التنزيل الكريم⁽⁹⁾.

يقول ابو السعود في تفسيره أن (العفو ترك المؤاخذه والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب)⁽¹⁾.

(1) ينظر: مقال منشور بعنوان "التطرف وعلاقته بمفهوم الذات لدى طلبة مؤسسات التعليم العالي"، سعيد حنان، جامعة القدس المفتوحة، نشر عام 2017م .

(2) سورة البقرة آية: 109 .

(3) سورة النور آية: 22 .

(4) ينظر: تفسير يحيى بن سلام/1: 435 .

(5) ينظر: التفسير البسيط للواحدي/3: 242 .

(6) ينظر: الوجيز للواحدي/1: 125 .

(7) ينظر: الدرر في تفسير الآي والسور/1: 268 .

(8) ينظر: المفردات في غريب القرآن/1: 486 .

(9) ينظر: الكشاف للزمخشري/1: 177، وتفسير النسفي/1: 120 .

والحق تبارك وتعالى قال ((فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا)) ولم يقل (فاعفوا واصفحوا عنهم)، ليكون النص دالا على الشمولية والعموم (أي عاملوا جميع الناس بالصفح والعفو فإن هذا هو اللائق بشأن المؤمنين المتقين)⁽²⁾.

ففي النص الكريم إشارة أن المؤمن هو صاحب قدرة وشوكة، لأن الصفح والعفو لا يكون إلا من القادر، وهذا دلالة على شجاعة المتصف بهاتين الصفتين⁽³⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن (العفو) في النص الكريم هو للعموم - كما هو واضح - ولا يخرج عن هذا العموم من أنواع العفو أحواله وأزمانه إلا ما أخرجته النصوص أو الأدلة الشرعية مثل العفو عن القاتل غيلة، والعفو عن انتهاك حرمة الله تعالى ونحو ذلك⁽⁴⁾.

وصفة القول وخلصته أن (العفو أن تمحو من نفسك أثر أي إساءة وكأنه لم يحدث شيء .. والصفح يعني طي صفحات هذا الموضوع لا تجعله في بالك ولا تجعله يشغلك)⁽⁵⁾.

ثانيا: قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))⁽⁶⁾.

يقول مجاهد في دلالة قوله (وسطا) أي عدلا⁽⁷⁾، وهذا صفة أمة الحبيب "صلى الله تعالى عليه وسلم" التي صفها الحق تبارك وتعالى في النص الكريم.

فالحق جل في علاه جعل من هذه الأمة أمنا وسطا خيارا يقوم بهم الدين وبهم الطريق يستقيم⁽⁸⁾ فهم الشهداء والحجة على من بعدهم⁽⁹⁾.

إذ على أهل العلم أن يتوسطوا في أمور الدين فلا يغلو فيه ولا يقصروا فيه، لأن الله تعالى وصفهم بأنهم (وسطا) وهذا من أحب الأمور إلى الله تعالى⁽¹⁰⁾.

وجعل الحق تبارك وتعالى هذه الأمة من خيار الأمم⁽¹¹⁾ بقوله تعالى: ((نَتُّمُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))⁽¹²⁾، وخير هذه الأمة هم أهل الوسطية والاعتدال في الأمور كلها، إذ لا تقصير ولا غلو ولا تشديد ولا غلاظة ولا تعسير.

ولأهل المعاني كلام لطيف في ما تدل عليه الآية الكريمة قالوا: (لما صار ما بين الغلو والتقصير خيرا صار الوسط، والأوسط عبارة عن كل ما هو خير وإن لم يتصور فيه الغلو والتقصير...) ⁽¹³⁾.

فجعل الله تعالى هذه الأمة مزكاة بالعلم والعمل فلا إفراط ولا تفريط ولا اسراف ولا بخل ولا تهور ولا جبن وهكذا في وسطية بقية الأمور⁽¹⁾.

(1) تفسير ابو السعود 146/1، وينظر: روح المعاني للآلوسي 356/1.

(2) تفسير المنار 347/1.

(3) ينظر: تفسير المراغي 191/1.

(4) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 227/9.

(5) تفسير الشعراوي 525/1.

(6) سورة البقرة آية: 143.

(7) ينظر: تفسير مجاهد 215/1.

(8) ينظر: تفسير الماتريدي 183/5.

(9) ينظر: احكام القرآن للجصاص 90/5.

(10) ينظر: تفسير الماوردي 199/1.

(11) ينظر: لطائف الاشارات للقشيري 132/1.

(12) سورة آل عمران آية: 110.

(13) التفسير البسيط للواحدي 373/3.

وقد أورد أبو زهرة في تفسيره "زهرة التفاسير" قولاً لسيدنا الإمام علي "عليه السلام والرضوان" قال: (عليكم بالنمط الأوسط فإليه ينزل العالي وإليه يرتفع النازل)⁽²⁾، وهذه هي عين الوسطية والاعتدال التي أشار إليها سيدنا الإمام علي "عليه السلام والرضوان"، فالتوسط هو خير دائم في هذه الأمة إذا ركنت إليه في أزمنتها وأمكنتها .

يقول مولانا الإمام الشعراوي: إن الأمة التي تتبع منهج الاعتدال هي الأمة المهيمنة التي تسير في طريقها إلى العمل الصالح الصحيح وتعمل به وتطبقه⁽³⁾، فهي أشبه (بالميزان الذي لا تميل كفة عن الأخرى إلا بما يوضع فيها، فهي كالميزان العادل الذي لا يميل هنا أو هناك)⁽⁴⁾ .

فمن أراد السعادة أن يضبط (عواطفه واندفاعاته وليكن عادلاً في رضاه وغضبه وسروره وحزنه ... وما أحسن الوسطية فإن الشرع نزل بالميزان والحياة قامت على القسط ..)⁽⁵⁾ .
فما أجمل أهل الإيمان، وما أجمل أهل الإسلام، وما أجمل أهل العلم وطلبته وهم يتحلون بفكر ومنهج وسطي معتدل قائم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى "صلى الله تعالى عليه وسلم" وآله وصحابته أهل الصدق والوفاء، ومتبعون إلى من فهم الدليل وفسره، فلا تعسير ولا تشديد، وإنما اتباع وسير على الخطى .

فالنص الكريم حقيقة فيه إشارات ودلالات ليست بالقليلة وقف عندها أهل العلم كلا بحسب ما يفتح الله تعالى عليه، لينهل من مدلولات النص الكريم .

إذن خلاصة وصفة القول ما تدل عليه الآية الكريمة أنه على كل فرد منا أن يتوسط في أمور دينه ودنياه، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تقصير ولا غلو ونحو ذلك، ثم أن النص الكريم واضح في دلالاته على نبذ التطرف ونشر التكاتف وتحقيق السلم في المجتمع .
ثالثاً: قال تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ))⁽⁶⁾ .

الغلو صفة مذمومة في الأمور كلها، وخاصة في أمور الدين، بل وحتى في أمور الدنيا، فالنص الكريم فيه دلالة جلية في النهي عن التطرف فلا يتجاوز أحدنا هذا الدين بالعدول عن طريق الحق متبعاً هوى النفس ومائلاً إليها⁽⁷⁾ .

فقوام الدين في ثلاث (العلم والأدب والمبادرة، وهلاك الدين في ثلاث: الجهل والخرق والكسل)⁽⁸⁾ .

فالنص الكريم وإن كان في الظاهر في أهل الكتاب إلا إن حقيقة المعنى أنه للخلق كلهم، لأن على كل الخلائق ألا يغلوا في دينهم⁽⁹⁾ إذ إن الغلو هو الإفراط ومجاوزة الحق⁽¹⁰⁾، وأصل الغلو هو مجاوزة الحد في كل شيء⁽¹¹⁾ .

(1) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي 110/1 .

(2) زهرة التفاسير 438/1 .

(3) ينظر: تفسير الشعراوي 3342/6 .

(4) تفسير الشعراوي 12076/19 .

(5) لا تحزن للقرني: 71 .

(6) سورة النساء آية: 171 .

(7) ينظر: تفسير التستري 57/1 .

(8) تفسير التستري 57/1 .

(9) ينظر: تفسير الماتريدي 425/3 .

(10) ينظر: تفسير السمرقندي 410/1، وتفسير القرآن العزيز 41/2 .

(11) ينظر: تفسير الثعلبي 418/3 .

إن كل ما جاوز حده وخرج عن مؤلفه فهو غلو .
وجاء في تفسير الراغب الاصفهاني أنه قال: إن (الغلو : الخروج عن القصد ومفارقة العدل من قولهم غلا السعر وغلّت القدر)⁽¹⁾، فكل من خرج عن قصده وغايته فهو غلو، وما لم يعطى حقه فهو تقصير، وكلاهما مذمومان لا يتصف بهما من سار على طريق العلم سيرا صحيحا .

ويقول الزمخشري في تفسيره "الكشاف" : إن الغلو (في الدين غلوان غلو حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أبعاد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع ...) ⁽²⁾ فالغلو في الدين حرام، لأن أصل الغلو مجاوزة الحد كما ذكرنا وهذا لا يجوز ⁽³⁾ ، ومجاوزة الحد والتقصير مذمومان في الدين ⁽⁴⁾ .

وقد بين الامام الشعراوي معنى (الغلو) فقال: (هو الخروج عن حد الاعتدال في الحكم لأن كل شيء له وسط وله طرفان وعندما يمسك شخص طرفا نطلب منه ألا يكون هناك إفراط أو تفريط) ⁽⁵⁾ .

وسيدنا النبي "صلى الله تعالى عليه وسلم" جاء من عند الله تعالى بالدين الوسط الذي يضع كل أمر في نصابه ⁽⁶⁾ .

إن لا غلو في الدين ولا في أمور الدنيا، ولا تقصير بل هو سير على نهج الشريعة الاسلامية الغراء، فالنص الكريم نهى عن الصفة المذمومة (الغلو) مشيرا الى نبذ هذه الصفة في أمور الدين والدنيا .

رابعا: قال تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) ⁽⁷⁾ .
النص الكريم فيه دلالة واضحة على عدم الخوض في جدال أو صراع مع أهل العقائد الأخرى بطريقة تؤدي الى التناحر والتباغض والكراهية وإنما يكون ذلك بحسن التعامل والدعوة برفق ولين، وهذا ما تشير إليه نصوص من التنزيل الكريم، وخاصة لمن أراد دعوتهم الى الشريعة الاسلامية الغراء .

يقول الامام الطبري: وتأويل النص هو أنكم أيها المؤمنون لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالقول الحسن الجميل، وهو الدعاء الى آياته عز وجل، والتنبيه على حججه ⁽⁸⁾، وفي هذا دلالة على أن المؤمن يوجب عليه التعامل بالحسنى مع أهل الكتاب نبذا لظاهرة التطرف ونشرا لثقافة التسامح في المجتمع .

وجاء في "لطائف الاشارات" للششيري قال: (ينبغي أن يكون منك للخصم تبیین وفي خطابك تليين وفي قبول الحق إنصاف واعتقاد النصره – لما رآه صحيحا – بالحجة وترك

(1) تفسير الراغب الاصفهاني 238/4 .

(2) الكشاف للزمخشري 699/1 .

(3) ينظر: تفسير الخازن 452/1 .

(4) ينظر: تفسير الخازن 78/2 .

(5) تفسير الشعراوي 2860/5 .

(6) ينظر: تفسير الشعراوي 2861/5 .

(7) سورة العنكبوت آية: 46 .

(8) ينظر: تفسير الطبري 46/20، والهداية الى بلوغ النهاية 5635/9 .

الميل الى الشك بالهوى⁽¹⁾، وهذا تفصيل موجز لطيف في نبذ فكر التطرف والتعنّت والإساءة الى المعتقدات الأخرى، وإنما تكون الدعوة بلين ورفق .
فالجِدال في مدافعة الحق وبغير علم مذموم، إلا اذا كان للوقوف على الحق وتقريره فذلك هو المحمود⁽²⁾، فلا يكون الجدال (إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح)⁽³⁾ .

فالجِدال الحسن المحمود هو من الأدب النبوي وهذا ما هو معروف في سيرة سيدنا محمد "صلى الله تعالى عليه وسلم" في حوارهِ مع كفار مكة والمعاندين له، والعلة في ذلك لأنك ستخرجهم من الباطل الذي ألفوه وأحبوه الى الحق الذي يكرهون فلا تجمع عليهم شدتين⁽⁴⁾، وهذا هو دين الاسلام دين التسامح والتكاتف والحق والعدل .

وخلاصة القول إن الآية الكريمة تشير إلى الخصال الحسنة في الجدال بالصفة المحمودة وهذا من مدلولاته نشر التسامح ونبذ فكرة التطرف والتباغض والكرهية بين أبناء المجتمع، استظلالاً بمدلولات النص الكريم .

خامساً: قال تعالى: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))⁽⁵⁾ .

النص الكريم يشير الى إخوة المؤمنين في ما بينهم، وهذا لها دلالات عديدة إذا ما تأمل فيها القارئ، إذ أن المؤمنين تربطهم روح الأخوة الإيمانية في سلوك الشريعة الإسلامية الغراء، فمن روح الإيمان تتأتى الأخوة الصالحة بين افراد المجتمع .

فهناك أخوة في النسب وهناك أخوة في الدين، أما أخوة النسب فمعروفة، وأما أخوة الدين فالمؤمنون أخوة في التعاون في ما بينهم لأنهم على دين واحد، يجمعهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى "صلى الله تعالى عليه وسلم"⁽⁶⁾ .

قال ابو عثمان البصري: (أخوة الدين أثبت من أخوة النسب فإن أخوة النسب تنقطع لمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب)⁽⁷⁾ .

وشرط الأخوة في الدين هي أن لا تحوج أخاك الى الاستعانة بك ولا تقصر في حقه وأن تتفقد أحواله وتعوده إذا مرض وألا تلجئه الى الاعتذار لك وأن تعفو عنه إذا أذنب ونحو ذلك⁽⁸⁾ .

قلت: إذا اتصف المسلم بهذه الصفات تجاه خليله فذلك هو الأخ الذي أشارت إليه الآية الكريمة وإلا فليراجع كل منا نفسه تحت شروط الأخوة الحقيقية في ظلال النص الكريم .

فالحفاظ على السلم المجتمعي ينبع من سويداء قلب الأخوة بين المؤمنين، لينثر عبيره ويسطع نوره في المجتمع، نبذا لأفكار التطرف ونحوه .

ومن حيث أنهم أخوة لأنهم (منسوبون الى أصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الأبدية وهو تعليل وتقرير للأمر بالإصلاح)⁽¹⁾، وهذا ما أشرنا إليه آنفا .

(1) لطائف الاشارات للقسري 100/3 .

(2) ينظر: الانكار للنووي: 571 .

(3) تفسير البيضاوي 196/4، وتفسير النسفي 680/2 .

(4) ينظر: تفسير الشعراوي 10924/18 .

(5) سورة الحجرات آية: 10 .

(6) ينظر: تفسير السمرقندي 327/3 .

(7) تفسير الثعلبي 79/9 .

(8) ينظر: لطائف الاشارات للقسري 441/3 .

وتسمية المشاركة في الايمان بـ (الاخوة) من باب التشبيه البليغ أو استعارة ، إذ شبه المشاركة فيه في المشاركة في أصل التوالد، لأن كل منهما أصل للبقاء، فالتوالد منشأ للحياة، والايمان منشأ البقاء الأبدي في الجنان⁽²⁾.

فالإخوة الدينية هي ما يحسدنا عليها الملل الأخرى، فهي لا تزال فينا قوية وعاصمة لنا من فوضى التطرف وأثرة المادية وغير ذلك⁽³⁾، فهي قائمة بين المؤمنين لا تتغير صفتها ولا تنقطع آثارها بعوارض تعرض لهم في الحياة، فهي لا تلبث أن تقتر ثم تعود وهكذا فهي متأصلة بين المؤمنين⁽⁴⁾.

وصفوة الحديث عن مدلولات النص الكريم هو أن الإخوة الإيمانية أو الدينية هي أثبت من أخوة النسب وقد بينا ذلك بالتفصيل اثناء رحلتنا مع دلالات النص الكريم، وهذه الدلالات تشير الى أن نشر ثقافة التكاتف وتحقيق السلم المجتمعي يجب أن يبنى من واعز ديني إيماني ليضيء لنا حياة تسودها المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع أو بين الشعوب في مختلف أمكنتها وأزمنتها.

المبحث الثاني

نماذج مختارة من أحاديث خير البرية في تحقيق السلم المجتمعي ونبذ التطرف والعنصرية
يتناول الباحث في هذا المبحث أحاديث نبوية لها دلالات في نشر المحبة والتكاتف ونبذ فكر التطرف، والتي سنتناولها على النحو الآتي:

أولاً: قال الحبيب "صلى الله تعالى عليه وسلم": ((وَيَاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ))⁽⁵⁾.

إن الغلو في الدين هو أمر مذموم والتشديد فيه غير محمود، وهذا ما يدل عليه حديث سيدنا النبي "صلى الله تعالى عليه وسلم"⁽⁶⁾، وقوله ليه الصلاة والسلام ((فَأِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)) إشارة الى الأمم السابقة لكي نتعظ بها، والسعيد من اتعظ بغيره⁽⁷⁾.

والغلو هنا له مدلولات عديدة إذ انه عام في أنواع الغلو ويكون ذلك في المعتقدات والاعمال ومجازة الحد والبحث عن غوامض الاشياء والتشديد فيها⁽⁸⁾. وفي الحديث الشريف فوائد عديدة نذكر منها⁽⁹⁾.

- 1- ذم المغالاة والتعمق في الدين .
 - 2- إن خير هذه الأمة في الاتباع سواء كان ذلك بالعزيمة أو الرخصة .
 - 3- التنبيه على أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير يسير، ثم تتسع رقعته فيهلك صاحبه .
- فالغلو في الدين هو الذي أهلك الأمم السابقة فلا ينبغي لهذه الأمة أن تسير كما ساروا، حتى لا يصيبها ما أصاب تلك الأمم⁽¹⁾.

(1) تفسير البيضاوي 135/5 .

(2) ينظر: تفسير القاسمي 529/8 .

(3) ينظر: تفسير المنار 172/10 .

(4) ينظر: التفسير القرآني للقرآن 447/13 .

(5) المستدرک على الصحيحين للحاكم 532/2 .

(6) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال 405/8 .

(7) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير 404/1 .

(8) ينظر: فيض القدير 125/3 .

(9) ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم 213/9 وحقوق النبي "صلى الله تعالى عليه وسلم" على أمته 650/2 .

ولهذا كانت الوسطية هي ميزة هذا الدين عن غيره من الأديان الأخرى ففي جوانبه العديدة كانت الوسطية والاعتدال تضيء تلك الجوانب بجميع تعدداتها⁽²⁾.
فالحديث الشريف دلالاته واضحة جلية في النهي عن المغالاة، ودلالاته جلية أيضا في التحذير من الوقوع في المغالاة كما حدث مع الأمم السابقة إذ أخبر الحديث الشريف بهلاكهم بسبب مغالاتهم.

فالاتباع لمذلولات الحديث النبوي تورث منهجا وسطيا متزنا في المجتمعات بأسرها.
ثانيا: قال الحبيب "صلى الله تعالى عليه وسلم" : ((يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا))⁽³⁾.

الحديث الشريف يدعو الى التيسير في أمور الدين، والدعوة إليه برفق ولين، بل حتى فيه إشارة الى التيسير في أمور الدنيا.

فالمراد من النص الشريف التسهيل والتيسير فإن قول الحبيب "صلى الله تعالى عليه وسلم" (يسروا) دلالة على الاطلاق والتعميم، فكل شيء يكون فيه الأمر بين أمرين فيختار أيسرهما على أعسرهما⁽⁴⁾.

وأما قوله "صلى الله تعالى عليه وسلم" (بشروا ولا تنفروا) فالتنفير أن تتحدث للناس عن العزائم دون الرخص، فالحق هو الشرع المشروع، إذ إن المغالاة فيه كالتقصير عنه⁽⁵⁾.

وجمع الحديث الشريف هذه الالفاظ ((يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا)) ذاكرة الشيء وضده، لأنه لو اقتصر على (يسروا) لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر في كثير من الحالات، فلذلك قال (ولا تعسروا) للدلالة على انتفاء التعسير من كل الوجوه، وكذلك الحال في (بشروا ولا تنفروا)⁽⁶⁾.

وفي الحديث الشريف أمر بالتبشير بفضل الله تعالى وعظيم ثوابه وعطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير، لكي يتلطف التائب ويدرج في أنواع الطاعة قليلا قليلا، فمتى ما يسر على المرید للطاعة سهلت عليه وإلا عسرت عليه وقد يوشك على أن لا يدخل فيها، وإن دخل فقد لا يداوم عليها⁽⁷⁾.

فطرح أي شيء يجب أن يكون في ابتدائه سهلا ليحبب إلى من يدخل إليه ويتلقاه بانيساط امتثالا للنص الشريف⁽⁸⁾.

وهذا الحديث الشريف من جوامع الكلم، لأنه يشتمل على خيري الدنيا والآخرة، فالدنيا دار الاعمال، والآخرة دار الجزاء، فسيدنا النبي "صلى الله تعالى عليه وسلم" أمر فيما يتعلق بالدنيا بالتسهيل، وما يتعلق بالآخرة بالوعد بالخير والاخبار بالسرور، لكونه عليه الصلاة

(1) ينظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى 31/26.

(2) ينظر: موسوعة الدفاع عن رسول الله "صلى الله تعالى عليه وسلم" 424/4.

(3) صحيح البخاري 25/1.

(4) ينظر: الافصاح عن معاني الصحاح 230/5.

(5) ينظر: الافصاح عن معاني الصحاح 231/5-232.

(6) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح 336/3.

(7) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح 336/3.

(8) ينظر: النكت على صحيح البخاري 114/2.

والسلام رحمة للعالمين في الدارين⁽¹⁾، وما خير عليه الصلاة والسلام بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً⁽²⁾ .

فيجب على كل فرد في المجتمع أن يعمل بهذا الحديث الشريف ويمتثل له، بل ويدرك مدلولاته، لكي يعم السلم وينبذ الفكر المتطرف، وينشر السلم بين أبناء المجتمع، بل وبين المجتمعات بأجمعها .

ثالثاً: قال الحبيب "صلى الله تعالى عليه وسلم" : ((مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا))⁽³⁾ .

يشير الحديث الشريف الى النهي عن قول أحدنا لأخيه (يا كافر) فمن قالها فقد لحق بهذه الكلمة إحداها، فإن كان الذي قيل له (يا كافر) كما قيل فهو كافر، وإن لم يكن كذلك خيف على القائل أن يصير كافراً بقوله لأخيه المسلم يا كافر⁽⁴⁾ ، فليحذر المسلم أن يتفوه بهذه الكلمة أو العبارة ليجنب نفسه والمجتمع من الأذية التي تلحق به وتؤثر على مجتمعه .

نعم .. تؤثر على مجتمعه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فقول أم سلمة "رضي الله تعالى عنها" لسيدنا النبي "صلى الله تعالى عليه وسلم" (انهلك وفيينا الصالحون؟ فقال "صلى الله تعالى عليه وسلم" نعم إذا كثرت الخبيث)، وهذا من دلالاته ان العصاة في المجتمع يؤثرون فيه، وإن الصالحين قد يهلكوا بهلاك أهل المعاصي المجاهرين بها، إلا أن هلاكهم يكون شهادة لهم لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر⁽⁵⁾ .

فقول المسلم لأخيه المسلم (يا كافر) فقد بوزن الكلمة إثماً وبهتاناً عظيماً⁽⁶⁾ ، فلا ينبغي له أن يقولها تجاه أخيه المسلم .

وقيل لسيدنا جابر بن عبد الله "رضي الله تعالى عنه" هل كنتم تسمون شيئاً من الذنوب كفراً أو شركاً أو نفاقاً، فقال "رضي الله تعالى عنه" معاذ الله ولكننا كنا نقول مؤمنين مذنبين⁽⁷⁾، وهذا يدل على منع التلفظ بهذه الالفاظ بين المسلمين .

فمن رمى هذه الكلمة – يا كافر- على أحد فهي كرمي الحجارة، فإن كان المقول له محلاً لها تلتزق به، وإن كان غير ذلك فترجع الى قائلها⁽⁸⁾ .

إذن الحديث الشريف دلالاته جلية في النهي عن التفوه بهذه الكلمة ويجب تجنبها، لنجنب المجتمع من هذه الأفكار والأقوال التي تؤدي بصاحبها الى الإثم في وقت يجب فيه على كل فرد أن ينثر روح التسامح والاعتدال في الأمور جميعها، وعدم التطرف والمغالاة في أمور تشكل سلباً على المجتمع، وبذلك يعم السلام والأمان من الأفكار المتطرفة ونحوها .

(1) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري 47/2 .

(2) ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم 174/9 .

(3) مسند الإمام أحمد 112/2 .

(4) ينظر: تفسير الموطأ للقاتاني 778/2 .

(5) ينظر: تفسير الموطأ للقاتاني 779/2 .

(6) ينظر: الاستبصار 549/8 .

(7) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني 21/17 .

(8) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري 152/6 .

الخاتمة

لله الحمد والمنة وله الفضل في كل شيء، وصلاة وسلام على من اصطفاه خير للأمة سيدنا وسندنا الحبيب المصطفى "صلى الله تعالى عليه وسلم".
وبعد

فبد رحلة مباركة مع دور القرآن الكريم والسنة النبوية في محاربة التطرف وتحقيق السلم المجتمعي ونشر المحبة والتكاتف، أن للرحلة أن تحط رحالها، فقد أينعت ثمارها لتؤتي أكلها بخلاصة نوجزها على النحو الآتي:

- 1- إن مصطلح (التطرف) مصطلح حديث، إلا أن مرادفه قديما هو (الغلو) الذي يأتي بمعنى (التطرف) في العصر الحديث .
 - 2- للتطرف أنواع عديدة منها الفكري والسياسي والديني والاجتماعي .
 - 3- كل نوع من أنواع التطرف يشكل خطرا على المجتمع بأسره، ويجب نبذه ومحاربته بطرق شرعية سليمة .
 - 4- كل أنواع التطرف التي أشرنا إليها في بحثنا تؤدي الى الخروج عن منهج الوسطية والاعتدال .
 - 5- الوسطية والاعتدال منهج أساسي يجب على كل فرد من أفراد المجتمع أن يتصف به .
 - 6- المتأمل في نصوص التنزيل الكريم يجد العلاج الناجع لظاهرة التطرف، فضلا عن المتأمل في نصوص السنة النبوية الشريفة .
 - 7- التطرف ظاهرة سلبية في المجتمعات، وعلاجها أن يتصف المجتمع بمنهج قويم مبني على كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى "صلى الله تعالى عليه وسلم" .
 - 8- يجب الاحتكام الى أهل العلم والمعرفة والبصيرة والحكمة فهم الذين عندهم مدلولات للنصوص بصورة تغني عن الجدل .
- والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا
وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

— القرآن الكريم

- احكام القرآن للجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان، ط1، 1415 هـ/1994م .
- الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1414 هـ - 1994م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي — بيروت، (د.ط)، (د.ت) .

- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: سالم محمد عطاء، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421 – 2000 م .
- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين (ت: 560هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، 1417هـ .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي (ت: 685 هـ)، دار الفكر – بيروت، (د.ط)، (د.ت) .
- بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373 هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت، (د.ط)، (د.ت) .
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1984هـ .
- التفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ) ، تحقيق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة ، ط1، 1430هـ .
- تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت: 283هـ)
- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: 399هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر- القاهرة، ط1، 1423هـ - 2002 م .
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ط) ، (د.ت) .
- تفسير الماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت : 333هـ) ، تحقيق : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ، ط1، 1426 هـ - 2005 م .
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م .
- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- تفسير الموطأ، عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري، أبو المطرف القنّازي (ت: 413 هـ)، حققه وقدم له وخرج نصوصه: أ.د. عامر حسن صبري، دار النوادر - بتمويل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1429 هـ - 2008 م .
- تفسير مجاهد ، أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت : 104هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ، ط1 ، 1410 هـ - 1989 م .
- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1425 هـ - 2004 م .

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1387 هـ.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق - سوريا، ط1، 1429هـ - 2008م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط3، 1408هـ - 1988م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، الامام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256 هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام - الرياض، ط1، 1419هـ.
- جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 - 1423هـ.
- حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة بن علي التميمي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م.
- الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م (د. ط).
- دَرْجُ الدُّرَرِ في تَفْسِيرِ الآيِ والسُّورِ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط1، 1429 هـ - 2008م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي (د. ت).
- شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَوِي، دار المعراج الدولية للنشر، ط1.
- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط.)، (د.ت).
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط1، دار الشروق 1423 هـ - 2002 م.
- فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (ت: 1353هـ)، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط1، 1356هـ.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427 هـ)، المحقق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ.
- لا تحزن، عائض بن عبد الله القرني، مكتبة العبيكان، (د.ط.)، (د.ت).
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3، (د.ت).
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 - 1418هـ.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، قدم له: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405 هـ)، دار التأصيل، ط1، 1435هـ - 2014م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001م.

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
- موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، علي بن نايف الشحود، (د.ط) (د.ت).
- النكت على صحيح البخاري، أبو الفضل ابن حجر العسقلاني، المحقق: أبو الوليد هشام بن علي السعيدني، أبو تميم نادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 1426 هـ - 2005 م.
- النكت والعيون، أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، (د.ت).
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

التطرف الفكري وعلاقته بالتحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي

م. منتهى صبار عباس

Basicpsyc_14tc@uodiyala.edu.iq

م. عباس هاشم محمد جاسم

abbas07902837110@gmail.com

كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى

الكلمات المفتاحية : التطرف الفكري , التحكم الذاتي , طلبة الارشاد النفسي

ملخص البحث

رغم التطور العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم ومحاولات الانسان الفعلية للسيطرة على الابعاد المادية من استغلال الموارد البيئية وثرواتها لخدمته ، الا انه يبقى البعد الانساني المحور الاساسي في الوجود الانساني ، فالإنسان هو الذي يصنع التقدم وهو اساس الحضارة ، وهو الذي اخذ على عاتقه مسؤولية سيطرته على نفسه ومعتقداته وافكاره . وفرض ارادته عليها والتحكم في سلوكياته ، والتطرف الفكري يعد من المشكلات الانسانية المهمة التي يواجهها افراد مجتمعنا بكل ألوانه واطيافه واديانه ، وهو ظاهرة ليست وليدة اليوم او الامس وانما تمتد بجذورها الى زمن بعيد في تاريخ الانسانية ، فهي متكررة في مختلف العصور ، وقد اخذت اشكالا متعددة واساليب متنوعة وكان لها تداعيات غير محمودة ، استدعت في كل عصر وقفة جادة تجاهها ، ومن هنا وقع اختيار الباحثان على متغيرات بحثهما (التطرف الفكري ، والتحكم الذاتي) وتتجلى مشكلة البحث الرئيسية في محاولة الكشف عن العلاقة بين هذه المتغيرات وكذلك التعرف على طبيعة العلاقة من خلال اهداف البحث الحالي التي تتحدد بما يأتي :

1. التعرف على مستوى التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي.
 2. التعرف على الفروق الاحصائية في التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور، اناث).
 3. التعرف على مستوى التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي .
 4. التعرف على الفروق الاحصائية في التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور، اناث).
 5. ايجاد العلاقة بين التطرف الفكري والتحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي.
- ولتحقيق اهداف البحث قام الباحثان بتبني اداتين لغرض قياس (التطرف الفكري ، التحكم الذاتي) حيث بلغ عدد فقرات مقياس التطرف الفكري (23) والتحكم الذاتي (40) ، وبعد ان تحقق الباحثان من الخصائص السايكومترية للمقاييس من خلال استخراج الصدق والثبات ، قام الباحثان بتطبيق المقاييس على عينة عشوائية من المجتمع الأصلي ، طلبة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي ، بلغت (200) طالب وطالبة ، وفقاً لمتغير النوع (ذكور ،

انات (, وبعد جمع البيانات ومعالجتها احصائياً باستعمال الاختبار التائي لعينة واحدة ولعينتين مستقلتين , ومعامل ارتباط بيرسون , توصل الباحثان الى ما يأتي :

1. ان عينة البحث لديها التطرف الفكري بنسبة متوسطة .
 2. وجود فروق ذات دلالة احصائية في مقياس التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور , اناث) ولصالح الذكور .
 3. افراد عينة البحث بشكل عام تمتلك التحكم الذاتي .
 4. وجود فروق ذات دلالة احصائية في مقياس التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور , اناث) ولصالح الاناث .
 5. وجود علاقة ارتباطية عكسية , ودالة احصائياً بين متغير التطرف الفكري ومتغير التحكم الذاتي .
- واستكمالاً للجوانب ذات العلاقة بالبحث فقد خرج الباحثان بعدد من التوصيات والمقترحات .

Ideological extremism and its relationship to self-control among psychological counseling students

Muntaha Sabar Abbas

basicpsyc_14tc@uodiyala.edu.iq

Abbas Hashem Mohammed Jassim

abbas07902837110@gmail.com

College of Basic Education / University of Diyala

Keywords: : Ideological extremism, self-control, counseling students

Abstract

Despite the scientific and technological development that the world is witnessing and the actual human attempts to control the material dimensions of exploiting environmental resources and wealth to serve him, the human dimension remains the main axis of human existence, Man is the one who makes progress and is the foundation of civilization. He is the one who has taken upon himself the responsibility of controlling himself, his beliefs and thoughts, imposing his will on them and controlling his behavior, Ideological extremism is one of the important human problems that the individuals of our society face, regardless of its colors, spectrums and religions, It is a phenomenon that did not arise today or yesterday, but rather its roots extend back a long time in the history of humanity. It has been repeated in different eras, and it has taken various forms and

diverse methods, and it has had undesirable repercussions, which in every era have called for a serious stand towards it, Hence, the researchers chose the variables of their research (Ideological extremism and self-control). The main problem of the research is evident in the attempt to reveal the relationship between these variables as well as to identify the nature of the relationship through the objectives of the current research, which are determined by the following:

1. To identify the level of Ideological extremism among counseling students.
2. To identify statistical differences in Ideological extremism among counseling students according to gender (male, female)
3. To identify the level of self-control among counseling students.
4. To identify statistical differences in self-control among counseling students according to gender (male, female)
5. To find the relationship between Ideological extremism and self-control among counseling students.

To achieve the research objectives, the researchers adopted two tools for the purpose of measuring (Ideological extremism, self-control), where the number of items in the Ideological extremism scale was (23) and self-control (40). After the researchers verified the psychometric properties of the scales by extracting validity and reliability, the researchers applied the scales to a random sample of the original community, students of psychological counseling and educational guidance, It reached (200) male and female students, according to the gender variable (males, females), and after collecting the data and processing it statistically using the t-test for one sample and two independent samples, and Pearson's correlation coefficient, the researchers reached the following:

1. The research sample has a moderate degree of Ideological extremism.
2. There are statistically significant differences in the Ideological extremism scale among counseling students based on gender (male, female), with males in favor of the sample.
3. The research sample generally possesses self-control.

4. There were statistically significant differences in the self-control scale among counseling students based on gender (male, female), in favor of females.

5. There was a statistically significant inverse correlation between the ideological extremism variable and the self-control variable.

To further explore the relevant aspects of the research, the researchers developed a number of recommendations and proposals.

المبحث الاول

مشكلة البحث

تعد مشكلة التطرف من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمعات في مختلف بلدان العالم، سواء كانت هذه البلدان تعتنق الديانة الاسلامية أو المسيحية أو أي ديانة أخرى، وينعكس هذا على النسيج الاجتماعي للمجتمع، ويؤثر بشكل قوي وسلب على العلاقات الانسانية والاجتماعية والسلوكية بين فئات وطوائف المجتمع الواحد والمجتمعات المتعددة. (الطنطاوي وآخرون , 2016: 2)

والتطرف الفكري أحد مظاهر أزمت الإنسان المعاصر، وذلك لما يترتب عليه من دمار وخراب، وما ينجم عنه من إفساد وتخريب للعقول، وإزهاق وقتل للأبرياء، وهو يتقدم المشكلات العالمية في هذه الأيام ، سواء من حيث شيوعه أو من حيث تزايد من يستنكرونه ويشجبونه، وقد استغل البعض مفهومه الفضايف لتحقيق أهداف وأغراض ومآرب، بدعوى محاربه والقضاء عليه. (السعيدين، 2005: ١٧)

وأشار (Aljahani,2007) الى التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الامن الفكري في المجتمع العربي والاسلامي، والعوامل التي تؤثر في انتشار التطرف الفكري والتي تظهر في الاحساس بالظلم والقهر مع التبني الكامل للفتاوى والاحاديث الضعيفة، يعتبر ذلك خطراً يهدد الشباب الجامعي الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 الى 25 عاماً، وهي المرحلة التي تتبلور فيها شخصية الفرد حتى يصبح عضواً فاعلاً في وطنه ومجتمعه. (الزهراني، 2023: 100) وأكدت دراسة (محمد، 2015) التي اجريت على الشباب الجامعي المصري ان نسبة التطرف الفكري مرتفع، وذكر عسليبة ابو سخيلة (2016) في دراسته عن التطرف الفكري وعلاقته بضعف الانتماء لدى الشباب الجامعي بمحافظة غزة ان نسبة التطرف كانت متوسط ووجود فروق دالة احصائياً في التطرف تبعاً للنوع ولصالح الذكور، (المفرجي، 2021: 307) وظهرت نتائج دراسة (المنصوري، 2024) التي اجراها على طلبة جامعة البصرة والجامعة المستنصرية ان طلبة الارشاد النفسي يتصفون بالتطرف الفكري ووجود فروق دالة احصائياً على متغير الجنس ولصالح الذكور .

ويعد التحكم الذاتي ركناً أساسياً من اركان الشخصية اذ ان وظيفته الاساسية هي السعي لتكامل الشخصية واتساقها , حتى يصبح الفرد متوافقاً مع بيئته التي يتفاعل معها وليكون له هويته المتميزة , وقد عكف علماء الانسان ومنذ القدم على دراسة التحكم الذاتي والاجتماعي في المجتمعات الانسانية التقليدية والمتقدمة , وقد لاحظوا ان التحكم الاول يعتمد بدرجة كبيرة على مبدأ الضبط الذاتي للنفس وما يبرر ذلك عمق تغلغل القيم والمعايير الاجتماعية

في شخصية الافراد فضلاً عن الانسجام الكبير بين هذه القيم والاعراف والتقاليد من جهة والواقع الاجتماعي من جهة اخرى , وان العوامل التي تؤثر بالتحكم الذاتي كثير ومتشعبة فهو يتأثر بالبيئة وبالأفراد المقربين وبالاحتياجات والامن والحب واحترام الذات وتحقيق الذات ويتأثر بالمعتقدات والقيم والاتجاهات والاخلاقيات وهذه عرضة للتغيير وعليه يمكن تغيير التحكم الذاتي عند الفرد وخاصة في المراحل العمرية المبكرة من خلال التدخلات العلمية والموضوعية (الجابري, 1997: 53)

وفي ضوء ما تم استعراضه يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التعرف على التطرف الفكري وعلاقته بالتحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي , من خلال الاجابة على الاسئلة التالية :

1. ما مستوى التطرف الفكري لدى عينة البحث؟
2. هل توجد فروق بين متوسطات درجات عينة البحث في التطرف الفكري تبعاً لمتغير النوع (ذكور , اناث)؟
3. ما مستوى التحكم الذاتي لدى عينة البحث؟
4. هل توجد فروق بين متوسطات درجات عينة البحث في التحكم الذاتي تبعاً لمتغير النوع (ذكور , اناث)؟
5. هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين التطرف الفكري والتحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي؟ .

اهمية البحث

التطرف الفكري يعتبر قضية مثيرة للجدل ومحط اهتمام العديد من الفئات الفكرية والتربوية والثقافية والدينية والسياسية , كما أوضحت العديد من الدراسات الاجتماعية والتربوية أن ضعف التنشئة الفكرية المبنية على الوعي والمعرفة يعد أحد اسباب التطرف الفكري لدى بعض الافراد. (الرواشدة ، 2015 : 86-87) و الشباب الجامعي الذين هم مستقبل الأمة الواعد، وقادة الغد، ورجال الوطن الذين على أيديهم تتحقق أهدافه وطموحاته في عالم متطور تسوده تحولات وتحديات سريعة ومتباينة، يعتمد ذلك على ما يوجه للشباب من برامج وأفكار وتعاليم تنمي معارفهم وقدراتهم، . (الجندي، ٢٠٠٣ م: 345)

وفي نفس السياق أكد (الزهراني , ٢٠١٣) أنه لا توجد ظاهرة تستحق أن تستقطب اهتمام الباحثين اليوم مثل ظاهرة التطرف الفكري؛ ذلك أنها ظاهرة ترتبط بحياة المجتمع وكيانه، كما ترتبط بتحديد مكانة المجتمع بين المجتمعات الأخرى، كما أكدت توصيات دراسة العمري (٢٠١٤) ضرورة إدراج مادة (الثقافة الامنية) ضمن المقررات الدراسية في مناهج المدارس والجامعات بحيث تشتمل على القيم الثقافية الأمنية ،ومن أهمها (ثقافة الحوار - ثقافة التسامح مع الآخر - ثقافة الوسطية والاعتدال في الدين - ثقافة حقوق الإنسان - ثقافة الانتماء الوطني - ثقافة الأنظمة والقوانين - ثقافة الحب والسلام والإخاء.(بدوى , 2019 : 174)

ويعد متغير التحكم الذاتي (self-control) الذي يتناوله البحث الحالي من متغيرات الشخصية المهمة الذي يسهم في تحويل الانسان من كائن سلبي تتحكم فيه النزاعات الداخلية والتنبيهات الخارجية الى كائن ايجابي فاعل يسيطر على الكثير من اندفاعاته السلوكية

والفكرية والانفعالية، مما يحقق المزيد من التكيف النفسي والاجتماعي ، وبذل مساع حقيقية للسيطرة على ذاته لتعديل عاداته ، والتحكم بنزعاته وعلى الرغم من أهمية التحكم الذاتي في تكوين الشخصية ، إلا أن موضوع التحكم الذاتي لم ينل قدرأ من الاهتمام والبحث في مجال الدراسات التربوية والنفسية بقدر ما نالته جوانب اخرى ، وهذا يدعو الى المزيد من الدراسات فيه ، حيث يعتبر أحد المعالم الأساسية للتوافق النفسي الناجح من خلال احساس الفرد بأن لديه القدرة على التحكم بسلوكه وأفكاره ومشاعره ويصبح أكثر قدرة على التعامل مع ضغط الحياة وتشير نظرية فاعلية الذات الى أن المتغيرات النفسية والسلوكية يمكن تفسيرها بالشكل الافضل عن طريق دراسة اعتقاداتنا وتوقعاتنا بشأن قابليتها على تحقيق غايات معينة والتعامل بشكل فعال مع العقبات التي تقف في طريقنا نحو تحقيق تلك الغايات والتغلب على المشكلات التي تعترض حياتنا (الألوسي، 2001: 15)

وتكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها تتناول العلاقة بين التطرف الفكري والتحكم الذاتي لما لهذين المتغيرين من أهمية بالغة للطالب الجامعي وحياته الاجتماعية والأكاديمية ، كما أنه يمكن الاستفادة من نتائجها في فتح مجال جديد للدراسات في هذه المتغيرات ، وبالتالي استفادة المؤسسات التعليمية والتربوية من توافر المعلومات التي تساعد في بناء و تصميم البرامج الإرشادية والتربوية لمساعدة الطلبة و توجيههم إلى التفكير المتوازن واستخدام الاستراتيجيات التي تساعد في التحكم بانفعالاتهم ، مما يقلل احتمالات تورطهم في التطرف .

اهداف البحث :

1. التعرف على مستوى التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي.
2. التعرف على الفروق الاحصائية في التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور، اناث).
3. التعرف على مستوى التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي .
4. التعرف على الفروق الاحصائية في التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور، اناث).
5. ايجاد العلاقة بين التطرف الفكري والتحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي.

حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بطلبة جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية / قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي/ للعام الدراسي (2024 – 2025).

تحديد المصطلحات :

اولاً: التطرف الفكري (Intellectual Extremism) عرفه كل من :

1. لارسون (Larsson, 2005) :- " بأنه استجابة في الشخصية تعبر عن الرفض و الاستياء تجاه ما هو قائم في المجتمع إذ تعكس مجموعة من الخصائص المميزة للشخصية المتطرفة إلى نهج مجموعة من الاساليب المتطرفة كالتعصب ، والتصلب ، والجمود الفكري" (Larsson, 2005: P.9)

2. الزهراني (Al-Zahrani,2013) :- "هو حالة من التعصب في الرأي والخروج عن حد الاعتدال في التمسك بتعاليم الدين ، و المغالاة في تنفيذ أوامر الله ونواهيه ، وجمود الشخص عن فكرة فلا يعترف بأراء الآخرين و يتهمهم بالكفر ، ويتبع معهم أساليب العنف و الإرهاب بحجة الجهاد في سبيل الله ". (Al-Zahrani,2013: 780)

3. زيدان :- "ميولاً متضخماً نحو رؤية ما، ينطوي بالضرورة على نظرة دونية للرأي الآخر ونحن هنا بصدد حالة وجدانية تصاحبها نظرة غير ودية للآخر، وقد تتضمن سلوكاً عدوانياً، بالقول أو الفعل تجاه الآخر". (Mc Carthy;2016:16)

التعريف الإجرائي للتطرف الفكري :هو" الدرجة الكلية التي يحصل عليها كل فرد من أفراد عينة البحث على مقياس التطرف الفكري " .

ثانياً : التحكم الذاتي (Self-control) عرفه كل من :

1. روجرز :-"هو قدرة الفرد على التحكم شعورياً وعقلانياً في ذاته وأن يتحول من الأساليب غير المرغوبة في التفكير والسلوك إلى أساليب مرغوبة "(روجرز,1986: 16)
2. مصطفى(1998) :-" هو عملية السيطرة على الاستجابة السلوكية والمعرفية والانفعالية في مواقف مختلفة ومتباينة ينجم عنها تعزيز ايجابي للذات " (مصطفى ،1998: 34)
3. حمدي : "إدراك الفرد لقدراته على ضبط البيئة من حوله والتأثير فيها مما يزيد من دافعيته للتحسن وهو أيضاً أسلوب يعمل فيه الفرد على أحداث تغيير في سلوكه عن طريق أحداث تعديلات في العوامل الداخلية أو الخارجية المؤثرة على هذه السلوك" (حمدي,1992,ص11)

اما التعريف الاجرائي فهو :-" الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب (الطالب الجامعي) على فقرات مقياس التحكم الذاتي المتبنى في هذا البحث" .

ثالثاً: : **طلبة الإرشاد النفسي** "هم الطلبة المنتظمون بالدوام في اقسام الارشاد النفسي لمدة أربع سنوات ، يتخرجون بعدها مرشدين تربويين في المدارس المتوسطة والإعدادية ، حيث يعمل قسم الإرشاد النفسي على اعدادهم وتأهيلهم بالخبرة النظرية و العملية ، للعمل على ملاك وزارة التربية ، وتطوير معارفهم و مهاراتهم بما يمكنهم في أن يصبحوا مطلعين معرفيا و ممارسين مهنيا و ملتزمين أخلاقيا و قادرين على إحداث التغيير الإيجابي في المجتمع ". (النجيماوي ، 2015 : 19)

المبحث الثاني

اطار نظري ودراسات سابقة

اولاً: مفهوم التطرف الفكري The concept of intellectual extremism :

ظاهرة التطرف كما يرها الاتجاه السيكولوجي تقوم على افتراض وجود نوع من الاحباط، والشعور بالضياع، ووجود فراغ أخلاقي لدى الشباب الذي يفتقر إلى الاحساس بأن لوجوده رسالة أخلاقية، وبالتالي الاحساس بتفاهة الحياة، وكذلك الاحساس بضعفهم وقلة حيلتهم، وهذا الفراغ الروحي والأخلاقي والفكري في حياة الشباب يعوض بتبني أهداف اجتماعية أخرى.(الطنطاوي,2016: 7)

وأوضح (علي غازي , 2015) أن التطرف الفكري يرجع إلى عوامل داخلية متمثلة في الجراءة على الفتوى، والفقر الجهل، والتقاليد والممارسات الدخيلة على المجتمع، وانتشار

الفساد الإداري وغياب العدالة، وانتشار البطالة، وانتشار الإشاعات والأخبار المغلوطة، وتدني الخدمات وأيضاً يرجع التطرف إلى عوامل خارجية متمثلة في ثورة المعلومات والاتصالات، الإعلام الغربي، والجماعات الجهادية. (السيد، 2016: 210)

أسباب التطرف: تعددت العوامل التي تؤدي إلى ظهور التطرف، وقد تنوعت هذه العوامل ما بين عوامل دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، وقد تكون هذه العوامل مجتمعة أو متفرقة أحد الأسباب لظهور الغلو والتطرف، ويمكن بيان أهم أسباب ظهور التطرف وهي:

1. السبب الديني: يعد السبب الديني من أخطر أسباب الغلو والتطرف، حيث إنه يرتبط بقضية العقيدة والإيمان والكفر، وللغلو الديني عدة أسباب، أهمها: (الجهل بأحكام الشريعة، الظلم الواقع على المسلمين ومقدساتهم، العداوة لكل جديد أي النظر إلى التقدم الحضاري نظرة العداوة، فهي من وجهة نظرهم ليست إلا فساداً في الأخلاق، تقصير العلماء والدعاة في أداء واجباتهم، فقد كان لتقصير العلماء والدعاة والوعاظ دور كبير في ظهور المتطرفين الذين استغلوا خلو الساحة أمامهم في بث سمومهم وأفكارهم في أبناء المجتمعات المسلمة، أضف إلى ذلك الفراغ الديني والفكري الذي اجتاحت أبناء المسلمين فأعطى ذلك فرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بأفكارهم المنحرفة التي يروجون لها، (الهواري، 2004: 26).

2. السبب الاقتصادي: حيث يعد الأداة المحركة للتطرف في العالم كله، فالأزمات الاقتصادية وزيادة الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة، وزيادة نفوذ رجال المال والتجار مقابل دور السياسيين في قيادة دفة الحكم في العالم مع غياب الأخلاق التي تحكم المجتمعات، بالإضافة إلى انتشار الفقر والبطالة في المجتمعات، وقد رافق ذلك عدم العدالة في توزيع الثروات، وارتفاع تكاليف الحياة، فأصبح الشاب غير قادر على تحمل تكاليف الزواج، وقد نتج عن ذلك إلى شيوع الأمراض النفسية بين الشباب، فكان ذلك سبباً في تأجيج مشاعر الكراهية والحقد ضد الدولة والنظام فزاد من مشكلة الغلو في المجتمعات الفقيرة. (الظاهري، 2002: 59 - 60).

3. السبب الاجتماعي: لقد تعددت الأسباب الاجتماعية التي أدت إلى ظهور الغلو والتطرف في مختلف البلدان، ويمكن إيجاز أهم الأسباب الاجتماعية منها (الانحلال الأخلاقي في المجتمعات والمدعوم قانونياً تحت غطاء الحرية هو أحد أسباب حصول التطرف والغلو في المجتمعات، التفكك الأسري والتنشئة الاجتماعية فقد أصبحت الأسرة في المجتمعات الإسلامية تعاني بشكل كبير من التهديد بالانهيار، فمع ازدياد حالات الطلاق والعزوف عن الزواج وارتفاع العنوسة، إضافة إلى قسوة معاملة الأبناء واحتوائهم مما أدى إلى توجه بعض أبناء المجتمع للتطرف لفقدانهم الرعاية الأسرية، العلاقات الاجتماعية السليمة حيث لها دور كبير في تحصين الإنسان لنفسه من الانحراف والانقياد للأفكار الهدامة والمبادئ المنحرفة، غياب الدور الإيجابي الفاعل لوسائل الإعلام، حيث أنّ لوسائل الإعلام المختلفة دوراً لا يُستهان به في تغذية فكر الغلو والتطرف، ففي أغلب الأحيان تنتهج منهج التطرف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية، أو زرع الفتن واثارتها من خلال بعض البرامج أو الأفكار. (طرزاعه، 2021: 11)

الخصائص النفسية والاجتماعية للمتطرفين :

1. اضطراب عام في الشخصية يتمثل في عدم ثقته في جميع من حوله وتفسيره لدوافعهم وسلوكياتهم بطريقة سلبية .
2. تضخيم الذات وممارسة جنون العظمة وان الجميع يتصف بالدونية .
3. اضطراب عام في المزاج واختلال ملحوظ في أنشطته العادية اليومية سواء كانت مهنية او دراسية او اجتماعية واسرية .
4. الخروج على المعايير الاجتماعية والاستهانة بالنظام والقيم السائدة في المجتمع , عدم تحمل المسؤولية نحو نفسه واتجاه الآخرين , مما يتسبب في إيذاء نفسه والآخرين مع ايجاد تبريرات لسلوكياته .
5. الجمود الفكري وعدم المرونة في تغيير او تعديل معتقداته التي يعتنقها .(عمر, 2007, 127-130)

النظريات التي فسرت التطرف الفكري:

1. النظرية البنائية الوظيفية : Constructivist functional theory

تستند النظرية البنائية الوظيفية الى مفهومي البناء Structure والوظيفة Function في تفكيكها لبنية المجتمع والوظائف التي يقوم بها، وفي تحليلها للظواهر الاجتماعية وترابط الوظائف المتولدة عن ذلك، حيث يشير المفهوم الأول الى الجزء أو العنصر الذي يتكون منه أي نظام أو وحدة أو بناء اجتماعي ، أما الوظيفية فيشير بها الى الدور والإسهام الذي يقدمه كل جزء ضمن البناء الكلي، وتعد البنائية الوظيفية من أكثر اتجاهات الفكر الاجتماعي واقعية لارتباطها بالتحليل المنهجي المنظم للوقائع الاجتماعية والأوضاع القائمة والوظائف التي يؤديها النسق الاجتماعي علي مختلف مستوياته. (سليمان ، 1993 : 25) حيث تنتظر النظرية البنائية الوظيفية للظواهر الاجتماعية كالتطرف والانحراف والإرهاب على أن لها دلالة داخل السياق الاجتماعي، فهي إما أن تكون نتاجاً لفقدان الارتباط بالجماعات الاجتماعية، التي تنظم السلوك وتوجهه، أو أنها نتيجة حالة اللامعيارية التي تظهر عند بعض الفئات بالمجتمع، وفقدان التوجيه والضبط الاجتماعيين في المجتمع. (الشراري، 2007: 186) ففي ظل الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع يتزايد أعداد الأفراد الذين يعانون من اللامعيارية (حالة التفكك)، وهي حالة التفكك من سلطة القيم والمعايير والأعراف الاجتماعية التي ضعفت نتيجة لتغييرات مفاجئة غير مدروسة، وهذا يعني أن مجتمعاتنا في حالة أزمة أخلاقية، وتسودها حالة من التفكك والتطرف يعد أحد مظاهره .(الحربي, 2011, 33)

2. نظرية التعلم الاجتماعي

يعرف أصحاب هذه النظرية سلوك التطرف الفكري بأنه سلوك متعلم على الأغلب ، ويعزون ذلك إلى أن الفرد يتعلم الكثير من أنماطه السلوكية عن طريق مشاهدتها عند غيره ، حيث يتعلمون سلوك التطرف عن طريق ملاحظة نماذج عند والديهم ومدرسيهم وأصدقائهم ومن ثم يقومون بتقليدها، فإذا عوقب الفرد على السلوك المقلد فانه لا يميل في المرات القادمة لتقليده، أما إذا كوفئ عليه فيزداد عدد مرات التقليد لهذا التطرف , ويعد ألبرت باندورا واضع أسس نظرية التعلم الاجتماعي أو ما يعرف أيضا بالتعلم من خلال الملاحظة من أشهر الباحثين الذين أوضحوا تجريبياً الأثر البالغ لمشاهدة النماذج على مستوى السلوك لدى

الملاحظ , وهو يميز بين اكتساب الفرد للسلوك وتأديته له، فإكتساب الشخص للسلوك لا يعني بالضرورة أنه سيؤديه ، إذ أن تأديته لسلوك النموذج تتوقف بشكل مباشر على توقعاته من نتائج التقليد، فإذا توقع أن تقليده لسلوك النموذج سيعود عليه بنتائج سلبية أي سيعاقب على سلوكه فإن احتمالات تقليده له ستقل ، أما إذا توقع الملاحظ أن تقليده لسلوك النموذج ستعود عليه بنتائج ايجابية فإن احتمالات تقليده لذلك السلوك تصبح أكبر. (Pateraki,2017:19)

ثانياً: مفهوم التحكم الذاتي

يشير التحكم الذاتي إلى إصدار المتعلم حكماً على مدى صحة استجاباته بعد فحصها بدقة ، وهذا يتطلب الملاحظة الدقيقة الواعية من المتعلم لمراجعة مستوى التحسن وتتبع مصادر الخطأ في أداء المهام ومحاولة التغلب عليها . (عبدالفتاح ، 2005، ص267) ويتميز الافراد الذين يمتلكون تحكم ذاتي مرتفع بأنهم أكثر نشاطاً من الآخرين لأنهم يحلون المهمات ويحددون أهدافاً مناسبة ويضعون الاستراتيجيات المناسبة لتحقيق تلك الأهداف ، وأكثر من ذلك فإنهم يوظفون دافعيته وإرادتهم بنجاح في ضبط سلوكهم ليتمكنوا من الاستمرار في التعامل مع المهمة رغم ما قد يواجههم من عقبات وصعوبات ، لذا تعد الإدارة الذاتية للنشاطات المختلفة والتحكم في التعامل مع العوامل الدافعية والانفعالية من أكثر المكونات أهمية في التحكم الذاتي. (Butler,1996,p:2)

أهم المكونات السلوكية للتحكم الذاتي :

1 . الوعي بالذات : - يوصف هذا المكون بأنه الانتباه الواعي والدقيق للسلوك الذاتي للفرد، (الشناوي ، 1996 : ص 427) وكذلك هي عملية تتطلب من الفرد ملاحظة سلوكه الخاص والمواقف الذي يظهر بها هذا السلوك والأسباب التي تؤدي إلى ظهوره ، كذلك تستلزم منه ملاحظة نتائج سلوكه والآثار المترتبة عليها ، أي يمكن فهم عملية الوعي بالذات بشكل أفضل على أنها عملية تجميع منطقي للمعلومات عن العوامل التي تؤثر في تصرفات الفرد وسلوكه ، وعلى وفق ما تنص عليه التحليلات النظرية الموضوعية بشأن الوعي بالذات (مراقبة الذات) يختلف الأشخاص فيما بينهم بشأن المدى الذي إليه أو عنده يتمكن الفرد من ملاحظة سلوكه والتحكم به، (عبد الرحمن ، 1998 : ص 655) كذلك انه من المتوقع إن تكون الدرجة العالية من الوعي بالذات عند الأفراد مرتبطة بقدرتهم على تنظيم ذواتهم والتحكم بها من أجل التصرف المرغوب به ، وأن عملية مراقبة الذات قد تدخل ضمن مكونات التحكم الذاتي. (Snyder,1986:p125)

2 . إدارة الانفعالات : - وتعني قدرة الشخص على التحكم بالانفعالات ، أو التفكير بشكل مناسب والتصرف بوعي وتيقظ ، فالانفعال أو التوتر يؤدي إلى تدني الفاعلية الذاتية لدى الأفراد ، ويؤدي الانفعال أيضا إلى بداية فقدان الفرد توازنه النفسي والفسولوجي الذي يؤدي بدوره إلى الاضطرابات النفسية والعقلية والسيكوماتية وكذلك يؤدي إلى خلل في التكامل الفسيولوجي العصبي والغدي وفي التكامل النفسي والاجتماعي، (طه وآخرون ، ب . ت : 152) ويصاحب الانفعال شعور بعدم الراحة والخوف وترقب الشر مصحوباً بتغيرات فسيولوجية تتفاوت في شدتها حسب درجة الانفعال التي يعاني منها الشخص ، إلا أنها جميعاً يمكن أن تسهم في أن يشعر الفرد بانخفاض قدرته على إدارة مواقفه بحكمة وبدون انفعال ،

الأمر الذي يترك لدى الفرد إحساساً بتدني فاعليته الذاتية ، على العكس من الأشخاص الذين لديهم فاعلية ذاتية مرتفعة الذين يستطيعون إدارة انفعالاتهم والسيطرة عليها في أصعب المواقف التي تواجههم. (Bandura & et,at, 1987, p563_571)

3 . مكافأة الذات : - هي محاولة الفرد لأن يكافئ نفسه بصورة مستمرة وذلك من خلال تقديم التعزيز الإيجابي للذات بعد ظهور الاستجابة المطلوبة ، وقد يكون هذا التعزيز مادياً أو معنوياً ، (الشناوي ، 1996 : 427) من خلال قيام الفرد بإقناع نفسه بأن امتناعه عن عمل ما فيه المكافأة له ، أو أن يقوم بمكافأة نفسه بالقيام بعمل ما . (كمال ، 1982 : 483) وأن استعمال هذا الأسلوب في المراحل المبكرة سيكون له آثار إيجابية مستقبلية في التفكير بشكل مستمر لكل سلوك يقوم به الفرد ، ويرى علماء النفس أن مكافأة الفرد لنفسه لعمل متميز قام به يمكن أن يؤدي إلى مستويات عالية من الأداء أكثر من مجرد وضع الأهداف أو رصد التطورات التي تطرأ على الأداء . (البيلي وآخرون ، 2000 : 219) وأن أكثر النتائج التي تقوي من السلوك هو التعزيز ، فالتعزيز هو تلك العملية التي يتم من طريقها تدعيم أو تقوية السلوك وهكذا فإن التعزيز يزيد من قوة الاستجابة ويحث على تكرار السلوك . (الألوسي ، 2000 : 182)

4 . تقويم الذات : - هو أحد الاستراتيجيات المعرفية التي تهدف إلى تهذيب وتنقية السلوك الإنساني عن طريق تقويمه مع المعايير السلوكية المعروفة ، أو التي تم تحديدها وتكون عملية التقويم الذاتي أكثر صعوبة لأنها تتطلب إطلاق حكم على نوعية السلوك وعلى الرغم من ذلك تشير نتائج بعض الدراسات إلى أن الأفراد باستطاعتهم تعلم تقويم سلوكهم بدقة معقولة ، (Young , 1983 : p . 171 - 188 & Rhode, Morgan) ومن هنا نجد أن الناس يقومون بتعيين مجموعة من المعايير لأنفسهم تعمل الجهود التي سيبذلونها ، وتجدر الإشارة إلى أنه من الواضح جداً بأن هناك اختلافات فردية في صرامة المعايير المعروفة ذاتياً (p37 : 1964 , Pepitone .) وهناك عدة عوامل تؤثر على التقويم الذاتي هي : مدى معرفة الفرد لذاته الكلية ومدى قوة تلك الذات ، مدى الرغبة في تقويم الفرد لذاته ، فإذا كانت الرغبة جادة وهادفة لتحسين وتقوية ذاته فإنه سيعمل جاهداً على تذليل الصعوبات في بقية العوامل ، مدى قدرة الفرد على التجرد من ميوله الذاتية الأنانية المتميزة لنفسه هذا ليعتمد على مدى نضجه النفسي ، مقاومة الإغراء وتعني فرض الذات على تأجيل الإشباع وتشير أيضاً إلى تأجيل أو تأخير تأجيل المكافأة الفورية بعض الشيء لصالح مكافئة مؤجلة محتملة أن تكون أكثر قيمة ، والمثال الشائع في الحياة هو قرار الفرد بعدم ترك الدراسة من أجل وظيفة جيدة ومحاولته في مقاومة أغرائها والاستمرار في الدراسة وتحمله الظروف الاقتصادية الصعبة التي مر بها . (Spigler, Libert ,1970:p379 – 38)

النظريات التي فسرت التحكم الذاتي:

1- نظرية روجرز (Theory Rogers) :- تعد نظرية الذات لروجرز ظاهراتية ، كما أن مفاهيمها قد صيغت كذلك في لغة الخبرة الذاتية ومفهوم الذات (Self - Concept) والشخص لا يستجيب للبيئة الموضوعية ، وإنما لكيفية إدراكه لها بصرف النظر عما تكون عليه هذه الإدراكات من تحريفات أو حقائق ذاتية و هذه الحقائق الذاتية هي فروض مؤقتة يضعها الفرد عن المواقف البيئية . (ريتشاردسون ، 1988 : 72) ويرى روجرز إن

الإنسان في الأساس مخلوق واع عاقل يحكمه الإدراك التام لذاته الخاص لعالمه الذي يعيشه ، وهو يغاير فرويد في اعتقاده بأن لقوى اللاشعور التي يدركها الفرد ولا يعيها ولا يسيطر عليها تأثير فاعل ومؤثر في شخصيته أولاً ، وإن الإحداث السابقة (في حياة الفرد) يمكن أن تؤثر تأثيراً حكيماً في سلوكه الحاضر ثانياً ، ويؤكد روجرز بأهمية كبيرة مشاعر الفرد وانفعالاته الحاضرة في شخصيته وسلوكه ، من خلال الشعور والحاضر ، ويرى (روجرز) إن الشخصية الإنسانية لا يمكن أن تفهم إلا من خلال وجهة نظر الفرد ذاته أي من خلال خبرته وتجربته التي يمارسها بنفسه (العاني ، 1989 : ص 93) ويعتقد روجرز إن الإنسان يستطيع أن يتحكم شعورياً وعقلانياً في ذاته وإن يتحول من الأساليب غير المرغوبة في التفكير والسلوك إلى الأساليب المرغوبة وهو لا يعتقد إن الأفراد يتحكمون بقوى لاشعورية بذاتهم ذلك إن الشخصية في نظره تشكل بأحداث الحاضر وبرؤيتها لهذه الأحداث. (ربيع ، 1986 : 448) ويؤكد روجرز وجود جهازين للسلوك (الذات / الكائن الحي) وقد يعمل هذان الجهازان في انسجام أو يعارض كل منهما الآخر فتكون النتيجة توتراً وسوء تكيف ، بل إن روجرز أكد بأن نمو قدرات الإنسان الإبداعية وقدرته على تنمية ذاته وتوجيهها فضلاً عن قدراته على الاختيار وحل المشكلات أمور ليست ممكنة نظرياً وعملياً فحسب بل إنها جزء من قوانين الطبيعة . وقد أعطت حركة علماء النفس الإنساني وتصورها للإنسان ، دفعة قوية للعلاج السلوكي الحديث في اتجاه فهم عمليات التحكم الذاتي أو التوجيه الذاتي من خلال مفاهيم نظرية التعلم نفسها. (إبراهيم ، 1993 : ص 345)

2. كارين هورني (1885-1952) Karen Horney

أما عن كارين هورني فتعزو التحكم الذاتي الى ميول كامنة للاحتفاظ بالاندفاعات المتصارعة تحت السيطرة لكي لا تجعل المشاعر تجرف تحت تأثير الصراع , وترى هورني ان الميل نحو التحكم الذاتي المفرط ، يمكن ان يكون قوياً جداً ، وبمرور الوقت يصبح التحكم الذاتي تلقائياً ويجعل الشخصية متزنة ومتماسكة ويحافظ عليها من الانجراف حتى في اصعب الظروف . وتضيف هورني , إن الذين لديهم هذه القوة في التحكم الذاتي يواجهون الصراعات علناً ولن يطمسوها ويحافظون على الصراعات بشكل متوازن، إذ لن تغطي اي مجموعة متصارعة على الأخرى وبذلك يكونون كتلة متماسكة بصورهم المثلى. (هورني ، 1988 : 93)

الدراسات السابقة

دراسات تناولت التطرف الفكري

1. دراسة الزهراني وخير الله (2023)

"هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين التطرف الفكري والتنظيم الانفعالي بين طلبة الجامعة، والتعرف على الفروق في التطرف الفكري والتنظيم الانفعالي التي تعزى إلى متغيرات (الجنس والمستوى الدراسي، والتخصص) وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، واختيرت العينة من مجتمع الدراسة بالجامعة بطريقة عشوائية بسيطة، قوامها (215) , (83) طالبا و(132) طالبة وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها أن مستوى التطرف الفكري لدى طلبة الجامعة متوسط , وأن مستوى التنظيم الانفعالي مرتفع, كما توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في

إجابات أفراد عينة الدراسة عن التطرف الفكري باختلاف متغير الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.05) في إجابات أفراد عينة الدراسة حول التنظيم الانفعالي باختلاف متغير الجنس، والتخصص، والمستوى الدراسي، ووجود علاقة ارتباطية عكسية دالة عند مستوى (0.05) بين التطرف الفكري والتنظيم الانفعالي لدى طلبة الجامعة. (الزهراني وخيرالله، 2023: 98)

2. دراسة المنصوري (2024)

"هدفت الدراسة للتعرف على التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي ، على وفق متغير (الجنس ، الموقع الجغرافي ، المراحل الدراسية) ، و لتحقيق اهداف البحث قام الباحثان ببناء مقياس التطرف الفكري المتكون من (30) فقرة في (5) مجالات بعد اجراء التحليل الإحصائي للمقياس بعد تطبيقه على عينة بلغ عددها (15) طالبا و طالبة كانت جميع فقرات المقياس مميزة ، واجراء الخصائص السيكمترية من الصدق و الثبات وبذلك اصبح في صورته النهائية ، و طبق على عينة من طلبة الارشاد النفسي بلغ حجمها (265) طالب و طالبة بواقع (41) طالبا و (84) طالبة من جامعة البصرة و (76) طالبا (74) طالبة من الجامعة المستنصرية ، وأظهرت النتائج ان طلبة الارشاد النفسي يتصفون بالتطرف الفكري ، و توجد فروق ذات دلالة احصائية على متغير الجنس وكان الفرق لصالح الذكور على حساب الاناث ، و لا توجد فروق ذات دلالة احصائية حسب متغير المراحل الدراسية ."

دراسات تناولت التحكم الذاتي

1. دراسة حسن (2006)

("اضطراب ما بعد الصدمة وعلاقته بالتحكم الذاتي لدى طلبة الجامعة) هدفت الدراسة معرفة العلاقة الارتباطية بين الاضطرابات ما بعد الضغوط الصدمية والتحكم الذاتي لدى عينة من طلبة جامعة بغداد بلغت (200) طالب وطالبة ، بواقع (110) طالب و (90) طالبة ، وقد أظهرت النتائج أن ما نسبته (11.8 %) من الطلبة لديهم تحكم ذاتي منخفض وان (85 %) من الطلبة لديهم مستوى عالي من التحكم الذاتي ، و ان (58 %) يعانون اضطراباً بسيطاً ما بعد الضغوط الصدمية و (14,9) يعانون اضطراباً متوسطاً ، كما أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية سلبية بين اضطرابات ما بعد الضغوط الصدمية والتحكم الذاتي."

2. دراسة بحر (2009)

("التحكم الذاتي وعلاقته بالقلق الاجتماعي والتحصيل الدراسي) هدفت الدراسة معرفة مستوى التحكم الذاتي ومستوى القلق الاجتماعي ومعرفة العلاقة الارتباطية بين التحكم الذاتي والقلق الاجتماعي وبين التحكم الذاتي والتحصيل الدراسي، ومعرفة الفروق ذوات الدلالة الإحصائية بين الذكور والإناث في العلاقة بين التحكم الذاتي والقلق الاجتماعي ، وفي العلاقة بين التحكم الذاتي والتحصيل الدراسي لدى عينة من طلبة الصف الرابع في معاهد إعداد المعلمين والمعلمات بلغت (500) طالب وطالبة ، واستعملت الباحثة مقياس (الخفاجي ، 2002) لقياس التحكم الذاتي ومقياس (الجوراني ، 2003) لقياس القلق الاجتماعي ، واعتمدت وسائل إحصائية الاختبار التائي ومعامل ارتباط بيرسون وتحليل التباين واختبار شيفيه للمقارنات المتعددة ومعادلة سبيرمان واختبار مان وتني والاختبار

الزائي , وأظهرت نتائج الدراسة ان مستوى التحكم الذاتي لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين والمعلمات مرتفع , وان مستوى القلق الاجتماعي لديهم منخفض , وان العلاقة الارتباطية بين التحكم الذاتي والقلق الاجتماعي علاقة عكسية , ولم يكن الفرق دال إحصائياً في معامل الارتباط بين التحكم الذاتي والتحصيل الدراسي , وعدم وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في التحكم الذاتي , وعدم وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في معاملي ارتباط التحكم الذاتي بالقلق الاجتماعي والتحكم الذاتي بالتحصيل الدراسي".

المبحث الثالث

منهج البحث واجراءاته

منهج البحث: إن مصطلح منهج البحث يعني هو مجموعة من الخطوات المتتالية التي يقوم بها الباحث وهذه الخطوات متتالية ومتسلسلة تسلسلا منطقيا وعلميا من اجل ان يقوم بكتابة بحث علمي محكم , فعلى الباحث ان يتحلى بالصبر والمثابرة والامانة والصدق والاخلاص في نقل الحقائق, وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي لكونه الأكثر تناسبا مع متغيرات بحثهما.

مجتمع البحث: تم تحديد مجتمع البحث المتمثل بطلبة قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى , للعام الدراسي (2024-2025) للدراسة الصباحية والمسائية , وقد بلغ مجتمع البحث (1040) طالباً وطالبة.

عينة البحث: تم اختيار عينة البحث بطريقة عشوائية من المجتمع الأصلي، أذ تم اختيار عينة بلغت (200) طالباً وطالبة وبواقع (100) طالب و(100) طالبة . كما موضح في جدول (1)

جدول(1)

عينة البحث موزعة بحسب الجنس والنسب المئوية

عينة البحث	عدد البنين	عدد البنات	العدد الكلي
قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي	100	100	200
النسبة المئوية	%50	%50	%100

أدوات البحث: تبنى الباحثان اداتين لغرض قياس (التطرف الفكري , التحكم الذاتي) , مقياس التطرف الفكري لـ(زيدان, 2019) حيث بلغ عدد فقراته (23) فقرة ولكل فقرة (4) بدائل هي (تنطبق علي بدرجة كبيرة ,تنطبق علي بدرجة معتدلة , تنطبق علي بدرجة قليلة , لا تنطبق علي مطلقا).ومقياس التحكم الذاتي لـ(احمد, 2014) والمكون من (40) فقرة , ملحق رقم (3) .

الخصائص السايكومترية :

الصدق الظاهري: تم عرض فقرات المقاييس على مجموعة من الخبراء في الارشاد النفسي والتربية وعلم النفس , ملحق (1) لبيان رأيهم في مدى صلاحية الفقرات في قياس ما وضعت لأجله , فضلا عن وضوح التعليمات وبدائل الاجابة ,حيث تبين ان جميع الفقرات صالحة ولم يتم استبعاد أي فقرة .

الثبات:

طريقة ألفا كرونباخ

تم حساب معامل ألفا (معامل الاتساق الداخلي) للمقياس بعد تطبيق هذه المعادلة على (100) استمارة مسحوبة وبصورة عشوائية من عينة التحليل الإحصائي لمقاييس البحث الحالي , حيث بلغ معامل الثبات لمقياس التطرف الفكري المكون من (23) فقرة (0.74) وبلغ معامل الثبات لمقياس التحكم الذاتي المكون من (40) فقرة (0.76) .

الوسائل الإحصائية: (Statistical Means)

لمعالجة بيانات البحث الحالي , استخدم الباحثان الوسائل الإحصائية التالية :

1. الاختبار التائي لعينة واحدة ، لاختبار دلالة الفروق بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي للعينة .
2. الاختبار التائي لعينتين مستقلتين .
3. معامل ارتباط بيرسون .
4. معامل الفا - كرو نباخ للاتساق الداخلي .

المبحث الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

تحقيقاً للهدف الاول والذي ينص على ("التعرف على مستوى التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي) , تم استخدام الاختبار التائي T.Test لعينة واحدة للمقارنة بين المتوسط الفرضي البالغ (57.5) والمتوسط الحسابي (60,077) وبانحراف معياري قدره (9,384) وقد بينت النتائج ان هناك فرقاً ذو دلالة إحصائية إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (4.714) وهي اكبر من الجدولية (1,96) عند مستوى دلالة (0.05) بدرجة حرية (199) ، أي إن العينة لديها التطرف الفكري بنسبة متوسطة , وكما موضح في الجدول ادناه .

الجدول (2) الوسط الحسابي والفرضي والانحراف المعياري والقيمة التائية ومستوى الدلالة لدرجات الطلبة في مقياس التطرف الفكري

الوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	العينة	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الاحصائية
					المحسوبة	الجدولية	
57.5	60,077	200	9,384	199	4.714	1.96	دالة احصائياً

ويتفق ذلك مع دراسة الزهراني ودراسة المنصوري , ويمكن تفسير هذه النتيجة بالرجوع الى الظروف غير الطبيعية التي مرت على المجتمع العراقي , وعلى افرازات تلك الظروف من ضغوطات جعلت الناس يحددون استجاباتهم على وفق تلك المتغيرات .

الهدف الثاني : للتحقق من الهدف الثاني والذي ينص على (" التعرف على الفروق الاحصائية في التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور, إناث)) , تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين لكلا الجنسين (ذكور وإناث) ، وباستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين تم التوصل إلى النتائج الموضحة في الجدول ادناه .

الجدول (3) الاوساط الحسابية والانحراف المعياري والتباين ودرجة الحرية والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات افراد عينة البحث على مقياس التطرف الفكري بحسب الجنس

الجنس	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدالة الاحصائية
						المحسوبة	الجدولية	
ذكور	100	63,322	12.18	148,35	198	2.297	1,96	دالة
إناث	100	58,565	18.067	326,416				

اظهرت النتائج الموضحة في الجدول اعلاه ان متوسط درجات الذكور على مقياس التطرف الفكري يساوي (63,322) وبأنحراف معياري قدره (12.18) وبتباين قدره (148,35) في حين كان الوسط الحسابي للإناث يساوي (58,565) وبأنحراف معياري قدره (18.067) وبتباين قدره (326,416)، وأن قيمة (ت) المحسوبة تساوي (2.297)، وهي اكبر من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1,96) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (198)، وهذا يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط اداء الذكور ومتوسط اداء الإناث على مقياس التطرف الفكري لصالح الذكور .

الهدف الثالث: والذي ينص على ("التعرف على مستوى التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي) , ولغرض التعرف على مستوى الدلالة قام الباحثان بتطبيق الاختبار التائي لعينة واحدة حيث بلغت القيمة المحسوبة (6.061) وهي اكبر من الجدولية (1.96) والجدول رقم (4) يوضح ذلك مما يشير الى ان العينة تنسم بالتحكم الذاتي.

الجدول (4) الوسط الحسابي والفرضي والانحراف المعياري والقيمة التائية ومستوى الدلالة لدرجات الطلبة في مقياس التحكم الذاتي

الوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	العينة	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدالة الاحصائية
					المحسوبة	الجدولية	
100	112.7	200	28.535	199	6.061	1.96	دالة احصائياً

الهدف الرابع: ("التعرف على الفروق الاحصائية في التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور, اناث)), حيث أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة احصائية بين الوسط الحسابي للذكور و الوسط الحسابي للإناث ولصالح الاناث, كما موضح في الجدول ادناه ."

الجدول (5) الاوساط الحسابية والانحراف المعياري والتباين ودرجة الحرية والقيمة (ت) المحسوبة والجدولية لدرجات افراد عينة البحث على مقياس التحكم الذاتي بحسب الجنس

الجنس	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		الدالة الاحصائية
						المحسوبة	الجدولية	
ذكور	100	116.88	19.765	390,64	198	2.646	1,96	دالة

إناث	100	124,66	22.891	524,004

الهدف الخامس

للتحقق من الهدف الخامس والذي ينص على ("ايجاد العلاقة بين التطرف الفكري والتحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي) ، تم استخدام معامل ارتباط بيرسون ، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط المحسوبة (12,406) ، وهي اكبر من القيمة الجدولية (1,96) عند مستوى دلالة (0.05) "، اي إن هنالك علاقة ارتباطية عكسية ذات دلالة احصائية (0,05) بين التطرف الفكري والتحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي ، وهذا يدل على أنه كلما كان هناك تحكم ذاتي قل التطرف الفكري لدى طلبة الجامعة والجدول (6) يوضح ذلك.

الجدول (6)

معامل الارتباط بين التطرف الفكري والتحكم الذاتي

مستوى الدلالة	القيمة الثانية		معامل الارتباط	عدد افراد العينة
	الجدولية	المحسوبة		
دالة	1,96	12,406	-0,608	200

الاستنتاجات :

1. إن عينة البحث لديها التطرف الفكري بنسبة متوسطة .
2. وجود فروق ذات دلالة احصائية في مقياس التطرف الفكري لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور , اناث) ولصالح الذكور .
3. افراد عينة البحث بشكل عام تمتلك التحكم الذاتي .
4. وجود فروق ذات دلالة احصائية في مقياس التحكم الذاتي لدى طلبة الارشاد النفسي تبعاً لمتغير النوع (ذكور , اناث) ولصالح الاناث .
5. وجود علاقة ارتباطية عكسية , ودالة احصائياً بين متغير التطرف الفكري ومتغير التحكم الذاتي .

التوصيات: وفقاً لنتائج البحث الحالي يوصي الباحثان بالآتي:

1. الاهتمام بما ينمي ويساعد على رفع مستويات التحكم الذاتي لدى طلبة الجامعة ، لان الانسان بطبيعته ميل الى التجمع والابتعاد عن العزلة وفي هذا الامر مردود ايجابي في تفاعل شرائح المجتمع كافة بمختلف اطيافه وقومياته لاسيما واننا بحاجة الى رفع هذا التحكم في المرحلة الراهنة مما يقلل من التعصب والاتجاه نحو التطرف.
2. تنمية ثقافة سماع الرأي الآخر والتحلي بالانفتاح ومشاركة الآخرين في جميع المواقف الانفعالية عن طريق اقامة الندوات والمؤتمرات العلمية .
3. تنقية المناهج والمؤلفات من الأفكار التي تتعلق بالتطرف الفكري، والتحسين الدائم لمدخلات العملية التعليمية.
4. إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات حول العوامل التي تؤدي إلى التطرف الفكري.

المقترحات:

1. تصميم برامج ارشادية وقائية لطلبة الجامعة لمواجهة التطرف الفكري .
2. اجراء دراسة دور وسائل الاعلام الجديد في التوعية بمخاطر التطرف لدى طلبة الجامعة وسبل تحقيقها من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.
3. إجراء دراسة مماثلة لمعرفة العلاقة ما بين التحكم الذاتي وسمات الشخصية لدى طلبة الجامعة .
4. اجراء دراسة مماثلة للبحث الحالي على شرائح اجتماعية ومهنية مختلفة .

المصادر العربية

- الألوسي ،أحمد إسماعيل (2001): فاعلية الذات وعلاقتها بتقدير الذات لدى طلبة الجامعة، جامعة بغداد ،كلية الآداب ،(رسالة ماجستير غير منشورة).
- إبراهيم ،عبدالستار (1993):العلاج السلوكي المعرفي الحديث ،القاهرة.
- البيلي ،محمد عبدالله وآخرون (2000):علم النفس التربوي وتطبيقاته , دولة الامارات العربية المتحدة , مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- الجندي، أمينة (2003): التطرف بين الشباب ، كيف يفكر طلاب الجامعات المصرية، دراسة ميدانية، المنار ، السنة الخامسة، سلسلة المواجهة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الحربي ،علي سليم ومحمد عبد المولى الدقس (2011) : اتجاهات الشباب السعودي نحو ظاهرة التطرف الفكري دراسة اجتماعية على عينة من طلبة جامعة القصيم , رسالة ماجستير , كلية الدراسات العليا , الجامعة الاردنية .
- حمدي ، نزيه (1992): فاعلية الضبط الذاتي في خفض سلوك التدخين ,الجامعة الاردنية ,دراسات م19,(أ)ن ع2 .
- الرواشدة , علاء زهير (2015) : التطرف الايديولوجي من وجهة نظر الشباب الاردني, المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب , جامعة نايف 31 (63).
- الزهراني, عبدالله احمد (2013) : دور مؤسسات التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية في مواجهة مظاهر التطرف الفكري , مجلة كلية التربية جامعة الازهر,2(152) .
- السعيدين، تيسير بن حسين (2005): دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف، مجلة البحوث الأمنية، العدد (٣٠).
- سليمان، جلال محمد (1993): التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي والاجتماعي لدى الشباب، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية التربية، جامعة الأزهر.
- الشراري، محمد بن سليم (٢٠٠٧) : اتجاهات الشباب السعودي نحو الإرهاب،دراسة لعينة من طلبة جامعة الملك عبد العزيز في جدة، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.
- الشناوي ،محمد محروس (1996):العملية الإرشادية والعلاجية ،دار غريب ،القاهرة.

- طه , فرج عبدالقادر وآخرون (د, ب): معجم علم النفس والتحليل النفسي , للنشر والطباعة ببيروت.
- الظاهري, خالد بن صالح بن ناهض (2002): دور التربية الإسلامية في الإرهاب, الرياض, دار عالم الكتب .
- عبدالرحمن , سعد (1998): القياس النفسي , نظرية والتطبيق , دار الفكر العربي , القاهرة.
- كمال , علي (1982): النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها , ط4, ج1, دار واسط للطباعة والنشر , بغداد.
- مصطفى , يوسف حمه (1998): التمايز النفسي وعلاقته بضبط الذات والاحساس في الهوية لدى المراهقين , اطروحة دكتورا (غير منشورة) , جامعة بغداد , كلية الآداب.
- هورني , كارين (1988): صراعتا الباطنية , ترجمة عبدالودود محمد , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد.
- الهواري, محمد (2004): الإرهاب المفهوم والأسباب وسبل العلاج, جامعة الإمام محمد بن سعود, السعودية.

- Al-Alusi, Ahmed Ismail (2001): Enjoying Success and Its Relationship to Self-Esteem among University Students, University of Baghdad, College of Arts, (unpublished master's thesis).
- Ibrahim, Abdul Sattar (1993): Behavioral Therapy for Modern Inspiration, Cairo.
- Al-Bili, Muhammad Abdullah and Akhirun (2000): Educational Psychology and Its Applications, United Arab Emirates, Al-Falah United Library for Publishing and Distribution.
- Al-Jundi, Amina (2003): Extremism among Youth: How Egyptian University Students Think, A Field Study, Al-Manar, Fifth Year, Confrontation Series, Egyptian General Book Authority, Cairo.
- Al-Harbi, Ali Salim, and Muhammad Abd al-Mawla al-Daqs (2011): Saudi Youth's Attitudes Towards the Phenomenon of Intellectual Extremism: A Social Study of a Sample of Qassim University Students, Master's Thesis, College of Graduate Studies, University of Jordan.
- Hamdi, Nazih (1992): The Effectiveness of Self-Control in Reducing Smoking Behavior, University of Jordan, Studies No. 19, (A), No. 2.
- Al-Rawashdeh, Alaa Zuhair (2015): Ideological Extremism from the Perspective of Jordanian Youth, Arab Journal of Security Studies and Training, Naif University, 31 (63).
- Al-Zahrani, Abdullah Ahmad (2013): The Role of Higher Education Institutions in the Kingdom of Saudi Arabia in Confronting

Manifestations of Intellectual Extremism, Journal of the Faculty of Education, Al-Azhar University, 2 (152).

- Al-Sa'ideen, Tayseer bin Hussein (2005): The Role of Educational Institutions in Preventing Extremist Ideology, Security Research Journal, Issue No. 30.

- Suleiman, Jalal Muhammad (1993): Extremism and Its Relationship to the Level of Psychological and Social Maturity among Youth, PhD Thesis, Cairo, Faculty of Education, Al-Azhar University.

- Al-Sharari, Muhammad bin Salim (2007): Saudi Youth's Attitudes Toward Terrorism, A Study of a Sample of Students at King Abdulaziz University in Jeddah, Unpublished PhD Thesis, University of Jordan, Amman.

- Al-Shennawy, Muhammad Mahrous (1996): The Counseling and Therapeutic Process, Dar Gharib, Cairo.

- Taha, Farag Abdel Qader and others (PhD): Dictionary of Psychology and Psychoanalysis, for Publishing and Printing, Beirut.

- Al-Dhaheri, Khalid bin Saleh bin Nahedh (2002): The Role of Islamic Education in Terrorism, Riyadh, Dar Alam Al-Kutub.

- Abdul Rahman, Saad (1998): Psychological Measurement, Theory and Application, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo.

- Kamal, Ali (1982): The Soul, Its Emotions, Diseases, and Treatment, 4th ed., Vol. 1, Wasit Printing and Publishing House, Baghdad.

- Mustafa, Yousef Hama (1998): Psychological Differentiation and Its Relationship to Self-Control and Sense of Identity among Adolescents, Unpublished PhD Thesis, University of Baghdad, College of Arts.

- Horney, Karen (1988): Our Inner Struggle, translated by Abdul-Wadud Muhammad, General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad.

- Al-Hawari, Muhammad (2004): Terrorism: Concept, Causes, and Treatment, Imam Muhammad ibn Saud University, Saudi Arabia.

المصادر الاجنبية

-Butler , D. (1996) : The strategic content learning approach to promoting self-regulated learning , an introduction to the coordinated symposium , paper presented at the annual meeting of American psychological association , San Francisco , California .

- Larson , Richard, (2005): Editorial Intolerance And Extremism , Canada , Varian Press.
- Mc Carthy,(2016): Youth Violence Prevention Project, Retrieved from <http://www.aggressionreplacementTraining.Org>.
- Pateraki, L, (2017): Bullying Among Primary School Children in Athens Creece , Educational Psychology, 21, 167 – 175

ملحق رقم (1) قائمة بأسماء السادة الخبراء

ت	اسماء السادة الخبراء	مكان العمل
1	أ.د موفق ايوب محسن	جامعة ديالى -كلية التربية الأساسية
2	أ.م.د مؤيد سعد شعيب	جامعة ديالى -كلية التربية الأساسية
3	أ.م.د خليل عبدالله	جامعة ديالى -كلية التربية الأساسية
4	أ.م.د جنان محمد صالح	جامعة ديالى -كلية التربية الأساسية

ملحق رقم (2) مقياس التطرف الفكري

ت	الفقرات	تنطبق علي بدرجة كبيرة	تنطبق علي بدرجة معتدلة	تنطبق علي بدرجة قليلة	لا تنطبق علي مطلقا
1	ارفض حضور المناسبات الاجتماعية كاحتفالات الزواج لأنها تقاليد بالية				
2	ارى ان الاخلاق السيئة متدهورة في هذا البلد				
3	ارفض ان اصلي بجانب من يختلف معي بالرأي				
4	ارفض ان تنقلد أمراءه مناصب قيادية عن الرجال				
5	ارغب في التخلص من سيطرة والدي				
6	احرص على تحدي السلطة القائمة				
7	احاول بكل ما لدي من قوة اقناع الآخرين بأرائي السياسية				
8	احاول بكل قوة ان اقنع الآخرين بأرائي ومعتقداتي				
9	ارى ان المساواة بين الرجل والمرأة ضرب من الخيال				
10	اشاهد فقط البرامج الاعلامية الدينية				
11	اشعر ان العادات والتقاليد التي تتبعها اسرتي قيود اود التخلص منها				

12	اشعر ان فتاوى رجال الدين متناقضة			
13	اشعر بالنفور اتجاه من يخالفني ارائي			
14	اعتبر ان اتباع العرف والعادة ضرب من التخلف			
15	اعمل على اتباع اسلوب الحوار في الامور الدينية			
16	اعتقد ان هناك رأي واحد هو الصحيح مهما اختلفت الآراء			
17	اعتقد ان القوة هي الوسيلة الوحيدة للتغيير			
18	اعتقد ان الطرق السلمية لا جدوى منها في حل الصراعات			
19	افضل الابتعاد عن العادات الاجتماعية			
20	اعتقد ان الانسان قوي بذاته ولا يحتاج الاخرين			
21	اعتبر ان الجذور الاجتماعية لا تمثل شيئاً مهم			
22	اكره الحوار مع من يخالفني			
23	افضل ان يتبنى الفرد اتجاهاً فكرياً واحداً			

ملحق رقم (3) مقياس التحكم الذاتي

ت	الفقرات	تنطبق علي بدرجة كبيرة	تنطبق علي بدرجة معتدلة	تنطبق علي بدرجة قليلة	لا تنطبق علي مطلقاً
1	اتعامل بعقلانية اتجاه اي موقف				
2	أعتقد بأن عامل الخبرة التربوية جعل مني اكثر رزانة وتمالك لأعصابي				
3	ينتابني الغرور بعد أنجازي اي عمل بأنقار				
4	أراجع تصرفاتي بعد مدة من الزمن				
5	اضبط نفسي امام اغراءات الحياة				
6	أفقد صوابي اتجاه اي موقف				
7	ينبغي على الاباء أن يمنحوا الابناء الفرصة لاتخاذ قراراتهم بأنفسهم				
8	عندما أحقق تقدماً في مجال عملي أكافئ نفسي بطريقة ما				
9	أقدم مصالح الآخرين على مصلحتي الشخصية				
10	أسيطر على رغباتي وتوجيهها لما هو مفيد				
11	افكر في المزايا والعيوب لقراري قبل اتخاذه				
12	اتحكم بانفعالاتي باستمرار				

13	اعتقد ان الشخص الذي يعمل بجدية يصل الى النجاح			
14	لدي الكثير من الخيارات لتحديد اصدقائي			
15	أقوم بالتخطيط للحديث لما سأقوله			
16	اعرف كيف اتصرف مع المواقف غير المتوقعة			
17	توجد أوقات لا أستطيع فيها التحكم بأنفعالاتي			
18	أشعر عندما أنجز شيء صعباً بالابتهاج والسرور			
19	معظم ما حققته من نجاح في الدراسة يعود الى الحظ			
20	استغل الفرص للحصول على المكافئة			
21	اتمكن من تحديد اخطائي			
22	لا أستطيع تأجيل اشباع رغباتي			
23	أشعر دائماً انني اتحكم بنفسي وبما أقوم به			
24	ينقصني التعامل مع المواقف الغير متوقعة			
25	عندما أكون جائعاً اترك المحاضرة واذهب لتناول الطعام			
26	تنقصني قوة الارادة على القيام بعمل ما			
27	أشعر بأنني قادراً على التعبير عن انفعالاتي			
28	يزداد تقديري الذاتي عندما اتغلب على عاداتي السيئة			
29	أتمتع بارادة قوية في مواجهة تحديات الحياة			
30	عندما يدعوني صديق لقضاء وقت ممتع اترك ما اقوم به واذهب			
31	ليس لدي الوعي الكافي للتحكم على ادائي			
32	أستخدم اساليب مختلفة للتحكم في دوافعي			
33	احرم نفسي من مشاهدة التلفاز اذا لم انجح في الامتحانات			
34	أشعر بعدم الكفاءة وضعف في قدراتي الشخصية			
35	أفضل عمل الاشياء التي يكون مردودها سريعاً			
36	أشعر معظم الايام بقيمة الانجاز الذي احققه			
37	اتغلب على غضبي تجاه شخص ما بسرعة معقولة			
38	حياتي اليومية مليئة بأشياء تجعلني مستحقاً بها			
39	اعزو درجاتي العالية في الامتحان الى قدرتي العلمية			
40	أخوض المخاطر من اجل الاستمتاع			

دراسة تحليلية لتأثير العمليات النفسية على تصميم استراتيجيات تعزيز الامن المجتمعي وفقا لنظرية التعلم الاجتماعي، المجتمع العراقي أنموذجا

م.م. حيدر حسين عبد الهادي

الكلمات المفتاحية: العمليات النفسية، الامن الاجتماعي، نظرية التعلم الاجتماعي، المجتمع
العراقي

الملخص

يهدف هذا البحث الى التعرف على تأثير العمليات النفسية لتصميم استراتيجيات تعزيز الامن الاجتماعي وفقا لنظريه التعلم (الادراك) ومن خلال منهجية تحليلية وفق نظريه التعلم الاجتماعي وما تركز عليه هذه النظرية من النموذج والملاحظ، والتغيير الذي تحدثه سواء كان معرفي ام سلوكي، وينتهي هذا البحث بطرح موضوع مهم جدا في تحقيق الامن الاجتماعي للغالبية العظمى في المجتمع العراقي، وهو (تعديل قانون الاحوال الشخصية)، فقد تناول البحث الموسوم "دراسة تحليلية لتأثير العمليات النفسية على تصميم استراتيجيات تعزيز الامن الاجتماعي وفقا لنظريه التعلم (الادراك) الاجتماعي" والذي تضمن السؤال الرئيسي ما هو تأثير العمليات النفسية على تصميم استراتيجيات تعزيز الامن الاجتماعي وفقا لنظريه التعلم (الادراك) الاجتماعي؟ والسؤال الفرعي الاول هو: ما هي آليات الامن الاجتماعي؟ والسؤال الفرعي الثاني هو: ما هي نظرية التعلم (الادراك) الاجتماعي؟ كما وتكمن اهمية هذا البحث انه اخذ دور العمليات النفسية بصورتها الإيجابية من خلالها تعزيزها للأمن المجتمعي او الاجتماعي، اما طريقه التحليل التي اعتمدها الباحث هو اخذ عينه اجتماعيه اثاره الكثير من الجدل خلال الاشهر الثلاثة السابقة (من الشهر 7-9 من سنة 2024م)، وهي (تعديل قانون الاحوال الشخصية) لنستخرج منه ركائز النظرية المتمثلة بالنموذج والملاحظ بالإضافة الى التغيير المعرفي الذي أحدثه النموذج في الملاحظ، وكذلك اهتمام الملاحظ وانتباهه وتفاعله مع الحدث، ان من اهم النتائج التي توصل اليها البحث هو ان نظريه التعلم (الادراك) الاجتماعي تحدث تغييرا اما معرفي وإما سلوكي وذلك من خلال تأثير متبادل.

Abstract

This research aims to identify the impact of psychological processes on designing strategies to enhance social security according to the theory of learning (cognition) and through an analytical methodology according to the theory of social learning and what this theory focuses on from the model and the observer, and the change it causes, whether cognitive or behavioral, and this research ends by raising a very important topic in achieving social security for the vast majority in Iraqi society, which is (amending the Personal Status Law), as the

research entitled "An analytical study of the impact of psychological processes on designing strategies to enhance social security according to the theory of social learning (cognition)" dealt with the main question: What is the impact of psychological processes on designing strategies to enhance social security according to the theory of social learning (cognition)? The first sub-question is: What are the mechanisms of social security? The second sub-question is: What is the theory of social learning (cognition)?

The importance of this research lies in that it took the role of psychological processes in their positive form through their enhancement of societal or social security. The method of analysis adopted by the researcher is to take a social sample that raised a lot of controversy during the previous three months (from July to September of 2024 AD), which is (amending the Personal Status Law) to extract from it the pillars of the theory represented by the model and the observer in addition to the cognitive change that the model caused in the observer, as well as the observer's interest, attention and interaction with the event. One of the most important results reached by the research is that the theory of social learning (cognition) causes a change, either cognitive or behavioral, through a mutual influence.

Keywords: Psychological processes, social security, social learning theory, Iraqi society.

المقدمة

لعبت العمليات النفسية دورا كبيرا في تطور الحروب، فانتقلت بها من الحروب التقليدية الى اجيال الحروب، ان سبب اعتماد قادة الحروب على هذا النوع من العمليات هو لأنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من العقيدة العسكرية التي هي مجموعه من القيم والمبادئ الفكرية¹، فقد اعتمدت وزاره الدفاع الامريكي هذا النوع من العمليات وجعلته مكملًا لغزواتها العسكرية وملازما لقيادتها وقادتها لأنها تسعى دائما الى تعزيز المواقف والسلوكيات التي تتماشى مع اهدافها التسلطية.

تضمن هذا البحث على اربعة مباحث، فقد جاء في المبحث الاول: العمليات النفسية تعريفها وماهيتها واهميتها في الحرب والسلم وكذلك اذرعها وهي (شبكة الانترنت، والحرب الإلكترونية، والخداع العسكري) واما المبحث الثاني الذي تناول: استراتيجيات تعزيز الامن الاجتماعي وتعريف الامن الاجتماعي ومقوماته الذي تضم (الحكم الرشيد، والمساواة، والعدالة، والمواطنة) وايضا التهديدات التي تواجه الامن الاجتماعي وما تضمنته تلك تهديدات من (الانحراف والتطرف، واهمال الأسرة، والمخدرات، والفساد، والفقر والبطالة)،

¹تشابمان، بيرت. (2015م). "العقيدة العسكرية." ترجمه طلعت الشايب. دار الكتب المصرية. القاهرة-مصر. ص 11

وفي المبحث الثالث نجد النظرية السلوكية او نظريه التعلم الاجتماعي للعالم الامريكي الجنسية ألبرت بنادورا وجاء فيه، نبذه عن سيرة بنادورا ونظريته وطرق التعلم ومفهومها والملاحظات حول نظرية التعلم واليتها والعوامل المساعدة للتعلم الاجتماعي ومصادر التعلم الاجتماعي، اما المجتمع العراقي ومكوناته ونسبها وكذلك تعداده السكاني لسنة 2018 حسب وزاره التخطيط فقد جاء في المبحث الرابع. لينتهي البحث بنموذج عملي وهو (تعديل قانون الاحوال الشخصية) وكذلك النتائج التي توصل اليها الباحث في هذا البحث.

المبحث الأول

1- العمليات النفسية

ان العمليات النفسية ومنذ زمن ارتبطت بالحروب والصراعات، وكان لها دورا مهما تطور الحروب من التقليدية الى اجيال الحروب، وبالأخص على الجيل الرابع من الحروب، حيث اعتمد عليها الكثير من القادة بل انها أصبحت جزءا مهما لا يتجزأ من العقيدة العسكرية، وهذا يعتمد على الاستخدام الجيد والمدرّس للعمليات النفسية، فقد اعتمدت وزاره الدفاع الأمريكية على هذا النوع من العمليات، وجعلته مكملا لغزواتها العسكرية، وملازما للقيادة العسكرية، وعرفت بانها (التأثير على احاسيس ودوافع وتفكير الجماعات وسلوك الحكومات والمنظمات والافراد لان الهدف من العمليات النفسية هو تعزيز المواقف والسلوكيات بما يتماشى مع الاهداف)¹

كما يعرفها امين حسني بانها (استخدام مخطط من جانب دولة او مجموعة من الدول، للطرق والوسائل والاساليب النفسية، التي توجد او تنش ضد الدول المعادية او الحليفة او الصديقة والمحايدة، للتأثير على آرائها، وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقه تساعد على تحقيق اهداف الدولة)²

وكذلك تعني "العمليات المخطط لها لتمرير معلومات منتقاة ومؤثرات لمستمعين اجانب للتأثير على عواطفهم معتقداتهم دوافعهم وتبريراتهم الموضوعية وسلوكياتهم، وبشكل كبير على سلوك الحكومات الأجنبية، والمنظمات، والجماعات والافراد".³

ويفضل الفرنسيون تسمية العمليات النفسية بالعمليات العسكرية، ولهذا يعرفونها على انها "مجموعة نشاطات تهدف الى تعديل سلوك ومواقف الافراد والجماعات البشرية المعادية، المحايدة او الصديقة بقصد المساهمة في بلوغ الاهداف السياسية او العسكرية"⁴، ان العمليات النفسية اهمية كبيره في فتره الحرب وذلك لـ:

1. تساهم في نجاح العمليات العسكرية.
2. تساعد في السيطرة على الهدف.
3. تحافظ على معنويات القوات العسكرية.

1 عبد الاله. داليا انور. (2017). "العمليات النفسية المتضمنة في بعض البرامج الحوارية كما يدركها شباب الجامعات وعلاقتها بالانتماء لديهم". كليات البنات لأداب العلوم والتربية.

جامعه عين شمس. مجله البحث العلمي. في الآداب، القاهرة-مصر، العدد 18، ج5: ص1-18، ص3-4.

2 حسني، امين. (2005). "المفهوم الشامل للعمليات النفسية وعلاقتها بالمخابرات الاستراتيجية والتخطيط لها على المستوى الاستراتيجي". بحث زمالة غير منشور، كليه الحرب.

أكاديمية ناصر العسكرية العليا. القاهرة-مصر. ص25.

3 Venter, Daniel. 2010. "cyber guerre et guerre de l'information, strategies, regles, enjeux, hermes, paris, op, cit, p29

4 شنتيج، سلمية. (2018). " حرب المعلومات من خلال استعمالات شبكه الانترنت اصدارات تنظيم الدوله الاسلاميه في العراق والشام 2014 2015 نموذجا". أطروحة دكتوراه،

جامعه الجزائر-كلية علوم الاعلام والاتصال -قسم علوم الاعلام. ص40

4. تساعد على الحصول على التأييد الشعبي الراي العام الداخلي والخارجي.
5. تؤثر على المواقف والسلوك من خلال مسها هذه الافكار والمعتقدات والعواطف والآراء.
6. تؤثر على المصلحة الوطنية.
7. ان العمليات النفسية تتم من خلال التضليل الاعلامي والتسمم الاعلامي¹ والخداع والحظر والدعاية.
- ان وجود وسائل الاعلام بالقرب او في ميدان الصراع، يسهل عمل العمليات النفسية التي تساعد على نجاح العمليات العسكرية ويتم ذلك من خلال:
 1. التلاعب بالعقول وتعبئتها بالمعلومات المضللة بواسطة الوسائل الإعلامية.
 2. استماله الجمهور بالتأثير العاطفي، من خلال الجمل والصور وغيرها من المؤثرات.
 3. باستخدام عمليه الدعاية الإيجابية، تحسين صورة الخصم وكذلك التسمم الاعلامي.
 4. ان اهم ما تهتم به العمليات النفسية هي²:
 1. معالجه البيانات (المعلومات).
 2. الرسائل الموجهة للحلفاء والخصوم.
 3. نستعمل عمليات النفسية ايضا في فتره الحرب والسلم.
- وهناك امثله كثيره ومتعدده للعمليات النفسية سواء كانت في الحرب او السلم نذكر منها:
 - في زمن الحرب (ان من الدروس التي تلقاها الامريكيون والتي اوضحت عدم تمكنهم من السيطرة والتحكم بالأخبار، وذلك من خلال استقصاء بعض الصحفيين الامريكيين، ان يكشفوا للعالم عموما وللأمريكيين خصوصا لعدد القتلى الامريكيين الهائل في حرب فيتنام، فخرجت التظاهرات في الولايات المتحدة ليضطر الجيش الأمريكي من الانسحاب من هناك وكذلك صورة الجندي الأمريكي وهو جثة هامده في احدى شوارع مقديشو)³
 - في زمن السلم (ان الفائدة التي اكتسبتها الولايات المتحدة من الحروب السابقة، جعلتها تبتكر وسائل جديده ومؤثرة في هدفها التالي، حيث نشرت صحيفة الشعب اليومية اون لاين⁴، مقال تحت عنوان (كاريكاتير: مكتب التأثير الاستراتيجي الأمريكي عمليه تجميل للحرب على الارهاب) بين ان وزارة الدفاع الأمريكي وبعد احداث 11 سبتمبر عام 2001م انشأت مكتب التأثير الاستراتيجي، وتكون مهمته الدعاية الخارجية والترويج للأخبار الكاذبة من اجل تجميل الحرب الأمريكية على الارهاب، حسب ادعائهم، وكذلك يروج لوجهات النظر الأمريكية التي تهاجم الحكومات والدول التي ترفض هيمنتها، وكان هذا المكتب تابع للبيتاغون في زمن وزير الدفاع الأمريكي السابق (رامسفلد)، وبعدها بفترة اشارت بعض وسائل الاعلام الأمريكية، ان هذا المكتب ارسل الكثير من الرسائل والمعلومات الكاذبة الى الخارج بما في ذلك الدول التي تقف ضد امريكا وحلفائها، مما اضطر وزير الدفاع الأمريكي

1 هي محاوله تسميم العقول عبر وسائل الاعلام وهي جزء من الحرب النفسية وتكون موجهة للعدو.

2 المصدر السابق.

3 حجاب، محمد منير. (2005م). "الحرب النفسية". دار الفجر للنشر والاشهار. القاهرة-مصر. ص262

4 وهي صحيفة صينية تصدر باللغة العربية

وتحت ضغط هائل الى اغلاق المكتب في فبراير سنة 2002م، وكما اوضح الوزير ان هذا لا يمنع ان يتخلى الجيش الامريكي من عمله الدعائي في زمن الحرب¹ ليحل محله (مكتب الخطط الخاصة OSP في ايلول 2002 ليشراف عليه مباشرة نائب وزير الدفاع وليم لوتي، حيث كانت بداية عمله هو الحملة ضد العراق من اجل التدخل فيه واحتلاله والحجة المزعومة لهذا الهدف هي (اسلحه الدمار الشامل المزعومة لدى العراق) وصلتها بالمجاميع الإرهابية الدولية.

كما وصدرت وثيقة بعنوان (خارطة طريق عمليات المعلومات) والتي صدرت بتاريخ 30 اكتوبر 2003م، ورفعت عنها السرية بتاريخ يناير 2006م، والتي تتضمن مجموعة مختلفة من الانشطة التي تساعد الجيش الامريكي من التعامل مع المعلومات، كما وافادت الوثيقة الى كيفية التطرق الى الحرب الإلكترونية مع اللاعبين وتسميم وسائل الاعلام خلال الحروب.

1-1 أذرع العمليات النفسية

الذراع الأول: شبكة الانترنت

تعد مواقع الانترنت جزء لا يتجزأ من هذه اللعبة، والتي تعتبر اداة استراتيجية كبرى او اهداف تكتيكية، كما تعتبر جزء من حرب المعلومات والتي تتكون من:
- شن الهجمات عبر شبكات الكمبيوتر عندما يكون الموقع هدفا او ان يكون سلاما (حرب الفيروسات).

- الدعاية او الخداع، وهن صور للعمليات النفسية حيث يتم من خلالها اللاعبين بالمحتوى ليؤثر على عقل المتلقي، فإما ان يعزز افكار، او ينشر معلومات كاذبة
- المعلومات: عندما يحتوي الموقع على معلومات مهمة ومقيدة للاستخبارات، كشف المعلومات او اخفائها²

ان القوة التي يمتلكها الانترنت تكمن فيه ثلاث اهداف وهي:

1. اضعاف عزيمة العدو والتعرف على القوى المعادية
2. مسانده ما هو لنا ومن جهتنا.
3. دعم الجماعات المحايدة لأجل كسبهم لجهتنا، وهذا تقريبا ما كان تستعمله المنظمات الإرهابية من تنظيم القاعدة وداعش وغيرها.
4. بانها تسمح بمرور او التعرف على كم هائل من المعلومات في مده قصيره وتكلفه قليلة، فمثلا حرب كوسوفو كان للانترنت دور فيها، اما في حرب الخليج الثانية سنة 1991م، والتي كانت بلا شك حربا ذات بعد عالمي الا انه لم يكن الانترنت حضور، وذلك بالسبب ان الويب لم يكن موجودا في تلك السنة، بالإضافة الى ان عدد المشتركين في الانترنت كان قليلا فلم يتجاوز اربع ملايين، وكان اغلبهم جامعيين وعلماء وكان عملهم مختصر على البريد الالكتروني آنذاك، اما بعد سنة 1992 وظهر الويب تطورت الشبكة كثيرا وازداد عدد المشاركين الى مئات الملايين³

ان المدركين لدور الانترنت في الدعاية، سيلاحظ هناك استراتيجية ذكية جدا اعتمدت لهذا الغرض، وذلك من خلال وضع قائمه للشخصيات الفاعلة في المجتمع واغراق صناديقهم

1 صحيفة الشعب اليومية. (2021م). "كاريكاتور: مكتب التأثير الاستراتيجي الأمريكي... عملية تجميل للحرب على الإرهاب." صحيفة الشعب اليومية أونلاين. 16 نوفمبر، 2021م.

تمت زيارة الموقع بتاريخ 2024/8/30. WWW.arabic.people.com.

Op. cit. p2422 Venter, Daniel. (2007). La guerre de l'information, Lavoisier, 2007.

3 رايح، الصادق. (2004م). "الاعلام والتكنولوجيا الحديثة." دار الكتاب الجامعي. العين-الامارات، ص214 215

الإلكترونية بالرسائل الدعائية المتنوعة، حيث لجأ الصربيين الى هذه الاستراتيجية، وحددوا ألف حاسوب تقريبا، كان يستعملها شخصيات فاعلة واستراتيجية، فمنهم من كان صحفيا ومتقفا ورجال سياسة وغيره، وحسب الاستراتيجية تم اغراق بريدهم الالكتروني بمئات الرسائل الإلكترونية وتكون مرسله من سكان بلغراد، وكذلك من دول ومناطق اخرى من العالم¹، فالدور المهم والحساس الذي يلعبه الانترنت جعل احد الضباط الامريكيين يقول (بالقول الصريح يظهر بان جماعة من المتمردين ليس لديهم تكوين نظري ومذهبي في عمليات التأثير، بارزت بنجاح قوة عمليات التأثير للولايات المتحدة والتحالف، المنظمين جيدا والممولين جيدا)²

يرى الكاتب حسين شفيق، ان الانترنت ساهم في كشف ادعاءات الولايات المتحدة في حرب العراق، بعدما تحطمت دعاياتهم وادعائهم على ارض الواقع، فقد تقاجا حكام وزعماء الحرب في واشنطن، ان الشبكة العنكبوتية الانترنت، اصبحت وسيلة للملايين التي تبحث عن الحقيقة، وما يحدث في الحروب، وبهذا سقطت الوسائل الإعلامية الأمريكية سقطة مدويه، لأنها حاولت الحفاظ على الصورة المشوهة باتجاه البلدان، التي شنوا عليها الحرب من اجل الحفاظ على التأييد الشعبي الداخلي والخارجي³ ولأهمية شبكه الانترنت في مجال الدعاية والحرب النفسية، تدير وزاره الدفاع الامريكي البنتاجون موقعين الكترونيين من خلال القيادة الأوروبية الأمريكية هما:

الاول: موقع منطقه البلقان، ويطلق عليه أيضا (جنوب شرق اوروبا).

الثاني: موقع منطقة المغرب العربي، (منطقة المغرب العربي) حيث الفكرة من هذين الموقعين هو (خدمه اهداف ورسالة الولايات المتحدة الأمريكية والمحتوى سيأتي من أطراف ثالثة، تكون لها مصداقيه أكثر من المسؤولين الامريكيين عند الجمهور)⁴، ان ارشيف الامن القومي أصدر وثيقة سنة 2006 تنص على محاربه الانترنت وجعله عدوا (الإدارة ستقوم بمحاربه الانترنت كما تقوم بمحاربه نظام مسلح)، فسارعت الولايات المتحدة الى السيطرة على شبكات الاتصال والمعلومات ادارته استراتيجية من اجل

– تحقيق النصر في ساحة المعركة.

– كسب الراي العام العالمي.

الذراع الثاني: الحرب الإلكترونية

وتتمثل الحرب الإلكترونية في الحرمان من الخدمة من خلال التشويش والاعتداء الالكتروني، وكذلك الخداع الذي يوجه الأنظمة الآلية او الاشخاص. وكذلك الاعتراض او الاشعاع للحصول على اي معلومات من اجل استخدامها ضد العدو، ان الهدف من هذا النوع من الحروب هو السيطرة على الطيف الكهرومغناطيسي؛ وهو مصطلح عام يشمل جميع الترددات الممكنة من الاشعاعات الكهرومغناطيسية وهي عبارته عن خطوط من الأشعة

1المصدر السابق، ص212

2مصدر سابق، ص45

3شفيق، حسين. (2007م). "الاعلام الالكتروني بين الفاعلية والرقمية." رحمه بريس للطباعة والنشر. القاهرة-مصر. ص252

4مصدر سابق، ص45-46

الصادرة من جسم اسود عند درجه حرارة معينه ويكون لكل خط طول موجه معينه وتردد معين;¹

وتعرف الحرب الإلكترونية على انها (عبارة عن هجمات تتم بواسطة استخدام الكمبيوتر او الشبكات او الأنظمة ذات الصلة وتهدف الى تعطيل او تدمير الانترنت والممتلكات او الوظائف الحاسوبية الخاصة بالخصم)² وتتألف الحرب الإلكترونية من:

1. الهجوم الإلكتروني من خلال التشويش على اتصالات، وكذلك على رادار العدو، مما يجعل معداته غير صالحة للاستعمال

2. الحماية الإلكترونية: وهو عمليه انشاء انظمه مهمتها مقاومة وتشويش كل انواع الهجمات الاخرى، ويسمى هذا النوع بأمن الاتصالات.

3. الدعم الإلكتروني: ويعمل هذا الموضوع على توفير المعلومات وتحديد التهديدات، وذلك من اجل تحقيق الهجوم والحماية الفعالة
الذراع الثالث: الذراع العسكري

وهي عباره عن اجراءات تهدف الى خداع العدو، وذلك من خلال التلاعب والتشويه او تزوير الأدلة، مما يجعله ان يستجيب بطريقه تضر بمصالحه.

الذراع الرابع: العمليات الأمنية

وهي عمليه منهجه غايتها حرمان العدو من الوصول الى المعلومات الحساسة
الذراع الخامس: امن المعلومات

وهي مجموعه من الطرق والوسائل التي تعتمدھا مع المؤسسات، وذلك من اجل السيطرة على المعلومات وحمايتها من السرقة او الابتزاز او التلف او الضياع او التزوير او الاستخدام غير المرخص وغير القانوني³

الذراع السادس: الهجمات عن طريق جهاز الكمبيوتر

مجموعه من العمليات تهدف الى ازاله او تعطيل او منع الوصول الى المعلومات، مع تدمير المعلومات التي يحتويها جهاز الكمبيوتر او تدمير تلك الأجهزة.

المبحث الثاني

2- استراتيجيات تعزيز الامن المجتمعي

ان مفهوم الامن الاجتماعي يكمن في تحقيق سلامه الافراد والجماعات من جميع الاخطار الداخلية والخارجية، التي تهددهم وتعترضهم، سواء كانت تلك الاخطار عسكريه ام غيرها، ويترتب عليها القتل والاعتداء على الناس وممتلكاتهم، وتكون تلك الاخطار عباره عن نقشي الاجرام الذي يؤدي الى المساس بالامن الاجتماعي، فمن اجل توفير الامن وعدم التعدي على السيادة والنظام، تسعى الدول الى وضع قواعد عامه في العلاقات الاجتماعية، والتي تجب على كل الاطراف احترامها، ان الخطوة الاولى التي تسعى اليها الدول في تحقيقها هو الامن

1جمال، نازي. (2021). "الطيف الكهرومغناطيسي، فنة اسلحة جديده للقوات الجوية الإلكترونية الأمريكية." العربية اون لاين. 4 ديسمبر 2021. تمت الزيارة بتاريخ 2024/9/19.

WWW.alarabiya.net

2Kittichaisaree.K, (2017). Public international law of cyberspace. Law Governaceand technology. Series. 32.p154.

3الجمبري، محمد منير، وممدوح محمد الجمبري. (2005م). "امن المعلومات الإلكترونية." دار الفكر الجامعي. ط1. دار الفكر الجامعي. الاسكندرية-مصر. ص 14

البدني، وبدونه لا يبقى اي قيمة للخيرات الاخرى، ومصادقه وجود الشرطة والتي يعتبر وجودها مادي لحماية الافراد داخل المجتمع¹

كما يعد الامن الاجتماعي مسؤولية اجتماعية، لأنه تتمثل من مسؤوليه الفرد اتجاه نفسه تارة ومسؤوليته اتجاه أسرته تارة اخرى، فعلى اثر هذه المسؤوليات ظهرت لنا الاعراف العشائرية، وعاداتها وتقاليدها، لتكون جزء مهم من القانون السائد في المجتمع فان للمجتمع دورا في المحافظة على الامن الاجتماعي، من خلال اساليبه المتعددة، وكما للأمن ابعاد مادية كذلك لديه ابعاد معنوية ونفسية وروحية للفرد وللمجتمع وليس لاحدهما دون الآخر، وهذا يفسر لنا ان للأمن الاجتماعي ابعادا متعددة منها السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والمعنوي²

ان مفهوم الامن الاجتماعي في وقتنا الحالي له عده اوجه، وذلك بسبب مجالات الحياة المرتبطة بهذا المفهوم، وكذلك لاختلاف اهتمامات العلماء والمفكرين، فيمكن ان ننجز مفهوم هذا المصطلح بجوانب عده وهي:

— الجانب التنظيمي: وهو عناية الدولة ومؤسساتها بالبعد الجنائي وحماية افراد المجتمع من اي اعتداء يحتمل وقوعه.

— الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي: وهو إدراك أجهزة الدولة المختصة في تطبيق استراتيجيات معينة من اجل الحفاظ على المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتطويرها³.

— الجانب العسكري: وهو الحفاظ على امن الاقليم وتوفير الحماية العسكرية له. ولكن وزير الدفاع الامريكي الاسبق روبرت مكنمار، يرى ان هذه الجوانب غير مستقلة عن بعضها، بل هي مفهوم متكامل وشامل وهو (التطور والتنمية سواء منها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في ظل حمايه مضمونه وهذا لا يتم الا من خلال توفير الامن العسكري لحمايه التطور والتنمية من المخاطر والتهديدات) اما هنري سنجر وزير الخارجية الامريكي الاسبق يقول (اي تصرفات يسعى المجتمع عن طريقها لحفظ حقه في الحياة) وكذلك عرف الامن المجتمعي بانه (قدرة المجتمع والدولة على مواجهه كافة التهديدات الداخلية والخارجية بما يؤدي الى الحفاظ على كيانه وهويته واقليمه وموارده وتماسكه وتطوره وحرية ارادته)⁴

اما الامن الاجتماعي من وجهه نظر اسلاميه فهو (الطمأنينة التي ينفي الخوف والفرع عن الانسان فردا او جماعه في سائر ميادين العمران الدنيوية بل ايضا في المعاد الاخروي فيما وراء هذه الحياة الدنيا)⁵، ومن خلال ما تقدم يتضح لنا بان الامن الاجتماعي يواجه جبهتين هما:

— الجبهة الأمنية: وهي عمليه تحرير الفرد والمجتمع من الخوف وعدم الاستقرار المادي والمعنوي.

1 برو، فيليب. (1998م). "علم الاجتماع السياسي". ترجمه عرب صاصيلا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت-لبنان. ص99

2 عمارة، محمد. (1998م). "الإسلام والامن الاجتماعي". دار الشروق. القاهرة-مصر. ص5

3 البهي، محمد. (1974م). "الدين والحضارة الإنسانية". دار الفكر. بيروت-لبنان. ص27

4 Snimedamine. Maktoobblog.com.

5 الجيلاني، رشاد صالح زيد. (1433هـ). "الامن الاجتماعي مفهومه تأصيله الشرعي وصلته بالمقاصد الشرعية". بحث منشور في المؤتمر الدولي الامن المجتمع في التصور

الاسلامي. جامعه ال البيت /كلية الشريعة. المرق-الأردن. ص40-1، ص 13

— الجبهة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهذا يعني تحقيق كافة متطلبات الحياة العامة، من رفاه اقتصادية وتنمية وتطوير وحرية ومشاركة سياسية وحكم راشد وعدل ومساواة وخدمات تعليمية وصحية وتنمية بشرية¹

2-1 مقومات الامن الاجتماعي

1. الحكم الراشد: ويتلخص هذا المفهوم بالتنسيق للفاعلين في مجموعات اجتماعية او داخل وخارج مؤسسات الحكومة، والغرض من هذا التنسيق هو تحقيق الاهداف التي تمت مناقشتها وتحديد جماعيا ويساهم هذا الحكم في استقرار المجتمع والنظام السياسي وتوجيه القدوة على حكمه وضمان شرعيته²
اما مظاهر الحكم الراشد فهي:

— المشاركة السياسية: هو ان يكون المواطن صاحب رأي في صنع القرار.
— حكم القانون: هو ان يكون القانون هو السيد والحاكم ولا يعلى عليه أحد.
— الشفافية: يجب ان تكون الشفافية مظهر من مظاهر سيادة القانون، حيث تمكن المواطن بالاطلاع على مجريات الحياة الاقتصادية والسياسية وغيرهما، لعدم اثاره الريبة والشك في نفس المواطن من كفاءه المسؤولين في حسن اداره شؤون الدولة.

— تحقيق الاجماع الوطني: وهو ان يكون اجماع من قبل افراد المجتمع حول المصالح التي تنفعهم وتخدمهم ويكون من خلال مجموعه من التدابير التي تتخذها السلطة الحاكمة.

2. المساواة والعدل: من اجل سياده حكم الجماعة وتحقيق امنها الاجتماعي، يجب ان يسود المجتمع العدالة والمساواة، فميادين المساواة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، تسعى كل الدول جاهده من اجل تحقيقها بين ابنائها من دون النظر الى خلفياتهم القومية والعرقية والمذهبية، وذلك من اجل تحقيق الانسجام الاجتماعي، اما العدل فهو امر عام كما امر به القرآن الكريم في قواه تعالى (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)³، ويعتبر العدل نظام الله وشرعه، وان الناس عباده وخلقه يستون ابيضهم واسودهم، مسلمهم وغير مسلمهم ونسائهم ورجالهم فيجب ان يحكم بينهم بالعدل⁴

3. المواطنة: ويقصد بها الشعور بالانتماء الى مجتمع واحد، يرتبط به المواطن بروابط سياسية واجتماعية وثقافية موحدة، وبما ان للمواطن حقوق، بالمقابل عليه واجبات والتزامات اتجاه مجتمعه، فيجب ان يكون مواطن ايجابي وفعال من خلال استنهاضه في رفع مستوى مجتمعه ووطنه الحضاري، وذلك عن طريق عمله الرسمي او التطوع.

2-2 التهديدات التي تواجه الامن الاجتماع⁵

تعمل المؤسسات الحكومية والدينية في المجتمع على توطيد الامن الاجتماعي، وذلك من خلال مواجهه التهديدات التي تزعزع الامن داخل المجتمع وهذه التهديدات هي:

1شيلي، مختار حسين. (2012م). "دور الشرطة في تحقيق الامن المجتمع." بحث مقدم لمؤتمر الامن الاجتماعي في المرجعية الإسلامية. جامعه ال البيت/ كلية الشريعة. الاردن.

ص1-22، ص4

2الخبلي، محمد بن الحسين الفراء. (1980م). "الاحكام السلطانية." صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ط3: ص11

3سورة النساء: اية 58

4مظهر، جلال. (1974م). "حضارة الاسلام وأثرها في الترقى العالمي." منشورات مكتبة الخانجي. القاهرة-مصر. ص 228-229.

5شيلي، مختار حسين. (2012م). "دور الشرطة في تحقيق الامن الاجتماعي." بحث مقدم لمؤتمر الامن الاجتماعي في المرجعية الإسلامية في 3-4 تموز. جامعة آل البيت/ كلية

الشريعة. الاردن. ص6-8

- الانحراف والتطرف: وهو الابتعاد والحياد عن الطريق السوي، وذلك عندما ينتهك المعايير الاجتماعية من خلال مجانية الفطرة السليمة واتباع الهوى والخطأ المنهي عنه شرعاً وقانوناً.
- اهمال الأسرة وفساد الاخلاق: بما ان الأسرة هي الخلية الاولى وهي الحوض الاول للإنسان، فيقع على عاتقها تربية ونشأة الانسان نشأة صالحة، من اجل اعداده اعداداً تاماً لمواجهة الحياة والعيش في المجتمع، فيجب اعطائه القدر الكافي من ذلك الاعداد، لكي نضع جيلاً محصناً من اللامبالاة والفساد بكافة صورته.
- المخدرات: ان من الآفات الكبيرة والخطيرة التي تضرب المجتمع هو المخدرات، لكونها تترك اثار سلبية على صحة الابدان والنفوس، وتبديد القدرات والطاقات، وتكون باباً لارتكاب الجرائم المختلفة.
- الفساد: ان الاثار والنتائج التي يخلفها الفساد بكل اشكاله وأوجهه على البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فيتأثر بذلك المجهود الذي بذل من اجل تحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية.
- الفقر والبطالة: من أخطر المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعرقل الامن الاجتماعي، هو الفقر والبطالة فهي تؤدي الى الحرمان والعوز، وبهذا فهي تشكل بيئة مناسبة للتذمر والانحراف الاجتماعي، وبالتالي فهو تهديد للقيم والاعراف المجتمعية وينشر الفوضى والخوف فيه.

المبحث الثالث

3- النظرية السلوكية أو نظرية التعلم الاجتماعي لألبرت باندورا

3-1 ألبرت باندورا

ولد عالم النفس الكندي البرد بندورة سنة 1925م، في مدينه موندري جنوب البرتا في كندا، حصل على شهادة البكالوريوس في علم النفس في جامعه كولومبيا البريطانية، عام 1949، ثم حصل على شهادة الدكتوراه عام 1952م وعمل بالتدريس في جامعه ستانفورد عام 1953 وعد ثلاث سنوات، حصل على الجنسية الأمريكية، فقد أصبح له تأثير كبير في نظريه السلوك والتعلم وكان رئيس جمعيه علم النفس الأمريكية سنة 1973م، تميز هذا العالم بانه تعامل مع مدرستين فكريتين هما الإدراكية والسلوكية، وحصل على جائزة APA.¹

3-2 مفهوم النظرية

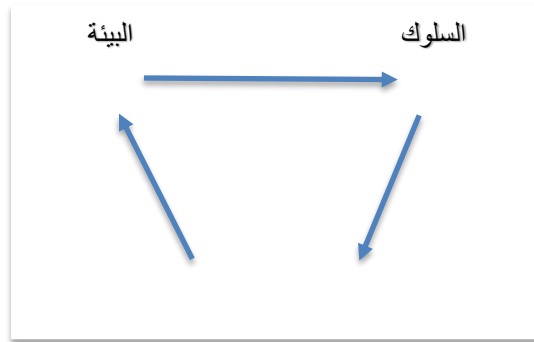
تقتض هذه النظرية ان الانسان وهو كائن اجتماعي، فانه يتأثر بمشاعر وتصرفات وتوجهات وسلوكيات الآخرين، اي ان بإمكانه التعلم منهم من خلال الملاحظة والتقليد، وقد يتأثر بها سواء كان ثواباً أم عقاباً على حد سواء ولهذا يعطي التعلم طابعاً تربوياً لأنه لا يتم من فراغ بل يكون من محيط اجتماعي². فقد أكد كل من العالمان (بندورة وولترز) على حتمية التفاعل بين المكونات الثلاثة الرئيسية وهي: السلوك، والمحددات المرتبطة بالشخص، والمحددات المرتبطة بالبيئة في التعليم. ويعد السلوك في هذه المعادلة وظيفة لمجموعة

1 حمزة (2021). "تكوين البيئة اللغوية لتنمية مهارة الكلام على ضوء النظرية السلوكية لألبرت باندورا." رسالة ماجستير. جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج/

كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية. كراكان-اندونيسيا. ص33

2نشواتي، عبد المجيد. (2005). "علم النفس التربوي." دار الفرقان. إربد-الأردن. ص8

المحددات السابقة واللاحقة، فان كل مجموعه منها تشمل على متغيرات ذات طابع معرفي والشكل الاتي يوضح ذلك



ويعرف التعلم الاجتماعي: هو تغيير شبه دائم نسبيا في المعرفة والسلوك، يحدث من خلال الموافقة التي تتضمن علاقة الفرد باخر او فرد بجماعة، حينما يحدث تأثير متبادل بينهما، وهكذا لتعلم الفرد المعايير والقيم والعادات الاجتماعية والمعارف والمهارات التي تساعد على توافق الاجتماعي¹

3-3 نظرية التعلم الاجتماعي

تعد هذه النظرية من النظريات التعليمية التي تهتم كثيرا بسلوك الانسان وتبين انه باستطاعته ان يتفاعل مع البيئة المحيطة به، وان سلوكه يكون من خلال خبرته ورعايته لبيئته، فالاتجاه السلوكي في اكتساب سلوكيات وانفعالات جديدة، وتعلمها وتعليمها أحد نتائج تطبيق هذه النظرية، ان هذه النظرية ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين²، وتوضح هذه النظرية ان الافراد باستطاعتهم ان يتعلمون سلوكيات جديدة بعدة الطرق منها:

- التعزيز: ويقسم الى التعزيز غير المباشر: وهو شعور المتعلم بالرضا عندما يعتبره قدوة او نموذج له عندما حصل على تعزيز لقيامه بسلوك معين، والقسم الثاني التعزيز بالإجابة: هو انتقال التعزيز الى المتعلم بمجرد رؤية زميله حصل على تعزيز امامه لقيامه بسلوك معين.
- العقاب.
- الملاحظة.

ان كانت النتائج ايجابية للسلوك الذي يلاحظونه فسوف تزداد احتماليه تقليدهم ومحاكاتهم اياه، وبما ان الانسان في عمليه تعلم مستمر فان التقليد والمحاكاة لديه سمة طبيعية، لان التحديات الجديدة التي يواجهها الانسان في حياته اليومية، تفرض عليه التعلم، فيضطر الى البحث عن نموذج يقتدى به او قراءة عدد من المصادر، من اجل تذليل تلك التحديات، مثال على ذلك عندما يرى الطفل والديه يرفعون صوتهم عند الغضب سيقوم هو بنفس الشيء عندما يمر بنوبة غضب، لان هذا ما تعلمه منهم للتفيس عن الغضب، ويكون هذا الاسلوب

1 عطية، سعدي جاسم. (2021م). (نظريات التعليم والتعلم "نظرية التعلم الاجتماعي/ باندورا". رسالة ماجستير. الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساس-قسم رياض الأطفال.

بغداد-العراق. ص vii.

2 العسلي، عبد العزيز ابراهيم. (1437هـ). " النظرية اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية." جامعه الامام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض-السعودية. ص 19

اسلوب التعلم بالملاحظة، وهذا ليس بغريب على المؤمنين فقد جاء عن النبي الاكرم صلى الله عليه واله قوله "صلوا كما رأيتموني اصلي"¹ وكذلك جاء في القرآن الكريم " وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"² وهذا حال الشيعة الاثني عشرية في مساله التقليد واتباع العالم في فروع الدين فهو يعد من الامور الفطرية.

3-4 ملاحظات حول التعلم الاجتماعي

1. ان الكثير من التعلم الذي يكتسبه الانسان هو معرفي.
2. ان من المصادر المهمة في التعلم هو نتاج الاستجابات، اي عندما تحدث استجابة من الشخص او الجمهور حول موضوع معين.
3. يتم التعلم عن طريق الملاحظة.
4. ان عملية الانتباه تتأثر بالنموذج الملاحظة، مع ماهية الشخص الملاحظ وظروف الباعث.
5. عمليه الاحتفاظ تتم عن طريق الترميز والتكرار (الإعادة).
6. الصور الذهنية والافكار المكتسبة في التعلم بالملاحظة، تكون حوافز ودوافع داخلية شبيهة بالحوافز والدوافع الخارجية التي يقدمها النموذج.
7. عمليه التعلم التي تكتسب عن طريق الملاحظة تكون منعكسه في السلوك الظاهر.
8. ان المعلومات التي تكتسب عن طريق التعلم بالملاحظة تنتقل من التوضيح المادي او الصور او الكلمات
9. ان مصدر الابداع هو التعلم بالملاحظة.
10. ان ملاحظه النموذج يؤدي الى كف السلوك وتحريره، وتعلم سلوكيات جديدة.
11. مصدر تعلم المبادئ والقواعد الاجتماعية هو التعلم بالملاحظة.
12. ان الانسان لا يحتاج بضرورة ان يمر بالخبرات مباشرة، لكي يتعلمها ولكن يمكن ان يتعلمها بشكل بديلي غير مباشر عن طريق الملاحظة.
13. ان زيادة دافعية الفرد او اضعافها يعتمد على الدور المهم الذي تلعبه نتائج السلوك المترتبة على النماذج كالتعزيز والعقاب.
14. ان الانماط السلوكية التي يتعلمها الفرد من خلال الملاحظة، لا يشترط بها ان يتعلمها بشكل حرفي بل يتعلم جزء منها ويترك الاخر وذلك حسب مستوى التنفيذ للسلوك.
15. تقوم العمليات المعرفية بالتحكم بالحالة الانتقائية، والتي بدورها يقوم بالتحكم بعملية التعلم والقيام بما تعلمه.
16. ليس من الضرورة ان ينفذ الانسان ما تعلمه من خلال الملاحظة، بل يتم تخزينه في الذاكرة واستدعائه عندما يتطلب الأمر لذلك³

3-5 اليات التعلم بالملاحظة

1. التبادلية: ان ظواهر التعلم تكون على اساس تبادلي، وذلك من خلال ملاحظه سلوك الافراد ونتائجه المعكوسة على الشخص الملاحظ

1 العلامة الحلي. (1412هـ). "مختلف الشيعة". مؤسسة النشر الاسلامي. قم-إيران. ج. 2. ط. 1: ص 259.

2 سورة الحشر: آية 7

3 احمد، روان. (2024م). "المفاهيم الأساسية لنظريه باندورا". اي عربي اون لاين. 18 اغسطس، 2024م. تمت مراجعته الموقع بتاريخ 2024/9/22. WWW.e3arabi.com

2. العمليات المعرفية: ان تعلم الانماط السلوكية يتم على نحو اوتوماتيكي فهي تتم على نحو انقائي وتتأثر الى درجه كبيره بالعمليات المعرفية لدى الملاحظ، كالاستدلال والتوقع والادراك وغيرها.
 3. التنظيم الذاتي: وهو عمليه تنظيم الانماط السلوكية وفق النتائج التي يتوقع منها.
 4. المحاكاة والتقمص: كثير من الباحثين يميلون الى التفرقة بين هذين المصطلحين، فالتقمص عمليه التقليد كما يقوم بها الطفل، اما المحاكاة فهي ليست بهذا العمق بل هي عمليه نسخ او تقليد سلوك معين لدى الآخرين.
 5. النموذج وهو الشخص الذي يكون سلوكه قدوة يحتذى به.
 6. استثارة السلوك لدى الملاحظ ليكون سلوكه لا يتطابق مع سلوك النموذج ولا منحرف عنه بل مشابه له الى حد ما.
 7. الكف وإطلاق السلوك: وهو قمع السلوك المنحرف الذي تعاقب من خلاله النموذج.
- 3-6 العوامل المساعدة للتعلم الاجتماعي
1. الاهتمام والانتباه: ان وجود انماط سلوكية جديده مطروحة من قبل النموذج ليس كافيا لحدوث التعلم بل يجب ان يكون هناك اهتمام وانتباه لهذا السلوك وتعلمه.
 2. الاحتفاظ: ان عمليه التعلم بالملاحظات توفر قدرات عند الملاحظ، فيها التمثيل الرمزي للأنماط السلوكية وتخزن على شكل تعبير او حركه او لفظ.
 3. الانتاج او ما يسمى الاستخراج الحركي التعلم بالملاحظة لدى الناس يجب ان تتوفر فيه القدرات اللفظية او الحركية لترجم هذا التعلم في سلوك واداء خارجي قابل للملاحظة والقياس.
 4. الدافعية يجب ان يتوفر دافع او حافز لدى الفرد من اجل التعلم بالملاحظة.
- 3-7 مصادر التعلم الاجتماعي
1. التفاعل مباشر من الجمهور في الحياة الواقعية.
 2. التفاعل غير المباشر ويتم ذلك عن طريق وسائل للأعلام المتنوعة والسينما والتلفزيون والراديو.
 3. التفاعل غير المباشر من خلال تمثله بعض الانماط السلوكية والتي تكون رمزا على نحو معين.

المبحث الرابع

4- المجتمع العراقي

يعرف المجتمع على انه: مجموعه من الافراد يقطنون رقعته جغرافية معينة، تجمع بينهم روابط معينة بعدد من الثوابت والقواعد الاجتماعية يكفلها القانون، حيث ان الفرد في هذا المجتمع لا يستطيع مخالفة قواعد التعايش العامة ضمن نطاق المجتمع هذا او الانحراف عنها، لأنه في حال فعلها فانه يعرض نفسه للعقاب اضافة للوم والسخط¹، وكذلك يعرف بانه مجموعه من الافراد يقطنون في جغرافية محددة ومعترف بها وتمسك بمجموعة من المبادئ

1الخلايقه، غادة. (2018م). "مفهوم المجتمع في الفلسفة". موضوع اون لاين. 19 يونيو 2018م. تمت مراجعته الموقع بتاريخ 2024/9/25. WWW.mawdoo3.com.

والمقاييس والقيم والروابط الاجتماعية والاهداف المشتركة اساسها اللغة والمصير المشترك الواحد¹.

وهناك تعريف للمجتمع العراقي هو: مجموعة أنماط معقده وشائكة من الممارسات السلوكية التي تنظمها القواعد والضوابط الخلقية والقيمية التي يعترف بها المجتمع وجاءت نتيجة صلاحيتها وفعاليتها في تمشيه امور المجتمع والحفاظ على كيانه وتحقيق اهدافه القريبة والبعيدة².

العناصر الاساسية الاربعة للمجتمع العراقي:

1. الشعب: وهو مجموعه من الافراد.
2. الوطن: وهو الارض التي نعيش عليها.
3. الروابط الاجتماعية التي تربط ابناء المجتمع وتكون اساسا في وحدته وتضامنه.
4. اللغة والتاريخ والعادات والتقاليد الاجتماعية والاهداف العليا والمصير المشترك الذي يجمع ابناء المجتمع الواحد سوية من اجل مواجهة الاخطار والتحديات وبلوغ الغايات العليا التي يصبو اليها الافراد والجماعات³.

ان التنوع الذي يتمتع فيه العراق يعطي قيمه جمالية اخرى لهذا الوطن العريق، بالإضافة الى القيم الجمالية التي يتمتع بها من الشجاعة والمروءة والكرم وغيرها، فيتألف المجتمع العراقي من تركيبة سكانية متعددة في العراق والديانات والمذاهب، فعلى هذا الاساس اعطى الدستور وبمادته (43) الحرية لاتباع الاديان والمذاهب لممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية، ففي عام 2020م تجاوز عدد سكان العراق 40 مليون نسمة، هذا ما افادت به وزاره التخطيط العراقية.

ويتألف العراق من قوميتين رئيسيتين هما العربية والكردية، تبلغ القومية العربية 80% من السكان، بينما القومية الكردية 15% من السكان، وباقي القوميات والاثنيات الاخرى تبلغ 5% هذا ما جاء حسب دستور 1970م⁴، ويقسم العرب الى طائفتين رئيسيتين هما السنة والشيعة، فتمثل الشيعة حوالي 69% من المجتمع العراقي بينما سنة يمثلون من 29-34% حسب وكاله الاستخبارات المركزية الأمريكية.

وبحسب المفوضية العليا للانتخابات فالتمثيل السياسي داخل البرلمان يتكون من 329 مقعد. 320 مقعد توزع على المحافظات ودوائرها الانتخابية و9 مقاعد توزع على الاقليات، فلو رجعنا الى انتخابات 2018م سنلاحظ ان 177 مقعد كان من نصيب المذهب الشيعي و71 مقعد كان من نصيب المذهب السني و58 مقعد كان القومية الكردية كانت الاقليات و4 مقاعد للتركمان 5 مقاعد للمكون المسيحي ومقعد واحد لكل من الشبك والايديين في الموصل، والصابئة في بغداد والكرد الفيلية في واسط.

اما القومية الكردية فقد وصل عددهم 5.2 مليون نسمة، نسبة المسلمين في الكرد 97% منهم 80% سنة و15% شيعة والذين يسمون بالكرد الفيلية، والتركمان يبلغ عددهم 3 مليون

1 هاشم، زينب. (2014م). "محاضرات عن دراسات في المجتمع العراقي". الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية-قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي. مادة المرحلة الاولى.

ص3

2المصدر السابق، ص4

3المصدر السابق: ص5

4زيدان، رضا. (2021م). اعراق وديانات متنوعة في العراق كيف تتوزع؟ وما هي خصائصها؟. "المباين اون لاين". 24 ايلول 2021م. تمت مراجعته الموقع بتاريخ 2024/9/25.

....WWW.almayadeen.net/ne

نسمة، فلا توجد هناك احصاءات دقيقة لانتماءاتهم المذهبية، ولكن هناك بعض الآراء تشير الى ان نسبة 50% هم من المذهب الشيعي و50% هم من المذهب السني. والمسيحية في العراق وتعتبر ثاني أكبر ديانة بعد الاسلام، فقد اقر الدستور العراقي بهذه الديانة والذي اسماهم (الكلدواشوريين) وهذا الاسم شامل لكل اقسام المكون المسيحي والتي هي (الكلدان، والاشوريين، والسريان، الارثوذكس، والارمن وغيرهم. ان الدستور العراقي اقر بـ 14 طائفة مسيحية مسموح التعبد فيها داخل العراق، اما بالنسبة لأعدادهم فهي غير ثابتة وذلك بعد نزوحهم خارج العراق بعد 2003م حيث كان عددهم آنذاك 1.450.000 مليون. اما الايزيديون وهم المكون ديني في الاساس، اما عرقيا فهم بين القومية العربية والقومية الكردية، وكذلك التركية والفارسية فهم باستطاعتهم ان يتحدثوا لغات تلك القوميات، أما بالنسبة لعددهم فيبلغ 550 ألف العراق، وبالنسبة للصائبة المندائية وهي ديانة غير تبشيرية حيث لا تسمح ولا تؤمن بدخول أحد إليها، فلا تتوفر احصائيات دقيقة على عددهم الا ان هناك من يقول ان عددهم يبلغ 15.000 ألف صابئي يتواجدون في المحافظات الجنوبية من العراق.

نموذج عملي: تعديل قانون الأحوال الشخصية (57)

يعرف قانون الاحوال الشخصية على انه "مجموعه القواعد القانونية التي تنظم علاقة الافراد فيما بينهم، من حيث صلة النسب والزواج وما ينشأ عنه من مصاهرة، وولادة، وولاية، وحضانة، وحقوق وواجبات متبادلة وما قد يعتريها من انحلال يترتب عليه حقوق في النفقة والحضانة"¹. يقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام "الا واني لست نبيا ولا يوحى ألي، ولكن اعمل بكتاب الله ما استطعت، فما امرتكم به من طاعة فحق عليكم طاعتي فيما احببتم وفيما كرهتم، وما امرتكم به او غيري من معصية الله فلا طاعة في المعصية، الطاعة في المعروف الطاعة في المعروف (قالها) ثلاثا"²

ففي العهد الملكي سنة 1945م وفي نهاية الشهر التاسع، اصدرت هذه الحكومة امرا ملكيا لتشكيل لجنة من اربعة اعضاء لكتابة الاحوال الشخصية، وبعد انجاز اللائحة التي كانت قد لغت التشريعات الاسلامية في القانون السابق، تصدى لها السيد محسن الحكيم (قد) وقد ارسل رسالة الى قاده انقلاب ثمانية شباط في سنة 1963م، جاء فيها "ان حكومة العهد الملكي المقبور سبق وان شرعت قانونا للأحوال الشخصية فألغت فيه الشرع الاسلامي وعرضته على مجلس النواب فأرسلت احد اولادي للاتصال بالنواب وابلاغهم استنكاري لهذا القانون ووجوب الغائه واصدرت رايي بهذا الشأن مما حدا بالنواب الى معارضته ما اضطرت الحكومة الى احالته على لجنة مختصة لدراسته واعاده النظر فيه.. فكانت هذه نهايته ونتيجة لهذه الضغوط اضطر مجلس النواب الى رفض مشروع القانون"³

وفي العهد الجمهوري قامت وزاره العدل بتشكيل لجنة لوضع لائحة للأحوال الشخصية، وكانت في مقدمة اللائحة الغاء القوانين الإسلامية وتشريعاتها في هذا الموضوع، والذي يشمل النكاح، والطلاق، والارث وغير ذلك. وتم على أثره اصدار قانون 188 لسنة 1959م، والذي نشر في جريدة الوقائع الرسمية في سنتها الثانية في عددها 280 المؤرخ في

1الكعبي، سعد جاسم. (2024). "قانون الاحوال العراقي الجديد مشكلة ام حل؟!". شفق أونلاين. 15 اغسطس، 2024م. تمت زيارة الموقع بتاريخ 2024/9/26.

/WWW.shafaq.com/ar

2المجلسي، محمد باقر. (1403هـ). بحار النوار. بيروت، مؤسسة الوفاء. ط:2، ج:34، ص:362

3العالمي، احمد عبد الله ابو زيد. (2006). "محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق". مؤسسه العارف للطبوعات. النجف-العراق. ج:1، ص:334

1959/12/20م، فقد تصدى السيد محسن الحكيم (قد) رافضا هذا القانون وطالب مرارا وتكرارا تغييره الا ان عبد الكريم قاسم لم يعبأ لذلك، فلهذا لم يستقبله السيد الحكيم في ايام حكمه الاخير¹ وقد توالى الاعتراضات على هذا المشروع من قبل مراجع الدين في ذلك الوقت، حتى قام السيد محمد بحر العلوم (قد) بالرد على القانون فكتب "اضواء على قانون الاحوال الشخصية".

التعديل الثاني في سنة 1987م وذلك بعد ان قدمت المدعوة منال يونس¹، وكذلك هذا التعديل لم ينص في فقراته على اي نص اسلامي على الرغم من ان القانون يخص الأغلبية المسلمة في العراق، يقول الشيخ مجيد العقابي، رئيس مركز الحوار للفكر والاصلاح، في مقابله تلفزيونيه لقناه الايام الفضائية بتاريخ 30 يوليو 2024م "بسبب منال يونس التي طلقت من زوجها فاصبح اليوم الشعب العراقي كله يتحمل تبعات تغيير قانون 57 لأجل منال يونس التي كانت هي موظفه تحت القضية الإعلامية التابعة له ولسلطته الظالمة (صدام حسين) يعني شنوا ذنب الاطفال اليوم عندي اليوم 8000 حاله طلاق اختي الكريمة 8000 حاله طلاق شلون اعالجها بهاي الصيحات الفاسدة هاي القاصرات بالشوارع ما حد يجي يقول هاي قاصر لكن يتهمونه واحنا اصلا ما نزوج قاصرات" ليتقدم النائب المستقل الدكتور (رائد المالكي) بمقترح تعديل قانون الاحوال الشخصية ليتيح بهذا التعديل للأغلبية الشعبية ان تكون احوالهم الشخصية من زواج وطلاق وحضانة وغيرها وفق المذهب الذي ينتمون اليه، وهذا ما جاء في الدستور بمادته 41 حيث جاء فيها (العراقيون احرار في الالتزام بأحوالهم الشخصية حسب دياناتهم او مذاهبهم او معتقداتهم او اختياراتهم وينظم ذلك بقانون)، فأتار هذا المقترح الذي تم قراءته قراءه اولى وثاني جدلا كثيرا.

تطبيق النظرية

قدمت هذه المشكلة عنصرين مهمين كما قدمتھا النظرية وھما:

– النموذج والذي تمثل (برجال الدين من مراجع واساتذة حوزات واصحاب المناابر من الشيوخ والسادة) حيث قدموا أنفسهم نماذج صالحة مدافعة عن الدين والمذهب، وكانوا ومازالوا مثالا يحتذى بهم.

– الملاحظ والذي تمثل بالجمهور الذي أقتدى بالنموذج معرفيا.

خطوات عمل النظرية

1. من خلال نظرية التعلم نلاحظ انه يجب ان يكون هناك تفاعل مع البيئة وهذا ما حدث عندما تفاعل الجمهور صاحب الاغلبية الشعبية مع التعديل، فبدأ باستيعاب وتعلم القانون القديم وماهيته وغاية التعديل الجديد، وذهب يعلمها للآخرين.
2. في عوامل التعلم الاجتماعي هو الاهتمام والانتباه، فقد بدأ الجمهور يتأثر بمشاعر وتوجهات النموذج (القدوة) من خلال ملاحظته وتقليده لهم بتعبير لفظي، وبما ان التعليم الاجتماعي هو تغير شبه دائم او نسبي في المعرفة والسلوك فان التغير الذي اوجدته النماذج هو تغيير معرفي. فقد اهتم الجمهور بتعديل القانون وانتبه الى النموذج وهم (رجال الدين منهم مراجع واساتذة حوزات واصحاب مناابر من الشيوخ والسادة) وراح يقلدوهم معرفيا.

1منال يونس عبد الرزاق الالوسي رئيسة الاتحاد العام لنساء العراق منذ عام 1976 الى سقوط النظام عام 2003م، وكذلك كانت عضوا في مجلس الوطني العراقي (البرلمان) لدورتين

3. أما الدافع لهذا العمل هو: الدفاع عن تطبيق حكم الله سبحانه وتعالى في أحوالهم الشخصية وحسب مذهبهم.
4. إن مصدر التعلم في هذه الحالة هو التفاعل المباشر عن طريق المظاهرات والندوات والملتقيات النسوية والشبابية المؤيدة للتعديل والتفاعل غير المباشر عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي في تأييد التعديل والدفاع عنه.

النتائج

1. اضافة العمليات النفسية طفرة نوعية في الحروب الحديثة حيث نقلتها نقلة جذرية من الحروب التقليدية التي تستهدف محيط الانسان (بيئته)، الى اجيال الحروب التي تستهدف داخل الانسان من ادراكات ومعتقدات واحاسيس ودوافع وسلوكيات.
2. تستخدم العمليات النفسية في الحرب والسلام على حد سواء، لأنها تساعد على السيطرة على الهدف وكذلك ممكن أن تحصل من خلالها على التأييد الداخلي والخارجي.
3. ان وجود وسائل الاعلام وقربها من ميدان الصراع، يسهل عمل العمليات النفسية التي تساعد في نجاح الجهود العسكرية.
4. ان من اهم أذرع العمليات النفسية التي تستخدمها الدول الكبرى هي: شبكه الانترنت، والحرب الإلكترونية، والخداع العسكري.
5. ان مفهوم الامن الاجتماعي يكمن في تحقيق السلامة للأفراد والجماعات من كل الاخطار سواء كانت داخلية ام خارجية عسكري ام ثقافية اقتصادي ام اجتماعية وغيرها.
6. ان اولى الخطوات التي تسعى لها الدول في منظومة الامن اجتماعي هو الامن البدني، والذي بدونه لا يبقى اي قيمه للخيرات الاخرى
7. ان الامن المجتمعي هو مسؤوليه اجتماعيه تتمثل بمسؤوليه الفرد اتجاه نفسي تارة، ومسؤوليته اتجاه مجتمعه تارة اخرى.
8. ان نظره الاسلام للأمن المجتمعي تكمن في الطمأنينة وعدم الخوف والفرع للفرد او للجماعات في العمران الدنيوي والمعاد الاخروي.
9. ان نظريه التعلم (الادراك) الاجتماعي لألبرت باندورا، تفرض ان الانسان كائن اجتماعي يتأثر بمشاعر وتصرفات وتوجهات وسلوكيات الاخرين وامكانية تعلمه تكمن في الملاحظة والتقليد.
10. التعلم اجتماعي: هو تغيير شبه دائم نسبيا في المعرفة والسلوك من خلال علاقة الفرد بالفرد الاخر او الجماعة فيحدث تأثير متبادل بينهما فيتعلم الفرد القيم والمعتقدات والمعارف والمهارات وغيرها.
11. ان من اهم القيم الجمالية التي يتمتع بها العراق هو التنوع الذي يتمتع به من الاديان والمذاهب فهو يتكون من قوميتين رئيسيتين هما العربية التي تبلغ 80% والكردية التي تبلغ 15% اما باقي القوميات والاثنيات تبلغ 5% وكذلك يتكون من طائفتين رئيسيتين هما السنة والشيعه فتبلغ نسبه الشيعة 69% اما نسبه السنة 29-34%
12. ان للمرجعية الدينية وأساتذة الحوزات العلمية ورجال الدين، الدور الكبير في إلغاء وتعديل قانون الاحوال الشخصية منذ عام 1945م الى يومنا هذا.

المصادر

1. القران الكريم.
2. تشابمان، بيرت. (2015م). "العقيدة العسكرية". ترجمه طلعت الشايب. دار الكتب المصرية. القاهرة-مصر.
3. حجاب، محمد منير. (2005م). "الحرب النفسية". دار الفجر للنشر والاشهار. القاهرة-مصر.
4. رابح، الصادق. (2004م). "الاعلام والتكنولوجيا الحديثة". دار الكتاب الجامعي. العين-الامارات.
5. شفيق، حسين. (2007م). "الاعلام الالكتروني بين الفاعلية والرقمية". رحمه بريس للطباعة والنشر. القاهرة-مصر.
6. الجمبري، محمد منير، وممدوح محمد الجمبري. (2005م). "امن المعلومات الإلكترونية". دار الفكر الجامعي. ط1. دار الفكر الجامعي. الاسكندرية-مصر.
7. برو، فيليب. (1998م). "علم الاجتماع السياسي". ترجمه عرب صاصيلا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت-لبنان.
8. عمارة، محمد. (1998م). "الإسلام والامن الاجتماعي". دار الشروق. القاهرة-مصر.
9. البهي، محمد. (1974م). "الدين والحضارة الإنسانية". دار الفكر. بيروت-لبنان.
10. الحنبلي، محمد بن الحسين الفراء. (1980م). "الاحكام السلطانية". صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ط3.
11. مظهر، جلال. (1974م). "حضارة الاسلام وأثرها في الترقى العالمي". منشورات مكتبة الخانجي. القاهرة-مصر.
12. نشواتي، عبد المجيد. (2005م). "علم النفس التربوي". دار الفرقان. إربد-الأردن.
13. العصلي، عبد العزيز ابراهيم. (1437هـ). "النظرية اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية". جامعه الامام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض-السعودية.
14. العلامة الحلي. (1412هـ). "مختلف الشيعة". مؤسسة النشر الاسلامي. قم-إيران. ج2. ط1.
15. هاشم، زينب. (2014م). "محاضرات عن دراسات في المجتمع العراقي". الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية-قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي. مادة المرحلة الاولى.
16. المجلسي، محمد باقر. (1403هـ). بحار النوار. بيروت، مؤسسة الوفاء. ط:2، ج34.
17. العاملي، احمد عبد الله ابو زيد. (2006م). "محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق". مؤسسه العارف للمطبوعات. النجف-العراق. ج1.
18. شتيح، سلمية. (2018م). "حرب المعلومات من خلال استعمالات شبكه الانترنت اصدارات تنظيم الدولة الاسلاميه في العراق والشام 2014 2015 نموذجا". أطروحة دكتوراه، جامعه الجزائر-كلية علوم الاعلام والاتصال -قسم علوم الاعلام. الجزائر.
19. عطية، سعدي جاسم. (2021م). "نظريات التعليم والتعلم" نظرية التعلم الاجتماعي/ باندورا. "رسالة ماجستير. الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية-قسم رياض الأطفال. بغداد-العراق.

20. حسني، امين. (2005م). "المفهوم الشامل للعمليات النفسية وعلاقتها بالمخابرات الاستراتيجية والتخطيط لها على المستوى الاستراتيجي." بحث زمالة غير منشور، كلية الحرب-أكاديمية ناصر العسكرية العليا. القاهرة-مصر.
21. عبد الاله. داليا انور. (2017م). "العمليات النفسية المتضمنة في بعض البرامج الحوارية كما يدركها شباب الجامعات وعلاقتها بالانتماء لديهم." كليات البنات لأداب العلوم والتربية-جامعه عين شمس. مجله البحث العلمي. في الآداب، القاهرة-مصر، العدد 18، ج5: ص1-18.
22. الجيلاني، رشاد صالح زيد. (1433هـ). "الامن الاجتماعي مفهومه تأصيله الشرعي وصلته بالمقاصد الشرعية." بحث منشور في المؤتمر الدولي الامن المجتمع في التصور الاسلامي. جامعه ال البيت /كلية الشريعة. المفرق-الاردن. ص1-40.
23. شبلي، مختار حسين. (2012م). "دور الشرطة في تحقيق الامن المجتمع." بحث مقدم لمؤتمر الامن الاجتماعي في المرجعية الإسلامية. جامعه ال البيت/ كلية الشريعة. الاردن. ص1-22.
24. شبلي، مختار حسين. (2012م). "دور الشرطة في تحقيق الامن الاجتماعي." بحث مقدم لمؤتمر الامن الاجتماعي في المرجعية الإسلامية في 3-4 تموز. جامعة آل البيت/ كلية الشريعة. الاردن.
25. حمزة. (2021م). "تكوين البيئة اللغوية لتنمية مهارة الكلام على ضوء النظرية السلوكية لألبرت باندورا." رسالة ماجستير. جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج/ كلية الدراسات العليا-قسم اللغة العربية. كراكسان-اندونيسيا.
26. صحيفة الشعب اليومية. (2021م). "كاريكاتور: مكتب التأثير الاستراتيجي الأمريكي.. عملية تجميل للحرب على الإرهاب." صحيفة الشعب اليومية أونلاين. 16 نوفمبر، 2021م. تمت زيارة الموقع بتاريخ 2024/8/30. WWW.arabic.people.com.cn.
27. جمال، نازي. (2021م). "الطيف الكهرومغناطيسي، فئة اسلحة جديدة للقوات الجوية الإلكترونية الأمريكية." العربية أون لاين. 4 ديسمبر 2021م. تمت الزيارة بتاريخ 2024/9/19. WWW.alarabiya.net.
28. احمد، روان. (2024م). "المفاهيم الأساسية لنظريه باندورا." اي عربي أون لاين. 18 اغسطس، 2024م. تمت مراجعته الموقع بتاريخ 2024/9/22. WWW.e3arabi.com.
29. الخلايقه، غادة. (2018م). "مفهوم المجتمع في الفلسفة." موضوع اون لاين. 19 يونيو 2018م. تمت مراجعته الموقع بتاريخ 2024/9/25. WWW.mawdoo3.com.
30. زيدان، رضا. (2021م). اعراق وديانات متنوعة في العراق كيف تنتزع؟ وما هي خصائصها؟" الميادين أون لاين. 24 ايلول 2021م. تمت مراجعته الموقع بتاريخ 2024/9/25. WWW.almayadeen.net/ne....
31. الكعبي، سعد جاسم. (2024م). "قانون الاحوال العراقي الجديد مشكلة ام حل؟!." شفق أونلاين. 15 اغسطس، 2024م. تمت زيارة الموقع بتاريخ 2024/9/26. WWW.shafaq.com/ar

المصادر الانكليزية

1. Venter, Daniel. 2010. "cyber guerre et guerre de I information, strategies, regles, enjeux, hermes, paris, op, cit, p29.
2. Venter, Daniel. (2007). La guerre de I information, Lavoisier, 2007. Op. cit. p242
3. Kittichaisaree.K, (2017). Public international law of cyberspace. Law
.Governanceand technology. Series. 32.p154

المواقع الالكترونية

1. Snimedamine. Maktoobblog.com.

التطرف الفكري وسبل مواجهته وفق المنظور القرآني

م.م مشعل جواد عباس
كلية الامام الكاظم عليه السلام
أقسام ذي قار/عراق الناصرية
عبد الكريم علوان الخفاجي
باحث في النص القرآني / متقاعد
رئيس منتدى الحوار القرآني/ العراق الناصرية

مقدمة

كلنا يعلم ان حديث الثقلين يؤكد على القرآن الذي هو الوثيقة الوحيدة التي اتفقت عليها جميع الفرق المسلمة ثم أحاديث النبي الاكرم (صلى الله تعالى عليه واله) والتي تخضع لقاعدة [إذا جاءكم حديث عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاعملوا به وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار] ، ونحن أصحاب الدليل نميل حيث يميل { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } الجاثية6
عندما نبحث عن حيثيات التعايش السلمي وقبول الآخر وثقافة الحوار ونبذ العنف والارهاب والتعصب واقصاء الآخر وتكفيره والسبيل الأمثل للحلول والمعالجات لابد ان تكون وفق المنظور القرآني المتفق عليه نحو خدمة الانسانية في سبيل التعايش السلمي وقبول الآخر ومجتمع خالي من التطرف والعنف والتكفير .
وان نبين الوجه الحقيقي للرسالة السماوية السمحاء من خلال تدبر النص القرآني لتنمية الوعي الاسلامي وفق المنهج الوسطي لأهل البيت عليهم السلام المتمثل بإشاعة روح التسامح والمحبة والوسطية والحوار ونبذ العنف والتطرف الديني .
ولأجل درء الشبهات المثارة حول ديننا الإسلامي الحنيف ورسولنا الكريم (صلى الله تعالى عليه واله) لابد أن نبين التناقض التام بين منهج التكفيرين والعصابات الإرهابية وما فعلوه من ذبح ورجم وسبي للنساء وبيعهن في اسواق النخاسة وجلد وتهجير وتكفير الآخرين باسم الله والاسلام ، أفعال يندى لها جبين الإنسانية والتي تبين ان أغلبها وردت في موروث أستند الى روايات وأحاديث موضوعة من قبل وعاظ السلاطين لتبرير ما فعله سلاطين الدولة الاموية والعباسية وبين المنهج الاسلامي الحق الذي حرفة تجار الدين بأحاديثهم التي أضيفت اليها الكثير من الإسرائيليات ، والحق أننا لا ندين السلوكيات المتطرفة بقدر ما نستنكر المنهج الذي استقوا منه أفكارهم وهذه الاساءات لُفقت على الاسلام وعلى رسولنا الكريم (صلى الله تعالى عليه واله) ، وأعطيت صبغة فقهية والرسول (ﷺ) بريء مما نسب اليه .
فالعدو الأول للإسلام والذي شوه صورة الدين الإسلامي عند الآخرين هو التفسير غير الدقيق لبعض نصوص القرآن الكريم ، والفهم الخاطئ لبعض كلماته ، وهذا الفهم هو الذي برر أفعال خوارج الأمس ودواعش اليوم كما يزعمون ، فهم لم يأتوا بجرائمهم من فراغ .
وعدو الإسلام الثاني هو الدعوة إلى إيقاف البحث القرآني ، واعتبار تفسير السابقين قد أناب عن أمة كاملة في التدبر الى قيام الساعة وما على الأجيال التي تليهم إلا تعلم أحكام التجويد ، مع جل تقديرنا لجهودهم حين فسروا القرآن فقد فسروه وتدبروه وفق رأيهم وسقف تفكيرهم

وسعة عقولهم ووفق حيثيات عصرهم ، فمن المؤكد يأتي جيل بعدهم يستنبط رؤيةً جديدةً لم يكتشفوها من قبل.

والمشكلة في اجترار هذا التفسير وتقديسه فنجد الاهتمام الكبير بآراء البشر وتصوراتهم بالنسبة لمسائل الدين على حساب الاهتمام بما يحمله القرآن الكريم من أدلة وبراهين لهذه المسائل ، وهذا لا يعني استنكار ما صح من التفسير السابقة بل الى منهجية لا تخرج عن ثوابت القرآن الكريم والعلم والعقل والمنطق .

اهداف البحث

1- اصلاح مشاكل التطرف الديني وعدم التعايش السلمي التي يعيشها بعض شباب المجتمع العربي نتيجة المنهج المتطرف لبعض مدارس الفقه الديني وازالة ما علق في اذهانهم من أدران هذه المناهج ، ونبين السبيل الامثل للحلول والمعالجات ونوصل رسالة ونبين للآخرين والمتطرفين الذين غُسلت عقولهم ، وبالأدلة القرآنية المبرهنة التي لا لبس فيها ان القرآن يشير الى مبدأ الحوار السامي والتسامح والتعايش السلمي وحرية الكلمة والتعبير عن الرأي والصفح الجميل ونبذ العنف وتقبل الآخر بغض النظر عن ما يعتقد ونتعامل معه إما أخاً لنا في الدين أو نظيراً لنا في الخلق .

2-السعي الجاد لتنمية الوعي الاسلامي والعمل على تنمية وتفعيل دور الشباب في فهم النصوص القرآنية التي تؤكد على الفكر الاسلامي الحقيقي المتمثل بإشاعة روح التسامح والمحبة ومبدأ الحوار وقبول الآخر لنقدم صورة واضحة عن الاسلام الحقيقي وفق المنهج الوسطي الصحيح وعدم التطرف الديني بما يواكب النهضة الفكرية والثقافية.

اهمية البحث

من الأهمية ان نبين ان التطرف الديني والارهاب وعدم قبول الآخر واقصاءه وغلق باب الحوار وتكفير الآخرين وجرائم عصابات داعش التي يندى لها جبين الانسانية ما هي الا تناقض تام مع النص القرآني والتي نتج عنها ردود افعال سلبية لكثير من الشباب في التوجه الى الالحاد ، هذه الظاهرة التي بانّت على السطح منذ خوارج الامس ودواعش اليوم والتي لا يمكن غض الطرف عنها ، وعليه لابد ان نغوص معا في بحر القرآن العظيم ونستنطق آياته من وجهة مراد الله تعالى ونبين ان القرآن الكريم وضع لنا دروساً قيمة لمبدأ الحوار والتعايش السلمي ونبذ ظاهرة التطرف والتكفير والارهاب وجرائم انتهاكات حرمة الانسان الذي كرمه الله تعالى .

وعندما نتناول هذا المحور يجب علينا ان نبحث في النص القرآني عن آلية تعامل المسلم مع الآخر وهل يشير النص الى غلق باب الحوار مع الآخر أو معاقبة أو استرقاق أو سبي نساء الآخرين أو أخذ جزية أو قتل من يخالفنا في العقيدة .

المبحث الأول

المناهج الاصلاحية لنشر مبدأ التعايش السلمي بين الشعوب

وفق المنظور القرآني

أولاً: نظيرنا في الخلق

حكمة الله تعالى وآياته تقتضي الاختلاف { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ } الروم 22 ، وعبرة [وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ]

التي وردت بصيغة المضارع في قوله { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } هود 118 تشير الى أن الاختلاف مستمر .

وتأمل الخطاب للناس جميعا لتعارفوا { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ أَكْرَمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات 13 ، وتعالى يقول { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } المائدة 48 ، وترى النداء يوم القيامة الى كل الأمم { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } الجاثية .

وكذلك لا تفضيل أمة على أخرى في الدخول الى الجنة كما يتمنون ولنا أن نتأمل هذا الخطاب الموجه الى المسلمين واليهود والنصارى { لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَفْعَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) } النساء ، والقانون الالهي [مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ] .

وأشار القرآن الى حقوق الانسان وحرية الرأي وتقبل الآخر وسلمية الحوار ومبدأ التعايش السلمي ونبذ العنف فقد كتبت في المنهج جلية لا لبس فيها { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء 107

والقاعدة تقول لا إكراه في الدين { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } يونس 99 ، لأن بالإكراه يختلط على المكروه الرشد من الغي { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } البقرة 256 ، ولأن مَنْ يُكرهه على الإسلام ويظهر إسلامه ويضمّر عدم الإيمان يصبح من المنافقين والله تعالى وصف المنافقين :

{ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } المنافقون 1 ، { هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ } المنافقون 4 ، والمنهج الحق يريد منا ايمانا قلبيا وليس لعق على أسنتنا { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ... } الحجرات 14

والقانون الإلهي لنشر الاسلام وفق منهج { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ } الكهف 29 ، والجهاد بواسطة القرآن { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } الفرقان 52.

وحصر الله تعالى سبب قتال الآخر بالآية { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الممتحنة 8 ، وتأمل عبارة (أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) [البر هنا يرتقي الى بر الوالدين والقسط أكثر واسمى من العدل] ، بل أمر تعالى النبي (صلى الله تعالى عليه واله) أن يقول للكافرين { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } الكافرون 6 ، وقتال المسلمين في أغلب النصوص القرآنية هو دفاع وليس هجوماً 0

والسؤال: مَنْ منا بعد أن نضج عقله ، اطلع على ما جاء بكلِّ الرسالات أو المعتقدات الدينية ثم اختار دينه ؟ إلا ما ندر والأغلب الأعم اختار ما وجد عليه آباءه من دين فلماذا نتعصب ونلغي الآخر ؟

ومن الأهمية أن نبين أن التعداد الأكبر الذي دخل في الإسلام كان من قارة آسيا بواسطة الدعاة وحسن أخلاقهم مع الناس، فإيهما استمر في انتشار الاسلام ، الإكراه والقتل والسبي في إسلام أهل اسبانيا الذين خرجوا منه في أول فرصة لضعف الدولة الإسلامية فيها بعد حكم 800 سنة ، أم الحكمة والموعظة الحسنة التي أدخلت أكبر الدول للإسلام كإندونيسيا والهند وماليزيا والصين وغيرهم 0

وتأمل كلمة [إنما] في النصوص التالية التي تفيد حصر مهمة الرسول (صلى الله تعالى عليه واله) في التبليغ (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) آل عمران:20 { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } {الرعد40 و} { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26) } الغاشية

ثانيا :آلية الحوار مع الآخر

الله تعالى علمنا درساً في الحوار مع الآخر حين حاور الملائكة عندما اعترضوا على جعل خليفة في الارض { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } البقرة30، لم يزرهم بل قال لهم { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ، وكذلك حاور إبليس عندما عصى أمر السجود بل لبي طلبه { أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ } الأعراف15 أي لم يعاقبه . وتجدر الإشارة الى مبدأ الحوار السامي الذي تعامل به رسولنا الكريم (صلى الله تعالى عليه واله) في مخاطبة الكافرين { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } سبأ 24 أي خاطبهم (مع يقينه انه علي هدى) قال ربما نحن او انتم على هدى او في ضلال ، بل يأمره تعالى بالقول { قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } سبأ 25 ، وتأمل كلمة أجرنا التي نسبها لنفسه وكلمة تعملون .

وأمرنا الله تعالى أن لا نلقى التهم جزافاً ونكفر الآخر إذا سلمنا من لسانه ويده ، والقانون الإلهي العام (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) النساء 94 .

والأمر الإلهي لموسى وهارون أن يقولوا قولاً لينا لمن قال انا ربكم الاعلى { فَاذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ } {43} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } طه 43 . ولعلمنا بأن موسى (عليه السلام) قوي البنية { فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ } القصص15، ويغضب بسرعة { وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ } الأعراف150، ومع ذلك فإنه تعامل بلين مع السامري { قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ } {95} قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ } طه 97

وعندما هدد ابراهيم (عليه السلام) بالرجم { قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } مريم46 ، ماذا رد عليه ؟ { قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } مريم47 .

و { إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا } النساء140 لا يكون رد الفعل بالقتل أو الابتعاد عنهم الى الأبد ، بل { فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } النساء 140 { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } الأنعام 68 .

ويعلمنا الله تعالى عدم الاعتداء والعفو والصفح { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِيَدَيْكَ لِأَفْتُلِكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } المائدة 28 ، حتى المشرك أمرنا تعالى أن نتعامل معه بالحسنى ونسمعه كلامه تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } التوبة6 ، فربما بعد ذلك يؤمن ، وحسابه عنده تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ } فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ [إِنَّهُ

لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ { المؤمنون 117. ويأمرنا { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ { لأنعام 108.

والقرآن يؤكد على هدايتنا قبل أن نهدي الضال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { المائدة 105 .

ومن رحمته تعالى فانه لا يعذب من يكفر من دون أن يعلم الحقيقة ويردد ما وجد عليه آباءه { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] عَذَابٌ أَلِيمٌ { المائدة 73 ، فكلمة (كَفَرَ) الأولى تشمل كل من يردد إنَّ الله ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ فمنهم استيقن حقيقة التوحيد ولكنه يجحد بها ويقول إن الله ثالث ثلاثة وهؤلاء من يمسمهم العذاب والبعض الآخر يردد ما وجد عليه آباؤه من دون العلم بحقيقة ما يردده لذلك كلمة (كَفَرُوا الثانية) التي اتت بعدها من التبعية تشير الى من يعلم حقيقة التوحيد واستيقنتها نفسه ويجحد بها ، فلم تأتِ العبارة (لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ) لتشمل الجميع .

وهذه هي بنود حقوق الانسان ومبدأ التعايش السلمي وتقبل الآخر وسلمية الحوار والدعوة الى الاسلام التي وردت في المنهج الحق :

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ { يونس 108

{ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ { آل عمران 20 ولم يقل أجبرهم على الإسلام.

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ { آل عمران 64 وهنا الاتفاق فقط على وحدانية الله تعالى

وقال أيضاً { الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ... { المائدة 5

لاحظ القاسم المشترك { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ] آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا [فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ { البقرة 62

وقوله تعالى الذي يتحدث عن مَنْ يردد كثيراً { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا { النساء 137 ، ولم يقل اقتلوهم .

ولو كان الله تعالى يأمرنا بإدخال الآخرين عنوة على الإسلام لما ورد القول يصف يوم القيامة { وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { الجاثية 28، تأمل (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) ، وبما كنتم تعملون.

{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى { الشورى 13

ثالثا : مفهوم الاسلام

كلمة الدين لم تجمع في القرآن لأن الدين واحد والمشرع واحد والإسلام هو الدين الذي أنزل إلينا و { وَمَا أَنزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ { البقرة 136 ، ثُمَّ نَهَانَا نَهْيًا قَاطِعًا فَقَالَ { لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } ، وهو التسليم المطلق

بوحداية الله ، والايمان باليوم الآخر والعمل الصالح حسب فطرة الله تعالى...والخلق كله مسلم طوعاً وكرهاً ، { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } 19 ءال عمران.

ومن خلال النصوص التالية { وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } البقرة 132

{ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة 133

{ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ } آل عمران 52
{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل

عمران

{ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 8
{ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ

{ الحج 78

يتبين لنا ان أتباع عيسى(عليه السلام) مسلمون نصارى وأتباع موسى (عليه السلام) مسلمون يهود وأتباع محمد (صلى الله تعالى عليه واله) مسلمون مؤمنون يدلل قوله تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } النور 62 { وَلَا يَزْنِ الْزَّانِي أَوْ تَزْنِي الْزَّانِيَةُ } المائدة 31 { إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ } النمل 81 ، لكن الشرائع مختلفة غير مخالفة { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } المائدة 48

رابعاً: منهج الدعوة الى سبيل الله تعالى

الدعوة الى الدين ليس بالإكراه والقوة بل { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [{ النحل 125 ، ولا توجد اية اشارة او تلميح في كامل النص القرآني تبين ان الله تعالى يأمر البشر بمعاينة من يخالفهم في الفكر والدين وهو حر في اختياره فكل العقوبات التي أشار اليها القرآن والتي نكف بها لمعاينة الآخرين هي عن تعدي على حقوق الناس واعراضهم واموالهم { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ } المائدة 34، وهنا الخطاب موجه للجميع مسلمين وغيرهم ، وعبارة يسعون في الارض فساداً تعني انتهاك حرمة حقوق الآخرين لذلك وردت كلمة (أو) اي عقوبة وجزاء مناسب لجناياتهم كل حسب جرمه بحق الناس.

وكذلك لا تفضيل أمة على أخرى في الدخول الى الجنة كما يتمنون والخطاب موجه للمسلمين وأهل الكتاب { لَيْسَ [بِأَمَانِيكُمْ] وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) { النساء ، والقانون الالهي لدخول الجنة هو [مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ] النساء 123 و [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ] النساء 124 .

ولنا أن نلاحظ القاسم المشترك للمسلمين والنصارى واليهود والصابئين { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 62 ، والاتفاق بينهم على وحداية الله

تعالى فقط { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 64 .

والله تعالى هو الذي يحاسب { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } الحج 17

المبحث الثاني

المفاهيم التي قرأها المتطرفون قراءة خاطئة

أولاً: القتال

حين نبحث منهجية الاصلاح وفق النصوص القرآنية التي تشير الى التعايش السلمي وضمن خطاب ثقافي وحضاري يتقبله الجيل الحالي والآتي لتوضيح منهج التسامح والتعايش السلمي والعفو وحرية الرأي وتقبل الراي الاخر والصفح ونبذ العنف وتكفير الاخرين التي بينها القرآن لا بد لنا أن نتأمل آيات القتال ونسلط الضوء عليها والتي وردت في كامل النص القرآني لنعلم ان القتال دفاع وليس هجوماً ، اي ان الاسلام لا يأمرنا بالبدا بالقتال { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } البقرة 190

والله تعالى ينهانا عن الاعتداء على الآخرين الا بعد ان يعتدوا علينا { فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } البقرة 194، { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } الأنفال 61 .

وتأمل عبارة (تَبَرَّوْهُمْ وَتَفْسِطُوا إِلَيْهِمْ) في قوله تعالى { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرَّوْهُمْ وَتَفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } سورة الممتحنة .

وعندما نتدبر كتاب الله تعالى يجب ان ننطلق من مقدمات صحيحة معيارها مراد الله تعالى لتكون النتائج صحيحة ، وعليه فان من اولويات تدبر النص القرآني عدم الاعتقاد بتعدد المعاني للكلمة الواحدة والله تعالى لا يمكن ان يعطينا كلمة ولها معان عدة لان هذا يدخلنا في متاهة التدبر فلا بد من استحضار الآيات التي وردت فيها الكلمة المراد تدبرها والجذر اللغوي للكلمة ومشتقاتها ثم نستنبط القاسم المشترك لمعناها حسب سياق النص الذي وردت فيه ، فيتكون لنا اطار عام يحوي معنى الكلمة نسميه (وحدة المفهوم) وله مصاديق عدة وفق منهج [وحدة المفهوم وتعدد المصداق] وعند اسقاط هذا المفهوم على كل الآيات التي وردت فيها الكلمة تجدها متوافقة ومتوائمة مع السياق وهو أهم آلية من آليات تدبر النص القرآني .

وللتوضيح أكثر نأخذ مثلاً : كلمة [آية] وحدة المفهوم لها (دليل وبرهان ومعجزة) مثل {ابْنُ مَرْيَمَ وَآمَةُ آيَةٌ } { نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً } { نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ } ومن مصاديقها ايضا أي نص قرآني فهو معجزة ودليل وبرهان

كلمة [كَفَر] فان وحدة المفهوم لها هي (غطى) فالكافر هو من يغطي حقيقة ما يعلم من المنهج الحق ولا يعمل بما يعلم ، وتطلق على المزارع لأنه يغطي البذور بالتراب { غَيْثٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ } ، ومن يدفن الموتى ويغطيهم بالتراب سمي كافرا { كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } الممتحنة 13

وكلمة عين وحدة المفهوم لها هي (المصدر) فعين الماء مصدر الماء ، وعين النظر مصدر الرؤية ، وعين العسس مصدر المعلومة ، وكلمة (رب) هو المدبر ومصاديقها رب العالمين ورب العائلة ورب العمل .

وعليه فان الاطار العام الذي يحوي وحدة مفهوم كلمة [القتل] هو [تحويل الشخص من الحالة التي هو فيها الى حالة اخرى] ، وأحد مصاديقها القتل المادي الذي يفضي الى الموت وإزهاق الحياة والإماتة (يعني تحويله من حالة الحياة التي يعيشها الى حالة الموت) أو القتل المعنوي أي تحويله مثلاً من حالة الشرك الى الايمان أو من الضلال الى الهداية أو العكس أو منعه من ممارسة عمله الطالح ليتحول الى العمل الصالح ، ولنا أن نتأمل الآيات التي وردت فيها كلمة القتل ومشتقاتها ونتدبرها معا لنجد ان الاماتة لا تتفق مع السياق في أغلب النصوص، بيد ان مفهوم (تحويل المرء من الحالة التي هو فيها الى حالة اخرى) يتوافق تماما مع السياق .ولنتدبر هذا المنهج :

1- { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فُتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } البقرة 54 .

ليس من المعقول إن قوما آمنوا برب موسى (عليه السلام) وبعد تركه لهم أغواهم السامري وارتدوا وعبدوا العجل، قوم بهذه الصفات والايمان القلق المتذبذب ينقلبون رأساً على عقب ويطيعون موسى طاعة مطلقة وينفذون أمره ويؤميت أحدهم الآخر ربما يكون ابنه أو أبيه والله تعالى يقول { لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } الإسراء 33.

ولكن ما نراه هنا أن عبارة (فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) تأتي بعد (فُتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) ، والفاء [للتعقيب والمباشرة] في (فُتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ، فكيف يأمرهم بإزهاق أنفسهم بعد توبتهم وهنا عبارة (فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) لا تعني الإماتة ، فعند توبتهم يتحولون الى الايمان ، وتتحول أنفسهم من حالة الظلم نتيجة عبادتهم العجل الى عبادة الخالق الواحد الأحد ، وهذا ما تؤكدُه العبارات التالية مباشرة (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ) .

2-نأتي الى قوله تعالى { فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ } فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } التوبة 5 .

لو كان القتل هنا يعني الإماتة فكيف يكون تتابع تنفيذ أمره تعالى مع ملاحظة واو العطف (وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) بعد الإماتة وتأمل عبارة (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ) فهل بعد الموت توبة واقامة صلاة وإيتاء زكاة وإخلاء سبيل ، ولنكمل الآية التي بعدها مباشرة التي تشير الى التسامح { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } 6 { التوبة ، وعليه فان عبارة (فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) لا تعني إماتتهم ، وقتالهم هنا يعني تجمعهم في مكان وتسمعهم كتاب الله ونجادلهم بالقرآن والموعظة والحكمة لنحولهم من حالة الشرك الى حالة الإيمان لأنهم قوم لا يعلمون .

وجدير بالذكر إن الآية التي سُميت بأية السيف في سورة التوبة فهمت فهما غير دقيقا حيث قيل (فالمراد بالآية القضاء برفع الأمان عن الذين عاهدوهم من المشركين) [تفسير الميزان – السيد الطبطبائي ج9 صفحة 147] أي ن الله يأمر بقطع العهود والبراءة من (الذين عاهدتم من المشركين) .

ولكن إن تأملنا العبارة فإنها (براءة [الى الذين] عاهدتم من المشركين) وليس [من الذين] عاهدتم من المشركين) ، فالبراءة من الشيء تعني الخلاص منه وقطع الصلة معه ، اما البراءة الى الشيء فعكسها تماما كما بينا في عدم الترادف بين المفهومين.

ثم كيف يأمر الله تعالى بقطع العهود وهو الذي قال { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } الإسراء 34 ، وهنا تعني فرصة أمان وهذنة مع الذين عاهدتم من المشركين { فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ } التوبة 4 والتي هي { فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ } التوبة 2

3- { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } النساء 66

لو كان القصد هو الإمامة ، فكيف يكون خيرا لهم وأشدَّ تثبيثا لهم ويؤجرون ويهتدون الى الصراط المستقيم بعد الإمامة ؟

لكننا إن تأملنا عبارة [ما يوخطون به] نستنبط انهم لو فعلوا ما كتبنا عليهم من عظة وهي تغيير أنفسهم الى الأيمان ، [وَإِذَا لَا تَأْتِيَانَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)] النساء .

4- ولو كانت كلمة القتل تعني الإمامة في النص التالي فليس من المعقول إن انسانا يميت ولده فلذة كبده خشية فقر [قد يقع]:

{ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } الإسراء 31 .

أي لا تكبحوا سعادتهم بمرحلة الطفولة بإجبارهم على العمل خشية الفقر ومن أجل كسب المال فتحولونهم من حالة الطفولة أو من حالة المرحلة الدراسية والتي هم المفروض يعيشوها الى حالة العمل لذلك وردت عبارة [إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا] تأمل كلمة خطنا ولو كانت تعني ازهاق نفس لكانت [جرما] .

5- حسنا لتأمل { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيغْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرَكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ } الممتحنة 12 هنا عبارة { وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ } اي لا يهملن اولادهن ويحولونهم من حالة التربية الحسنة الى حالة الإهمال أو تعليمهم العادات السيئة أو عدم احتضانهم لهم الى رعاية المربية وغيرها الكثير من الحالات في المجتمع.

6- ولنتدبر قوله تعالى { وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) الأنعام 137 .

فكيف تكون إمامة الاولاد زينة لأبائهم وكيف يُردوهم ويلبسوا عليهم دينهم وهم موتى ، لكننا إن تأملنا عبارة (لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبَسُوا) سيتضح لنا إنها تعني محاولة تحويل أبنائهم من حالة الإيمان وإعادتهم الى حالة الشرك والباسهم دينهم .

7- ولنتدبر معا { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ } البقرة .

ولو أسقطنا مفهوم الإمامة على النص نجد عبارة (وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ) أتت بعد الإمامة [تقتلون أنفسكم] مع وجود واو العطف، لكن النص يخاطبهم بانكم غيرتم انفسكم الى مخالفة الميثاق والعهد .

8- { وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ } البقرة 191 ، هنا الإخراج بعد الإماتة ، لكن كلمة ثَقِفْتُمُوهُمْ تعني من حيث وجدتم الذين يسعون بثقافتهم لتغيير دين من آمن وينشروا ثقافتهم أي عدوانهم في القول كما في الآية { إِنَّ يَتَقَفَّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ } الممتحنة 2 أي لابد ان تجادلوهم وتسعون لتغييرهم الى حالة يتوقفون فيها لنشر ثقافتهم .

9- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } النساء 29.
وهنا السؤال ما علاقة التعامل التجاري الحلال بالإماتة إلا أن نقول أن الله تعالى يأمرهم أن يحولوا تعاملهم التجاري من الباطل الى الحق .

10- ومن الاهمية ان نتدبر قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } [الأنفال].

الذي يبين أن الله تعالى يأمر الرسول (صلى الله تعالى عليه واله) بأن يحرض المؤمنين على قتال الكفار لأنهم قوم لا يفقهون والفق هو العلم بالشيء وفهمه ، فهل من المعقول ان نزهد نفس كل من لا يفقه الدين ، أما كان من الأولى تعليمهم بدل إماتتهم ، لكن النص يشير الى ان الرسول (صلى الله تعالى عليه واله) يحرض المؤمنين على أن يحولوا الكفار من حالة عدم فقههم الدين الى حالة فقه الدين من خلال تعليمهم الدين بواسطة الحكمة والموعظة الحسنة وجهادهم بالقرآن { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } الفرقان 52.

11- وفي قوله { سَارُّهُمْ صَعُودًا } { 17 } { إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ } { 18 } { فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ } { 19 } { ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ } { 20 } { ثُمَّ نَظَرَ } { 21 } { ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ } { 22 } { ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ } المدثر
فهل النظر والعبوس والبسور والادبار والاستكبار بعد الإماتة ؟

لكن ورود حرف العطف (ثم) الذي يفيد التراخي والترتيب يشير الى تحول الانسان بعد التفكير من حالته السابقة التي كان عليها الى حالة أخرى ثم الى أخرى غيرها وفق تقدير الانسان .

12- ولنتوقف عند قوله تعالى : { وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ } { 8 } { بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } { 9 } التكوين
ولأن الله تعالى دائما يخاطب اصحاب العقول ، فليس من الحكمة الإلهية انه في يوم الحساب سيتم استجواب طفلة رضيعة أميتت وهي لا تعلم سبب موتها والمفروض أن يستجوب الفاعل.

لكن الله تعالى يوم الحساب سيستجوب النفس الضالة (المَوْؤُودَةُ) بأي ذنب وُئدت وهي حية وتحولت من حالة التقوى الى حالة الفجور فأصبحت من الأموات وليس الموتى [الذين يقبرون انس وحيوانات] ، أما الأموات [هذه الكلمة التي وردت مع الانسان حصرا] هم الذين فقدوا الايمان واصبحوا أموات وهم يمشون على الارض { وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ } (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ } ، تفصيل أكثر في بحث مفهوم النفس .

13- اما قوله تعالى { وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } { 4 } سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ } { 5 } وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ } محمد 6

فانه يتحدث عن أشخاص قُتلوا في سبيل الله تعالى وكلمة قتلوا مبني للمجهول وبصيغة الماضي ، ولو كان القتل يعني الإمامة فكيف سيهديهم الله تعالى ويصلح بالهم والسين للمستقبل ؟

وإن أسقطنا وحدة مفهوم القتل يتضح لنا إن الآية تتحدث عن الذين تحولوا من الكفر الى الإيمان في سبيل الله تعالى فلن يجعل أعمالهم وهم في حالة الكفر ضلال { وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } الجمعة 2 وبالتالي سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم.

14- وقد حدد الله تعالى مصير النبي (صلى الله تعالى عليه واله) وهو الموت { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } الزمر 30 لكنه في نص آخر يطرح احتمالين أما الموت أو القتل { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ } آل عمران 144 وتطبيق المنهج يحل هذا الاشكال.

حيث إن الله تعالى وضع خيار الموت الطبيعي أولا وخيار القتل الذي يعني هنا تحويل حالة النبي ﷺ الصحية السليمة الى الحالة المرضية وقد انقلبوا على أعقابهم وهو لا زال طريق الفراش مريضاً حين قال عمر بن الخطاب (إنه يهجر) [صحيح البخاري - كتاب العلم - ج 1 الصفحة (36) ، { أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } آل عمران 144.

15- عبارة { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ } في قوله تعالى { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } البقرة 61 ، لو كانت كلمة القتل تعني الإمامة فان العبارة تشير الى أن هناك إمامة للنبيين بحق وهذا لا يقبله العقل .

لكن العبارة تعني إن الذين يكفرون بآيات الله تعالى يحاولون جاهدين أن يغيروا منهج الأنبياء وتغيير حالتهم من الدعوة الى التوحيد والايمان بالواحد الاحد ونبذ الشرك الى حالة القنوط واليأس والتوقف عن الدعوة بجدالهم بالحجة والدليل (وفق ما يعتقدون) إنه الحق { حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } الأنعام 25 ، { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } آل عمران 61 .

وكذلك الذي حاج ابراهيم (عليه السلام) { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } البقرة 258 لذلك وردت كلمة الحق معرفة .

وهناك من يجادل بغير حق مثل قوم ابراهيم { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ } الأنعام 80 ، وكذلك باستخدام السحر أمام موسى (عليه السلام) { قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِבَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يَخِيزُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَلَّا تَسْأَلُ } طه 66 وهم يسعون الى الحط من قدر الانبياء وإذلالهم أمام الناس وبأدلة غير عقلانية ، نوح { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } الأعراف 66 ، لذلك قال سحرة فرعون { إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ رَانَ } طه 63 ، وقد وردت نكرة في قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ } آل عمران 21.

16- { فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ } { التوبة 12، عبارة (لعلهم ينتهون) تشير الى أن كلمة القتل لا تعني الإماتة لأن الميت لا ينتهي مما كان عليه بل الدعوة الى الإيمان بالله تعالى بالحكمة والموعظة والجدال الحسن لعلهم ينتهون.

17- (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) وهنا لا يمكن حصر القتال بإماتة المشركين فقط لأنه لم يحدث أن جميع المسلمين التقوا في معركة مع جميع المشركين بل هو قتال لتحويلهم وهدايتهم وتغييرهم من حالة الشرك الى التوحيد كما يحاولون تغييرنا الى الإيمان بدينهم { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } الفرقان 52 .

18- ويمكننا قراءة كلمة قاتلوا في آية الجزية :
{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } { التوبة 29
في البدء لو سلمنا بأن الجزية هي مال يُدفع بدل اعتناق الاسلام أو ضريبة لمن يعيشون في كنف الدولة الاسلامية لظهرت لنا عدة إشكالات :

1- لماذا ذكر الذين أوتوا الكتاب فقط ولم يذكر الملل الأخرى غير المسلمة ؟ فمن الأولى أن نأخذ الضريبة من هؤلاء .

2- لماذا بعض الذين أوتوا الكتاب وليس كلهم ؟ عند تأملنا لعبارة (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابِ) التبعية ؟

3- لنعلم إن الذين أوتوا الكتاب هم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) والمسلمون حسب السياق القرآني المحيط بالنصوص التالية وورود عبارة [من قبلكم] التي تدل على أننا من الذين أوتوا الكتاب ، فالله تعالى أتى النصارى الإنجيل وأتى اليهود التوراة والمسلمين القرآن :
(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) المائدة 5 (وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) آل عمران 186 (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) النساء 131 { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ } المائدة 57

وقد بين القرآن ان بعض أهل الكتاب مؤمنون { وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ } آل عمران 110 لاحظ عبارة [مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ] وبالتالي ولورود [من] التبعية (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) فالنص يشمل بعض المسلمين وبعض اليهود والنصارى ممن يعيشون ضمن الدولة الاسلامية وليس جميع الذين أوتوا الكتاب.
والهدف من قتالهم (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وهذا يعني لابد من بقائهم أحياء ليعطوا الجزية وليس إزهاق أنفسهم .

ولو كان الهدف من قتالهم هو إجبارهم كرهاً على دخولهم الاسلام أو إعطاء المال بدلاً عنه لجاء النص بهذه الصورة (قاتلوا الذين .. حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية) ، لكن الجزية حصرها هي هدف قتال المعنيين بهذه الآية ، حيث ينتهي القتال حينما (يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ).

والجزية لا تعني (عطية مالية مأخوذة منهم مصروفة في حفظ ذمتهم و حسن إدارتهم و لا غنى عن مثلها لحكومة قائمة على ساقها حقة أو باطلة) [تفسير الميزان – السيد الطبطبائي ج9 صفحة 240] ، ولا تعني أيضا أن «الجزية» هي ضريبة مالية سنوية تؤخذ منهم الذين يعيشون في ظلّ الحكومة الإسلامية، ولا يشتركون في الدفاع عن الوطن] ، لأن احكام الله

تعالى لكل زمان ومكان فإن هذا المفهوم لا يتوافق مع مبدأ المواطنة المشتركة المعاصرة التي تعيشها كل الطوائف للدفاع عن الوطن كما حدث في العراق ضد الارهاب. والذين يجب قتالهم لابد أن يتصفوا بجميع هذه الصفات لوجود حرف العطف (و) : [1 - لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ 2 - وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ 3 - وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ] ، والله تعالى يأمرنا بقتال الذين يتصفون بهذه الصفات جميعا، وورود من التبعية وعبرة [من قبلكم] دليل على أنهم أناس لا يطبقون شرع الله تعالى من المسلمين وغيرهم يعيشون ضمن الدولة الاسلامية وليس جميع الذين أوتوا الكتاب . ولأن كلمة جزاء في كامل النص القرآني تشير الى عقوبة أو ثواب ، وكلمة جزية اشتقت من جذرها اللغوي جزاء { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } النجم 31. فالجزية ليست مالا يدفع بدلاً عن أن يكونوا من أتباع محمد (صلى الله تعالى عليه واله)، بل ان قتالهم هو:

تحويلهم من حالة الإجرام والهروب الى حالة القصاص العادل لجرم اقترفوه أذن الآية تعني بذل الجهد في مطاردة أصحاب الجرائم ومرتكبي الفساد من المسلمين وغيرهم ومطاردتهم وإلقاء القبض عليهم حتى ينالوا جزاءهم ضمن قانون الدولة الاسلامية وهم صاغرون لتطبيق العقوبة عليهم وينصاعوا الى الجزاء المقابل لجناياتهم كل حسب جريمته .

وكلمة الدين في الآية موضوع البحث [وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ] تعني القانون الالهي كما وردت في قوله تعالى { كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي [دِينَ الْمَلِكِ] } يوسف 76. وعليه فان أهل الكتاب الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية ملزمون بتنفيذ القانون العام للتشريع الالهي (لا تقتل ، لا تزن ، لا تؤذ الآخرين ...و...) وهذا يؤكد أن المسألة مسألة مطاردة وتصدي لمن يرتكب الجنايات ضمن القانون الاسلامي.

ولا تعني اكراه متبعي الديانات الأخرى بالدخول والإيمان برسالة محمد (صلى الله تعالى عليه واله) عنوة فالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن هم السبل الوحيدة للدعوة الى الله تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } النحل 125.

والقتال في سبيل الله تعالى هو لمن يقاتلنا ، أما فرض الدين على الآخرين هو اعتداء { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } البقرة 190 ولنا أن نتأمل (وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) و (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) فليس من المعقول إن الله يقاتلهم بآلة مثلاً ، بل أخرجهم من حالة رحمته .

ولما سبق يمكننا أن نحل الإشكال في أن الله تعالى حرّم القتال في الأشهر الحرم لكن القرآن في مورد آخر يقول {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ {البقرة 217.

أي استغلال الشهر الحرام حين الحج وتوافد المشركين والالتقاء بهم ودعوتهم الى التوحيد وعبادة الله تعالى والجهاد الكبير بتحويل المشركين من حالة الشرك الى حالة الإيمان بالرغم من إنهم مستمررون بمحاولة { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا } البقرة 217.

ثالثاً: السبي

وبما اننا نتحدث عن المنهج الاصلاحى للتعاشيش السلمى وتجديد الخطاب الدينى وفق المنظور القرآنى ، فلا بد لنا ان نسلط الضوء على موضوع السبي والرق والعبودية الذى انتهجته العصابات الارهابية التكفيرية وسبي الايزيديات العراقيات من قبل داعش إنموجا ، ونبين ان هذا النهج هو تلبيس على الاسلام لان الآية الوحيدة التى تحدد مصير الاسير لدى المسلمين .. قوله تعالى :

{فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَأَقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا } محمد4 .

وورد في التفاسير جميعا ان المسلمين إذا حدثت معركة بينهم وبين الكافرين وانتصروا عليهم وأسروا منهم أسرى فالله تعالى أعطاهم خيارين فقط لا ثالث لهما في ما يخص التعامل مع الاسير ، فإما إطلاق سراحه بمئة من المسلمين ، أو ان الأسير يفتدي نفسه بمال أو تبادل أسرى أو يعلم القراءة والكتابة للمسلمين (فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) ولنا أن نتأمل ان النص قدم خيار المن على خيار الفداء ، ولأن الله يأمرنا بإطلاق سراح الاسير المحارب وعدم قتله أو استرقاقه فكيف بغير المحاربين المدنيين من النساء والاطفال ؟ فالأولى بعدم سبي نسائه واسترقاق أطفاله والقاعدة تقول (وَلَا تَرْرُ وَارْرَةَ وَرَّرَ أُخْرَى) .

وفي قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الأنفال70 ، ولو كان القصد هو الإماتة أو الاسترقاق لما أمره تعالى ان يقول لهم هذا الكلام (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) وهو الفدية .. ولما اردف في الآية التى بعدها بقوله (وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71) الانفال !!..

ولابد ان نتوقف ونتمعن قوله تعالى { وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } الإنسان 8 .

وقوله تعالى {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} الأنفال67 ، ومن خلال ما سبق وعبارة (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) نستنبط ان عبارة [حَتَّى يُثْخَنَ فِي الْأَرْضِ] لا تعني حتى يثخن في اماتة الآخرين بل حتى لا يستغلهم في اعمار الارض وقوله في الآية التى تلتها (لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) الانفال68.

هذا الاله الرحمن الرحيم العادل لا يمكن ان يبيع الاعتداء على اعراض الآخرين ولا على اموالهم ولا على كرامتهم ، ولا يبيع امتلاك الانسان لأخيه الانسان ، فلا قتل للأسير ولا استرقاق له ولإسبي لنسائه وأطفاله وهو تشويه للرسالة السمحاء ، وفي السبي هذه الانسانية التى كرمها الله تعالى تباع وتشترى وتغتصب ، وبالتالي ولعلمنا ان المصدر الوحيد للسبايا او الجواري والعبيد هي الحروب فالعادل قال قولته فيه.

والله تعالى يقول أنكحوهن بإذن اهلن {وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } النساء25 فأين موافقة الاهل من نكح السبايا ؟ وأين مهر الزواج (وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) .

إضافة الى وجوب أجراء عقد النكاح لان النكاح هو العقد وليس الدخول الشرعي حسب قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا } (الأحزاب 49) فاين عقد النكاح في اغتصاب السبايا وأي دخول من دون عقد نكاح هو زنا { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً } والله حرم الزنا { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ } . وعندما يقول تعالى { وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ } البقرة 221 أي لا عقد نكاح الا بعد ايمان المرأة وبالتالي فان الاسلام يحميها من انتهاك كرامتها . ومن الذي يقبل على نفسه ان يكون مفسدا كفرعون { يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ } القصص 4.

وللأسف ان كل هذه التصرفات أعطيت صبغة فقهية وطرحت على انها من الإسلام ، وبالتالي فإن مسألة سبي النساء لفقت على الاسلام زورا وبهتانا، والقرآن بريء من هذه القضية ، وهذا يعني ان لا سبي في (الاسلام المنهج)

ربما سائل يسأل اذا كان المنهج يشير الى عدم وجود سبي في الاسلام فما معنى عبارة (ملكتم ايمانكم) التي قيل انها تعني الجواري والعبيد ؟

هذه العبارة وردت في كامل النص القرآني 15 مرة دائما بالصيغة الفعلية وبالفعل الماضي حصرا (مَلَكْتُ أَيْمَانَكُمْ) (مَلَكْتُ أَيْمَانَهُمْ) (مَلَكْتُ أَيْمَانَهُنَّ) (مَلَكْتُ يَمِينَكَ) ولو وردت بالصيغة الاسمية (ملك اليمين) أو على الاقل بصيغة الفعل المضارع لكانت تعني نوع من الناس يتصفون بها دائما، ولا يوجد نص في القرآن يبيح امتلاك الانسان لأخيه الانسان .

ولو كانت عبارة (ملكتم ايمانكم) تعني العبيد أو الجواري لظهرت لنا اشكالات مثل :

1- حين يأمر تعالى المؤمنات أن لا يبدین زینتهن إلا لأزواجهن والعبيد في قوله تعالى {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ ... وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ... أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ [مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ] ...} النور 31

2- كيف يقول تعالى لا جناح على النساء في الأصناف المحرمة عليهن من الرجال والعبيد في قوله { لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا [مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ] وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً } (الأحزاب 55، إن كانت ملكت ايمانهن تعني العبيد!

3- وفي قوله تعالى [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {1} وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ {5}] إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ [أَوْ] مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {6}] المؤمنون ،

لو افترضنا ان (ملكتم ايمانكم) هن الجواري اللاتي يملكون وطأهن مع الزوجة لجاءت (و) العاطفة بدلاً من (أو) التخيرية ، أي أن للرجل الحق في وطئ زوجته وما شاء من الجواري اللاتي يملكن ، لكن هذا المفهوم يتعارض مع الآية التي توضح الاختيار بين الزوجة و(ملكتم ايمانكم) .

كذلك نلاحظ ان المخاطب في الآية هم (المؤمنون من النساء والرجال) ، ولو افترضنا ان العبارة تعني العبيد فإن الزوجة تحفظ فرجها إلا على زوجها أو العبيد وهذا إشكال فيه

4- المفروض أن يكون العدل بين الزوجة وما ملكت ايمانهم لوجود حرف التخيير (أو) في قوله تعالى { فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ [أَوْ] مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أدنى أَلَّا تَعُولُوا } النساء 3 وهذا خلاف ما طبق عبر التاريخ حول عدل الرجل مع زوجته وعدمه مع الجارية .

5- وأن تأملنا النص التالي {حَرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } النساء 23 الذي يحرم علينا أصناف من

النساء ومنها (المحصنات من النساء) وهي عبارة مطلقة تشمل كل متزوجة حسب قوله {وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءِ} {النور 4} وبالتالي فان زوجاتنا يدخلن ضمن عبارة [المحصنات من النساء] وعليه فهن محرمات علينا ، وهذا اشكال فيه !
6- في النص التالي {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} {الأحزاب 52} ، فالله تعالى حرم كل نساء الأرض على النبي (صلى الله تعالى عليه واله) ، لأن كلمة (النساء) مطلقة تشمل جميع النساء ومن ضمنهن أزواجه وبالتالي فقد حُرمت عليه كل أزواجه ، ماعدا (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) أي استثنى الجواري من التحريم وهذا اشكال فيه ، ولم تكن العبارة (إِلَّا مَا سَتَمَلَكَ يَمِينُكَ) مستقبلاً من الجواري .

عبارة (مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) وردت في كامل النص القرآني خمس عشرة مرة ودائماً ترد بالصيغة الفعلية وبالفعل الماضي حصراً (مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) (مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) (مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) (مَلَكَتْ يَمِينُكَ) ولو وردت بالصيغة الاسمية (ملك اليمين) أو بالفعل المضارع لكانت تعني نوع من الناس يتصفون بها بشكل مستمر ، ولا تعني أبداً السبايا من الجواري أو العبيد .

لكننا أن تدبرنا العبارة وفق مفهوم [كل من يقع تحت رعايتكم وأشرافكم ومسؤوليتكم وأدارتكم وولايتكم ووصايتكم] ، لكل الآيات التي وردت سيتضح لنا صحة هذا المفهوم الذي يرفع أي لبس ونجدها متوافقة ومتوائمة مع السياق القرآني المحيط بها الذي تستمد منه دلالاتها ، ومن مصاديقها زوجاتنا أو ابناؤنا أو الايتام والقاصرون الذين تحت وصايتنا أو فتياتنا من أهل الكتاب الذين تحت رعايتنا واشرافنا أو الأجير الذي يعمل لدينا ولا تعني ابدأ الجواري أو العبيد . ولنتأمل هذه الآيات كما يلي :

في قوله تعالى : { لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ } {الأحزاب 52}

فالله تعالى بعد أن حرم كل النساء على النبي (صلى الله تعالى عليه واله) (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) ، استثنى أزواجه اللاتي تزوجهن بعقد نكاح شرعي (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) ، فعبارة (ما ملكت يمينك) تعني أزواجه اللاتي تحت رعايته واشرافه حصراً ، وقد جاءت (ملكت يمينك) بالماضي وليس ما ستملك يمينك مستقبلاً . وكذلك قوله تعالى :

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ } {النساء 23}

القرآن حدد الاصناف المحرمة علينا من النساء ومنها المحصنات أي المتزوجات لأن عبارة [المحصنات من النساء] تشمل كل متزوجة وبضمنها زوجاتنا وإستثنى (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أي إلا زوجاتنا اللاتي تحت رعايتنا ومسؤوليتنا .

وقوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا } {الأحزاب 50} .

وهنا الله تعالى أحل أزواج النبي (صلى الله تعالى عليه واله) اللاتي آتاهن مهرهن واللاتي تزوجهن (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) من دون أن يدفع لهن مهرًا مثل { وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ }.
نأتي الى قوله تعالى

[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {1} وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ {5} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {6}] المؤمنين
هذه الآية تحدد المؤمنين المفلحين وهم أولئك الذين يحفظون فروجهم من الوقوع بالفاحشة إلا على نوعين من النساء ملكوا وطأهن بعقد نكاح شرعي وهن : زوجاتهم المسلمات ، والنساء غير المسلمات من أهل الكتاب لقوله تعالى { الْيَوْمَ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] المائدة 5.

في البدء عبارة (الْمُحْصَنَاتُ الْمُؤْمِنَاتِ) تعني المسلمات لأن الإحصان هنا إحصان دين وليس إحصان زواج ، لأن المتزوجة لا يجوز زواجها ، بل إحصان إيمان بالإسلام ، أما { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } فهن أما يهوديات أو نصرانيات .
وعليه فإن عبارة (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) تصف نوعي عقد النكاح ، أما زواج رجل مسلم من زوجة مسلمة ، أو زواج رجل مسلم من امرأة من أهل الكتاب وتقع تحت إشرافه ومسؤوليته وولايته ورعايته . وهو المقصود بعبارة (ملكت إيمانهم) وكلمة (أو) (التخييرية تحدد نوعي العقد ولو جاءت الآية باقتران (و) العاطفة (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) لأختلف المعنى تماماً .
والدليل على أن العبارة (ما ملكت إيمانكم) في هذا النص تعني امرأة من أهل الكتاب نجده عند تدبرنا قوله تعالى :

{ مَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ [فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ] وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُ فَاَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ [ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] النساء 25

وقتياتكم المؤمنات في عبارة (فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) هن كتابيات ارتبطن بزواج مسلم بدليل إن عقوبتهن نصف عقوبة المسلمات (إِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) لأن المسلمة تصوم وتصلي وتزكي و و و ، فالمسلمات تتساوى عقوبتهن ولا يوجد تفاوت في العقوبة.

فعبارة (ما ملكت إيمانكم) في هذا النص تعني الكتابيات حصراً ولا تعني الجواري أو الإماء وإلا لما قيدها تعالى في عبارة (لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

ولأنه تبيان لكل شيء فقد وضع الضوابط التالية لزواج المسلم المغترب من كتابية :
1- حين يبحث عن امرأة مسلمة في المجتمع الذي يعيش فيه ولا يجدها ولا يطال وضائق به السبل [مَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ] وكلمة [طَوْلاً] لا تشير الى فقر طالب النكاح لورود [وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] .

2- يخشى ارتكاب الفاحشة والعنت [الضرر الجسدي الشديد (الكبت الجنسي)] وليس لديه القدرة على الصبر ، فالله تعالى منحه رخصة مقيدة جداً ليتمكنه الزواج بكتابية (مسيحية أو يهودية) بحيث يعلم بها مؤمنة وعلى خلق وعزيمة نفس .

وهذه نافذة صغيرة وليس باب كبير لرخصة الزواج من كتابية , وعبرة (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ) دليل على إنهن كتابيات فالمسألة مسألة إيمان دين .

ولنا أن نلاحظ كتابة عبارة (من ما) منفصلة في [فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ] وهذا يشير الى اختلاف العقيدة بين الرجل والفتيات ، والذي يؤكد اتصال (من) مع (ما) لتصير (مِّمَّا) في { وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ [مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ] فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ } النور 33 ، وهذه تشير الى اتصال وتوافق عقيدة الذين يبتغون الكتاب وهم القاصرون من غير الأبناء مع الذين يقومون بتربيتهم والإشراف عليهم وإدارة شؤون حياتهم.

ولقوله { وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ } البقرة 221 إذن عندما ننكح امرأة لا بد ان تكون مؤمنة بالله تعالى واليوم الآخر ولا يتم التعامل معها على انها جارية .

وذات القراءة للآية (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) النساء 3

، هنا عبارة (ما ملكت أيمانكم) في هذه الآية هي امرأة من أهل الكتاب وليست جارية ، يعني [إن تخاف من عدم العدل بين أبنائك من صلبك وبين أبناء الأرملة التي تزوجتها] فاحتفظ بزوجتك المسلمة التي عندك , أو احتفظ بالمرأة اليهودية او النصرانية التي تزوجتها .[تفصيل

أكثر في مفهوم اليتيم]

أما قوله تعالى (وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ..) النور 33

وهم الذين يطلبون العتق من الوصاية بعد أن بلغوا مرحلة النضج والإدراك والرشد إن علمنا أن لهم القدرة على ادارة شؤون حياتهم كما في قوله {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا} النساء 6

والمفهوم نفسه يمكن اسقاطه على { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ .. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ .. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ } النور 31.

رابعاً: الرق ومفهوم العبد

السؤال الان : ماذا تعني كلمة العبد في النص القرآني الذي لا يشير الى الرق حسب ما سبق وبين البحث ان الله تعالى لا يبيح استرقاق الآخرين ؟

في البدء لو سلمنا بان كلمة العبد في النص تعني صنف من البشر يُدْعَوْنَ الرقيق ولأن التشريع الالهي لكل زمان فسيظهر لنا تساؤل وهو كيف يأمرنا الله تعالى بدفع كفارة تحرير رقبة وهو يعلم ان في زماننا لا يوجد عبيد، اذا كانت عملية (تحرير العبد) هي المتعارف

عليها فكيف ندفع الكفارة في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا [فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ] مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا } المجادلة 3 وماذا نقول في واو العطف التي وردت في

النص التالي وتشير الى ان الكفارة هي تحرير رقبة مع دفع الدية { وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً [فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ] النساء 92

وبالتالي فإن التشريع لم يخيرنا بين تحرير رقبة او دفع الدية ، مثل قوله { فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ [أَوْ] تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ { المائدة ، فكيف ننفذ أمر الله وهل نعطل التشريع الالهي ؟. وما معنى العبد في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى....) البقرة 178.

كلمة العبد لا تعني نوعاً محدداً من البشر لورود عبارة (وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى) لأن في جنسي الأحرار والعبيد ذكورا وإناثا ، وبالتالي فكلمة العبد في القرآن وحسب منهج وحدة المفهوم وتعدد المصداق تعني [كل شخص مطيع طاعة خالصة لصاحب القرار (الحر) الذي يأمره وهو ينفذ الأمر دون اعتراض] فهو (عبد) في إطار هذه الوظيفة فقط وهو ذاته حر خارج هذه الوظيفة .

مثال: الجندي في الجيش هو عبد مأمور يسمع ويطيع وينفذ أوامر الضابط صاحب القرار (الحر) لكنه بالتأكيد خارج الجيش حر تماما (في بيته مثلا) بل الضابط نفسه عبد مأمور عسكريا من قبل الضابط الأعلى منه رتبة وحر خارج وظيفته العسكرية وهكذا ، فالموظف عبد لمديره والآخر عبد لرئيسه وهكذا تصاعديا وهم أحرار خارج ساحة وظائفهم . فمدير الشركة وهو صاحب القرار يسميه القرآن بالحر ويحتاج موظفين مخلصين يخضعون لقوانين الشركة ويسميه الناس موظفين وفي القرآن يسميهم الله عبيداً [ومن الاهمية ان لا يفهم النص على المتعارف عليه من الاسماء والظواهر الشائعة بين الناس]

وعليه فالعبودية بهذا المعنى ليست مذمة لأحد ، والله تعالى شرف الانبياء بإطلاق صفة العبودية عليهم وتطلق على كل انسان يعبد ويطيع وينفذ أمر الله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُثِيبٍ) (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) لأنهم لا يملكون قرارا حرا مخالفا لأوامر الله تعالى فهم (عبيد) بالنسبة لمسألة العبادة والالتزام بتنفيذ أوامر الله تعالى ، وهم يملكون حرية الاختيار في باقي الامور فسلیمان وصفه تعالى (نعم العبد) .

والآية تعني عليكم تتبع أثر القاتل (القصاص) { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ { { فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا { والقصاص منه مهما كانت صفته ومنصبه أو جنسه ، أي لو كان القاتل عبدا في ساحة ما فهو بالتأكيد حرا في ساحة اخرى والعكس ايضا . ولو كان المراد ان يُقتل حرا مكان الحر المقتول لأتت العبارة { الْحُرُّ بِحُرٍّ وَالْعَبْدُ بِعَبْدٍ { .

خامسا: تحرير رقبة

كلنا يعلم انه لا ترادف في القرآن ، أي ان كلمة رقبة لا تعني العنق (جزء من الجسم) كما ورد { فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ { { الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ { { فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ { { طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ { { يَدُكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ {

حسنا ان تأملنا كلمة رقبة من جذرها اللغوي ر ق ب { وَلَمْ تَرْتُقْ قَوْلِي { أي لم ترقب وتنتظر قولي { لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً { { خَائِفًا يَتَرَقَّبُ { وبالتالي فان كلمة رقبة تعني حالة ترقب وانتظار لحدوث أمر ما .

والجدير بالذكر ان كلمة رقبة دائما ترد نكرة ومؤنثة وجمعت جمع تكسير (رقاب) ولم تجمع جمع مؤنث سالم (رقبات) لأنها لا تعني فردا من البشر ، وتعني اي شخص في ضائقة مالية أو اجتماعية وينتظر ويتربص من يخلصه ويفك ترقبه من هذه الضائقة كأن يكون شخصا يحتاج الى عملية جراحية ولا يمتلك مبلغ اجرائها فيترقب وينتظر من يدفع عنه مبلغ العملية ... أو شخص مرهون بيته وعليه امر بإخلائه ليُرمى في الشارع فينتظر من يدفع عنه ويخلصه من هذه المشكلة او طالب علم لا يجد المال لإكمال دراسته فيترقب من ينفذه من هذه الضائقة أو شخص مسجون ويتربص وينتظر من يكفله لإطلاق سراحه ، ويصل الامر الى إنقاذ غريق أو ارشاد ضريير وغيرها الكثير من الامثلة.

وتدبر النص التالي الذي وردت فيه كلمة رقبة تعني تكافل اجتماعي { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } أي فك حالة انتظار شخص يتربص وينتظر من يساعده . ومن الأهمية أن نتأمل النص حيث لم ترد للرقاب بل [في الرقاب] { وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ } البقرة 177 { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ [وَفِي الرِّقَابِ] وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } التوبة 60

{ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ } محمد 4، أي ضرب المترقبين لنتيجة المعركة نصرا ام هزيمة فهو يحارب ليس لأجل الحرب بل لأجل نتيجتها .

وفي الختام لنحکم عقولنا وانسانيتنا ، ماذا يكون شعور المرء لو افترض انه وُلد في مجتمع مسيحي أو يهودي أو بوذي أو صابئي أو ايزيدي وان الآخرين ولسبب ما يهجمون ويحتلون أرضه ويطبّقون ما جاء بحديثات السبي والاسترقاق المذكورة في الموروث ويأخذوا زوجته أو أبنته أو أخته أو أمه سبية ليغتصبوها ويبيعوها في الاسواق ويستباح شرفها وتهان كرامتها ، مع ان الله كرم بني آدم ، وللأسف لازالت الكتب تقول بإمكان الابن ان يجمع جارية [والتي أسموها الأمة مع انها تعني الفتاة غير المتزوجة] أبيه بعد موت الأخير وهذا خلاف مراد الله تعالى (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) وكذلك بإمكان الرجل ان يجمع بين الاختين (الجواري) وهذا خلاف (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم و و أن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) وهذا غيظ من فيض

الاستنتاج :

وبعد كل ما سبق سيهتدي الذين يستمعون القول ويتبعون احسنه وستغسل عقولهم مما علق بها من ادران وتخاريف كتب التكفير والارهاب ويعلموا ان الانسان عموما نظيرا لهم في الخلق والمسلم الموحد أخا لهم في الدين.

التوصيات :

نوصي

1- بإعادة وصياغة وتطوير المناهج التعليمية والتربوية وخصوصا في المناطق التي دنستها عصابات داعش الاجرامية بما يناسب الفكر الاسلامي الوسطي وفق الرسالة السماوية السمحاء .

2-التحشيد الاعلامي بكل قنواته وكذلك إقامة جلسات حوارية لخبذة من الباحثين مع شباب المناطق المحررة من عصابات داعش الاجرامية لبيان الوجه الحقيقي للإسلام المتمثل بإشاعة روح التسامح والمحبة ومبدأ الحوار والتعايش السلمي وقبول الآخر ونبذ العنف والتطرف الديني .

3-عقد جلسات تثقيفية وفق المنظور القرآني للمدنيين من الارهابيين في السجون العراقية الذين سيطلق سراحهم لأجل تنظيف ما علق في أذهانهم من أدران الافكار التكفيرية المتطرفة.

وفي الختام نتقدم لمؤسستكم الموقرة بالامتنان والتقدير لهذه المبادرة الطيبة المباركة لبيان أهمية القرآن الكريم في الاصلاح المجتمعي للتعايش السلمي ومبدأ الحوار بين الشعوب وتبسيط الضوء على الوجه الحقيقي للرسالة السماوية السمحاء التي تؤكد على الفكر الاسلامي الوسطي. والحمد لله رب العالمين

المصادر

1. القرآن الكريم
2. الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢
3. تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٩
4. تفسير الامثل - الشيخ مكارم الشيرازي
5. اسلام القرآن / للباحث عبد الكريم علوان الخفاجي
6. تأملات في القرآن الكريم - قراءة معاصرة للباحث عبد الكريم علوان الخفاجي

التعايش السلمي في عصر الرسول (ﷺ) وثيقة المدينة

م.م خالد احمد جميل

kaljameel@gmail.com

المديرية العامة للتربية في ديالى

الكلمة المفتاحية : التعايش – السلمي – وثيقة المدينة

الملخص

يعد التعايش السلمي الذي ارساه النبي محمد (ﷺ) هو المنطلق الذي بدئت الدولة الإسلامية من خلاله الانتشار عبر ما بينته وثيقة المدينة من حرص شديد على ان يفهم ان الإسلام والدعوة المحمدية هي امل و خلاص لكل مظلوم ، اذ كانت البقاء تعاني الحروب والظلم والتعسف خاصة مسلة الرق ، لذا نجد ان هذا التعايش بين أسس راسخة في فترة الدعوة الإسلامية للنهوض بواقع التعايش السلمي مقارنة لما نعيشه الان، وهذا كان واضح من نهج الرسول (ﷺ) في شتى المجالات الحياة واهمها طرق التعامل مع كافة الشرر بالسماحة والسلام، إضافة الى اثبات ان الدين الإسلامي صالح لكل مكان وزمان، ونهجه يدعو الى السلام والسماحة ولو سار السياسيون في الوقت الحاضر على هذه النهج لكان العالم بلا خراب او دمار.

Peaceful Coexistence in the Era of the Messenger (PBUH) The Medina Document

M.A. KHALID AHMAD JAMEEL

kaljameel@gmail.com

The General Directorate for Education of Diyala

Abstract:

Coexistence, the peaceful coexistence established by the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, is the starting point from which the Islamic State began its spread through what was shown in the Document of Medina, and its keenness to make it understood that Islam and the Muhammadan call are hope and salvation for every oppressed person, as survival was suffering from wars, injustice, and tyranny in particular. The obelisk of slavery, so we find that this coexistence is between solid foundations in the period of the Islamic call to advance the reality of peaceful coexistence compared to what we live in now, and this was clear from the approach of the Messenger, may God bless him and grant him peace, in various areas of life, the most important of which are the ways of dealing with all evil with tolerance, peace, and peace, in addition to Proving that the Islamic religion is valid for every place and time, and that its approach calls for peace and

tolerance. If politicians at the present time followed this approach, the world be without devastation or destruction

المقدمة Introduction

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد.

اقف في بحثي هذا مع صفحة مشرقة من السيرة النبوية العطرة التي كرست سياسة حكيمة اتبعها سيدنا الرسول محمد (ﷺ) في المدينة المنورة بعد ان استقر المقام بها بعد هجرته واصحابه من مكة التي ضاق بها المسلمون ابشع الانتهاكات والظلم، اذ بدء بتأسيس دولة الإسلام من خلال اصدار موثيق لها دور كبيرة في نشر التعايش السلمي بين صفوف البشر التي تعامل معها ومنهم اهل يثرب (المدينة المنورة) سواء المسلمون او اليهود او الكفار الذين نصبوا العدا .

ونلاحظ ان النبي (ﷺ) قد ارسى دعائم التعايش السلمي في حكمه ، واذا ما قورن ما انتجه النبي (ﷺ) في سياسته هذه، بما يحدث في العالم في نفس الأيام الان التي نعيشها من ويلات الحروب والدمار الذي يطغي على العالم ، لفهمنا معنى هذه القيمة العظيمة التي أسس لها النبي (ﷺ)

لقد جاء البحث ليبين مدى حرص النبي (ﷺ) على نشر التعايش السلمي بين الناس ويظهر مدى حكمه (ﷺ) في قيادة المسلمين لنشر دين الله الحكيم ، اذ قسم هذا البحث الى مبحثين: أولهما يعرف معنى التعايش السلمي وكيف كان ذلك في المدينة المنورة ، اما المبحث الثاني فيتكلم عن بنود وثيقة المدينة التي رسخت مبدى التعايش السلمي بين المسلمين ومن كان يعيش في المدينة المنورة .

اما المصادر فكانت كثيرة ومتنوعة فمن المصادر كتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت213هـ/828م)، وكتاب التاريخ الأوسط للبخاري (ت256هـ/869م)، وكتاب سنن الترمذي للترمذي (ت279هـ/892م)، وكتاب شرح صحيح البخاري لابن بطلال (ت449هـ/1057م)، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (ت630هـ/1223م) وغيرها من المصادر ، اما المراجع فمنها كتاب خاتم النبيين "ﷺ" أبو زهرة، محمد (ت1394هـ/1973)، وكتاب محمد رسول الحرية للشرقاوي ، وكتاب ، السيرة النبوية الصحيحة للعميري ، وكتاب تهذيب سيرة ابن هشام لهارون عبد السلام وغيرها من البحوث والمجلات

...

المبحث الأول

التعايش السلمي

أولا - معنى التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح:

مصطلح التعايش السلمي مصطلح مركب من لفظين (التعايش)، و (السلمي) ؛ لذا سوف نذكر كل لفظ على حدا :

أ- معنى التعايش في اللغة:

التعايش من الفعل عاش ، وعاش عيشا وعيشة ومعاشا صار ذا حياة فهو عاش، وأعاشه جعله يعيش . يقال : أعاشه الله عيشة راضية ، وعایشه عاش معه ، و تعايشوا

عاشوا على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمي⁽¹⁾، إذن التعايش يقصد به في اللغة العيش على المودة، والألفة، والبعد عن البغض، والضغينة، والحرب.

ب - معنى التعايش في الاصطلاح

التعايش في الاصطلاح هو: "القبول بوجود الآخر والعيش معه جنباً إلى جنب من دون سعي لإلغائه، أو الإضرار به، سواء كان ذلك الآخر فرداً، أو حزباً سياسياً، أو طائفة دينية، أو دولة مجاورة، أو غير ذلك". والحق أن هناك تعريفات كثيرة للتعايش في الاصطلاح اخترت منها.

هذا التعريف الذي يقصد بالآخر المخالف، لكن التعايش يكون مع المخالف، ومع غيره من وجهة نظري المتواضعة، وإن كانت صورته تتنوع وتتضح مع المخالف⁽²⁾.

ج - معنى السلمي في اللغة:

السلمي صفة للتعايش من السلم بكسر السين، وتسكين، اللام أي المسالمة والدعوة للسلام. وبهذا يكون التعايش السلمي في اللغة بمعنى: العيش بين طوائف المجتمع الواحد في سلام وألفة، ومودة، وسلم، دون حرب، أو قتال⁽³⁾.

ثانياً: مفهوم التعايش السلمي

مفهوم التعايش السلمي هو: "أن تقبل الآخر، وتتقبل الاختلاف الذي بينك وبينه، وتعترف بوجوده، وأن تبني علاقتك معه على أساس من المساواة وحفظ الكرامة الإنسانية، والقيمة الذاتية". وهذا سيؤدي لانتشار الود، والألفة بين جميع طوائف المجتمع تحت قاعدة احترام الأديان، وحفظ حرية العقيدة بمبدأ "لكم دينكم ولي دين"⁽⁴⁾.

ثالثاً: التعايش السلمي والتعاون بين الأفراد من خلال المعتقدات الدينية:

يعد الطرف في الدين الإسلامي مذموم من كلا الجانبين، فالإفراط مذموم والتفريط مذموم، فقد حرم الله الغلو والتنتع في الدين الإسلامي بكل شرائعه والذي يسعى إلى نشر التسامح والمودة التعايش السلمي ضمن الشرائع السماوية وهي أساس لكل رسالة وهي ضرورة ومبتغاة لترسيخ الحب والألفة بين المجتمعات المختلفة والتي يفرضها للحفاظ على سلامة الكيان الإنساني ويمليها الحرص المشترك على البقاء الحر الكريم فوق هذا الكوكب، لهذا يعتبر التعايش السلمي ونبذ التطرف ضرورة من ضرورات الحياة على هذه الأرض، فهي تستجيب للدواعي الملحة لقاعدة توفير جلب السلم المجتمعي وتنادي نداء الفطرة الإنسانية السوية للعيش في أمن وسلام وطمأنينة فمنها تعايش "الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار ... تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة- تعايش الدولتان تعايشاً سلمياً ... الاتفاق بينها على عدم الاعتداء تعايش الناس: وجدوا في نفس الزمان والمكان... حتى ينصرف الإنسان إلى تعمير الأرض، بالمعنى الحضاري والإنساني الواسع لهذا

(1) نشوان الحميري، بن سعيد اليميني (ت 1178هـ/573م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط1، دار الفكر المعاصر (بيروت/1999م)، ج7، ص4866؛ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المراسي (ت 1066هـ/1666م)، المحكم والمحيط، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت - 2000م)، ج 2، ص 213؛ مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (القاهرة-1972م)، ج 2، ص 239.

(2) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص213.

(3) مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت1205هـ/1790م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (دمشق-بلاط)، ج 32، ص 371.

(4) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت 279هـ/892م)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط2، مطبعة مصطفى الحلبي، (مصر-1975م)، ج1، ص313؛ منصور، رقية شاكر، مظاهر وسطية الإسلام وأثرها في التعايش السلمي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، مجلة علمية محكمة خاص بالمؤتمر الدولي الأول لجامعة الأنبار الموسوم (الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز لتنمية المجتمعية)، (جامعة الأنبار - 2018م) ص 370.

المفهوم (1) ، لذا نجد أن الإسلام قد سبق الأمم العالمية إلى إعلان نداء السلام العالمي الشامل بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (2) ، ونلاحظ ان القرآن الكريم قد نهى بالإخلاق بمبادئ السلم، واعتبر ذلك استدراج نحو الشر، وسيرا على خطوات الشيطان، فذلك هو نداء للدخول في السلم والابتعاد عن الطرف لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (3) ؛ لأن السلم هو العلاقة الطبيعية بين الشعوب والأمم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (4) ، وفي هذا دعوة صريحة إلى ترك النزعة القبلية والتمسك بالدين فهو مدعاة الى الوصول الى ان تكون القيم الدينية التي رسخت مبادئ الاخلاق لدى الانسان من اجل الوصول الى حياة مطمئنة بعيدة عن التنافر والتباغض فجعل الايمان ركن أساسي للوحدة ونبذ التطرف والتعاليش السلمي فالإسلام يريد أن يؤكد في ضمير الناس حقيقة مهمة وهي أن كل الناس من أصل واحد، وهو آدم، عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (5) ، وبمقتضى وحدة هذا الأصل كان الأولى أن تتعارف الفروع وتتعاون على أن يكون الناس إخوة في الإنسانية، يعيشون في سلام وأمن واطمئنان، بعيدا عن أية عصبية دينية أو عنصرية أو إقليمية أو نغمة ثقافية؛ لأن الله خلقهم ليتعارفوا ويتآلفوا لا ليتخاصموا ويتنازعون ويتحاربوا (6) . أما الاختلاف الكامن في طبيعة الحياة وجبله الخلق، الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (7) ، فيعني أن سنة الله في الأرض تقوم على تباين البشر سواء أكان هذا التباين يتعلق بالجنس أم اللغة أم الدين أم أي مكون من مكونات الحضارة، فيعتبر تعددا وتنوعا في الخصوصيات لا يتعارض وفضاء المصالح المشتركة بين الشعوب والأمم في إطار التعاون الإنساني القائم على قاعدتي التعارف والتعايش، وإنما ينطوي هذا التنوع على

(1) ابن سيدة، المحكم والمحيط، ج2، ص213؛ مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص1083.

(2) سورة البقرة ، الآية: (208).

(3) سورة البقرة ، الآية: (208).

(4) سورة الحجرات ، الآية: (13).

(5) سورة النساء ، الآية: (1).

(6) ابن سيد الناس اليعمري ، أبو الفتح فتح الدين محمد بن محمد بن أحمد، (ت 734 هـ / 1334م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق: إبراهيم محمد رمضان، ط1

رمضان، ط1 ، دار القلم – (بيروت - 1414م)، ج1، ص21؛ زيدان عبد الكريم ، أصول الدعوة، مطبعة بغداد العراق - 1970)، ص133.

(7) سورة هود ، الآية: (118).

عناصر تغذي الميول الإنسانية الفطرية نحو امتلاك أسباب التقدم والرفي بحافز من التنافس الطبيعي وبوازع من التدافع الحضاري⁽¹⁾.

ثالثاً: صفات و اخلاق النبي محمد (ﷺ) ودورها في نشر التسامح المجتمعي:

لقد كان دور النبي محمد (ﷺ) يتصف بحسنة الخلق والتواضع والتسامح ومن معاني التسامح: فقد بدء النبي في بناء دولة متوازنة في التعاملات في المدينة المنورة رغم اخلاف الأديان وتنوع القبائل وكثيراً ما كان لهذا الخلق النبوي الأثر الكبير في تغيير نفسية من جاء يريد إيذائه (ﷺ)، وذلك لتسامحه وعفوه صلوات الله وسلامه عليه⁽²⁾.

وقد أمر الله تعالى نبيه (ﷺ) بالتسامح والعفو والإحسان، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ

قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽³⁾، قال ابن كثير (ت 774هـ/1372م) وقوله: " فرق عظيم بين هذه وهذه، {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه.. وقوله: {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك..."⁽⁴⁾.

والسيرة النبوية زاخرة بالموافق والأحاديث الدالة على جميل عفو وتسامح النبي (ﷺ)، ومنها: التسامح وعدم الغلو في الدين كما روى ابن عباس في حديثه عن النبي (ﷺ) لقوله: "... وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين". رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني، وعن أنس ابن مالك⁽⁵⁾ قال: "كنت أمشي مع رسول الله (ﷺ) وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه (جذبه) بردائه جذدة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله (ﷺ) وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) فضحك ثم أمر له بعتاء" رواه مسلم⁽⁶⁾، قال النووي: "فيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه.. وفيه كمال خلق رسول الله (ﷺ) وحلمه وصفحه". وقال ابن حجر: "وفي الحديث بيان (ﷺ)، وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من

(1) الزبيدي، تاج العروس، ج3، ص221

(2) البيهقي، أبو الحسن، ظهر الدين علي بن زيد بن محمد (ت 565 هـ/1169م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، (بلا- 2004م)، مقدمة الكتاب، ص83.

(3) سورة فصلت، الآية: ﴿33﴾.

(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري (ت 774هـ/1372م)، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن الكريم)، تحقيق وتعليق: مصطفى السيد محمد وآخرون، ط3، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ، (بلا-بلا)، ج12، ص243.

(5) أنس بن مالك: أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، خادم رسول الله (ﷺ)، كان يسمى به ويفتخر بذلك، وكان يجتمع هو وأم عبد المطلب جدة النبي (ﷺ) واسمها: سلمى بنت عمرو بن زيد بن أسد بن خدّاش بن عامر في عامر بن غنم، وكان يكنى: أبا حمزة، كناه النبي ﷺ ببقرة كان يجتنيها، وأمه أم سليم بنت ملحان، ويرد نسبها عند اسمها. كان عمره مائة سنة وثلاث سنين، وقيل: مائة سنة وعشر سنين، وقيل: مائة سنة وسبع سنين، وقيل: بضع وتسعون سنة؛ قال حميد: توفي أنس وعمره تسع وتسعون سنة؛ أما قول من قال مائة وعشر سنين ومائة وسبع سنين فعندي فيه نظر؛ لأنه أكثر ما قيل في عمره عند الهجرة عشر سنين، وأكثر ما قيل في وفاته سنة ثلاث وتسعين، فيكون له على هذا مائة سنة وثلاث سنين؛ وأما على قول من يقول إن كان له في الهجرة سبع سنين أو ثمان سنين فينقص عن هذا نقصاً بيناً والله أعلم. وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، وكان موته بقصره بالطرف، ودفن هناك على فرسخين من البصرة، وصلى عليه قطن بن مدرك الكلابي. وهو آخر من تبقى = من أصحاب النبي في البصرة، والذي أوصى أنس ان يصلي عليه محمد بن سيرين وقد دفنت عصا النبي معه في قبره، ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت 630هـ/1223م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، (بلا- 1994م)، ج1، ص293.

(6) ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ/1057م)، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض (الرياض-2003م)، ج5، ص318.

يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به الولاية بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتّي هي أحسن" (1).

أما التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى: فقد تعامل النبي (ﷺ) مع اليهود - الذين كانوا يقيمون بين المسلمين ولا يعتدون عليهم ولا يقاتلونهم - كان تعاملًا قائمًا على نبذ الغلو والتطرف والتسامح والعدل، فكان يعدل معهم، ويزور مريضهم، ويحسن إلى جاره منهم، فعن أنس ابن مالك (رضي الله عنه) قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي (ﷺ)) فمرض فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبي (ﷺ) وأبيه (رضي الله عنه) قال: دُبحَت شاة لابن عمرو في أهله، فقال: "أهديتم لجارنا اليهودي؟ قالوا: لا، قال: ابعدوا إليه منها، فإني سمعتُ رسولَ الله (ﷺ) يقول: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه" رواه البخاري (3).

وهنا لابد ان نذكر اعلى قمة للتسامح والعفو مع الخدم والعمال: فيقول أنس بن مالك (رضي الله عنه) خادم النبي (ﷺ) عن تسامحه وعفوه (رضي الله عنه) معه: "خدمتُ رسول الله (ﷺ) عشر سنين، والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته" رواه أحمد (4)، وعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: "... ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله..." رواه مسلم (5).. ولا يخلو الخادم من خطأ أو تقصير في خدمته وعمله، ومع ذلك كان (ﷺ) يوصي يوصي أصحابه بالتسامح والعفو عنه، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال: "جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله كم نغفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة) رواه أبو داود وصححه الألباني (6).

وأما عن السماحة في البيع والشراء فهي صورة من صور المعاملات اليومية التي تقتضي قدرًا كبيراً من السماحة، ولذلك دعا رسول الله (ﷺ) بالرحمة للرجل السّمح في بيعه وشرائه، فقال (ﷺ): (رحم الله عبداً سمحاً (سهلاً) إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى) (طلب قضاء حقه بسهولة)) رواه البخاري (7). وقد ذكر البخاري (ت 256هـ / 869م) هذا الحديث في صحيحه تحت قوله: "باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع"، وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: "السهولة والسماحة متقاربان في المعنى.. والمراد بالسماحة ترك المضجرة ونحوها. وفيه الحظ على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي

(1) النووي، أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ / 1278م)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي (بيروت-1972م)، ج7، ص146.

(2) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج3، ص340.

(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج3، ص34.

(4) القسطلاني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المصري، (ت 923هـ / 1517م)، شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط7، المطبعة الكبرى الأميرية، (مصر-1905م)، ج8، ص70.

(5) الملا علي القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين (ت 1014هـ / 1606م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، (بيروت - 2002م)، ج9، ص3816.

(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8، ص280.

(7) الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ / 855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة (بلاط / 2001م)، ج23، ص25.

الأخلاق، وترك المشاحنة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة، وأخذ العفو منهم⁽¹⁾.

وذكر ابن تيمية (ت728هـ / 1328م) أن الرسول (ﷺ) بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على أذاهم وقد كان التسامح والعفو النبوي مع استطاعته (ﷺ) البطش والانتقام ممن أساء إليه، لكنه كان كما قال الله تعالى له: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽²⁾.

رابعاً: استراتيجية التعايش السلمي وفق الكتاب والسنة:
انطلقت هذه الاستراتيجية من أرضية عقائدية، حيث توجهت الدعوة الإسلامية بالنداء الإلهي إلى أهل الكتاب داعية إياهم إلى الالتقاء على كلمة التوحيد في مقابل الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁽³⁾،
مُسْلِمُونَ⁽⁴⁾، وهنا نجد أن هذا النداء يشكل أول نداء عالمي للتعايش الاستراتيجي بين الشرائع السماوية . ويمكن أن نقول عنه: إنه أول نداء عالمي للتعايش السلمي ونبذ التطرف بين المجتمعات المختلفة⁽⁵⁾.

خامساً: التعايش السلمي في المدينة في عهد الرسول (ﷺ):
لقد كانت المؤاخاة التي نادى بها الإسلام على لسان الرسول الكريم (ﷺ) تمثيلاً حياً وميدانياً لأسمى معاني التعايش مع المجتمعات الانسانية، وذلك حين قدم رسول الله (ﷺ) مدينة يثرب التي كان يسكنها العرب و اليهودية جنأ الى جنب ، التي كانت من أشهرها قبيلة الأوس وقبيلة الخزرج اللتان كانتا تتقاسمان صراعا مريراً وحروب طويلة دامت لسنوات منها يوم بعاث ويوم الدرك وغيرها، وإذا وقعت الحرب بينهما كان اليهود ينقسمون الى فريقين كل فريق يذهب مع قبيلة ((خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل فريق حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دمائهم بينهم وبأيديهم))، فألف بينهما نبي الله نبي الرحمة محمد (ﷺ) وانصهرا معا وشكلا حين من الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين القادمين من مكة المكرمة هرباً من بطش عتاتها⁽⁶⁾

(1) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ/1071م)، الاستنكار، تحقيق: سالم محمد عطاء، محمد علي معوض، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت-2000م)، ج6، ص542.

(2) سورة المائدة، الآية: ﴿13﴾.

(3) سورة آل عمران، الآية: ﴿64﴾.

(4) البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ/869م)، التاريخ الأوسط، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار الوعي ، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة ، (دمشق

2001م)، ج2، ص222؛ الشرقاوي ، عبد الرحمن ، محمد رسول الحرية، ط ٢ ، دار العصر الحديث لبنان(بيروت-١٩٨٥)، ص211.

(5) البخاري، التاريخ الأوسط، ج2، ص223؛ الشرقاوي محمد رسول الحرية، ص211.

لقد نقل لنا التاريخ صوراً من التسامح والتآخي والاعتدال والتقارب بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة وما بعدها مما قل إن لم يكن انعدم نظيره في تاريخ البشرية، إذ كانوا يتوارثون بالإسلام دون النسب، إذ روي عن الرسول الكريم محمد (ﷺ) أخى بين المهاجرين والأنصار عندما وصل إلى المدينة المنورة فكان يرث المهاجري من الأنصاري، والأنصاري من المهاجري ولا يرث وارثه الذي كان بمكة وإن كان مسلماً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾⁽¹⁾.

لقد تعددت ألوان التعايش السلمي الذي كان يتمتع به الناس في ظل النظام الإلهي نظام الإسلام العادل الذي كان يطبقه رسول الله محمد (ﷺ) ليشمل النصارى واليهود وغيرهم ممن كان يجمعهم المكان والزمان الواحد هؤلاء العناصر من القبائل والطوائف والمذاهب والأديان والأحرار والعبيد والموالي والأعراب يعملون بالتجارة والصناعة والزراعة والرعي والصيد والاحتطاب، وهو مجتمع متنوع بين الدين الإسلامي وبين دين أهل الكتاب وبين المشركين وبين القبائل المتعصبة، مجتمع ألف رسول الله محمد (ﷺ) بينهم، وضع لهم نظاماً تحت شرعية الله⁽²⁾.

ونجد أن دستور المدينة الذي أقره النبي (ﷺ) بين جميع المتساكنين بمختلف فئاتهم ومعتقداتهم، نقلة نوعية بإخراج أصحاب الديانات المختلفة من مآزق الصراع والتناحر والتطرف، حيث فتح لجميع المتعاقدين عهداً من الوئام والتفاهم والتعايش بين العقائد يقوم على مبدأ عظيم سجلته الفقرة الثانية من البند رقم (25) بإعلانها أن «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»⁽³⁾، وهذا يتوافق مع التوجيه القرآني لصاحب الرسالة (ﷺ) عندما أمره ربه تعالى أن يقول لمن لا يستجيب لدعوته: لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾⁽⁵⁾، وهذا أقصى أنواع الاعتراف (بالآخرين) الذي ينطلق من الثقة، والاحترام المتبادلين،

(1) سورة الانفال، الآية: ﴿72﴾.

(2) ابن القوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن احمد، (ت 723هـ/1321م)، مجمع الاداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم ط، مؤسسة الطباعة والنشر - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، (إيران-1995م)، ص42؛ زيدان عبد الكريم، أصول الدعوة، مطبعة بغداد (بغداد - 1970م)، ص32؛ هارون عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام ط4، مؤسسة الرسالة، (لبنان-1985م)، ص77.

(3) ابن زنجوية، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت 865هـ/1465م)، الأموال لابن زنجويه، تحقيق الدكتور: شاكِر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (الرياض - 1986 م)، ج2، ص466.

(4) سورة الكافرون، الآية: ﴿6﴾.

(5) سورة الكهف، الآية: ﴿29﴾.

ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية في المجالات ذات الاهتمام المشترك وفيما يمس حياة الإنسان من قريب وليس فيما لا نفع فيه ولا طائل تحته.

لقد بادر النبي (ﷺ) في انشاء دستور لدولته، الذي جاء في شكل اتفاقية مبرمة بين جميع من كان يسكن في مدينة يثرب (المدينة المنورة) على اختلاف أصولهم العرقية وعقائدهم الدينية، إلى إعطاء (الآخرين) المخالفين في المعتقد الضمانات ما يبدد مخاوفهم في حرية الدين والمعتقد ، من أجل أن تصبح المدينة حرماً آمناً للتعايش السلمي ونبذ اشكال التطرف الديني والعربي في ظل احترام جميع الشرائع والعقائد ، فتضمن البند رقم (39) من وثيقة المدينة «أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة» دون استثناء لأحد من سكانها، مسلمين كانوا أو يهودا أو وثنيين، وهكذا جاء تركيز «الدستور» على وحدة سكان الدولة الجديدة في المدينة، ليس تجاوزاً للاختلاف القبلي بين الأوس والخزرج فحسب، وإنما هو تجاوز أيضاً للتباين الديني إذ تحدث «الدستور» عن أهل يثرب مدمجاً كل طوائفهم، مسلمين (من المهاجرين والأنصار) ويهودا، ومشركين، في اتحاد تحالفي ضد كل من يهدد المدينة في وحدتها أو يعمل لإلحاق الضرر بالمتعاقدين؛ وهو تحالف ضد قريش، التي كانت تفكر في غزو المدينة بعد أن أقام الرسول محمد (ﷺ) النظام الإسلامي الجديد في ظل التعايش السلمي القائم على التعاون، سواء كان هذا التعاون اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً أو غير ذلك مما اشتمل عليه «دستور» الدولة في معظم بنوده الموجهة لجميع المتساكنين فيها⁽¹⁾.

المبحث الثاني

الدستور الذي أرسى التعايش السلمي ونبذ التطرف

❖ وثيقة المدينة:

أصدر الرسول محمد (ﷺ) فور وصوله للمدينة المنورة وثيقةً دستوريةً، تسمى وثيقة المدينة؛ لتنظم حياة سكان المدينة المنورة سواء كانوا المهاجرين والأنصار أم اليهود والوثنيين، ولتنظيم علاقتهم مع بعضهم البعض وتتضمن بيان جميع الالتزامات الواقعة على سكان المدينة، وبيان الحقوق والواجبات المترتبة عليهم، وكان يُطلق عليها قديماً الكتاب أو الوثيقة، أما حالياً فيُطلق عليها الدستور أو الوثيقة، وتحمل وثيقة المدينة أهميةً تاريخيةً ودستوريةً⁽²⁾

فبعد هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة المنورة، أقام قواعد المجتمع الإسلامي الجديد على قاعدة التعايش السلمي والتسامح والتعاون بين المسلمين وبقية الطوائف الأخرى، فدخل المسلمون في ميثاق مع القبائل العربية واليهودية المقيمة هناك، فكانت (وثيقة المدينة) هي الدستور الذي ينظم العلاقات بين مكونات المجتمع الجديد وبين من انضوى تحته من الطوائف والتزموا جميعاً بموجبها مسلمين أكانوا أم غير مسلمين بالتعاون فيما بينهم على إقامة العدل، والحفاظ على الأمن وحماية الدولة الجديدة من أي عدوان خارجي⁽³⁾

لقد تعددت واختلفت الروايات عند المحدثين والمهتمين بسيرة الرسول فيما يتعلق بموضوع (الوثيقة) وطرق ورودها، فقد وصلتنا بروايات متعددة منها : رواية ابن إسحاق (ت 151هـ/ 768 م)، ورواية ابن أبي خيثمة (ت 279هـ/ 891م) ، ورواية أبي عبيد القاسم

(1) البخاري ، التاريخ الوسيط ، ج2، ص244.

(2) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت213هـ/ 828م)، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الثلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر - 1955 م)، ج1، ص238.

(3) المصدر نفسه ، ج1، ص239.

بن سلام (ت 224 هـ / 838 م)، ورواية حميد بن زنجويه (ت 251 هـ / 865 م)، ورواية ابن أبي حاتم (ت 327 هـ / 938 م). وهناك طرق أخرى وردت منها (الوثيقة) ولكن ليست بنصها الكامل وإنما اقتصر على ذكر جزء من النص، أو الإشارة إليه، منها: رواية الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ / 855 م)، ورواية الإمام البيهقي (ت 565 هـ / 1169 م)، فنجد على سبيل الاطلاع ان ابن هشام قد بدء تبدأ الوثيقة بعبارة: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين ... لمؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة...⁽¹⁾. وفيها إشارة عميقة إلى أن هذه الوثيقة ليست بين النبي وإنما هي من الله ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى، لتكون ناضماً للعلاقات بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب بدولة تجمعهم ومن يلحق بهم جسداً واحداً، وبناء واحداً، أو بتعبير الوثيقة النبوية «أمة واحدة من دون الناس»⁽²⁾.

إن الباحث المتأمل في هذه الوثيقة ومقاصدها العميقة سيجد أنها احتوت كل المبادئ التي ترسخ التسامح والتعايش والسلم داخل المجتمع الواحد بين كل أفراد المجتمع باختلاف أعراقهم ودياناتهم وتوجهاتهم على أساس المواطنة فهي حداً صارم للتطرف ونشر المودة والالفة بين مكونات المدينة المنورة على عدة مناهج ومبادئ أهمها:

1- مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع:

وضح النبي (ﷺ) في الجزء الأول من وثيقة المدينة للكيانات العشائرية واعتبرت المهاجرين كتلة واحدة لقلّة عددهم ، وتنص هذه البنود كما ذكر ابن هشام (ت 213 هـ / 828 م) بقوله : "... المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل..."⁽³⁾

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص240؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : عمر عبد السلام

تدمري، ط2، دار الكتاب العربي ، (بيروت - 2003م) ، ج4، ص1112.

(2) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ/1270م) ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، (بيروت-

1999م)، ص167.

(3) ابن هشام ، السيرة النبوية، ج1، ص229.

2- مبدأ حرية الاعتقاد:

نصت الوثيقة أيضاً في بنودها: "... ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته..."⁽¹⁾، وهذا فيه ضمان للحريات الأساسية للأفراد ونبذ أي تطرف يحاول إيقاع الفرقة بين المتعاشين في يثرب (المدينة المنورة)، وعلى رأسها حرية الاعتقاد، فرعاية دولة الإسلام لمواطنيها وحسن إدارتها لشؤونهم لا يؤثر فيها كون بعضهم غير مسلمين، وإنما للجميع البر وحسن الرعاية.

3- مبدأ العدل:

وهو من المبادئ الرئيسية والمقاصد العظيمة التي يراد تحقيقها وجعلها واقعاً من خلال هذه الوثيقة، وكانت عناية الإسلام به واضحة في كل بنودها، فالإسلام جاء لينبذ كل ما كان يشجع على التطرف في المعتقد الدني، فما كانت تقوم عليه المجتمعات الجاهلية من نصرة للقريب سواء كان ظالماً أو مظلوماً، وذلك بدافع الأعراف القبلية الجاهلية الى التناحر والتطرف القبلي، فجعل نصرة الظالم بالأخذ على يديه ومنعه من الظلم وهذا ما شارة الية وثيقة المدنية في بعض جوانبها الأساسية: "... وإن النصر للمظلوم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل"⁽²⁾، و أورد مصطلح «المظلوم» غير مقيد ليعلن في الإنسانية جمعاء حق الإنسان في العدل بغض النظر عن جنسه أو لونه أو ديانته وما تمثل مبدأ العدل في هذه الوثيقة إلزام الأفراد بتحمل مسؤولية ما يقومون به ولا يعاقب فرد بجريرة فرد آخر، كما جاء في بنودها على إنه لا يأثم امرؤ «بحليفه»، فقد كان الفرد قبل الإسلام يكسب للقبيلة، وكان يقترب الإثم والجريمة وتؤدي عنه القبيلة فهو تابع لها وهي ناصرة له ظالماً، أو مظلوماً، شرفه لها ووزره عليها، وتحمل عنه عقوبات الجرائم التي قد يقتربها، فجاء الإسلام ليعلن تحرر الفرد من سلطان القبيلة بدوبان القبيلة في الوطن، فلو أن أحد أفراد المجتمع اثماً أو خطأ ما متعمداً؛ فوزره في عنقه، يتحمل مسؤوليته وحده، وليس على حلفائه الذين لم يشاركوه في هذا العمل أدنى مسؤولية، ووقفت الآثار في أحيان كثيرة عند بيته "... فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته... وهذا يبرز ذاتية الفرد المسؤول المكلف. أما إذا كان ما قام به عن طريق الخطأ كالقتل غير المتعمد، ففي هذه الحالة ومثلها على حلفائه أن يساعده، ويقدموا له العون؛ كالمشاركة أداء الدية معه مثلاً، وهذا - أيضاً - من العدل ومن مقتضيات التحالف"⁽³⁾.

ونجد ان الوثيقة النبوية هنا تؤسس لمفهوم جديد للمسؤولية والحرية خاصة في الابتعاد عن جميع اشكال التطرف فهي ترتبطان بالكرامة الإنسانية ارتباطاً وثيقاً فالله سبحانه وتعالى - الذي كرم بني آدم - هو الذي جعل الإنسان مسؤولاً عن عمله، فرداً وجماعة، لا يؤاخذ واحد بوزر واحد، ولا أمة بوزر أمه لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ

(1) العامري الحرضي، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى (ت 893هـ/1448 م)، بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمال، دار صادر، (بيروت/ بلات)

، ج1، ص168؛ العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم (الرياض - 1994)، ص 272 .

(2) ابن هشام، ج3، ص34؛ العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص273-274.

(3) ابن هشام، ج3، ص34؛ العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص273-274.

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢٤﴾^(١)، وهذا ما عنته (الوثيقة) في الفقرة قبل الأخيرة من البند رقم (٤٦) التي نصت على أنه "لا يكسب كاسب إلا على نفسه"^(٢)، كل فرد يحمل هم نفسه وتبعاتها ، ويضع نفسه حيث شاء أن يضعها، يتقدم بها أو يتأخر، يكرمها أو يهينها، فهي رهينة بما تكتسب، مقيدة بما تفعل^(٣).

4 - مبدأ استقلال الذمة المالية:

تنص الوثيقة في البند (٢٤): "...وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وإنه لم يأتهم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل..."^(٤).

5-مبدأ الدفاع عن الوطن والإنفاق عليه جماعياً:

بين البند (44) من الوثيقة على واجب الدفاع عن الوطن بالنفس والمال وإن بينهم النص على مَنْ دهم، يثرب، فلو تعرضت المدينة المنورة لاعتداء أو هجوم فإن الجميع بمقتضى حق المواطنة يُدافع عن الوطن بالنفس والمال، وأكد البند ٢٤ هذا المعنى: وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ وكذلك لا يصح أن يُجبر أحد من أهل هذه المعاهدة أحداً من قريش، أو أحداً نصرها ؛ وذلك حفظاً لأمن المدينة من العدو الوحيد الذي يُعلن العداوة لها؛ حيث كانت باقي القبائل على الحياد، وإلى هذا يُشير البند (٤٣) من الوثيقة : "... وإنه لا تجار قريش ولا مَنْ نصرها ويؤكد البند الحادي عشر أيضاً على معاني الوطنية والمسؤولية التي تقع على كاهل كل طرف من الأطراف التي تسكن المدينة؛ وذلك حتى يشعر الجميع أن هذا وطنه، وأنه يجب عليه حمايته. ويستتبع من هذه البنود أن الجميع يشترك أن الجميع يشترك في حماية الوطن والدفاع عنه، ولا يوجد طرف يتميز عن طرف آخر فكل مكونات المجتمع في واجب الدفاع عن الوطن."^(٥).

6-وجود مرجعية يرجع إليها في حالة الخلاف:

حدد البند (٤٢) من الوثيقة طبيعة المرجعية القضائية القانونية في الدولة التي تحل في ظلها النزاعات والخصومات وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجار يُخاف فساده فإن مرده إلى الله - عز وجل، وإلى محمد رسول الله (ﷺ) فهذا البند يقرر مبدأ العدل الإنساني بين الفرقاء، والمرجعية العليا في الأمور والقضايا بالمدينة^(٦) ، منعاً لقيام أي اضطرابات في الداخل، ذلك انه لا يرد حسم الخلاف بينهم لرأي أي منهم ففي حال العجز عن بناء توافق ورضا متبادل على الأمر المختلف عليه، فإنهم يتحاكمون إلى حكم عادل غير

(1) سورة الطور ، الآية: ﴿٢١﴾.

(2) ابن هشام، ج3، ص34.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص35.

(4) ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، ج3، ص34؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة، (بلا- بلات)، ج5، ص422؛ الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين (ت ١٤٢٠هـ، 2002م) ، السيرة النبوية، ط ١٢ ، دار ابن كثير، (دمشق - 2003م)، ج ١ ، ص ٢٨٨.

(5) الندوي، السيرة النبوية ، ص289.

(6) (السقلائي، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت 1448/هـ 852م) ، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط1، دار الكتب العلمية، (بلا- بلام) 1989م)، ص311؛ أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، (ت 1403/هـ 1983م)، السيرة النبوية على ضوء القرآن، ط8، دار القلم، (دمشق-1984م)، ص66

صاحب مصلحة، وعلى دراية وعلم بموضوع الخلاف فالوثيقة نصت بوضوح أن المرجعية القضائية القانونية والفصل في الخصومات إنما يكون إلى شريعة الإسلام، وقضاء الدولة الإسلامية المتمثل حينذاك في رسول الله (ﷺ) - ما لم يكن الأمر من خصوصيات دينهم⁽¹⁾.

7- حرمة جوف المدينة:

تنص الوثيقة في البند (٣٩) أن يثرب (المدينة المنورة) حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، فالمدينة حرم آمن لكل المواطنين باختلاف أعراقهم وانتماءاتهم الدينية وهذه الحرمة تتسع لتشمل حرمة النفس والحرية الدينية وحرمة المال والنسل والعقل⁽²⁾، وكل المعاني التي تتضمن تحتها ومما لا يتسع المجال لذكره، فقد ساهمت هذه الوثيقة في توثيق الصلات والعلاقات الأخوية وتعزيز الروابط المجتمعية بين المهاجرين والأنصار⁽³⁾، وقلصت التفاوت الاجتماعي والثقافي والنفسي والمعيشي الذي كان بينهم، وكان لها الفضل العميم في تذويب العصبية القبلية والنزاعات الجاهلية وتخفيف حالة العداء والحرب بين الطوائف التي كانت تسكن المدينة، والتي كانت تتحكم في مصير الأفراد والجماعات وتجرحهم إلى الحروب، وإراقة الدماء، واستباحة الأعراض والأموال. كما كان الحال بين الأوس والخزرج⁽⁴⁾.

الخاتمة

رأي الرسول (ﷺ) كان نابغاً من شعوره بالمسؤولية اتجاه الإسلام ومستقبله والمسلمين جميعاً وسلامتهم فجاء دين الإسلام عموماً ليس لقطع الروابط الوراثية والمكتسبة أو ان يفت في عضدها بل جاء ليعزز حقوق الروابط البشرية ومنها الروابط المكتسبة مثل رابطة الإنسانية ورابطة الرحم، ورابطة الأبوة ورابطة الوطن الواحد، ورابطة الجوار وحقوق الضيف ونستنتج من ذلك:

- 1- ان سنة وسيرة الرسول (ﷺ) الاطهار كانت مثلاً حياً وانعكاساً جلياً لمفاهيم التواصل الإنساني ومبادئه والتي تعد هي الحدود الشرعية للدين الإسلامي، وهو يتجاوز اسوار العقيدة لتشكل قدرة يحتذي بها واسوة يقتدى بها.
- 2- ان سنة وسيرة الرسول (ﷺ) الاطهار كانت مثلاً حياً وانعكاساً جلياً لمفاهيم التواصل الإنساني ومبادئه والتي تعد هي الحدود الشرعية للدين الإسلامي، وهو يتجاوز اسوار العقيدة لتشكل قدرة يحتذي بها واسوة يقتدى بها.
- 3- ان الرسول محمد (ﷺ) قد فسح المجال للأخريين لبيان معتقداتهم وافكارهم ولو كانت هذه المعتقدات والافكار على الضد والنقيض من معتقداتنا وافكارنا.
- 4- النظر بعين الاحترام والتقدير لا راء الاخريين على أساس ان الحقيقة أعظم واوسع بكثير من ان يحيط بها شخص او اشخاص معينون ويقصد بها السلام بين البشر.
- 5- ان النصارى والمسلمون واليهود ... كلهم يؤمنون بسلامة اديانهم ولهذا لا بد من الاحترام التسامح الشامل مادام هذا الخلاف بين الناس في الأديان والمذاهب قائماً، وهذا ينبغي ان تكفل حرية المعتقد لكل انسان، ولا يحد هذه الحرية شيء غير الاضرار بالآخرين.

(1) أبو زهرة، محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد (ت 1394هـ/1973) خاتم النبيين (ﷺ)، دار الفكر العربي (القاهرة- 2000م)، ج ١، ص ٩٨.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 498.

(3) الشرقاوي، محمد رسول الحرية، ص 123.

(4) منصور، رقية شاكر، مظاهر وسطية الإسلام وأثرها في التعايش السلمي، ج 1، ص 498؛ زيدان، أصول الدعوة، ص 45.

6- ما أكثر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعو الى ترسيخ روح التسامح بين بني الانسان والتي ان تمت تربية الأجيال عليها في المدارس والمعاهد وعبر القنوات الإعلامية المختلفة وعلى وفق خطط علمية وتربوية مدروسة ستحقق للشعوب والأمم ما تريد لنفسها من رخاء وسؤدد في اوطانها ومجتمعاتها الحافلة بالتنوع، اذ جاءت الشريعة الإسلامية السمحة من اجل اعمارها وارقي بها في مدارج الفلاح والنجاح.

المصادر والمراجع

اولاً-المصادر الأولية: -

القران الكريم.

1. ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت 630هـ/1223م).
2. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض -عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، (بلام/1994 م).
3. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن احمد، (ت723هـ/1321م).
4. مجمع الاداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، ط1، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، (إيران-1995م).
5. ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ/1057م).
6. شرح صحيح البخاري لابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد -السعودية، الرياض (الرياض-2003م).
7. ابن زنجوية، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت 251هـ/865م).
8. الأموال لابن زنجويه، تحقيق الدكتور: شاكِر ذيب فياض الأستاذ المساعد -بجامعة الملك سعود، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (الرياض - 1986 م).
9. ابن سيد الناس اليعمري، أبو الفتح فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، (ت 734هـ/1334م).
10. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق: إبراهيم محمد رمضان، ط1، دار القلم - (بيروت-1414م).
11. ابن سيده، ابو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت ٤٥٨هـ/1066م).
12. المحكم والمحيط، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، (بيروت - ٢٠٠٠م).
13. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ/1071م).
14. الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت-2000م).
15. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري (ت 774هـ/1372م).
16. تفسير ابن كثير (تفسير القران الكريم)، تحقيق وتعليق: مصطفى السيد محمد واخرون، ط3، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ، (بلام-بلات).

17. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت 213هـ/828م).
18. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر -1955 م).
19. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت 1394هـ/1973).
20. خاتم النبیین (ﷺ)، دار الفكر العربي (القاهرة-2000م).
21. أبو شهية، محمد بن محمد بن سويلم، (ت 1403هـ/1983م).
22. السيرة النبوية على ضوء القرآن، ط8، دار القلم، (دمشق-1984م).
23. الامام احمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ/855م).
24. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة (بلام / 2001 م).
25. البخاري، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ/869م).
26. التاريخ الأوسط، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة، (دمشق 2001م).
27. البيهقي، أبو الحسن، ظهر الدين علي بن زيد بن محمد (ت 565 هـ/ 1169م).
28. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط1، دار الكتب العلمية -بيروت، (بلام-2004م).
29. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت 279هـ/892م).
30. سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط2، مطبعة مصطفى الحلبي،(مصر-1975م).
31. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 748هـ/1347م).
32. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت - 2003م).
33. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 666هـ/ 1270م).
34. مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، (بيروت-1999م).
35. العامري الحرصي، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى (ت 893هـ/ 1448 م).
36. بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمال، دار صادر، (بيروت/ بلات).
37. مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت 1205هـ/1790م).
38. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (دمشق-بلام).
39. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت 852هـ/ 1448 م).

40. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط1، دار الكتب العلمية، (بلام/1989م).
41. القسطلاني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المصري، (ت 923هـ/1517م).
42. شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط7، المطبعة الكبرى الأميرية، (مصر-1905م).
43. الملا علي القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين (ت 1014هـ/1606م).
44. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، (بيروت -2002م).
45. الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين (ت ١٤٢٠هـ، 2002م).
46. السيرة النبوية، ط ١٢، دار ابن كثير، (دمشق -2003م).
47. نشوان الحميري، بن سعيد اليميني (ت 573هـ/1178م).
48. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري واخرون، ط1، دار الفكر المعاصر (بيروت /1999م).
49. النووي، أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ/1278م).
50. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي (بيروت-1972م).

ثانياً/ المراجع الحديثة:

1. زيدان عبد الكريم.
2. أصول الدعوة، مطبعة بغداد (العراق - ١٩٧٥).
3. الشرقاوي، عبد الرحمن.
4. محمد رسول الحرية، ط ٢، دار العصر الحديث لبنان(بيروت-١٩٨٥).
5. العمري، أكرم ضياء.
6. السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم (الرياض -١٩٩٤).
7. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
8. المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة، (بلام-بلات).
9. مصطفى، إبراهيم واخرون.
10. المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (القاهرة -1972م).
11. منصور، رقية شاكر.
12. مظاهر وسطية الإسلام وأثرها في التعايش السلمي، مجلة جامعة الأنبار كلية للعلوم الإسلامية: مجلة علمية فصلية محكمة، (الانبار-1017م).
13. الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين (ت ١٤٢٠هـ، 2002م).
14. السيرة النبوية، ط ١٢، دار ابن كثير، (دمشق -2003م).
15. هارون عبد السلام.
16. تهذيب سيرة ابن هشام، ط4، مؤسسة الرسالة، (لبنان-1985م).

معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر دراسة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

م. م شيماء خالد كريم
دائرة التعليم الديني / ثانوية الاخلاص للبنات

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم التعايش الحضاري مع الآخر تأصيلاً وتحليلاً من منظور إسلامي، من خلال استعراض المفاهيم المركزية المتعلقة به، واستنباط معالمه من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وقد تضمن البحث ثلاثة مباحث رئيسية: خصص المبحث الأول لتأصيل الإطار المفاهيمي للتعايش الحضاري، من خلال توضيح مفهوم التعايش الحضاري، ومفهوم التعامل مع الآخر، وبيان العلاقة بينهما في ضوء الرؤية الإسلامية.

أما المبحث الثاني، فقد تناول معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر في القرآن الكريم، حيث تم استعراض أبرز المبادئ القرآنية التي تحتل على التفاهم والاحترام المتبادل، والتسامح، والعدل، والتعاون، مع الاستدلال بالنصوص القرآنية ذات الصلة. وجاء المبحث الثالث ليتناول معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر في السنة النبوية، من خلال تحليل عدد من المواقف النبوية التي جسدت أرقى صور التعايش، سواء مع المخالف في الدين أو الثقافة، مع التركيز على القيم الأخلاقية والتربوية المستفادة. وقد خلّص البحث إلى أن التعايش مع الآخر مبدأ أصيل في الإسلام، قائم على أسس واضحة من الاحترام والتقدير المتبادل، وأن النصوص الشرعية وفيرة في تأكيد هذا المعنى، مما يجعل من الإسلام نموذجاً حضارياً متفرداً في إدارة العلاقة مع الآخر.

Abstract

This research aims to study the concept of civilizational coexistence with others, in terms of its origins and analysis from an Islamic perspective, by reviewing the central concepts related to it and deriving its features from the texts of the Holy Quran and the honorable Prophetic Sunnah. The research includes three main sections:

The first section is dedicated to establishing the conceptual framework of civilizational coexistence, by clarifying the concept of civilizational coexistence, the concept of dealing with others, and explaining the relationship between them in light of the Islamic vision.

The second section deals with the features of civilizational coexistence in dealing with others in the Holy Quran, where the most prominent

Quranic principles that urge mutual understanding and respect, tolerance, justice, and cooperation are reviewed, with references to the relevant Quranic texts.

The third section addresses the features of civilizational coexistence in dealing with others in the Prophetic Sunnah, by analyzing a number of Prophetic situations that embodied the highest forms of coexistence, whether with those who differ in religion or culture, with a focus on the ethical and educational values learned.

The research concludes that coexistence with others is a fundamental principle in Islam, based on clear foundations of mutual respect and appreciation, and that the religious texts are abundant in affirming this meaning, which makes Islam a unique civilizational model in managing the relationship with others.

المقدمة

جاء الإسلام حاملاً مبادئ وقيم وأخلاق وأهداف عُدَّت أهم المرتكزات في التعامل مع الآخر (غير المسلم) فضلاً عن دعوته الرئيسية التي تقوم على التعايش الحضاري و التسامح الديني وحفظ حقوق المسلم وغيره .

ورصد البحث المقاصد القرآنية والنبوية التي تصبُّ في تأكيد التعايش الحضاري و التسامح الديني مع أهل الديانات الأخرى كافة ، هذا التسامح الذي هو سمة ثابتة من سمات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ويظهر هذا التعامل الحسن بالحرّيات الدينية ، التي ضمنها الإسلام للمنضويين تحت لوائه ، فالمؤمن الذي يؤمن بدينه وعقيدته ، وأنهما الأقوم والأصلح ، وما عداهما باطل وانحراف ، لم يحمل الناس على إتباع دينه بالقوة ، رغم ما أُتيح له من فرصة حمل السيف وفتح المدن ، بل إنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية لم تجعله ينحرف عن سنن العدالة والمساواة بين الناس ، وترك الحرّيات لهم في إتباع هذا الدين .

وتأتي هذه الدراسة تحت عنوان : معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية .وهي محاولة لإبراز حقائق ذلك التعامل باستعراض عديد من الشواهد القرآنية والنبوية ، التي شهدت بذلك التعامل الناصع مع الآخر وبمستوى راقٍ يشهد برقي الإسلام وسموّه .

وهي شواهد حق تؤكد تعايش الإسلام وسماحته، وتميّزه بهذا السلوك الإنساني الفريد في التعامل مع ما يمكن تسميته بالآخر .

وانتظم البحث في ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة ، أما المبحث الأول فجاء بعنوان : (الاطار المفاهيمي) ويشتمل على مطلبين (الأول : مفهوم التعايش الحضاري ، والثاني: مفهوم التعامل مع الآخر).

، أما المبحث الثاني فكان معنوناً بـ (معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر وأهميته في ضوء القرآن الكريم)، وجاء المبحث الثالث معنوناً بـ (معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر وأهميته في ضوء السنة النبوية).

المبحث الأول

الاطار المفاهيمي

المطلب الأول : مفهوم التعايش الحضاري

أولاً : التعايش : لا ينطوي لفظ التعايش في معاجم اللغة العربية على مفهوم واضح ومحدد للتعايش بالمعنى المعاصر للكلمة ، فالتعايش حالة اجتماعية مشتقة من العيش ، والعيش كما جاء في لسان العرب : "العيش: الحياة"⁽¹⁾، وجاء في تاج العروس : " والتعايش : المُعَايشَة : عاش معه ، كقولهم عاشره ، والغالب في التعايش أن يكون بألفة ومودة "⁽²⁾ وجاء في المعجم الوسيط : " تعايشوا على الألفة والمودة ، ومنه التعايش ، وعایشه : عاش معه . والعيش معناه الحياة ، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل وغيره "⁽³⁾ وبهذا يتبين ان لفظ التعايش يحيل الى الحياة وما تقوم به من المطعم والمشرب وغيره ، وما تكون عليه من الألفة والمودة

أما اصطلاحاً : فقد اجتهد الباحثون في تحرير المقصود به ؛ فعرفه بعض المعاصرين بأنه : " العيش المتبادل مع الآخرين على المسالمة والمهادنة "⁽⁴⁾ وعرفه التوجيهي بأنه : " اتفاق طرفين أو عدة أطراف على تنظيم وسائل العيش – أي الحياة – فيما بينهم وفق قاعدة يتم تحديدها وتمهيد السبل المؤدية إليها "⁽⁵⁾ وهناك من يعرف التعايش بأنه : " مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق والأجناس والاديان منسجمين مع بعضهم البعض ، ولا يتطلب أدنى فكرة للتعايش سوى أن يعيش أعضاء هذه الجماعات معا دون أن يقتل أحدهم الآخر "⁽⁶⁾

وحيث يكون التعايش يكون السلم ، لانه لا يمكن الفصل بينهما ؛ فالتعايش نتيجة طبيعية لحالة السلم التي لا يمكن أن تحدث الا اذا توفرت لها مقومات معينة ، فما السلم؟
ثانياً : الحضارة .

- لغة : بكسر الحاء وفتحها تعني الإقامة في الحضر ، خلاف البداوة سميت بذلك لان أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون بها قرار والحاضرة اخلاف البادية .⁽⁷⁾
والحضور ضد المغيب ، وهو إيراد الشيء ومشاهدته⁽⁸⁾، والحاضرة والحضرة والحضر، هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم با قرار.⁽⁹⁾

(1) لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ (6 / 321)

(2) تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية (17 / 285-286)

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة (2 / 639-640)

(4) مفهوم التعايش في الاسلام ، د.عباس الجارري ، العدد :14، من مجلة تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم –إيسيسكو . عام 1417 هـ (ص27)

(5) الاسلام والتعايش بين الاديان في أفق القرن الحادي والعشرين ، منشورات المنظمة العربية الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو . عام 1419 هـ (ص2)

(6) تخيل التعايش معاً تجديد الإنسانية بعد صراع الاثني ، تشايز، انطونيا مارثامينلو ترجمة فؤاد السروجي، دار الاهلية ط1 ، 1426 هـ (ص29)

(7) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (4 / 197).

(8) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (2 / 75)

(9) ينظر: تاج العروس، الزبيدي (11 / 40)

-أما الحضارة اصطلاحاً : اسهم العلماء في تقديم تعريفات متعددة للحضارة ، منها :
أولاً : تعريف ابن خلدون للحضارة : " الحضارة إنما هي تفتن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله" (1).

ثانياً : تعريف مالك بن نبي للحضارة : " حضارة = إنسان + تراب + وقت، وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تتحل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت. " (2).

ثالثاً : تعريف أبن الأزرق للحضارة : "الحضارة هي النهاية في أكمل العمران الخارج به إلى الفساد، والغاية في الشر البعيد عن الخير، ومن سلم من ذلك فلا خفاء في قربيه من الخير" (3).

وعلى الرغم من كثرة تعريفات الكتاب والفلاسفة للحضارة أفضل التعريف الذي قدمه البرت اشفيتسر في كتابه "فلسفة الحضارة"، ذلك التعريف الذي يقول فيه : "إن الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء " (4). ففي هذا التعريف ما يؤكد تلاحم الجانبين الروحي والمادي في معنى الحضارة.

ويخلص الباحثان من خلال ما تقدم الى أن معنى التعايش الحضاري هو: علاقة تفاعلية تتسم بالسلم والتعايش والتقدم الروحي والمادي وتقوم على قاعدة التعاون الانساني الرحب الذي تحكمه القيم الحضارية النبيلة .
المطلب الثاني : مفهوم التعامل مع الآخر .

- التعامل لغة : مأخوذ من المعاملة فهو مصدر من قولك: عاملته وأنا أعامله معاملة (5).
وقيل: المصدر هو الاسم الدال على مجرد الحدث. وعامل فاعل كضارب وخاصم وقاتل (6).
قال ابن منظور في لسان العرب: عاملت الرجل أعامله معاملة والمعاملة عند أهل العراق هي المساقات في الحجاز (7). وبمثله قال الزبيدي (8).

- التعامل اصطلاحاً :

يقصد به اتصال دعته ظروف المعاشية بين طرفين ، تربطهما حقوق وواجبات، رسمتها أحكام واضحة مستمدة من الشرع الكريم ، وتمّ تمثلها وتطبيقها عبر عصور المسلمين (9) .

- الآخر لغة : إن لفظ "الآخر" من الألفاظ الواضحة في اللغة العربية (10)، وهو لا يحمل

(1) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988 م (1/ 216)

(2) شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر - دمشق سورية، 1986م (ص: 45).

(3) بدائع السلك في طبائع الملك، ابن الأزرق، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط1 (1/ 49).

(4) فلسفة الحضارة، ألبرت اشفيتسر، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي، مطبعة مصر 1963م، (ص 34).

(5) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979م (4/ 145)

(6) ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، تحقيق: د. علي درجوع، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت

الطبعة: الأولى - 1996م. (1/ 194)

(7) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (11/ 476)

(8) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (30/ 62)

(9) ينظر: التعامل مع الآخر شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية، أ.د إبراهيم بن محمد الحمد المزيني، مركز الملك عبد العزيز، الرياض، ط6، 1426هـ - 2005م (ص17)

(10) ينظر: مادة (آخر) في: لسان العرب (4/ 11)، تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م (7/ 227)، تاج العروس

قيمة دلالية تتعدى أو تتجاوز معنى لفظ "غير" دون أن يكون في ذلك دلالة على المخالفة أو الموافقة؛ فالآخر قد يكون منا، وقد يكون من غيرنا؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: من الآية 3). قال ابن جرير رحمه الله: "عني بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا أصحابوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس؛ لأن الله - عز وجل - عمّ بقوله: (وأخريين منهم)"⁽¹⁾؛ فهذا وصف "الآخر" بأنه منهم، مما يعني أن "الآخر" قد يراد به المخالف، كما يراد به الموافق.

أما الآخر اصطلاحاً : فهو مصطلح واسع وفضفاض وغير واضح الحدود، وهو كتعبير أشمل من أن يحصر بصفة معينة فهو يعني أي صفة عدا الذات سواء كان مثيلاً أو نقيضاً في الشكل والمضمون، فهو قد يعني العدو أو الصديق أو المحايد، سواء كان في الأوساط الأسرية أو القبلية أو الإقليمية أو المذهبية⁽²⁾، وإن كان أكثر معانيه شيوعاً يعني شخصاً آخر أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة، وبالمقارنة مع ذاك الشخص أو المجموعة نستطيع تحديد اختلافنا معها⁽³⁾، فيصير الذكر «آخر» الأنثى، والنصراني «آخر» المسلم والأسود «آخر» الأبيض وهكذا.

وإن كان موضوع البحث هو التعامل مع الآخر ودوره في التعايش الحضاري في ضوء المنظور القرآني والنبوي، فإن هذا الآخر يعطي مفهوماً واسعاً قد يتسع مدلوله لكل ما هو غير الذات ، وإن كان الاستعمال الشائع للفظ الآخر وهنا بالذات ، يميل إلى حصره في ما هو غير المسلم .

وهذا يعني أنّ اهتمام هذا البحث سيقترص على تناول قضية رؤية الإسلام في التعامل مع الآخر ، بالمعنى المحدّد للآخر، وهو غير المسلم ، من خلال عديد من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ، التي سجّلت صوراً ناصعة من صور هذا التعامل .

فالآخر ، في منظور حضارتنا الإسلامية ، هو حقيقة لطرفٍ لم يكن يقصد منه عدوّ هذه الحضارة ، كما تقصر أفهام بعض الكتّاب وتوهم فلسفاتهم ، فهو مفهوم يتّسع مدلوله ليعبر عن كل ما هو غير الذات . وقصد به هنا غير المسلمين ، وهو شامل لما اصطلح على تسميته ، في حضارتنا الإسلامية وعبر عصور التاريخ ، بأهل الذمّة ، وهو مصطلح أطلق على مواطني الدولة الإسلامية من غير المسلمين ، وبخاصة اليهود والنصارى (المسيحيين) الذين كان لهم عهد مع المسلمين ، إذ الذمّة في فهم اللغة تعني العهد والأمان ، لكونهم به صاروا في ذمّة رسول الله ﷺ وفي ذمّة المسلمين ، أي في عهدهم وأمانهم ، ليعيشوا في حماية الإسلام ، وفي كنف المجتمع الإسلامي⁽⁴⁾

ثم اتّسع المعنى الاصطلاحي ليشمل أهل الكتاب كافّة أي أصحاب التوراة والإنجيل من النصارى واليهود ، ومن لا كتاب لهم مثل المجوس مقابل التزامهم بواجباتهم تجاه مجتمع المسلمين⁽⁵⁾ .

(1) تفسير الطبري (جامع البيان)، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق ، عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأولى، 1422 هـ - 2001 م (22/ 631)

(2) ينظر: دليل الناقد الأدبي، د.ميجان الرويلي ود. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء -المغرب ، ط3، 2002م (ص: 21)

(3) ينظر: المصدر نفسه (ص: 24).

(4) ينظر: التعامل مع الآخر شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية ، أ.د إبراهيم المزيني (ص18)

(5) ينظر: المصدر نفسه (ص18-19)

وهناك صنف آخر من هذا الآخر وهم (المستأمنون) ويقصد بهم غير المسلمين ، من الوافدين إلى بلاد المسلمين لعمل أو نحو ، حيث يعرفهم الفقهاء المسلمون بـ(المستأمنين)أو (المعاهدين)⁽¹⁾.

المبحث الثاني

معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر وأهميته في ضوء القرآن الكريم .
جاء القرآن الكريم ليضع أولى لبناته في إقامة مجتمع سوي يقوم على أساس السلم والتعايش ، ومن إقرار ذلك ، وإعطاء الإنسان قيمة عليا في المجتمع بالحقوق والواجبات بغض النظر عن انتماءه القومي والديني.

ذلك أن المجتمع الإسلامي مجتمع يقوم على عقيدة وفكر (أيولوجية) تنبثق منها نظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه . هذه العقيدة أو الفكرة هي الإسلام وهذا معنى تسميته (المجتمع الإسلامي) فهو مجتمع اتخذ الإسلام منهاجاً لحياته ، ودستوراً لحكمه ، ومصدراً لتشريعته وتوجيهه في كل شؤون الحياة وعلاقتها ، فردية ، واجتماعية ، ومعنوية محلية ودولية⁽²⁾.

ولكن ليس معنى هذا ان المجتمع المسلم يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش في داخله وهي تدين بدين آخر غير الإسلام .

كلا .. إنه يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيه من غير المسلمين على أسس وطيدة من التسامح والعدالة والبر والرحمة ، وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام ، وقد عاشت قروناً بعد الإسلام ، وهي تقاسي الويل من فقدانها ، ولا تزال إلى اليوم ، تتطلع إلى تحقيقها في المجتمعات الحديثة ، فلا تكاد تصل إليها في مجتمع ما ، وفي وقت ما ، إلا غلب عليها الهوى والعصبية ، وضيق الأفق والأنانية وجرتها إلى صراع دام مع المخالفين في الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون⁽³⁾.

إنّ هذا الآخر ، أو غير المسلم في المجتمع المسلم ، حقيقة واقعة ، وقد تولى القرآن الكريم تحديد المنهج القويم في ضبط العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى في المجتمع الإسلامي.

ومن أسس النظرة المتسامحة التي تسود المسلمين في التعامل مع مخالفينهم في الدين يرجع إلى الأفكار والحقائق الناصعة التي غرسها القرآن الكريم في عقول المسلمين وقلوبهم . ومن أهمها :

أولاً : حق الآخر في (الإنسانية) .

إن القرآن الكريم أعلن وحدة الأصل الإنساني، فقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1] وإذا كان الناس قد خلقوا -كما يقرر القرآن الكريم- من نفس واحدة، فإن الوحدة الإنسانية فيما بينهم، متحققة أتم تحقق في خصائصهم الإنسانية، التي أودعها الله فيهم، فهم لا يختلفون من حيث أصل النشأة، فقد خلقهم

(1) ينظر : حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ، صالح بن حسين العايد ، كنوز اشيبلياء ، الرياض ط4، 1424هـ-2003م (ص:14)

(2) ينظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط4، 1404هـ-1983 (ص: 50)

(3) ينظر : المصدر نفسه .

الله من التراب فاتحدت بذلك طبيعتهم.. ومن شأن وحدة الطبيعة فيهم، أن توجه طاقاتهم لما يحقق النفع والخير لهم.⁽¹⁾

فالأصل البشري لأبناء البشرية قاطبة هو أصل واحد. ومهما تفرق الناس بعد ذلك إلى أمم وقبائل وبلدان وأجناس، فإنما هو كتفرق البيت الواحد والأخوة من أب واحد وأم واحدة. وما كان كذلك فسبيل هذا الاختلاف في أجناسهم وبلدانهم أن يؤدي إلى تعاونهم وتعارفهم وتلاقيهم على الخير، ومن ذلك انبثق المبدأ الإنساني الخالد «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [الحجرات:13] والكل سواء، سواء عند الله في آدميتهم وإنسانيتهم لا تمايز بينهم إلا بالتقوى «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» [الحجرات:13]، وهم سواء أمام القانون في الخضوع له، لا تمايز بينهم إلا بالحق «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة:7-8]⁽²⁾

ثانيا : حق الآخر في (حفظ الكرامة).

إذ الإنسان في نظر القرآن الكريم مكرم ، دون أن يشار إلى دينه ، أو لونه أو جنسه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:70]

فالإنسان مخلوق كريم عند الله، خلقه في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، وصوّره فأحسن صورته، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميزه بالعلم والإرادة، وجعله خلفية في الأرض، وسخر له ما في السموات، وما في الأرض جميعاً منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة؛ فكل ما في الكون له ولخدمته.

وللبعضاوي في ذلك تعليق دقيق إذ قال: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والإفهام بالنطق والإشارة والخط والتهدي، أو أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والتمكن من الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ على الدواب والسفن من حملته حملاً إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم. وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة»⁽³⁾ وجاء التكريم بشكل مطلق للإنسان بغض النظر كونه مسلماً ويدين دين الإسلام أم دون ذلك .

ومن صور المحافظة على كرامة غير المسلمين ، حقهم في مراعاة مشاعرهم حال المجادلة ، ومجادلتهم بالحسنى قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46]

(1) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة عشرة 1425هـ-2004م

(ص: 237)

(2) مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ)، دار الوراق، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م (ص: 96)

(3) تفسير البضاوي ، عبد الله بن عمر البضاوي ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ (3/ 262)

وقد بلغ من تكريم المولى تبارك وتعالى للإنسان أنه نهى المسلمين أن ينالوا من الآلهة التي يعبدونها المشركون بالسب ، حتى لا يؤدي ذلك بهم إلى النيل من الله الإله الحق ، وفي ذلك تكريم للإنسان ، فاحترام شعوره نحو الأشياء التي يقدها احترام لكرامته ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:108]

وفي ذلك يقول الإمام القرطبي على أهل الذمة : « فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك ، لأنه بمنزلة البعث على المعصية»⁽¹⁾

ويستلزم ذلك التكريم تحقيق العدالة بكل ما تعنيه الكلمة من دلالة ، وتعاليم الإسلام تضمن حق العدالة لكل من يعيش في كنفه ، ويفضي العدل والمساواة إلى ترسيخ قيم الاحترام بين شرائح المجتمع ، وهذا يؤدي إلى تلازم المجتمع فيما بينه فيكون التعاون والتلاحم ويأتي من خلال ذلك المحبة وروح العمل الجماعي بروح الفريق الواحد ، وقد أكد القرآن على أهمية العمل والتعاون بما يشمل كل أعمال البر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:2] ، في الآية الكريمة خطاب على وجه الإلزام وفيه حث على العمل الجاد من أجل نفع العباد وما يعود عليه من خير ، وفيه تحذير من فعل أعمال السوء والعدوان.

وفي تعليق دقيق قال أبي السعود : «اندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني .. وإنما أخرج النهي عن الأمر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة إلى إيجاب ما هو مقصود بالذات فإن المقصود من إيجاب ترك التعاون على الإثم والعدوان إنما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم أمروا بقوله تعالى {واتقوا الله} بالاتقاء في جميع الأمور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الأوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني»⁽²⁾.

وذكر التعاون يفضي إلى إشاعة روح المحبة والتآلف بين أفراد المجتمع ، وحيال ذلك فإن التعدي على حقوق الغير ، ومجاوزة الحدود بالاعتداء على القوم ، فيه انتهاك للحرمانات ، وتمزيق روابط المجتمع الإنساني ككل ، في إشارة إلى أن هناك من غير المسلمين سكنوا أرض المسلمين ، فيلزم حفظ حقوقهم واحترامهم .
ثالثا : حق الآخر في (حرية الاعتقاد).

هنا يبرز حق الآخر في الاعتقاد والعبادة ، وهذا من الحريات التي كفلها التشريع الإسلامي القويم في حق غير المسلمين . فالإسلام لم يرغمهم على الدخول فيه ، بل ترك للناس الحرية في أن يعتنقوا الإسلام ، أو أن يبقوا على دينهم ، ولذلك كُفِّلَ حق غير المسلم في المجتمع المسلم في أن يعتقد ما يعتقد ، وأن يتعبد بما يتعبد ، طالما أنه لا يؤدي المسلمين ، ولا يظاهر عليهم ، فلكل ذي دين دينه ومذهبه ، لا يُجبر على تركه إلى غيره ، ولا يُضغَط عليه ليتحول منه إلى الإسلام ، وأساس هذا الحق قوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] ، إذ ترمي هذه الآية الكريمة إلى أهمية احترام الآخر وتقبله قبولا حسنا يليق بإنسانيته أولا ، وعطاءه الحرية في اختيار ما يناسبه دون إلزام أو قهر أو إذلال ثانيا ، وتلك سمة ديننا الحنيف الذي يساوي بين جنس البشر في الحقوق والواجبات على اختلاف الدين والمعتقد والملة واللون والعرق ، وفي ذلك يقول الزحيلي : «لا إكراه في الدين لا جبر ولا

(1) تفسير القرطبي ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، الطبعة: الثانية ، 1384 هـ - 1964 م (71 / 6)

(2) تفسير أبي السعود ، أبو السعود العمادي ، دار احياء التراث العربي جبروت (3 / 5)

إلجاء على الدخول في الدين، والدين هنا: المعتقد والملة بقرينة قوله: «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» أي ظهر بالآيات البينات الواضحات أن الإيمان رشد، والكفر غي، والرشد والرشاد: الهدى وكل خير، وضده الغي أي الضلال في الاعتقاد أو الرأي. أما الجهل فهو كالغي إلا أنه في الأفعال لا في الاعتقاد»⁽¹⁾ وهذا واضح في النهي عن إكراه الناس بحملهم على إتباع هذا الدين ما دام إنه بَيَّن واضح، جليةً دلائله وبراهينه ، لا يحتاج الى أن يُكرَه أحدٌ على الدخول فيه .

كما أنه سبحانه وتعالى يؤكد ذلك لنبيه ﷺ حينما قال تعالى: «وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيهِمْ يَخْتَلِفُونَ» [يونس: 19] فلو شاء الله تعالى لجعل الناس أمة واحدة وعلى ملة ودين واحد، لكن حكيمته اقتضت أن الناس لا يزالون مختلفين على أديان شتى.

ثم إن المسلم ليس مكلفاً أن يحاسب الكافرين على كفرهم ، أو يعاقب الضالين على ضلالهم ، فهذا ليس إليه ، وليس موعده هذه الدنيا ، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب ، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين ، قال تعالى : «وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» [الحج: 68-69]

وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب : «فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» [الشورى: 15]

وبهذا يستريح ضمير المسلم ، ولا يجد في نفسه أي أثر للصرع بين اعتقاد بكفر الكافر ، وبين مطالبته ببره والإقسط إليه ، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد⁽²⁾ .

رابعا : حق الآخر في (عصمة دمه وماله وعرضه)

الإسلام شريعة العدل والحق ، وقد عني الإسلام بحفظ الحقوق الأساسية للإنسان في الحياة بما أسمى بالضرورات الخمس التي لا غنى عنها ، وهي حفظ النفس ، والدين ، والمال ، والعرض ، والعقل ، ويستوي في هذه الحقوق المسلم وغير المسلم ، فهي ضرورات وحرمان معصومة ، لا تنتهك إلا بسبب شرعي ، فلا يصح إزهاق روح إلا قصاصاً بحكم الشرع ، أو حداً على عقوبة⁽³⁾ .

وكان من أهم واجبات المجتمع المسلم تجاه الآخر هو إقرار حقه في عصمة دمه ، حيث حرص الإسلام على عصمة دماء غير المسلمين كحرصه على عصمة دماء المسلمين تماماً . يقول الله تعالى مؤكداً ذلك : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » [الأنعام: 151] بل ونحت الشريعة الإسلامية منحى متميزاً عن الشرائع الأخرى ، فسوّت قيمة الإنسان الفرد الواحد بقيمة البشرية كلها إمعان في التوكيد على حرمة دمه ، قال تعالى: «مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

(1) التفسير المنير ، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط2 ، 1418 هـ (19/3)

(2) ينظر : غير المسلمين في المجتمع الاسلامي ، د. يوسف القرضاوي (ص: 49-50)

(3) ينظر : حقوق غير المسلمين في بلاد الاسلام ، صالح العايد (ص: 61)

قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿ [المائدة:32]

خامسا : حق الآخر خارج المجتمع المسلم .

ويقصد به التعامل مع الآخر خارج الدولة الإسلامية ، تلك العلاقات التي جاءت من طرف الأمة الإسلامية مع أي مجموعة أخرى غير مسلمة، أنى كان موقعها وموقفها .

فمن المؤكد أن الإسلام لا ينهى عن أي تعامل مع غير المسلمين مادام هذا التعامل في صالح جماعة المسلمين بشكل من الأشكال .

ويمكن هنا التركيز على مجموعة من أنماط هذا التعامل مع غير المسلمين خارج ديار المسلمين ، حيث وجد ارتباط أساسه مصلحة الجماعة المسلمة .

ويمكن أن نسجل بدايات الاهتمام بالعلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم ، حيث نجدها تقوم على تقديم السلام من جانب المسلمين ، واعتباره الأصل في هذه العلاقات . فأيات القرآن الكريم قاطعة الدلالة على أن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم من الأمم هو السلام .

والتعاون والرحمة ، بالنسبة للأمم الأخرى ، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 208] وقوله تعالى ﴿وَأِنْ جَاحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61] وقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190] وقوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: 90]

المبحث الثالث

معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر وأهميته في ضوء السنة النبوية

لم يكن التعايش الحضاري في فكر رسول الله ﷺ مرحليا يوما ما ، وإنما كان من الأمور الاستراتيجية التي كان النبي ﷺ يدعو إليها في كل فرصة تحين لذلك .

وكما هو الأسلوب الذي درج عليه القرآن الكريم في الاحاطة بكل ما يخص السلم والتعايش تصريحاً تارة وإشارة أخرى مع غير المسلمين نجد أن السنة النبوية المطهرة تنتهج النهج نفسه في كل ما يتصل بهذا المبدأ (التعايش) مع الآخر .

حقا لقد كان لتلك الأسس والمبادئ التي غرستها السنة النبوية في نفوس المسلمين ، في النظر إلى ذلك الآخر ، أثر في واقع التعامل الذي عاشه المسلمون مع أهل الأديان الأخرى ، فعاش هؤلاء في أجواء من الأمان والحرية والكرامة ، بعدد من الشواهد النبوية التي تسجل صفحات ناصعة البياض لحضارتنا الإسلامية . فقد ورد العديد من الشواهد والأحاديث النبوية في هذا الخصوص والتي منها :

أولا : التعامل بمبدأ التسامح مع الآخر .

كان التسامح أو المعاملة الحسنة ، من أبرز مرتكزات هذا التعامل ، وظاهرة بينة تكررت عبر عصور المسلمين ، حيث حفلت السنة النبوية بأروع مظاهر التسامح ، وتتجلى هذه المعاملة الحسنة والسماحة في تعامل النبي ﷺ لأهل الكتاب يهوداً كانوا أم نصارى – في

مجموعة من الشواهد التي يتكرر ذكرها في سيرته - عليه أفضل الصلاة والسلام - ومن ذلك:

- أنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة وفيها أعداد كبيرة من اليهود ، كان من أول ما عمله أقام بينهم وبينهم ميثاقاً ، تُحترم فيه عقائدهم ، وتلتزم فيه الدولة الإسلامية بدفع الأذى عنهم ، على أن يكونوا مع المسلمين يداً واحدة على من يقصد المدينة بسوء . فطبق عليه الصلاة والسلام - فضيلة التسامح منذ البذور الأولى لدولة الإسلام في المدينة (1).

- انه لما جاء إلى المدينة وفد نصارى الحبشة أنزلهم رسول الله في المسجد، وقام بنفسه على ضيافتهم وخدمتهم، وكان مما قاله يومئذ: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسي. (2)

- ما رواه البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلَمَ»، فَظَنَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» (3).

- وروى البخاري أيضاً عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعاً من شعير» (4).

- وروى البخاري أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: مر بنا جنازة، فقام لها النبي ﷺ وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، قال: «إذا رأيتم الجنازة، فقوموا» وفي رواية أخرى قال: «أليست نفساً» (5).

- وقيل النبي ﷺ الهدايا من غير المسلمين ، واستعان ، في سلمه وحربه بغير المسلمين ، حيث ضمن ولائهم له ، ولم يخش منهم شراً ولا كيذاً (6).

والأمثلة كثيرة ومتعددة تفوق الحصر ، ومن ذلك كله وغيره كثير يتضح لنا مدى حرص النبي ﷺ على قيمة التسامح قولاً وفعلاً.

ثانياً : حفظ كرامة الآخر .

انطلاقاً من المكانة العليا التي خص الله بها البشر - كما مر بنا سابقاً- جاءت كثيراً من الأحاديث النبوية مراعاة للكرامة الإنسانية للإنسان ، مسلماً كان أم غير مسلم ، ومن صور المحافظة على كرامة غير المسلم .

- أعلن النبي ﷺ في خطبته لحجة الوداع في العام العاشر من الهجرة ، ان البشر جميعاً متساوون في الإنسانية والحقوق وأن مبدأ التفاضل بينهم ، إنما هو ما يقدمه هذا الإنسان من خير للإنسانية كلها مع الإيمان الحق بالله تعالى ، حيث قال : «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت» (7).

(1) ينظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي (ص: 134)

(2) ينظر: المصدر السابق .

(3) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (1356) (2/ 94)

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، والقميص في الحرب برقم (2916) (4/ 41)

(5) صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودي (2/ 85) برقم (1311) ورقم (1312)

(6) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. يوسف القرضاوي (ص: 46)

(7) مسند أحمد، أحمد بن حنبل ، شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م برقم (23489) (38/ 474)

- ومن صور كرامة غير المسلمين اعتراف النبي ﷺ بما لديهم من فضائل وصفات حسنة حتى مع الأموات حيث كان يأمر بالقيام للجنائز ، كما في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: مر بنا جنازة، فقام لها النبي ﷺ وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، قال: «إذا رأيتم الجنازة، فقوموا» وفي رواية أخرى قال: «أليست نفسا»⁽¹⁾.
رابعا : حق الآخر في (حرية الاعتقاد)

من الحريات التي كفلها النبي ﷺ في حق غير المسلمين ،حق الآخر في الاعتقاد والعبادات .وقد طبق رسولنا الكريم ﷺ هذا المبدأ في اللحظات الأولى لدخوله المدينة مهاجراً ، فالمادة الثلاثين من وثيقة المعاهدة التي كتبها لأطراف المجتمع المدني تنص على أن : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » ، وهذا يقرر مبدأ حرية الدين مع غير المسلمين بأوسع صورته ، ولكن لما خالفه اليهود وأخذوا يكيدون للمسلمين كان لابد للمسلمين من إخراجهم⁽²⁾.

كما كان النبي ﷺ يخير الناس بين الدخول في الإسلام ، أو البقاء على دينهم ، ولكن بعد أن يعقد معهم عهداً يطمئنون به على دينهم وأعراضهم وأموالهم ، ويتمتعون بذمة الله ورسوله، وفي ذلك يروي سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغزروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»⁽³⁾.

ولذلك كان المسلمون يعرضون الإسلام على غير المسلمين دون إكراه أو إلزام، بل لعله كان ذلك من أجل الإعذار إلى الله في إبلاغ الحق⁽⁴⁾.

ومن شواهد ضمان حرية الاعتقاد للآخر أيضاً انه لما توسعت رقعة الدولة الإسلامية زمن النبي ﷺ كان هناك مجموعة كبيرة من القبائل المسيحية العربية ، وبخاصة في نجران ، فما كان منه ﷺ إلا أن أقام المعاهدات التي تتسم بالين والرفق والتسامح حيث تؤمن لهم حرية المعتقد ، وممارسة الشعائر ، وصون أماكن العبادة ، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم ، فلقد جاء في معاهدة النبي ﷺ لأهل نجران « وَلَنَجْرَانَ وَحَاشِيَتَهُمْ جَوَارُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَبَيْعِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ لَا يُغَيِّرُوا أَسْقَفًا عَنْ أَسْقَفِيَّتِهِ وَلَا رَاهِبًا عَنْ رَهْبَانِيَّتِهِ وَلَا وَاَقِفًا عَنْ وَقْفَانِيَّتِهِ وَكُلُّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ وَلَيْسَ رَبًّا وَلَا دَمٌ جَاهِلِيَّةٍ وَمَنْ سَأَلَ مِنْهُمْ حَقًّا فَبَيْنَهُمُ النَّصْفُ غَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ لِنَجْرَانَ وَمَنْ أَكَلَ رُبًّا مِنْ ذِي قَبْلِ فِدِمَتِي مِنْهُ بَرِيَّةٌ وَلَا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِظُلْمٍ آخَرَ

(1) صحيح البخاري ورقم (1312) كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودي، (2/85) برقم (1311)

(2) عالم الإسلام ، حسين مؤنس ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1410هـ 1998م (ص:170-171)

(3) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها برقم (1731) (3/1357)

(4) حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ، صالح العايد (ص:16)

وَعَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ جَوَارُ اللَّهِ وَذِمَّةُ النَّبِيِّ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُتَقَلِّينَ بِظُلْمٍ»⁽¹⁾

فكان أهم ما اشتمل عليه عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران ، أن لهم جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم .

خامسا : حق الآخر في الأمن والحماية .

إن مجتمع الإسلامي مجتمع الأمان والسلام ، ولذلك فإن من يعيش بين المسلمين في هذا المجتمع كان من الضروري أن ينعم بهذا الأمان والسلام .

ولكي نستوضح حق الآخر في الامن والحماية داخل المجتمع الإسلامي لابد أن نتناول هذا النوع من الحماية بشيء من التفصيل كما تناولته السنة النبوية المطهرة . وذلك وفق الآتي :

- جاءت أحاديث خاصة تحذر من ظلم وإيذاء غير المسلمين من أهل العهد والذمة ، وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين، منها قوله ﷺ «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» و «من أذى ذميا فليس منا»⁽²⁾ .

- ومنها تعهد النبي ﷺ بالمحاجة عن أي مظلوم من أهل الذمة يوم القيامة ، حيث ورد عنه ﷺ قوله «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»⁽³⁾ .

سادسا : حق الآخر في عصمة دمه وماله وعرضه .

- فقد ورد في سنة المصطفى ﷺ ابراز لهذا الحق بما لا يحتمل التأويل فقد ثبت في الحديث الشريف حرمة سفك دم الآخر ومنها قول النبي ﷺ «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»⁽⁴⁾ ، فدماهم وأنفسهم باتفاق علماء المسلمين ، وقتلهم حرام بالإجماع ، ولهذا اجمع فقهاء الإسلام على أن قتل الذمي كبيرة من كبائر المحرمات لهذا الوعيد الذي جاء في الحديث .

حتى إن كثيراً من فقهاء الإسلام المعتد بهم في الشريعة قد أقرروا بأن المسلم يُقتل إذا قتل غير المسلم المعاهد ، لعموم النصوص الموجبة للقصاص من الكتاب والسنة ، ولاستوائهما في عصمة الدم المؤيدة ، ولما روي أن النبي ﷺ قتل مسلماً بمعاهد . وقال : " أنا أكرم من وفي بذمته " ⁽⁵⁾

- وكما حمى الإسلام غير المسلمين من القتل ، حمى ابدانهم من الضرب والتعذيب ، فلا يجوز الحاق الأذى بأجسامهم ، حتى ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المقررة عليهم ، كالجزية والخراج ، ويتضح هذا المعنى جلياً في القصة التي رواها أبو يوسف في : كتاب الخراج عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بطريق الشام وهو راجع في مسيره من الشام على قوم قد أقيموا في الشمس يصب على رؤوسهم الزيت فقال: ما بال هؤلاء؟ فقالوا عليهم الجزية لم يؤدوها؛ فهم يعدبون حتى يؤدوها؛ فقال عمر: فما يقولون هم وما يعتذرون به في الجزية؟ قالوا: يقولون لا نجد، قال:

(1) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1410 هـ - 1990 م (1/ 220)

(2) التفسير الوسيط، الطنطاوي، دار نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة، ط1 (6/ 255)

(3) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت برقم (3052)، (3/ 171)

(4) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، برقم (3166)، (4/ 99)

(5) السنن الكبرى ، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، 3، 1424 هـ - 2003 م (8/ 56) برقم (15917)

فَدَعَوْهُمْ، لَا تَكْفُوهُمْ مَا لَا يَطِيقُونَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُعَذِّبُوا النَّاسَ فَإِنَّ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِهِمْ فَخَلَى سَبِيلَهُمْ»⁽¹⁾.

- كما ثبت حرمة دم الآخر كذا ثبت حرمة التعرض لعرضه ، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ قَذَفَ ذِمًّا حَدُّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَيِّطٍ مِنْ نَارٍ»⁽²⁾

- أما حفظ الأموال ، فقد كفل النبي ﷺ حق عصمة أموال غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية ، فلقد جاء في معاهدة النبي لأهل نجران : «وَلَنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهِمْ جَوَارُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَبَيْعِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ " الى أن قال : "وَكُلُّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ»⁽³⁾.
سابعا : حق الآخر في التأمين عند العجز والفقر وكبر السن .

إن احتياجات المرء تزيد ، بالضرورة ، عند عجزه وشيخوخته وفقره ، ويكون الإنسان بصرف النظر عن عرفه ودينه في حاجة إلى رعاية وكفالة اجتماعية من مجتمعه الذي يعيش فيه ،ومن هنا فقد قام النبي صلى الله عليه وسلم عليه بمسؤوليته تجاه رعيته وضرب أروع الأمثلة في التكافل الاجتماعي ،بل سجلت السنة النبوية صوراً ناصعة في تأمين احتياجات غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ومن ذلك :

- ما رواه أبو عبيد في كتابه الأموال عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَصَدَّقَ صَدَقَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَهِيَ تُجْرَى عَلَيْهِمْ»⁽⁴⁾

- ما رواه أبو عبيد في كتابه الأموال أيضا عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «تَصَدَّقْتُ عَلَى ذَوِي قَرَابَةٍ لَهَا، فَهُمَا يَهُودِيَّانِ، فَبِيعَ ذَلِكَ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا»⁽⁵⁾.

ومن هذه الشواهد تظهر قيمة التعايش والتكافل الاجتماعي داخل مجتمع النبي ﷺ ، ويتأكد حرص الإسلام على هذه المبدأ العظيم دون نظر إلى من يستفيد من هذه الرعاية الإنسانية النبيلة ما دام بين المسلمين وتحت لوائهم .

الخاتمة .

وبعد أن ألقينا الضوء على معالم التعايش الحضاري في التعامل مع الآخر في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية نخلص إلى النتائج التالية:

1. يرمي الإسلام إلى ترسيخ اعتقاد الإنسان بكرامته أيًا كان دينه أو جنسه أو عرقه أو لونه أو معتقده قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70] وهذه الكرامة توجب لكل إنسان حق الرعاية والاحترام .

2. يؤمن الإسلام بحرية الاعتقاد كونها إرادة ربانية جاءت لحكمة بالغة لا يعرف كنهها إلا الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]

3. سلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مع الآخر أسلوب السماحة والتعطف والترقق

(1) الخراج ، لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، سعد حسن مجد، المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة : طبعة جديدة (ص: 138)

(2) المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط2 (22 / 57)

(3) الطبقات الكبرى ، ابن سعد (1 / 220)

(4) الأموال للقاسم بن سلام، تحقيق: خليل مجد هراس. دار الفكر. - بيروت. (ص: 728)

(5) المصدر نفسه (ص: 729)

وفي ذلك تأسيس للتعايش الحضاري مع الآخر قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:46] ولا يفتنا الإشارة هنا إلى أن ﷺ لما هاجر إلى المدينة وفيها أعداد كبيرة من اليهود ، كان من أول ما عمله أقام بينه وبينهم ميثاقاً ، تُحترم فيه عقائدهم ، وتلتزم فيه الدولة الإسلامية بدفع الأذى عنهم ، على أن يكونوا مع المسلمين يداً واحدة على من يقصد المدينة بسوء . فطبق عليه الصلاة والسلام – فضيلة التسامح منذ البذور الأولى لدولة الإسلام في المدينة (1).

4. التعامل مع الآخر قائم على التعارف والتحاور وتبادل الخبرات لا الصراع والعنف قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]

5. ظهر للباحث حقيقة أن تحقيق التعايش الحضاري مع الآخر من خلال التأكيد على حقوقه في الحياة يعد عامل اساس في توفير الأمن والاستقرار في المجتمع ، وإذا ما فقدت حالة السلم والتعايش أو ضعفت فإن النتيجة الطبيعية لذلك تدهور الأمن وزعزعة الاستقرار.

قائمة المصادر المراجع

بعد القرآن الكريم.

1. الاسلام والتعايش بين الاديان في أفق القرن الحادي والعشرين ، منشورات المنظمة العربية الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو .عام 1419هـ
2. بدائع السلك في طبائع الملك،ابن الازرق ،تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام ، العراق، ط1 .
3. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988 م
4. تخيل التعايش معاً تجديد الانسانية بعد صراع الاثني ، تشايز، انطونيا مارثاميناو ترجمة فؤاد السروجي، دار الاهلية ط1 ، 1426هـ
5. التعامل مع الاخر شواهد تاريخية من الحضارة الاسلامية ، أ.د ابراهيم بن محمد الحمد المزيني ،مركز الملك عبد العزيز ،الرياض ، ط1، 1426هـ-2005م
6. تفسير أبي السعود ، أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت
7. تفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ
8. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م
9. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق ، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ
10. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى

(1) ينظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي (ص: 134)

11. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م
12. حقوق غير المسلمين في بلاد الاسلام، صالح بن حسين العايد، كنوز اشبيليا، الرياض ط4، 1424هـ-2003م
13. الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت: 182هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة: طبعة جديدة مضبوطة - محققة ومفهرسة، أصح الطبقات وأكثرها شمولاً.
14. دليل الناقد الأدبي، د.ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط3، 2002م.
15. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
16. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م
17. شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر - دمشق سورية، 1986م
18. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ
19. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
20. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد (ت: 230هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م
21. عالم الإسلام، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1410هـ 1998م
22. غير المسلمين في المجتمع المسلم، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1404هـ 1983م
23. فلسفة الحضارة، ألبرت اشفيتسر، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي، مطبعة مصر 1963م.
24. كتاب الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ)، تحقيق: خليل محمد هراس. دار الفكر. - بيروت.
25. لسان العرب، محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
26. لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة عشرة 1425هـ-2004م
27. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
28. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية
29. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة

30. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
31. مفهوم التعايش في الاسلام، د. عباس الجراري، العدد: 14، من مجلة تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم - إيسيسكو. عام 1417هـ
32. مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي (ت: 1384هـ)، دار الوراق، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م
33. موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي (ت: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م.

القيم الإسلامية ودورها في مواجهة الانحراف الاجتماعي

م.م فوزي محمد عواد الخفاجي

Hhhy62746@gmail.com

جامعة بابل، كلية العلوم الإسلامية

م. م فيصل شاكر مضحي الحرداني

faisal.sh.mudahiy@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية، كلية الآداب

م. م حبيب كاظم خضير الجبوري

habeekadhim@environ.uoqasim.edu.iq

جامعة القاسم الخضراء، كلية التربية

مفردات مفتاحية: القيم الإسلامية، الانحراف الاجتماعي، التكامل القيمي الديناميكي، العدالة الاجتماعية، الزكاة

الملخص

تشهد المجتمعات المعاصرة تصاعداً في مظاهر الانحراف الاجتماعي، كالجريمة، الإدمان، والتفكك الأسري، مدفوعة بعوامل كالفقر، ضعف الهوية، والتغيرات الثقافية السريعة. في ظل هذه التحديات، تبرز القيم الإسلامية كأداة محتملة للوقاية والعلاج، مستمدة من القرآن والسنة، لكن تطبيقها يواجه تساؤلات حول فعاليتها ومرونتها في السياق الحديث. تتناول هذه الدراسة دور القيم الإسلامية في مواجهة الانحراف، مع التركيز على كيفية تحقيق التوازن بين ثباتها العقدي ومرونتها التطبيقية. يسعى البحث إلى استكشاف كيفية مساهمة القيم الإسلامية، كالعدل والتكافل والرحمة، في الوقاية من الانحراف الاجتماعي وعلاجه، مع اقتراح نظرية التكامل القيمي الديناميكي كإطار جديد يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتحليل تطبيقاتها في سياقات واقعية كالعراق. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع استعراض النصوص الشرعية لاستخلاص القيم، وتحليل دراسات حالة كالعراق لتقييم التطبيق العملي، مدعوماً بالجمع بين التحليل النظري والأمثلة الواقعية لاقتراح حلول مبتكرة. نتائج الدراسة؛ الانحراف الاجتماعي يتفاقم بسبب الفقر وضعف الهوية، مما يُبرز الحاجة إلى حلول قيمية. القيم الإسلامية، كالزكاة والعدالة، تُقلل الفقر وتُعزز التماسك، كما أظهرت حالة العراق. التربية الإسلامية والإرشاد الأسري يُشكلان خط دفاع أول ضد الانحراف عبر تعزيز الهوية. نظرية التكامل القيمي الديناميكي تثبت أن الثبات والمرونة يجعلان القيم فعالة في العصر الحديث. العمل التطوعي والتعليم يُعززان التضامن ويُصححان السلوك، مما يُقلل من التفكك الاجتماعي.

Islamic values and their role in confronting social deviation

Abstract

Contemporary societies are witnessing a rising tide of social deviance, manifested in phenomena such as crime, addiction, and family disintegration, driven by factors like poverty, weakened identity, and rapid cultural shifts. Amid these challenges, Islamic values emerge as a potential tool for prevention and remedy, rooted in the Qur'an and Sunnah. However, their application raises questions about their effectiveness and adaptability in modern contexts. This study examines the role of Islamic values in confronting social deviance, focusing on how they balance doctrinal steadfastness with practical flexibility. The research aims to explore how values such as justice, solidarity, and mercy can prevent and address social deviance, proposing the Dynamic Value Integration theory as a novel framework that merges authenticity with contemporaneity, and analyzing its real-world applications in contexts like Iraq. The study adopts a descriptive-analytical approach, reviewing religious texts to extract values and analyzing case studies, such as Iraq, to assess practical implementation, supported by a blend of theoretical analysis and real-life examples to propose innovative solutions. Findings reveal that social deviance escalates due to poverty and identity erosion, underscoring the need for value-based solutions; Islamic values like zakat and justice reduce poverty and enhance cohesion, as demonstrated in Iraq; Islamic education and family guidance serve as a primary defense against deviance by reinforcing identity; the Dynamic Value Integration theory proves that combining steadfastness and flexibility renders these values effective in the modern era; and volunteerism and education bolster solidarity and correct behavior, mitigating social fragmentation.

Keywords: Islamic values, social deviance, Dynamic Value Integration, social justice, zakat

القسم الأول: المقدمة

القيم الإسلامية هي تلك الأسس الأخلاقية التي يستقيها المسلمون من القرآن الكريم وتعاليم النبي محمد ﷺ. تتضمن هذه القيم معاني سامية مثل العدل، الرحمة، الصدق، الأمانة، والتكافل بين الناس، بالإضافة إلى احترام الكرامة الإنسانية والخوف من الله. وتأتي أهميتها الكبرى

في قدرتها على مواجهة الانحرافات الاجتماعية، تلك السلوكيات التي تخرج عن المؤلف وتهدد تماسك المجتمع، كالسرقة، الظلم، أو انهيار الروابط الأسرية. فهذه القيم تعمل كحائط صد بأكثر من طريقة: أولاً، تزرع في الإنسان شعوراً داخلياً بالمسؤولية أمام الله، فتكون بمثابة حارس يمنع من الانزلاق نحو السلوك السيئ، كأن يدفع الصدق مثلاً إلى تجنب الكذب أو الغش. ثانياً، تدعو إلى التعامل مع من يخطئ برحمة وحكمة، فبدلاً من إقصائه، يُمنح فرصة لتصحيح مساره. ثالثاً، تعزز فكرة التكافل، فمن خلال العطاء والزكاة، تُخفف القيم الإسلامية من وطأة الفقر والحرمان، اللذين قد يدفعان البعض للانحراف. وأخيراً، تضع العدالة كمعيار أساسي، فتحد من الفوضى وتردع المخالفين بما يحفظ حقوق الجميع.

تخيّل مجتمعاً يعيش هذه القيم بصدق، ستجد أن مشكلات مثل الجريمة أو الخلافات تتحسر بشكل ملحوظ. لكن الأمر ليس بهذه البساطة دائماً، فالتحدي الحقيقي يكمن في جعل هذه القيم جزءاً من حياتنا اليومية، خاصة مع ضغوط الحياة العصرية والتأثيرات الخارجية التي قد تُبعدها عنا إن لم نتمسك بها.

ببساطة، القيم الإسلامية بمثابة درع يحمي المجتمع ودواء يعالجه، لكن نجاحها يعتمد على مدى إخلاصنا في عيشها وتطبيقها.

بيان المشكلة

تشهد المجتمعات المعاصرة تصاعداً ملحوظاً في مظاهر الانحراف الاجتماعي، وهي التحولات السلوكية التي تخرج عن القواعد الأخلاقية والاجتماعية المقبولة، مثل ارتفاع معدلات الجريمة، تفكك الأسر، انتشار الإدمان بأنواعه (كالمخدرات أو الإدمان الرقمي)، وتفاقم العنف بصوره المختلفة سواء الأسري أو المجتمعي. هذه الظواهر ليست مجرد أعراض عابرة، بل تعكس أزمات عميقة في القيم والروابط الاجتماعية، مدفوعة بعوامل مثل العولمة، ضعف الهوية الثقافية، والتحولات السريعة. في ظل هذا الواقع، تبرز الحاجة إلى استكشاف كيف يمكن للقيم الإسلامية، بثوابتها الشرعية ومرونتها التطبيقية، أن تقدم حلاً فعالاً لهذه التحديات.

الاستفهام الرئيسي

كيف يمكن للقيم الإسلامية أن تشكل منهجاً فعالاً لمواجهة الانحرافات الاجتماعية في المجتمعات الحديثة؟

أهمية الموضوع

يكمن أهمية هذا البحث في محاولة ربط الثوابت الشرعية الإسلامية، التي تمثل مرجعية عقدية وأخلاقية، بالتحديات الاجتماعية المعاصرة، لتقديم رؤية متكاملة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

الأسئلة البحثية

1. ما هي العوامل الرئيسية التي تسهم في تفاقم الانحراف الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة؟
2. كيف يمكن للقيم الإسلامية أن تساهم في تعزيز الوقاية والعلاج من الانحرافات الاجتماعية؟
3. ما مدى قابلية تطبيق القيم الإسلامية في سياقات مجتمعية متنوعة ثقافياً واجتماعياً؟

الفرضيات البحثية

1. إن تزايد الانحراف الاجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بضعف الهوية القيمية والتأثيرات الخارجية مثل العولمة والإعلام غير المنضبط.
2. القيم الإسلامية، مثل التكافل والعدالة، قادرة على تقديم حلول وقائية وعملية تقلل من حدة الانحرافات عبر تعزيز الوعي الديني والاجتماعي.
3. يمكن تكييف القيم الإسلامية لتناسب السياقات المعاصرة من خلال إعادة تفسيرها بما يتماشى مع التحديات الحديثة دون المساس بجوهرها.

أهداف الدراسة

1. تحليل أسباب تزايد الانحراف الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة.
2. استكشاف القيم الإسلامية كأداة للوقاية والعلاج من هذه الانحرافات.
3. تقديم رؤية مبتكرة لتطبيق القيم الإسلامية في سياقات متنوعة.
4. الربط بين الثوابت الشرعية والمشكلات الاجتماعية الحديثة.
5. اقتراح استراتيجيات عملية لتعزيز دور القيم الإسلامية في بناء مجتمع متماسك.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث سيتم استعراض الدراسات السابقة حول الانحراف الاجتماعي، وتحليل النصوص الشرعية (القرآن والسنة) لاستخلاص القيم ذات الصلة، مع الجمع بين التحليل النظري والتطبيقي لاقتراح حلول عملية. كما سيتم الاستعانة بدراسات حالة من مجتمعات معاصرة لتقييم تأثير تطبيق القيم الإسلامية.

الإطار النظري: الانحراف الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة

تعريف الانحراف الاجتماعي

الانحراف الاجتماعي هو ظاهرة تتجلى في سلوكيات وأفعال تتعارض مع القيم والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع. تتعدد أسباب الانحراف الاجتماعي وتشمل العوامل الاقتصادية، الدينية، السياسية، والأخلاقية. على سبيل المثال، ضعف الاستقرار السياسي والاقتصادي، واهتزاز القيم الأخلاقية والمعيارية، كلها عوامل تؤثر سلباً على الحقل الاجتماعي وتساهم في انتشار الانحرافات¹.

1. فتحي جوه فرمزي يونس 2015، السبلم الاجتماعي وآليات تفعيله الحوار الديني نموذجاً، Journal of Humanity Sciences، 19، ص23

كما أن الاستخدام غير الواعي لوسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يؤدي إلى الانحراف عن المبادئ والقيم المجتمعية، مما يوقع الأفراد في محظورات دينية وأخلاقية واجتماعية¹. من جهة أخرى، تساهم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية السريعة في تعقيد الحياة الاجتماعية، مما يستدعي تضافر جهود المجتمع لمواجهة هذه التحديات². بالإضافة إلى ذلك، يُعتبر الانحراف الفكري أحد أشكال الانحراف الاجتماعي، حيث يؤدي إلى التطرف والإرهاب، مما يستدعي مواجهة فكرية وتعليمية لتعزيز الأمن الفكري³.

أسبابه وعوامله في العصر الحديث

يشهد العصر الحديث تزايداً ملحوظاً في مظاهر الانحراف الاجتماعي، ذلك السلوك الذي ينحرف عن المعايير الأخلاقية والاجتماعية المقبولة، مما يهدد استقرار المجتمعات وتماسكها. تتعدد أسباب هذا الانحراف وعوامله، وتتشابك في نسيج معقد يعكس تحديات الحياة المعاصرة. في هذا القسم، نستعرض هذه العوامل بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على تحليلها بعمق وربطها بالواقع المعاش.

يُعد الجمود الفكري والتعصب من أبرز العوامل التي تُغذي الانحراف الاجتماعي، حيث يتحول الفهم الخاطئ للدين أو الجهل بأحكامه إلى أداة لتبرير سلوكيات منحرفة. فبدلاً من أن يكون الشرع مرجعية للعدل والرحمة، يصبح في بعض الأحيان ذريعة للتطرف أو الغلو بسبب اتباع الهوى الشخصي. تخيل شاباً يُساء توجيهه بتفسيرات متشددة بعيدة عن روح الإسلام، فيجد نفسه في دوامة من العنف أو الانعزال عن مجتمعه، وهو ما يُفاقم الانحراف بدلاً من معالجته⁴.

في عالم يتسارع فيه التدفق الإعلامي، أصبحت وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي سلاحاً ذا حدين. فمن جهة، تُعزز التواصل والمعرفة، لكنها من جهة أخرى تُروج لقيم مادية سطحية أو سلوكيات منحرفة، كالتباهي بالعنف أو الترويج للإباحية. يتفاقم هذا الوضع مع ضعف دور المؤسسات الدعوية التي تفقر أحياناً إلى لغة عصرية تجذب الشباب، تاركة إياهم فريسة لتأثيرات خارجية تُزعزع هويتهم وقيمهم. كم من مرة رأينا فيديو على الإنترنت يُمجّد الجريمة، بينما تظل الرسالة الدعوية التقليدية بعيدة عن الوصول؟

لا يمكن فصل الانحراف الاجتماعي عن السياق الاقتصادي والسياسي. فالضعف الاقتصادي، المتمثل في الفقر والبطالة، يدفع البعض إلى الجريمة كوسيلة للبقاء، بينما يؤدي غياب الاستقرار السياسي إلى انهيار الثقة في المؤسسات، مما يُهز القيم الأخلاقية التي يقوم عليها المجتمع. في ظل هذه الظروف، يصبح الفرد أكثر عرضة للانحراف، سواء بالبحث عن مخرج في الممنوعات أو بانضمامه إلى جماعات متطرفة تُعده بالعدالة في عالم يراه ظالماً⁵.

مع تسارع وتيرة الحياة، تآكلت القيم والتقاليد التي كانت تُشكل درعاً وقائياً للمجتمعات. غياب القوة، سواء في الأسرة أو المجتمع، إلى جانب انسحاب الدولة من أداء مهامها الأساسية

1. مصطفى زاهر 2019، المحظورات والمنهيات في وسائل التواصل الاجتماعي، 43، ص 269

2. فيفي أحمد توفيق 2018، الأبعاد التربوية لعمل المرأة في المجال التطوعي دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج، 52، ص 242

3. على الجهاني 2019، التعليم وتعزيز الأمن الفكري، ص 57

4. أحمد آل حنش، يحيى بن محمد 2020 الأسباب العلمية للانحرافات الفكرية ومنهج السنة النبوية في معالجتها، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمههور. ص 486

5. فحي جوه فرمزي يونس 2015 السبل الاجتماعي وآليات تفعيل الحوار الديني نموذجاً، Journal of Humanity Sciences، 19، ص 24

كتوفير الأمن والرعاية الاجتماعية، يترك فراغاً يملؤه الانحراف. تخيل أسرة تهمل تربية أبنائها بسبب انشغال الوالدين بالعمل، أو دولة تتجاهل الفئات المهمشة، فكيف يمكن للشباب أن يجدوا بوصلة أخلاقية في مثل هذا الفراغ؟¹

التعليم، الذي يفترض أن يكون جسر العدالة الاجتماعية، تحول في كثير من المجتمعات إلى أداة لتعميق الفجوة بين الطبقات. احتكار التعليم الجيد من قبل النخب، وغياب تكافؤ الفرص، يحرم قطاعات واسعة من المجتمع من الأدوات اللازمة لفهم واقعهم وتحسينه. هذه الفجوة تولد شعوراً بالظلم والإحباط، يتحول مع الوقت إلى تمرد أو انحراف، كأن يلجأ الشاب إلى عصابات الشوارع ليشعر بقيمته التي سلبها منه نظام تعليمي غير عادل.²

الإعلام الرقمي لم يعد مجرد نافذة على العالم، بل صار مهندساً للقيم والمعتقدات. الصورة المثالية التي يروج لها عبر الأفلام أو الإعلانات غالباً ما تتعارض مع القيم التقليدية، مما يحفز سلوكيات مثل الاستهلاك المفرط أو العنف الممجّد. هذا التأثير يتضاعف مع ضعف الرقابة، فنجد أن الجريمة والانحراف يزدادان كلما غرق الأفراد في عالم افتراضي يشوه واقعهم.³

الأسرة هي الحصن الأول لزرع القيم، لكن ضعف دورها في العصر الحديث أصبح واضحاً. انشغال الآباء، التفكك الأسري، أو غياب الإرشاد الواعي، يترك الشباب بلا مرجعية تربوية تُعزز الصواب وتردع الخطأ. هذا الفراغ يُعزز مخاطر التطرف أو الغلو، حيث يبحث الفرد عن هوية في أماكن خاطئة، كالجماعات المتشددة أو ثقافات الشارع السلبية.⁴

إن مواجهة هذه العوامل ليست مسؤولية فرد أو جهة واحدة، بل تتطلب تضافر جهود المجتمع بكل مكوناته. المؤسسات الرسمية، كالدولة والمدارس، والشعبية، كالجمعيات والأسر، يجب أن تتكاتف لإعادة بناء القيم. تعزيز التعليم كأداة للعدالة، وتفعيل الإرشاد الأسري كخط دفاع أول، هما ركيزتان أساسيتان لاستعادة التوازن الاجتماعي وتقليل الانحراف.

أمثلة واقعية (الجريمة، الإدمان، التفكك الأسري)

تتجلى مظاهر الانحراف الاجتماعي في المجتمعات العربية من خلال أمثلة واقعية تُبرز مدى تفاقم الجريمة، الإدمان، والتفكك الأسري. هذه الظواهر ليست مجرد أرقام في الإحصاءات، بل قصص حية تكشف عن تحديات عميقة تهز أركان المجتمع. في هذا القسم، نستعرض هذه الأمثلة بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على تحليلها وربطها بالواقع المعاش في السياق العربي.

في بلدان مثل مصر، أصبحت الجريمة شبحاً يهدد التنمية الاقتصادية والاجتماعية. لم تعد الجرائم تقتصر على أشكالها التقليدية كالسرقة أو الاعتداء، بل تطورت لتشمل أساليب مبتكرة تكشف عن ذكاء منحرف يخدم رغبات مريضة. على سبيل المثال، شهدت المدن الكبرى ارتفاعاً في جرائم الاحتيال الإلكتروني والابتزاز عبر الإنترنت، حيث يستغل الجناة ضعف

1. منى السيد حافظ. (2010). أطفال الشوارع في المجتمع المصري تحليل سوسيولوجي. مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 38، العدد (4). ص 74

<https://doi.org/10.1943.34120/jss.v38i4>

2. أ.د. أبو بكر عبدالله القري 2000 التعليم العالي الحكومي في اليمن.. إلى أين؟، مجلة المؤتمرات والندوات العلمية جامعة الملكة أروى. ص 114

3. ليث اللهبي 2021 البرامج التعليمية الإلكترونية وفعاليتها في تنمية مهارات التربية الإعلامية الرقمية لدى الوالدين، Journal of Al-Rafidain University College For

182 Sciences (Print ISSN: 1681-2293-Online ISSN: 2790-4949، جامعة ديالى، ص

4. سالم بن سمران الحيسوني، عبد الحليم فضل الله 2021 الإرشاد الأسري ودوره في حماية الشباب من الغلو والتطرف، 37، 20-1

الوعي الرقمي لدى الضحايا. هذا التصاعد ليس مجرد عائق أمني، بل يعكس أزمة قيم تتفاقم مع الضغوط الاقتصادية وتراجع الوازع الأخلاقي، مما يجعل الجريمة خياراً سهلاً للبعض لتعويض النقص أو تحقيق السيطرة¹.

الإدمان لم يعد مجرد مشكلة فردية، بل تحول إلى ظاهرة اجتماعية تُدمر أرواح الشباب في المجتمعات العربية. في ظل ضغوط الحياة اليومية، من بطالة وفقر إلى شعور باليأس، يجد البعض في المخدرات أو حتى الإدمان الرقمي (كالألعاب الإلكترونية) ملاذاً مؤقتاً من الواقع القاسي. في الأردن مثلاً، أظهرت دراسات حديثة تزايد تعاطي المخدرات بين الشباب نتيجة انهيار الآمال الاقتصادية وغياب الدعم النفسي. هذا الهروب لا يُحل المشكلة، بل يُعمقها، حيث يتحول المدمن من فرد منتج إلى عبء على أسرته ومجتمعه، مما يُفاقم الانحلال الاجتماعي².

التفكك الأسري يُشكل قنبلة موقوتة تُهدد الجيل القادم، وفي مصر تتجلى هذه الظاهرة بوضوح مؤلم. الأطفال الذين يواجهون سوء المعاملة داخل الأسرة، سواء بالعنف الجسدي أو الإهمال العاطفي، غالباً ما يجدون أنفسهم خارج دائرة الحماية. في المدارس، تتفاقم معاناتهم بسبب العقاب القاسي أو التنمر، بينما تُكمل وسائل الإعلام الصورة بتقديم نماذج سلبية تُشوّه وعيهم. نتيجة ذلك، يظهر جيل من أطفال الشوارع، كما في القاهرة، حيث يعيشون تحت وطأة العنف والاستغلال. هؤلاء الأطفال ليسوا مجرد ضحايا، بل قد يتحولون مع الوقت إلى منحرفين إذا لم تُتدارك الأزمة، مما يُظهر كيف يكون التفكك الأسري بوابة لدوامة الانحراف³.

الإعلام، بكل أشكاله، يحمل إمكانيات هائلة لمواجهة هذه التحديات، لكنه غالباً ما يُستخدم بطريقة معاكسة. في حين يمكن لبرامج التوعية أن تُسلط الضوء على مخاطر الجريمة والإدمان، نجد أن بعض المحتوى الإعلامي يُمجّد العنف أو يُروج لنمط حياة زائف يدفع الشباب نحو الانحراف. لكن الجانب المشرق يظهر عندما يتحول الإعلام إلى منبر للتنقيف، كما في حملات مكافحة المخدرات التي تبثها قنوات عربية، حيث تساهم في نشر الوعي وتقديم نماذج إيجابية تُعيد توجيه الأفراد نحو السلوك السليم⁴.

هذه الأمثلة الواقعية – الجريمة، الإدمان، والتفكك الأسري – ليست ظواهر منفصلة، بل حلقات في سلسلة واحدة تُغذي بعضها بعضاً. فالأسرة المتفككة تُنتج شباباً عرضة للإدمان، والإدمان بدوره يفتح الباب للجريمة، وكل ذلك يُفاقم حالة الاضطراب الاجتماعي. في المجتمعات العربية، حيث تتشابك هذه العوامل مع تحديات اقتصادية وثقافية، تصبح الحاجة ملحة لتدخل شامل يبدأ من الأسرة ويمتد إلى المؤسسات الاجتماعية والإعلامية.

القيم الإسلامية: المفهوم والأسس

القيم الإسلامية ليست مجرد مجموعة مبادئ نظرية، بل هي النسيج الفكري والروحي الذي يُشكل حياة المسلم ويُحدد علاقته بذاته، بمجتمعه، وبخالقه. تنبع هذه القيم من القرآن الكريم والسنة النبوية، لتُشكل أساساً متيناً لا يتقيد بحدود الزمان أو المكان. في هذا القسم، نستعرض

1. حنان مالكي، فضيلة صدراته 2020 دور وسائل الإعلام في مكافحة الجريمة. مجلد2، العدد3. ص 154

2. منى السيد حافظ 2010 أطفال الشوارع في المجتمع المصري تحليل سوسيولوجي، مجلة العلوم الاجتماعية. مجلد 38، العدد(4). ص75

3. منى السيد حافظ 2010 أطفال الشوارع في المجتمع المصري تحليل سوسيولوجي، مجلة العلوم الاجتماعية. مجلد 38، العدد(4). ص76

4. حنان مالكي، فضيلة صدراته 2020 دور وسائل الإعلام في مكافحة الجريمة، مجلد2، العدد3. ص 154

مفهوم القيم الإسلامية وأسسها بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على عمقها الفكري وتأثيرها الشامل¹.

القيم الإسلامية هي تلك المبادئ التي تجسد رؤية الإسلام للحياة، حيث تتجاوز المادية الضيقة لتعانق الروحانية والجمال. تشمل هذه القيم الجمالية (كالاهتمام بالنظام والتناسق)، الستر الاجتماعي (الحفاظ على كرامة الفرد والمجتمع)، الروحانية (الارتباط بالله)، الوحدانية (توحيد العبادة والسلوك)، والوسطية (الاعتدال في كل شيء). هذه القيم لا تقتصر على العبادات، بل تتجلى في كل مناحي الحياة، من تصميم البيوت التي تعكس الخصوصية والانسجام، إلى السلوك اليومي الذي يعبر عن الرحمة والعدل. تخيل بيتاً إسلامياً تقليدياً بفنائه الداخلي، كيف يجسد فكرة الستر والروحانية معاً، ليصبح انعكاساً مادياً لقيم غير مادية².

تستمد القيم الإسلامية قوتها من عقيدة التوحيد، التي تميزها عن غيرها من الأنظمة الفكرية. هذه الهوية ليست مجرد شعار، بل قوة جامعة توحّد الأمة وتُعزز انتماءها. فالتوحيد ليس فقط في العبادة، بل في الرؤية المعرفية التي تشكل أساس التفكير والسلوك. على سبيل المثال، عندما يؤمن المسلم بأن الله هو المُدبر الوحيد للكون، ينعكس ذلك على ثقته بنفسه واستقلاله عن التأثيرات الخارجية المتضاربة، مما يجعل القيم الإسلامية درعاً يحمي الفرد والمجتمع من الذوبان في ثقافات أخرى³.

تلعب التربية الإسلامية دوراً محورياً في ترسيخ هذه القيم، فهي ليست مجرد نقل للمعلومات، بل عملية تشكيل للشخصية المتكاملة التي تجمع بين القوة الروحية والفعالية الاجتماعية. من خلال تعزيز الوعي بالقيم كالصدق والأمانة، تُساهم التربية في حل المشكلات الاجتماعية كالغش أو الانحراف. تخيل شاباً نشأ على قصص الأنبياء ومبادئ العدل، كيف يصبح قادراً على تقديم بديل إسلامي يُعالج التطرف أو الفراغ الفكري بين أقرانه، ليصبح جسراً للتفاعل البناء داخل مجتمعه⁴.

الأسرة هي العمود الفقري لتطبيق القيم الإسلامية، فهي المكان الأول الذي يتشكل فيه الفرد. تربية الأسرة المسلمة، المستندة إلى مبادئ كالرحمة والتعاون، تُنتج أفراداً يحملون جودة إنسانية عالية. في بيت يُردد فيه قول الله تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا⁵، ينشأ طفل يعرف معنى البر والمسؤولية، مما يُعزز استقراره النفسي ويحميه من الانزلاق نحو السلوكيات المدمرة⁶.

القيم الإسلامية لا تقتصر على الجوانب الروحية أو الاجتماعية، بل تمتد لتشمل الاقتصاد. النظام الاقتصادي الإسلامي، بمرونته وقدرته على التكيف مع المتغيرات، يقوم على أسس كالرقابة الشرعية والتوازن بين المصلحة الفردية والجماعية. فالزكاة مثلاً ليست مجرد صدقة، بل آلية لتوزيع الثروة تُحقق النفع العام وتُسعد الناس. في عصر يشهد أزمت

1. علا علي هاشم، اشرف حسين 2018 القيم الإسلامية وأثرها على تصميم غرف الإقامة بالمنشآت السياحية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. العدد 12. الجزء 1. ص 372

2. علا علي هاشم، اشرف حسين 2018 القيم الإسلامية وأثرها على تصميم غرف الإقامة بالمنشآت السياحية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. العدد 12. الجزء 1. ص 374

3. عصام أحمد البشير 2022 الأمة وهويّتها الحضارية مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ص 24

4. مختاره، جيانا محمد علي and عدنان مصطفى إبراهيم خطاطبة. وسائل الدعوة والتعليم للإلحاد الجديد ودور التربية الإسلامية في مواجهتها. (2020). ص 63

5. الإسراء: 23

6. Pendidikan keluarga islami perspektif Al Quran p: 124 2020Sahibul Ardi

اقتصادية، تظهر قيمة هذا النظام في تقديم حلول عملية تحمي المجتمع من الفقر والظلم،
اللذين يُعدان من أهم أسباب الانحراف¹.

تعريف القيم الإسلامية

القيم الإسلامية ليست مجرد كلمات تُردد أو شعارات تُرفع، بل هي الروح التي تُحرك الفكر والسلوك في حياة المسلم، مستمدة من القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ. إنها بمثابة خريطة حياة تُرشد الفرد والمجتمع نحو الخير والتوازن، متجاوزة الحدود المادية لتصل إلى أعماق الروح والوجدان. في هذا القسم، نُعرف القيم الإسلامية بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على مكوناتها الأساسية ودورها في تشكيل الهوية والعلاقات الاجتماعية. القيم الإسلامية هي مجموعة المبادئ والتعاليم التي تُشكل أساس الرؤية الإسلامية للعالم، تجمع بين الجمال والأخلاق، والعمق الروحي والعمل الاجتماعي. تتضمن هذه القيم عدة أبعاد متكاملة تُعبر عن جوهر الإسلام وغاياته، وهي كالتالي:

تُعبر القيم الجمالية عن حب الإسلام للجمال بكل أشكاله، سواء في العمارة التي تتسم بالتناسق والإبداع، كالمساجد ذات القباب الرائعة، أو في الفنون كالخط العربي، أو حتى في السلوكيات كالابتسامة والكلام الطيب. هذه القيمة مستمدة من قول النبي ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال²، فهي دعوة لتجسيد الجمال كجزء من الحياة اليومية، مما يُضفي على المجتمع رونقاً يعكس انسجام الإنسان مع محيطه³.

تُركز هذه القيمة على الحفاظ على خصوصية الفرد وكرامته، سواء في ملبسه أو بيته أو تعاملاته. الستر ليس مجرد غطاء مادي، بل هو مفهوم شامل يحمي المجتمع من التفكك والفضائح، ويُعزز الاحترام المتبادل. تخيل أسرة تُصون أسرارها وتُحافظ على حياتها، كيف تُصبح نواة لمجتمع متماسك يرفض التشهير والتعدي على الحرمات.

تُشكل الروحانية قلب القيم الإسلامية، فهي التي تُعمق الارتباط بين الإنسان والله. من خلال العبادات كالصلاة والذكر، يجد الفرد السكينة والمعنى في حياته، مما يُبعده عن الفراغ الروحي الذي قد يدفعه للانحراف. هذه القيمة تُذكرنا بقول الله تعالى: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ⁴، فهي بمثابة واحة تُعيد للإنسان توازنه وسط ضغوط الحياة.

تؤكد الوجدانية على الإيمان بآله واحد، وهي ليست مجرد عقيدة، بل أسلوب حياة يُوحد أفكار الفرد وأفعاله تحت مظلة التوحيد. هذه القيمة تُبعده عن الشرك بكل أشكاله، سواء في العبادة أو في التبعية العمياء للغير، فتجعله مستقلاً في هويته، متماسكاً في مواقفه، وقادراً على مواجهة التأثيرات الخارجية بنفس مطمئنة.

تدعو الوسطية إلى الاعتدال في كل شيء، من العبادة إلى التعاملات اليومية، تجنباً للغلو أو النقصير. وصف الله الأمة الإسلامية بأنها أمة وسطاً⁵، مما يعني أنها تجمع بين القوة

1. فخري خليل أبو صفية، & بسام عوض عبدالرحيم. (2003). نظام الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 18(52).

[52.1483i18/jsis.v10.34120https://doi.org/](https://doi.org/10.34120/jsis.v10i18.52.1483i18) ص 368

2. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج5، ص 35

3. علا علي هاشم، اشرف حسين 2018 القيم الإسلامية وأثرها على تصميم غرف الإقامة بالمنشآت السياحية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. العدد 12. الجزء 1. ص 373

4. الرعد: 28

5. البقرة: 143

والرحمة، والجدية والمرونة. هذه القيمة تُعلم الفرد كيف يعيش حياة متوازنة، بعيداً عن التطرف الذي قد يُدمر الفرد والمجتمع¹.

هذه القيم ليست منفصلة، بل تتكامل لتشكل هوية إسلامية متميزة ومستقلة، تُعزز التفاعل الاجتماعي الإيجابي وتُقدم حلولاً للمشكلات. فالجمالية تُلهم الإبداع، والستر يحمي الكرامة، والروحانية تُصحح المسار، والوحدانية تُوحد الجهود، والوسطية تُحقق الاستقرار. معاً، تُساهم في بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات، سواء كانت داخلية كالانحراف، أو خارجية كالتأثيرات الثقافية المغايرة.

القيم الإسلامية، بمكوناتها هذه، ليست مجرد تراث يُحفظ، بل أدوات حية تُعيد تشكيل الإنسان والمجتمع. إنها دعوة للعيش بوعي وانسجام، حيث يجد الفرد فيها مرجعية تُرشده وتُعزز دوره كعنصر فاعل في محيطه. من خلال هذا التعريف، نرى أنها ليست قيوداً، بل أجنحة تُحلق بالإنسان نحو حياة كريمة ومستدامة.

أمثلة من القرآن والسنة (العدل، التكافل، الرحمة)

القرآن الكريم والسنة النبوية هما منجم القيم الإسلامية التي تُضيء درب الإنسان نحو حياة متوازنة ومتماسكة. من بين هذه القيم تبرز العدل، التكافل، والرحمة كأعمدة أساسية تُشكل أساس المجتمع الإسلامي المثالي. في هذا القسم، نستعرض أمثلة من النصوص الشرعية تُبرز هذه القيم بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على دلالاتها العميقة وتأثيرها في الواقع.

العدل في الإسلام ليس مجرد كلمة، بل هو عماد السلم الاجتماعي الذي لا يمكن تحقيق الاستقرار بدونه. يقول الله تعالى في القرآن: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى²، وهي دعوة صريحة لتطبيق العدل في كل المعاملات، سواء مع الأقربين أو الأبعدين. هذا المبدأ لم يكن شعاراً نظرياً، بل كان هدفاً ملموساً في حياة المسلمين الأوائل، حيث سعى الرسول ﷺ لإنصاف الضعفاء، كالعمال والمزارعين، مما جعل العدل شعلة أضاءت الثورات الاجتماعية عبر التاريخ. تخيل مجتمعاً يُعامل فيه الفقير كالغني أمام القانون، أليس هذا ما يُحقق السلام الحقيقي؟³

التكافل الاجتماعي هو القلب النابض للمجتمع الإسلامي، حيث يُشجع الإسلام على مساندة الضعيف ودعم المحتاج كجزء من العبادة. يظهر ذلك في قول الله تعالى: وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ⁴، مما يُؤسس للزكاة والصدقات كآليات لتوزيع الثروة. في السنة، كان النبي ﷺ يحث على استخدام هذه الأموال لخلق فرص عمل، كما في قوله: ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة. هذا التكافل ليس مجرد عطاء مادي، بل دعم شامل يُعزز المواطنة ويُتيح التعليم للجميع، ليصبح جسراً يربط بين

1. علا علي هاشم، اشرف حسين 2018 القيم الإسلامية وأثرها على تصميم غرف الإقامة بالمنشآت السياحية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. العدد 12. الجزء 1. ص 374

2. النحل: 90

3. أ.د. أبو بكر عبدالله القري 2000 التعليم العالي الحكومي في اليمن... إلى أين؟، مجلة المؤتمرات والندوات العلمية جامعة الملكة أروى. ص 118

4. الذاريات: 19

أفراد المجتمع ويُقلل من الفجوات التي تُغذي الانحراف.¹ كما أن التعليم للجميع يُعتبر أداة لتحقيق العدالة الاجتماعية وتعميق مفاهيم المواطنة.²

الرحمة هي السمة التي وصف بها النبي ﷺ، حيث قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ³. تتجلى هذه القيمة في أحاديث كثيرة تحت على الإحسان للآخرين، كما أن الرحمة تتعدى الأفراد لتشمل الحوار بين الثقافات، فهي أداة للتعايش والسلم الاجتماعي، كما نرى في تعامل النبي مع غير المسلمين برفق وعدل⁴. كما أن الحوار الديني يُعتبر وسيلة لتعزيز السلم الاجتماعي والتعايش بين مختلف الفئات⁵.

العدل، التكافل، والرحمة ليست قيماً منفصلة، بل تتداخل لتشكل نسيجاً متكاملماً يدعم المجتمع. العدل يضمن الحقوق، التكافل يُعزز التضامن، والرحمة تُضفي الدفء الإنساني على العلاقات. على سبيل المثال، عندما يُدفع أجر العامل في وقته (رحمة)، ويُخصص جزء من المال لدعم الفقراء (تكافل)، يتحقق العدل الاجتماعي الذي يمنع الظلم والصراع. هذه القيم، كما جاءت في القرآن والسنة، ليست مجرد نصوص، بل دعوة حياة لبناء مجتمع يسوده الانسجام والأمان.

من خلال هذه الأمثلة، نرى أن القرآن والسنة لا يقدمان قيماً نظرية فقط، بل نموذجاً عملياً يُمكن تطبيقه في كل زمان ومكان. العدل يُعالج الظلم، التكافل يُمحو الفقر، والرحمة تُداوي الجروح الاجتماعية. إنها دعوة لكل فرد أن يعيش هذه القيم، ليس كواجب فحسب، بل كطريق للسعادة والاستقرار لنفسه ولمجتمعه.

مرونة القيم الإسلامية وثباتها

القيم الإسلامية تمثل توازناً فريداً بين الثبات والمرونة، فهي كالشجرة التي تمتد جذورها عميقاً في الأرض لتثبتها، بينما تتمايل أغصانها مع الريح لتتكيف مع المتغيرات. هذا الجمع بين الثبات في المبادئ والمرونة في التطبيق يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، قادرة على مواجهة التحديات مع الحفاظ على جوهرها. في هذا القسم، نستعرض هذه الثنائية بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع إبراز جوانبها المختلفة وتأثيرها في الواقع المعاصر.

تستمد القيم الإسلامية ثباتها من مقومات الهوية الإسلامية التي تشكل أساسها العميق. هذه المقومات تشمل العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد، الأمة المسلمة ككيان موحد، الرموز الثقافية والدينية كالمسجد والحجاب، التميز الحضاري الذي يظهر في العلوم والفنون الإسلامية، العمق التاريخي الممتد عبر قرون، واللغات الإسلامية كالعربية التي تحمل التراث الفكري. كل هذه العناصر تُشكل صخوراً صلبة تُثبت القيم في وجه العواصف، فالعقيدة مثلاً تبقى كالبوصلة التي تُرشد المسلم مهما تغيرت الظروف، مما يضمن استمرارية الهوية وتماسكها⁶.

1. محمود فاروق محمد غراب 2019 منطلقات الاقتصاد الإسلامي في مواجهة البطالة، 49، ص 472

2. أ.د. أبو بكر عبدالله القريبي 2000 التعليم العالي الحكومي في اليمن.. إلى أين؟، مجلة المؤتمرات والندوات العلمية جامعة الملكة أروى. ص 119

3. الأنبياء: 107

4. محمود فاروق محمد غراب 2019 منطلقات الاقتصاد الإسلامي في مواجهة البطالة، 49، ص 473

5. فتحى جوه فرمزي يونس 2015 السلم الاجتماعي وآليات تفعيل الحوار الديني نموذجاً، Journal of Humanity Sciences، 19، ص 28

6. عصام أحمد البشير 2022 الأمة وهويته الحضارية مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ص 25

رغم هذا الثبات، تواجه القيم الإسلامية تحديات معاصرة تهدف إلى زعزعتها. من ذلك نشر الانحراف العقدي والإلحاد عبر الإعلام والفضاء الرقمي، غرس مفاهيم منحرفة كالتطرف أو الليبرالية المتطرفة، الهزيمة النفسية التي تُشعر المسلم بضعف هويته، والدعوة إلى الشذوذ الجنسي وإشاعة الفاحشة التي تُهدد الأخلاق التقليدية. هذه التحديات تُضعف ارتباط الأفراد بهويتهم، لكن ثبات القيم يكمن في قدرتها على مواجهة هذه الهجمات بالتمسك بجوهرها، كما في قول الله تعالى: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا¹**، الذي يدعو إلى الوحدة والثبات². النظام الاقتصادي الإسلامي نموذج حي لمرونة القيم، فهو يجمع بين الثوابت الشرعية كتحريم الربا والمرونة في التعامل مع التحولات. يتميز هذا النظام بقدرته على الاستجابة السريعة للمتغيرات الاقتصادية، كإنشاء الصناديق الوقفية لدعم الفقراء أو تطوير المصارف الإسلامية لمواكبة العصر. يعتمد على الرقابة الذاتية المستمدة من الوازع الديني، كما في قول النبي ﷺ: **إنما الأعمال بالنيات³**، مما يجعل الفرد مسؤولاً عن تطبيق القيم بمرونة تحقق المصلحة العامة دون الخروج عن الإطار الشرعي⁴. تتجلى مرونة القيم الإسلامية في العمارة التي تعكس الجمالية، الستر الاجتماعي، الروحانية، الوحدانية، والوسطية. ففي حين تظل هذه القيم ثابتة، نجد تنوعاً في التعبير عنها عبر العالم الإسلامي، من القباب الفارسية إلى الأفنية الأندلسية، مما يُظهر قدرتها على التكيف مع الثقافات المحلية دون فقدان جوهرها. في عصر العولمة، تُساعد هذه المرونة في الحفاظ على الهوية الإسلامية، حيث تُدمج العمارة الحديثة مع القيم التقليدية لتُنتج تصاميم تُعزز الانتماء بدلاً من الذوبان في النمط الغربي⁵. التربية الإسلامية تُجسد هذا التوازن ببراعة، فهي تُرسخ الثبات من خلال صناعة تفكير عقدي متجذر في التوحيد والأخلاق، بينما تُظهر مرونتها في تقديم حلول للمشكلات الاجتماعية المعاصرة كالانحراف أو التطرف. تعتمد على تقديم البديل الإسلامي في الفكر والسلوك، كتعليم الشباب كيفية مواجهة الإلحاد بالحجة بدلاً من الرفض الأعمى. هذا النهج يُظهر كيف تُحافظ القيم على أصالتها مع قدرتها على التجديد، كما في قول النبي ﷺ: **خير الناس أنفعهم للناس⁶**، وهو مبدأ ثابت يُطبق بأساليب متجددة⁷. مرونة القيم الإسلامية وثباتها ليستا تناقضاً، بل تكاملاً يُعزز قدرتها على مواجهة التحديات. الثبات يحمي الجوهر من الضياع، كما تُحافظ الجذور على الشجرة، بينما المرونة تُتيح التكيف مع العصر، كما تتمايل الأغصان لتستقبل الضوء. سواء في الاقتصاد، العمارة، أو التربية، تثبت هذه القيم أنها ليست جامدة، بل حية تتنفس مع الإنسان، تُقاوم الانحراف وتُعيد بناء المجتمع بقوة وانسجام.

1. آل عمران: 103

2. عصام أحمد البشير 2022 الأمانة وهويتها الحضارية مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ص 25

3. المجلسي، بحار الأنوار، ج67، ص 211

4. فخري خليل أبو صافية، & بسام عوض عبد الرحيم. (2003). نظام الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 18(52).

<https://doi.org/10.34120/jsis.v10i1483i18> ص 369

5. علا علي هاشم، اشرف حسين 2018 القيم الإسلامية وأثرها على تصميم غرف الإقامة بالمنشآت السياحية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. العدد 12. الجزء 1. ص 374

6. المحدث النوري، مستدرک الوسائل، ج12، ص391

7. مختاره، جيانا محمد علي، عدنان مصطفى إبراهيم خطاطية. وسائل الدعوة والتعليم للإلحاد الجديد ودور التربية الإسلامية في مواجهتها. (2020). ص 63

دور القيم الإسلامية في مواجهة الانحراف الاجتماعي

القيم الإسلامية ليست مجرد أفكار مثالية، بل أدوات حية تُشكل درعاً وقائياً وعلاجاً فعالاً لمواجهة الانحراف الاجتماعي، ذلك السلوك الذي يُهدد تماسك المجتمعات واستقرارها. من خلال آليات متنوعة، تُقدم هذه القيم حلولاً جذرية تُعالج أسباب الانحراف وتُعزز الانسجام الاجتماعي. في هذا القسم، نستعرض دورها بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على كيفية عملها كقوة بناءة في مواجهة التحديات المعاصرة.

التربية الإسلامية هي الخط الأول في الدفاع ضد الانحراف، فهي تُركز على غرس القيم في النفوس منذ الصغر. من خلال تعزيز التفكير العقدي المستند إلى التوحيد، تُبرز الهوية الإسلامية كمرجعية واضحة تُبعده عن الضياع. تخيل شاباً ينشأ على قصص الصحابة ومبادئ الأمانة، كيف يصبح أقل عرضة للغش أو الجريمة؟ هذه التربية تُعد شخصية متكاملة تجمع بين القوة الروحية والمسؤولية الاجتماعية، كما تُقدم بديلاً إسلامياً في الفكر والسلوك يُحل المشكلات كالتفكك الأسري أو التطرف، مما يُعزز التفاعل الإيجابي بين الأفراد¹.

العمل التطوعي يُجسد قيم الإسلام في العطاء والتضحية، وهو أداة فعالة لمواجهة الانحراف بالبناء الإيجابي. في مجتمع يُشجع على مساعدة الآخرين، كما في حديث النبي ﷺ: خير الناس أنفعهم للناس، يتراجع الشعور بالأنانية والعزلة اللذان يُغذيان السلوك المنحرف. هذا العمل يعكس تقدماً اجتماعياً، حيث يزرع ثقافة الاهتمام بالمحتاجين، سواء عبر توزيع الصدقات أو تنظيم مبادرات لدعم الشباب، مما يُقلل من عوامل الفقر والإهمال التي تُفاقم الانحراف².

العدل هو حجر الزاوية في مواجهة الانحراف، فالظلم هو أحد أكبر محفزات الجريمة والتمرد. يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ³، وهي دعوة لتحقيق العدالة في كل المجالات. عندما يشعر الفرد أن حقوقه محفوظة، سواء كان عاملاً أو فلاحاً، يتراجع ميله للانحراف كوسيلة للانتقام أو التعويض. هذا المبدأ يُبني علاقات إنسانية سليمة ويُعزز التعايش الحضاري، مما يُقلص الفجوات الاجتماعية التي تُغذي الفوضى⁴.

القيم الإسلامية تُشجع على الحوار كوسيلة للتقارب بين الفئات المختلفة، سواء داخل المجتمع الواحد أو بين الثقافات والديانات. يظهر ذلك في تعامل النبي ﷺ مع أهل الكتاب برحمة واحترام، كما في وثيقة المدينة التي نظمت التعايش بين المسلمين وغيرهم. إشاعة ثقافة الحوار تُقضي على التعصب والاختلافات الفكرية التي قد تتحول إلى انحرافات كالعنف أو الانعزال، وتُعزز السلم الاجتماعي الذي يُشكل حاجزاً ضد التفكك⁵.

الهوية الإسلامية، المستمدة من عقيدة التوحيد وأصولها المعرفية، هي المحرك الذي يُفجر طاقات الأمة ويُقويها أمام التحديات. عندما يشعر الفرد بانتمائه لهذه الهوية، كما في قول الله تعالى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً⁶، يصبح أكثر مقاومة للانحرافات الخارجية كالإلحاد أو

1. مختاره، جيانا محمد علي، عدنان مصطفى إبراهيم خطاطية. وسائل الدعوة والتعليم للإلحاد الجديد ودور التربية الإسلامية في مواجهتها. (2020). ص 64

2. فيفي أحمد توفيق 2018 الأبعاد التربوية لعمل المرأة في المجال التطوعي دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج، 52، ص 244

3. النساء: 135

4. Baidar Muhammad Hasan 2023 الإسلام والدستور والتحول الاجتماعي نحو التعايش الحضاري دراسة تحليلية في التشريع الدستوري الإسلامي والعقد الاجتماعي

الاندونيسي Al Ghazali (Pancasila) مجلد 6، العدد 1، ص 134

5. فتحى جوهر فرمزي يونس 2015 السلم الاجتماعي والآليات تفعيل الحوار الديني نموذجاً، Journal of Humanity Sciences، 19، ص 25

6. الأنبياء: 92

الشذوذ. هذه الهوية تُعطيه إحساساً بالقوة والمسؤولية، فتدفعه للعمل على إصلاح مجتمعه بدلاً من الانسياق وراء سلوكيات مدمرة¹.

القيم الإسلامية تعمل كشبكة متكاملة: التربية تُوقي، العمل التطوعي يُعزز التضامن، العدالة تُزيل أسباب الانحراف، الحوار يُوحد، والهوية تُقوي. تخيل مجتمعا يُطبق هذه القيم، حيث يتعلم الأطفال العدل في المدرسة، يتطوع الشباب لمساعدة الفقراء، ويُحاور الكبار بعضهم بعضاً برحمة – أليس هذا المجتمع أقل عرضة للجريمة والتفكك؟ هذه القيم لا تُعالج الأعراض فقط، بل تُعيد بناء المجتمع من أساسه، مما يجعلها حلاً جذرياً للانحراف ودعامة للاستقرار والتماسك.

الوقاية من الانحراف

الوقاية من الانحراف الاجتماعي ليست مجرد رد فعل على السلوك الخاطئ، بل استراتيجية استباقية تُشبه بناء حصن يحمي المجتمع من الانهيار. تتطلب هذه الوقاية نهجاً شاملاً يجمع بين الأبعاد الدينية، الاقتصادية، السياسية، والأخلاقية، لتشكل شبكة متكاملة تُعزز الاستقرار. في هذا القسم، نستعرض هذه الآليات بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على كيفية عملها كخط دفاع أول ضد الانحراف.

التربية الإسلامية هي البذرة التي تُنبت شخصية متماسكة قادرة على مواجهة الانحراف. من خلال تعزيز الهوية الإسلامية المستندة إلى التوحيد والقيم، تُوفر مرجعية واضحة تُبعد الفرد عن التيه الفكري. تخيل طفلاً يتعلم منذ الصغر قول الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا²، كيف يصبح أقل ميلاً للفاحشة؟ هذه التربية تُقدم بديلاً إسلامياً في الفكر والسلوك، كالصدق بدلاً من الكذب، وتُحل المشكلات الاجتماعية كالتفكك بالتأكيد على الرحمة والتعاون، مما يجعلها وقاية فعالة ضد الانزلاق نحو السلوك المدمر³.

الأسرة هي المدرسة الأولى التي يتشرب منها الفرد قيمه، والإرشاد الأسري هو العمود الفقري للوقاية من الانحراف. عندما ينشأ الشاب في بيت يُعلمه العدل والمسؤولية، كما في حديث النبي ﷺ: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته⁴، يصبح أقل عرضة للغلو أو التطرف. التطرف. الأسرة التي تُركز على زرع القيم الاجتماعية والثقافية والفكرية تُشكل درعاً يحمي الشباب من التأثيرات السلبية، سواء كانت من أصدقاء السوء أو الإعلام المضلل، فتُعزز مناعتهم النفسية والأخلاقية⁵.

المؤسسات التعليمية ليست مجرد أماكن لنقل المعرفة، بل ورش لصناعة أجيال مُحصنة ضد الانحراف. عندما تُدمج القيم الأخلاقية والثقافية في المناهج، كالعدل والتكافل، تُصبح المدرسة فضاءً لتعزيز الأمن الفكري. على سبيل المثال، تعليم الطلاب قصص الصحابة في الصدق والشجاعة يُعزز مقاومتهم للأفكار المنحرفة كالتطرف أو الإلحاد. هذا التعليم يُشكل

1. عصام أحمد البشير 2022 الأمانة وهيئتها الحضارية مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ص 26

2. الإسراء: 32

3. مختاره، جيانا محمد علي and عدنان مصطفى إبراهيم خطاطبة. وسائل الدعوة والتعليم للإلحاد الجديد ودور التربية الإسلامية في مواجهتها. (2020). ص 64

4. الكليني، الكافي، ج2، ص 147

5. سالم بن سمران الحيسوني، عبد الحليم فضل الله 2021 الإرشاد الأسري ودوره في حماية الشباب من الغلو والتطرف، ص 37، ص 18

جداراً يحمي الشباب من الفراغ الفكري، مما يجعلهم أكثر قدرة على تمييز الصواب من الخطأ¹.

العمل التطوعي هو جسر يربط الأفراد بالمجتمع، وأداة وقاية تُعزز الشعور بالانتماء. عندما ينخرط الشباب في مبادرات كمساعدة الفقراء أو تنظيف الأحياء، كما يُشجع في قول النبي ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً²، يتراجع شعورهم بالعزلة أو الإحباط الذي قد يدفعهم للانحراف. هذا العمل يعكس تقدماً اجتماعياً، حيث يُظهر ازدهار الأمم في قدرتها على التكافل، ويُساعد في مواجهة التغيرات السريعة بالتركيز على العطاء بدلاً من الأنانية³. الدعم الاجتماعي والكفاءة الذاتية هما مفتاحان لتقليل الإجهاد الذي يُعتبر مدخلاً للانحراف. عندما يشعر الفرد بأن مجتمعه يسانده، سواء عبر الأسرة أو الأصدقاء أو المؤسسات، يزداد شعوره بالأمان والثقة. على سبيل المثال، برامج دعم الشباب العاطلين عن العمل تُقلل من ميلهم للجريمة كوسيلة للهروب من الضغط الاقتصادي. هذا الدعم يُعزز قدرتهم على مواجهة التحديات، مما يجعلهم أقل عرضة للسلوكيات المدمرة كالإدمان أو العنف⁴. الوقاية من الانحراف ليست مسؤولية جهة واحدة، بل عمل جماعي يبدأ من الأسرة التي تُربي، إلى المدرسة التي تُعلم، والمجتمع الذي يدعم. تخيل شبكة من الخيوط: كل خيط قوي بذاته، لكن نسجها معاً يُنتج درعاً لا يُخترق. الأسرة تزرع القيم، التعليم يُحصن العقل، العمل التطوعي يبني الروابط، والدعم الاجتماعي يُخفف الضغوط – معاً، تُشكل هذه العناصر حائط صد يحمي المجتمع من الانحراف ويُعزز استقراره.

العلاج والإصلاح

العلاج والإصلاح في مواجهة الانحراف الاجتماعي ليسا مجرد محاولة لإصلاح ما فسد، بل هما عملية إعادة بناء تُعيد للفرد والمجتمع توازنهما. تتطلب هذه العملية نهجاً متعدد الأبعاد يجمع بين التدخلات الاجتماعية، التعليمية، والدينية، لتكون بمثابة شبكة علاجية تُعالج الجذور وتُعزز الاستقرار. في هذا القسم، نستعرض هذه الآليات بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع التركيز على دورها في تحويل الانحراف إلى فرصة للتجديد. الخدمة الاجتماعية تُشبه يداً حانية تُعيد توجيه الشباب الذين انحرفوا عن المسار. من خلال الأنشطة الجماعية كالنوادي الثقافية أو الرياضية، تُساعد في تعديل الأفكار والسلوكيات الخاطئة بطريقة عملية. تخيل شاباً كان يميل للعنف، ثم انخرط في فريق رياضي يُعلمه الانضباط والتعاون – أليس هذا تحولاً يُعزز المسؤولية الاجتماعية؟ هذه الأنشطة تزرع القيم الإيجابية كالصبر والاحترام، مما يجعلها أداة فعالة للإصلاح بدلاً من العقاب وحده⁵. البرامج الأكاديمية، خاصة في الجامعات السعودية، تُقدم نموذجاً متميزاً للعلاج والإصلاح. من خلال الإرشاد الأكاديمي، تُساعد الشباب على تعديل أفكارهم واكتساب مهارات حياتية

1. باسم بكرى إبراهيم 2018 دراسة مطبقة على طلاب قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إسهامات برامج الإرشاد الأكاديمي الجمعي في تحقيق

الأمن الفكرى لدى الشباب الجامعى، 13، ص 197

2. الرازي، تفسير أبو الفتوح الرازي ج 2 ص 450/ مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 2، ص 627

3. فيفي أحمد توفيق 2018 الأبعاد التربوية لعمل المرأة في المجال التطوعي دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج، 52، ص 242

4. ely Nur LAzizah 2016 Hubungan dukungan sosial dan efikasi diri terhadap stres akademik pada mahasiswa baru Fakultas Psikologi Universitas Islam Negeri Maulana Maulana Malik Ibrahim Malang.p: 63

5. باسم بكرى إبراهيم 2018 دراسة مطبقة على طلاب قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إسهامات برامج الإرشاد الأكاديمي الجمعي في تحقيق

الأمن الفكرى لدى الشباب الجامعى، 13، ص 198

كإدارة الوقت وحل المشكلات. على سبيل المثال، برامج مثل الإرشاد النفسي في الجامعات تُقدم أنشطة وقائية تُحصن الطلاب من الانحراف الفكري، وأخرى علاجية تُعيد تأهيل من وقعوا في أخطاء كاللطرف أو الإهمال. هذه البرامج تُحول الطالب من مجرد متلقٍ إلى فرد فاعل يُساهم في مجتمعه¹.

العمل التطوعي ليس مجرد نشاط إضافي، بل علاج يُعيد الروابط الاجتماعية للشباب الذين فقدوا الشعور بالانتماء. عندما يشارك الفرد في مبادرات كدعم المحتاجين، كما في قول النبي ﷺ: مَنْ أَعَانَ مُؤْمِنًا مُسَافِرًا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثًا وَ سَبْعِينَ كُرْبَةً وَ أَجَارَهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ مِنَ الْعَمِّ وَ الْهَمِّ وَ نَفَسَ عَنْهُ كُرْبَةً الْعَظِيمِ يَوْمَ يَعْصُ النَّاسُ بِأَنْفُسِهِمْ²، يشعر بقيمته ودوره، مما يُقلل من ميله للانحراف. لكن لكي يكون أكثر فعالية، يحتاج إلى تطوير ثقافة التطوع لتشمل مجالات أوسع كالتعليم أو إعادة التأهيل، ليصبح أداة شاملة تعكس تقدم الأمم وازدهارها³. الأسرة هي نقطة البداية للإصلاح، فالإرشاد الأسري يعمل كعامل وقائي وعلاجي معاً. عندما يُوجه الآباء أبناءهم نحو التسامح والخير، كما في قول الله تعالى: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا⁴، يُمكن أن يُصححوا مسار من بدأ يميل للغلو أو التطرف. الأسرة التي تزرع قيم الرحمة والمسؤولية تُعيد تأهيل الشباب بطريقة طبيعية، فتكون بمثابة عيادة منزلية تُعالج الانحراف قبل أن يتفاقم، مما يجعلها ركيزة لا غنى عنها⁵.

التعليم هو المفتاح الحقيقي للإصلاح، فهو لا يُعلم الحروف فقط، بل يُغير واقع الطبقات الاجتماعية. عندما يُتاح تعليم عادل يُركز على مفاهيم المواطنة والانتماء، يُصبح أداة لرفع الوعي وإعادة تأهيل المنحرفين. تخيل شاباً كان يعيش في فقر فكري، ثم حصل على تعليم يُعلمه قيم العمل والعدل – أليس هذا ما يُحوّله من عبء إلى مورد لمجتمعه؟ التعليم يُعزز الشعور بالمسؤولية، مما يجعله علاجاً يُعيد الأمل ويُصلح المسار⁶.

العلاج والإصلاح يعتمدان على تكامل هذه الجهود: الخدمة الاجتماعية تُعدل السلوك، البرامج الأكاديمية تُصحح الفكر، العمل التطوعي يُعزز الروابط، الإرشاد الأسري يُعالج من الجذور، والتعليم يُغير الواقع. هذه الشبكة تُشبه فريقاً طبيياً يعمل بتناغم: كل عنصر يُكمل الآخر لينتج مجتمعاً متماسكاً. بدلاً من الاكتفاء بالعقاب، تُقدم هذه الآليات حلاً جذرياً يُحول المنحرف إلى فرد منتج، مما يُعزز الاستقرار ويُقلل من تكرار الانحراف.

دراسات حالة من مجتمعات تطبق القيم الإسلامية

تُظهر القيم الإسلامية قدرتها على مواجهة الانحراف الاجتماعي من خلال تطبيقات عملية في مجتمعات مختلفة، حيث تُشكل أداة لتعزيز التماسك ومعالجة التحديات كالفقر والظلم. في هذا القسم، نركز على دراسة حالة العراق كمثال، مستعرضين كيف تُطبق مبادئ مثل الزكاة

1. باسم بكرى إبراهيم 2018 دراسة مطبقة على طلاب قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية إسهامات برامج الارشاد الأكاديمي الجمعي في تحقيق

الأمن الفكرى لدى الشباب الجامعى، 13، ص 198

2. شيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٩٣

3. فيفي أحمد توفيق 2018 الأبعاد التربوية لعمل المرأة في المجال التطوعى دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج، 52، ص 247

4. الإسراء: 23

5. سالم بن سمران الحيسوني، عبد الحليم فضل الله 2021 الإرشاد الأسري ودوره في حماية الشباب من الغلو والتطرف، 37، ص 19

6. أبو بكر عبدالله القربي 2000 التعليم العالي الحكومي في اليمن.. إلى أين؟، مجلة المؤتمرات والندوات العلمية جامعة الملكة أروى. ص 118

والعدالة الاجتماعية والمساواة، وكيف تُسهم في بناء مجتمع أكثر استقراراً. نستعرض ذلك بأسلوب بحثي إنساني حصري، مع الربط بين النظرية والواقع.

العراق، بتاريخه العريق وتنوعه الاجتماعي، يُقدم نموذجاً غنياً لكيفية تطبيق القيم الإسلامية في سياق مليء بالتحديات كالحروب والفقر. رغم الاضطرابات، تظل القيم الإسلامية كالعدالة والتكافل حاضرة كمحاولة لإعادة البناء.

في الإسلام، العدالة ليست مجرد شعار، بل مبدأ عملي يُعالج التفاوتات ويُعزز الرحمة، كما في قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ¹. في العراق، حيث عانت طبقات عديدة من التهميش بعد الصراعات، تظهر محاولات لتطبيق العدالة الاجتماعية عبر المبادرات المحلية. على سبيل المثال، في مدن مثل بغداد والنجف، تُنظم المؤسسات الدينية حملات لدعم الأراامل والأيتام، مستندة إلى مفهوم العدل القرآني الذي يدعو لإنصاف المستضعفين. هذه الجهود تُقلل من الشعور بالظلم الذي قد يدفع للانحراف كالجريمة أو الانضمام للجماعات المتطرفة، مما يُعزز التماسك المجتمعي.

الزكاة، كركن إسلامي، تُشكل في العراق آلية لإعادة توزيع الثروة ومكافحة الفقر. في مناطق مثل البصرة، حيث تتفاقم البطالة، تُجمع الزكاة من التجار والأثرياء لدعم العائلات المحتاجة، مستلهمة من قول النبي ﷺ: وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ عَلَى الْعِبَادِ إِلَّا وَ فِيهِ مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ خَلْفاً وَ يَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُمْسِكٍ تَلْفاً². هذا النظام لا يُخفف الفقر فقط، بل يُعزز التضامن الاجتماعي، حيث يشعر الفقير أنه جزء من المجتمع وليس منبوذاً. تحليل الزكاة كهبة يُظهر كيف تُبني مجتمع الإيمان، مما يُقلل من الانحرافات المرتبطة بالحرمان كالسرقة³.

في العراق، حيث تتسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، تُستخدم الزكاة لتمويل مشاريع صغيرة كورش الخياطة أو الزراعة، خاصة في المناطق الريفية. هذه المبادرات تُحقق تنمية اقتصادية بسيطة لكن مستدامة، مستندة إلى مبدأ المساواة الذي يدعو الإسلام إليه. على سبيل المثال، في محافظة ذي قار، تُظهر تقارير محلية أن توزيع الزكاة ساهم في تقليل معدلات البطالة بين الشباب، مما قلص ميلهم للانحراف كوسيلة للبقاء، وأعاد لهم الأمل في مستقبل أفضل⁴. يمكن للزكاة أن تساهم في الحد من الفقر والتنمية الاقتصادية في الدول ذات الأغلبية الأغلبية المسلمة⁵.

تتجاوز القيم الإسلامية في العراق معالجة المشكلات الفورية إلى خلق بيئة مستدامة. في مدن مثل أربيل، تُدمج القيم كاحترام الخصوصية والجمالية في تخطيط الأحياء السكنية، مما يعكس الروحانية والوسطية. هذه البيئة تُعزز الشعور بالانتماء، وتُقلل من التوترات

1. النحل: 90

2. ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ج 1، ص 366

3. Kochuyt, T. (2009). God's gifts and poor people: On charity in Islam. Social Compass, 56(3), p367. <https://doi.org/10.1177/0037768608100345>

4. Kochuyt, T. (2009). God's gifts and poor people: On charity in Islam. Social Compass, 56(3), p368. <https://doi.org/10.1177/0037768608100345>

5. Raimi, L., Patel, A. & Adelopo, I. (2014). Corporate social responsibility, Waqf system and Zakat system as faith-based model for poverty reduction. World Journal of Entrepreneurship Management and Sustainable Development, 10(2), p: 148. <https://doi.org/10.1108/wjemsd-09-2013-0052>

الاجتماعية التي قد تؤدي إلى التفكك أو العنف، مما يجعلها نموذجاً لكيفية دعم القيم للاستدامة الاجتماعية¹.

الإسلام يدين الظلم ويحث على نصرته المستضعفين، وهو مبدأ حي في العراق. في مناطق عانت من النزوح كالموصل، تُنظم الجمعيات الإسلامية برامج لإعادة تأهيل النازحين، مستندة إلى قول الله تعالى: وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ². هذه الجهود تُعالج آثار الحروب التي تُغذي الانحراف كالإدمان أو الجريمة المنظمة، وتُعيد للأفراد كرامتهم، مما يُشكل خطوة نحو الإصلاح³.

في العراق، تُظهر تطبيقات الزكاة والعدالة الاجتماعية كيف تُحول القيم الإسلامية التحديات إلى فرص. الزكاة تُخفف الفقر وتُعزز التكافل، العدالة تُقلل الظلم وتُوحّد المجتمع، والمساواة تُعيد التوازن. رغم الظروف الصعبة، تُثبت هذه المبادئ أنها ليست نظريات، بل أدوات عملية تُعالج الانحراف من جذوره، سواء كان الفقر أو التفكك، وتُعزز التماسك في مجتمع متعدد التحديات. العراق ليس حالة معزولة، بل نموذج يُظهر قدرة القيم الإسلامية على العمل في أصعب الظروف. إنها كالنهر الذي يجد طريقه بين الصخور: ثابت في مساره، مرن في تدفقه. هذه الدراسة تُبرز أن تطبيق القيم ليس رفاهية، بل ضرورة لمجتمعات تسعى للنهوض من أزماتها، مما يجعلها درساً عالمياً في الاستقرار والإصلاح.

رأي الباحث: نظرية التكامل القيمي الديناميكي

غالباً ما تُنظر إلى القيم الإسلامية كإطار جامد يُطبق بشكل تقليدي، لكن رؤيتي تتجاوز ذلك إلى اقتراح نظرية التكامل القيمي الديناميكي، التي ترى هذه القيم كنظام حي يجمع بين الثبات العقدي والمرونة التطبيقية في مواجهة الانحراف الاجتماعي. تتألف النظرية من ثلاثة أبعاد: الثبات العقدي ويتمثل في الجوهر الثابت للقيم كالعدل والرحمة، المستمد من القرآن والسنة، كقوله تعالى: وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ⁴. هذا الثبات يُحافظ على الهوية ويمنع الذوبان في التيارات المعاصرة.

المرونة التطبيقية وأنها تُتيح إعادة تفسير القيم لتناسب مع الواقع، كاستخدام الزكاة في مشاريع رقمية لدعم الشباب العاطلين، مما يُظهر قدرتها على التكيف دون فقدان أصلاتها. التفاعل الحيوي وهذا يعني أن القيم تتفاعل مع السياقات الثقافية المتنوعة، كدمج التكافل مع مفاهيم العدالة العالمية لتعزيز التعايش.

هذه النظرية تُحول القيم من أداة رد فعل إلى قوة استباقية، ففي مواجهة الإدمان مثلاً، يمكن للوسطية أن تُدمج مع برامج التأهيل النفسي لتقديم حلول حديثة مستوحاة من الإسلام. ما يميزها هو قدرتها على قياس التأثير كمياً وكيفياً، مما يفتح المجال لدراسات مستقبلية تُثبت فعاليتها.

1. Al-Thahab, A. A. L., & Abdelmonem, M. G. (2019). Changing socio-spatial systems of urban living in twentieth century Iraq. International Journal of Architectural Research Archnet-IJAR, 13(1), p:35. <https://doi.org/10.1108/arch-01-2019-0011>

النساء: 275

3. Choiron, A. (2017). Islam dan masalah kemanusiaan perspektif pendidikan pembebasan. Edukasia: Jurnal Pendidikan dan Pengajaran, 12(1), p: 8. <https://doi.org/10.21043/edukasia.v12i1.2348>

الرحمن: 49

النتائج والتوصيات

ملخص النتائج

البحث كشف أن الانحراف الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة، كالجريمة والإدمان، يتغذى من عوامل كالفقر وضعف الهوية. القيم الإسلامية، كالعدل والتكافل، أثبتت قدرتها على الوقاية والعلاج عبر تعزيز التماسك والتضامن. دراسة حالة العراق أظهرت أن الزكاة تُقلل الفقر والتفاوت، بينما نظرية التكامل القيمي الديناميكي أكدت أن الجمع بين الثبات والمرونة يجعل القيم حلاً عملياً للتحديات الحديثة.

اقتراحات عملية لتفعيل القيم الإسلامية

- 1- برامج تربوية حديثة: دمج القيم كالعدل في المناهج بأساليب تفاعلية كالمسرحيات التعليمية.
- 2- منصات رقمية للزكاة: إنشاء تطبيقات تُسهل جمع وتوزيع الزكاة لدعم المشاريع الصغيرة.
- 3- مبادرات تطوعية شبابية: تشجيع الشباب على قيادة حملات اجتماعية تعزز التكافل والمسؤولية.
- 4- إرشاد أسري مدعوم: تدريب الأسر على التسامح والتواصل عبر ورش عمل مجانية.
- 5- حوار ثقافي: تنظيم مننديات تجمع مختلف الفئات لتعزيز التعايش بناءً على الرحمة.

آفاق مستقبلية للبحث

دراسة كمية لتأثير الزكاة على معدلات الجريمة في مناطق محددة.
تحليل تطبيق نظرية التكامل القيمي الديناميكي في مجتمعات غير مسلمة.
استكشاف دور التكنولوجيا في تعزيز تطبيق القيم الإسلامية كالعدالة الرقمية.
بحث تأثير التربية الإسلامية على الوقاية من الإدمان الرقمي بين الشباب.

الخاتمة

القيم الإسلامية ليست تراثاً يُحفظ في الكتب، بل قوة حية تُعالج الانحراف الاجتماعي وتُعيد بناء المجتمعات. من خلال العدل والتكافل والرحمة، تُقدم حلاً متكاملًا يجمع بين الوقاية والإصلاح، كما أظهرت دراسة العراق. نظرية التكامل القيمي الديناميكي تُضيف بُعداً جديداً بجعلها ديناميكية وقابلة للتكيف، مما يُعزز دورها في عالم متغير. أدعو المجتمعات والمؤسسات لتبني هذه الرؤية، ليس فقط كواجب ديني، بل كمسار للاستقرار والتقدم، ففي القيم الإسلامية تكمن مفاتيح نهضة مستدامة.

المصادر

القرآن الكريم المصادر العربية

1. ابن أبي جمهور الأحسائي، (1403هـ). عوالي اللئالي. تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي. الطبعة الأولى.
2. أحمد آل حنش، ويحيى بن محمد. (2020). الأسباب العلمية للانحرافات الفكرية ومنهج السنة النبوية في معالجتها. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، 486.
3. أ.د. أبو بكر عبدالله القربي. (2000). التعليم العالي الحكومي في اليمن.. إلى أين؟ مجلة المؤتمرات والندوات العلمية جامعة الملكة أروى، 114-119.
4. باسم بكري إبراهيم. (2018). إسهامات برامج الإرشاد الأكاديمي الجماعي في تحقيق الأمن الفكري لدى الشباب الجامعي: دراسة مطبقة على طلاب قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 13، 197-198.
5. الحر العاملي، محمد بن الحسن، (د.ت). وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
6. حنان مالكي، وفضيلة صدراته. (2020). دور وسائل الإعلام في مكافحة الجريمة. (3)، 154.
7. سالم بن سمران الحيسوني، وعبد الحليم فضل الله. (2021). الإرشاد الأسري ودوره في حماية الشباب من الغلو والتطرف. 37، 1-20.
8. عصام أحمد البشير. (2022). الأمة وهويتها الحضارية. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 24-26.
9. علا علي هاشم، وأشرف حسين. (2018). القيم الإسلامية وأثرها على تصميم غرف الإقامة بالمنشآت السياحية. مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، 12(1)، 372-374.
10. فتحي جوهر فرمزي يونس. (2015). السلم الاجتماعي وآليات تفعيله: الحوار الديني نموذجاً. Journal of Humanity Sciences, 19, 23-28.
11. فخري خليل أبو صفية، وبسام عوض عبدالرحيم. (2003). نظام الرقابة على المال العام في الاقتصاد الإسلامي. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 18(52)، 369-368.
12. فيفي أحمد توفيق. (2018). الأبعاد التربوية لعمل المرأة في المجال التطوعي: دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج. 52، 242-247.
13. ليث اللهبي. (2021). البرامج التعليمية الإلكترونية وفعاليتها في تنمية مهارات التربية الإعلامية الرقمية لدى الوالدين. Journal of Al-Rafidain University College For Sciences, 49, 182. (Print ISSN: 1681-6870, Online ISSN: 2790-2293)
14. المجلسي، محمد. باقر. (1403ق.). بحار الأنوار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
15. محمود فاروق محمد غراب. (2019). منطلقات الاقتصاد الإسلامي في مواجهة البطالة. 49، 472-473.

16. مختاره، جيانا محمد علي، وعدنان مصطفى إبراهيم خطاطبة. (2020). وسائل الدعوة والتعليم للإلحاد الجديد ودور التربية الإسلامية في مواجهتها. 63-64.
17. مصطفى ظاهر. (2019). المحظورات والمنهيات في وسائل التواصل الاجتماعي. 43, 269.
18. مكارم الشيرازي، ناصر. (2015). التفسير الأمثل، مدرسة أمير المؤمنين، قم. إيران.
19. منى السيد حافظ. (2010). أطفال الشوارع في المجتمع المصري: تحليل سوسيولوجي. مجلة العلوم الاجتماعية، 38(4)، 74-76.
- <https://doi.org/10.34120/jss.v38i4.1943>
20. النوري الطبرسي، ح. (د.ت). مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

المصادر الإنجليزية

21. Aljahni, A. (2019). *Education and enhancing intellectual security*.
22. Al-Thahab, A. A. L., & Abdelmonem, M. G. (2019). Changing socio-spatial systems of urban living in twentieth century Iraq. *International Journal of Architectural Research Archnet-IJAR*, 13(1), 35–50. <https://doi.org/10.1108/arch-01-2019-0011>
23. Ardi, S. (2020). *Pendidikan keluarga Islami perspektif Al Quran* [Islamic family education from a Quranic perspective].
24. Baidar, M. H. (2023). Islam, the constitution, and social transformation toward civilizational coexistence: An analytical study of Islamic constitutional legislation and the Indonesian social contract (Pancasila). *Al Ghazali*, 6(1), 134.
25. Choiron, A. (2017). Islam and humanitarian issues: A liberation education perspective. *Edukasia: Jurnal Pendidikan dan Pengajaran*, 12(1), 8–20. <https://doi.org/10.21043/edukasia.v12i1.2348>
26. Ely Nur, L. (2016). *Hubungan dukungan sosial dan efikasi diri terhadap stres akademik pada mahasiswa baru Fakultas Psikologi Universitas Islam Negeri Maulana Malik Ibrahim Malang* [The relationship between social support and self-efficacy on academic stress among new students at the Faculty of Psychology, Maulana Malik Ibrahim State Islamic University, Malang].
27. Kochuyt, T. (2009). God, gifts and poor people: On charity in Islam. *Social Compass*, 56(3), 367–368. <https://doi.org/10.1177/0037768608100345>
28. Raimi, L., Patel, A., & Adelopo, I. (2014). Corporate social responsibility, Waqf system and Zakat system as faith-based model

for poverty reduction. *World Journal of Entrepreneurship Management and Sustainable Development*, 10(2), 148–158.
<https://doi.org/10.1108/wjemsd-09-2013-0052>

الرحمة في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية في مواجهة التطرف والغلو والعنف

م.م ضحى جاسم نجم

m.duhajasim@uodiyala.edu.iq

م.م عفراء حكمت حميد

m.afraahikmat@uodiyala.edu.iq

كلية العلوم الإسلامية \ جامعة ديالى

الكلمات المفتاحية (الرحمة , التطرف . العنف)

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم (الرحمة) في القرآن الكريم من خلال دراسة تفسيرية تهدف الى الكشف عن دور هذا المفهوم في مواجهة ظواهر التطرف والعنف التي أصبحت من القضايا الملحة في العصر الحديث في وقت تتصاعد فيه أعمال العنف والتطرف حول العالم يبرز البحث أهمية العودة الى النصوص القرآنية لفهم القيم الانسانية التي يدعو اليها القرآن وبخاصة مفهوم الرحمة وكيف لهذا المفهوم أن يسهم في تعزيز التسامح والاعتدال ولذلك قسمت بحثي الى مبحثين تناولت الحديث في المبحث الاول عن مفهوم الرحمة في القرآن الكريم واما المطلب الثاني عن تأثير الرحمة في العلاقات الانسانية واما المبحث الثاني . الرحمة في القرآن الكريم ومواجهة التطرف والعنف المطلب الاول . كيف يتعامل القرآن الكريم مع ظواهر التطرف والعنف من خلال الرحمة واما المطلب الثاني . التفسير القرآني وأثره في مواجهة التطرف ثم اختتمت البحث بخاتمة وذكرتها فيها أهم نتائج التي توصلت اليها في هذا البحث ومن الله التوفيق .

المقدمة

القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي يحدد منهج الحياة في الإسلام، ويُعتبر دستوراً هادياً للمسلمين في جميع شؤونهم الحياتية. من أهم القيم التي يدعو إليها القرآن هي "الرحمة"، وهي قيمة راسخة تتجسد في كثير من آيات القرآن الكريم. الرحمة، في المفهوم القرآني، ليست مجرد شعور عاطفي بل هي سلوك عملي يعكس التراحم بين الناس والرحمة بكل الكائنات، ومن هنا تتضح أبعادها الواسعة التي تسهم في تهذيب سلوك الأفراد وتوجيههم نحو تحقيق السلام الداخلي والخارجي.

في السنوات الأخيرة، ظهرت ظواهر التطرف والعنف في بعض المجتمعات الإسلامية، مما أساء إلى صورة الإسلام وأدى إلى استغلال بعض النصوص القرآنية بشكل مغلو لتبرير أفعال تتنافى مع قيم الدين الحنيف. لكن إذا نظرنا إلى القرآن الكريم في سياقه الكامل، نجد أن الإسلام يرفض رفضاً قاطعاً أي نوع من العنف غير المبرر ويؤكد على ضرورة الرحمة في جميع التعاملات بين البشر، بل يجعل الرحمة صفة أساسية من صفات الله سبحانه وتعالى الرحمة هي إحدى القيم الأساسية التي يحملها القرآن الكريم، وهي ليست مجرد صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، بل هي كذلك أحد المبادئ التي دعا الإسلام إلى تجسيدها في حياة الأفراد والمجتمعات. ففي القرآن الكريم، يُعتبر الرحمة الأساس الذي يقوم عليه التفاعل بين

الناس، ويدعو إلى تجنب العنف والتطرف بكل أشكاله. وفي مواجهة الظواهر السلبية مثل التطرف والعنف، يشكل التفسير القرآني السليم للرحمة أداة فعالة للحد من هذه الظواهر. الرحمة في القرآن لا تقتصر على جانب واحد من الحياة، بل تشمل جميع جوانبها، بدءاً من العلاقة مع الله تعالى وصولاً إلى العلاقة بين البشر أنفسهم. فمن خلال التأكيد على الرحمة في التعامل مع الآخرين، يُوجه القرآن المسلمين إلى تجنب الإساءة أو الظلم، ويحثهم على تبني أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في مواجهة الخلافات والاختلافات الفكرية أو العقائدية.

إن الفهم العميق لمفهوم الرحمة في القرآن يمكن أن يساهم في تعزيز ثقافة السلام والتسامح، وهو ما يُعد أمراً حاسماً في مواجهة التطرف والعنف الذي يسيء للدين ويشوه صورته. من خلال دراسة تفسيرية للآيات التي تتحدث عن الرحمة، يمكن استخلاص الدروس التي تُرشد الأفراد إلى ضرورة التعايش السلمي، واحترام حقوق الآخرين، والتعامل مع مختلف التحديات والاختلافات بروية رحيمة، بعيدة عن الغلو أو التشدد.

من هنا تبرز أهمية دراسة "الرحمة في القرآن الكريم" من منظور تفسيري، لفهم المقاصد الحقيقية وراء الآيات التي تتعلق بالعنف والجihad وكيفية تعبير القرآن عن الرحمة كبديل حقيقي للممارسات المتطرفة. تكمن أهمية هذه الدراسة في إظهار كيف يمكن للقرآن أن يكون أداة فاعلة في مواجهة التطرف من خلال التأكيد على القيم الإنسانية التي يدعو إليها مثل الرحمة والعدالة والاعتدال. وبالتالي، من خلال هذا البحث، يمكن الوصول إلى استنتاجات تدعم فهماً دقيقاً ومتوازناً للنصوص القرآنية، وفتح الطريق نحو توجيه الأمة الإسلامية نحو قيم السلام والتسامح. لذلك قسمت بحثي الى مبحثين تناولت الحديث في المبحث الاول عن : مفهوم الرحمة في القرآن الكريم .

المطلب الاول : المعنى اللغوي والاصطلاحي .

المطلب الثاني : تأثير الرحمة في العلاقات الانسانية .

المبحث الثاني : الرحمة في القرآن الكريم ومواجهة التطرف والعنف .

المطلب الاول : كيف يتعامل القرآن مع ظواهر التطرف والعنف من خلال الرحمة.

المطلب الثاني: التفسير القرآني وأثره في مواجهة التطرف .

ثم أختتم البحث بخاتمة وذكرتها فيها أهم نتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ومن الله التوفيق.

المبحث الاول : مفهوم الرحمة في القرآن الكريم

المطلب الاول : المعنى اللغوي والاصطلاحي

الرحمة في اللغة العربية تأتي من الجذر "ر-ح-م"، وهو يشير إلى معاني اللطف والشفقة والبر. الرحمة تعني في الأصل العطف والرفق، وهو الإحساس بالشفقة نحو الآخرين والاهتمام بمصلحتهم وتخفيف معاناتهم. يُقال "رَحِمَ فلانٌ" أي أنه أظهر اللطف والعطف على الآخرين، بينما "رَحِمَهُ اللهُ" هي العطف الإلهي الذي يبال الخلق كله. وفي لسان العرب لابن منظور، جاء في تعريف "الرحمة": "الرَّحْمَةُ: الرِّأْفَةُ وَالْمَرْحَمَةُ، وَالرَّحْمَةُ تَرَادُفُ لِلرَّأْفَةِ وَالرُّوْفَةِ، وَالرَّحْمَةُ عَلَى الْوَاقِعِ لُطْفٌ فِي النَّفْسِ قَاصِدٌ إِلَى إِحْدَاثِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضَّرِّ".¹ إذن،

1- لسان العرب . ابن منظور . أبو جمال الدين محمد بن مكرم بن علي . الطبعة الاولى 1990 \ 7 \ 158

تُفهم الرحمة لغةً على أنها تعبير عن الشفقة والرقّة، وقد تحمل في طياتها معاني العطف والإحسان في كل موقف يظهر فيه الإنسان التعاطف مع غيره. بالنظر في المعاجم اللغوية نجد أن " الرأء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة يقال من ذلك : رحمه يرحمه اذا رق له وتعطف عليه والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى ¹ .

والرحم : هو بيت الذي ينبت به الولد ويكون مثل الوعاء داخلها ² , ومنها استعار لفظة الرحم للقرابة خروجها من رحم واحدة ³

وأما اصطلاحاً: للعلماء أقوال متقاربة في معنى الرحمة كلها تدور حول حالة من الرقة تقتضي إيصال اخليّر للمرحوم، وهذه بعض أقوالهم

قال الراغب الأصفهاني: "الرحمة رِقَّةٌ تقتضي الإحسان للمرحوم" ⁴

وقال ابن القيم: الرحمة هي صفة تقتضي بإيصال جميع المنافع المصالح إلى العباد ⁵

وقال أبو البقاء الكفوي: الرَّحْمَةُ هي تعتبر حالة وجدانية تعرض دائماً لمن به رقه القلب وتكون من خلال هذا مبدأ الى الانعطف النفسي الذي يكون هو مبدأ الاحسان ⁶

وعرفه الجرجاني هو " ارادة ايصال الخير " ⁷

وقيل أنها تعني رقة تقتضي من خلالها الاحسان الى المرحوم وتستعمل في عدة طرق نجدها تارة في الرقة المجردة من كل شي ونجدها تارة في الاحسان المجرد من الرقة فنجد أن مفهوم الرحمة يكون على أمرين هما الرقة والاحسان فإن الله عزوجل خلق في طباع الناس الرقة وتفرد بهم بالاحسان ⁸

وتعد الرحمة هي أحد الصفات الانسانية والتي تعبر عن الاحساس بالعطف تجاه الآخرين وأنها تتعبر حالة من التفاعل الذي يدفع الآخرين بشعور بألم الآخرين ومساعدتهم وأن الرحمة تعد ليست شعور داخلي بل نجد أنها سلوك عملي يتمثل في أفعال اللطف والمساعدة والاحسان .

من خلال مفهوم الرحمة تظهر قوة الانسان الحقيقية لانها تتجلى في قدرته على العطاء بدون أنتظار مقابل وفي تقديم المساعدة عند الحاجة وأن الرحمة لا تقتصر على الأفراد بل تشمل جميع المجتمعات وحتى الكائنات الاخرى مثل الحيوانات من هذا المفهوم نجد أن الرحمة تساعد على التعاون بين الناس مما يساعد في تعزيز التضامن الاجتماعي وتخفيف معاناة الفقراء والضعفاء .

وتعد الرحمة قيمة أساسية في كثير من الاديان والثقافات وتحت عليها بشكل مستمر وتمثل ركيزة أساسية لبناء عالم أكثر عدلاً ورحمة .

1- معجم مقياس اللغة . أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى 395هـ . المجلد الاول ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 498/2

2- ينظر: العين - الخليل بن أحمد الفريدي المتوفى سنة 170 هـ ، تحقيق ، الدكتور عبد الحميد هنداري ، الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 224 /3

3- ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، الشيخ عبد الروؤف محمد بن تاج العارفين المنأوى المتوفى 1031هـ ، حققه جلال الاسيوطي ، الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،

ص 36

4- المفردات في غريب القرآن . الراغب الاصفهاني . الناشر . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 347/1

5- اغائة اللفهان ، ابن قيم الجوزية . الناشر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 174 /2

6- ينظر: الكليات ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق ، د ز عدنان درويش و محمد المري ، مؤسسة الرسالة ، ص 471

7- التعريفات . للجرجاني ، الناشر ، دار الكتب العلمية ، ص 146

8- ينظر التوقيف على مهمات التعاريف ، ص 360 و ينظر : بصائر ذوى التمييز ، الفيروز آبادي ، الناشر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 53 /3

المطلب الثاني : تأثير الرحمة في العلاقات الانسانية

تعد الرحمة بين الناس من المفاتيح المهمة و الرئيسية لكسب القلوب الناس، وانتشار المحبة والود بينهم ، فمن المعلوم عدم توافر الرحمة يؤدي إلى فقدان الحياة الكريمة؛ لذلك كان للرحمة بين الناس أهمية عظيمة، مما يعني أن عدم الرحمة بالناس والرافة بهم؛ سوف تولد الضغينة بينهم والكره بينهم وعدم الطمأنينة، وفقدان الحياة الطيبة وفيما يأتي ذكرٌ لجملة من الأمور التي تبرز وتبين أهمية الرحمة بين الناس.

لقد أكد القرآن الكريم على مفهوم الرحمة والمودة بين الأزواج، وأنها قوام العلاقة بين الزوجين، وذلك في قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ¹ ورد ايضا مفهوم الرحمة والحث عليها في أعمال البيع والتجارة؛ وذلك في أشكالٍ وصورٍ متعدّدة، منها عدم جواز احتكار البائع لما عنده من السلع، أو أن يبيع بسعرٍ يفوق المعقول، بل يجب أن يراعي الظروف الاقتصادية التي تمرّ بها الأمة كما جاء مفهوم الرحمة في اجتماع الناس على الحق، لدخول دار الرحمة والبقاء، بالإضافة إلى ترك المعاصي والآثام والرحمة ركيزة بناء مجتمع متماسكٍ قويٍّ متوجّد؛ ودليل ذلك قوله النبيّ عليه الصلاة والسلام: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى) ² من مظاهر صدق انتماء المسلم للإسلام: الرحمة؛ بدليل قول النبيّ عليه الصلاة والسلام: (لَيْسَ مَثَلًا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا) ³

الرحمة في العلاقات الإنسانية تعد من أهم القيم التي تسهم في بناء وتعزيز الروابط بين الأفراد. فالرحمة تُعتبر أساساً للتفاهم والاحترام المتبادل، وهي عامل رئيسي في تخفيف الصراعات وتحقيق الاستقرار العاطفي والنفسي في العلاقات بين الناس. حين يتعامل الأفراد مع بعضهم البعض برحمة، يعبرون عن تعاطفهم واهتمامهم بالآخرين في أوقات الفرح والحزن، وهذا يعزز من شعور الآخرين بالأمان والانتماء.

بالإضافة إلى ذلك، لقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الرحمة في التعامل مع الآخرين، كما في قوله تعالى: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" ⁴ مما يعني أن الرحمة هي منهج متكامل يتطلب اللطف واللين في التعامل مع الآخرين.

ولقد جاء الخطاب القرآني بمفاهيم ذات أبعاد إنسانية عالمية، لا تنحصر فقط أثرها على طائفة المسلمين، بل يمتد ذلك الأثر ليشمل العالمين، وهي مفاهيم تكون متناثرة في القرآن المكي والمدني على السواء، كالعدل والتكريم والرحمة والحرية والإرادة.. وكل مفهوم منها ينطوي على مفاهيم مرادفة له، أو مجلية لمعناه، أو مقربة لتنزيله، أو مبددة لما يعارض استغراقه .

تعتبر من ضمن المفاهيم الإنسانية المشتركة، كما تكون ذات الحمولة العقيدية والأخلاقية، التي أودعها الله سبحانه وتعالى في خلقه لتنزل إثارة وإحساناً وإنعاماً ورعاية ويكون تنزلها يتأسس على قاعدة الوحدة والاتصال والتكامل الإنساني، لأن الذي يستشعر الوحدة المتكاملة والذي يعمل بالكاد على الاندماج مع الآخرين. فالإنسان يعد وحدة متكاملة في الأصل، وعليه

1- سورة الروم آية : 21

2- رواه مسلم , عن النعمان بن بشير , كتاب البر والصلة والآداب, باب التراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم , صحيح , 1999/4, 2586 رقم الحديث

3- رواه الألباني , في صحيح الترمذي , عن عبدالله بن عمرو شعبة , صحيح , 1920 رقم الحديث

13-سورة البقرة : 83

أن يستثمر إحساسه بالآخرين وإحساس الآخرين به، استثماراً يمكن من تنزيل صفات الجمال والجلال أفعالاً وسلوكاً وتصرفات، تعود بالنفع والخير عليه وعلى غيره¹. الرحمة هي إحدى أسمى القيم التي يدعو إليها الدين الإسلامي، وتعتبر من المبادئ الأساسية التي تساهم في بناء علاقات إنسانية صحية ومستدامة. في الواقع، لا تقتصر الرحمة على مجرد الشعور بالشفقة أو العطف تجاه الآخرين، بل هي سلوك يتجسد في التعاملات اليومية ويظهر التعاون والتفاهم بين الأفراد. الرحمة تخلق بيئة من التسامح وتعمل على تقوية الروابط الاجتماعية بين الناس، مما يساهم في الحد من التوترات والصراعات، في إطار العلاقات الإنسانية، تؤثر الرحمة بشكل كبير في تعزيز الثقة المتبادلة بين الأفراد، حيث يشعر كل طرف بالاهتمام والدعم من الآخر. هذا التفاعل الرحماني يؤدي إلى خلق بيئة نفسية إيجابية تساعد على بناء علاقات قائمة على التفاهم والاحترام المتبادل، وهو ما يساهم في تحقيق التوازن الاجتماعي. كما أن الرحمة تعتبر عاملاً محورياً في تقوية العلاقات الأسرية بين الزوجين² أو بين الأبوين والأبناء، حيث تعزز من مشاعر الأمان والطمأنينة، وتحد من المشاكل الأسرية الناجمة عن التوترات والضغوط اليومية، علاوة على ذلك، تلعب الرحمة دوراً أساسياً في معالجة الخلافات والتحديات التي قد تنشأ بين الأفراد في المجتمع. فعندما يُظهر الأشخاص رحمة تجاه بعضهم البعض، يسهل عليهم التوصل إلى حلول سلمية وفعالة للنزاعات، مما يساهم في تجنب العنف أو التطرف. في هذا السياق، تظهر الرحمة كأداة قوية للحفاظ على السلم الاجتماعي وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع.

المبحث الثاني : الرحمة في القرآن الكريم ومواجهة التطرف والعنف

المطلب الأول : كيف يتعامل القرآن الكريم مع ظواهر التطرف والعنف من خلال الرحمة نجد أن القرآن الكريم يتعامل مع ظواهر التطرف والعنف من خلال مفهوم الرحمة كقيمة أساسية تُوجه سلوك الأفراد والمجتمعات، ويركز على الدعوة إلى التفاهم، التسامح، والإحسان في التعامل مع الآخرين. في القرآن الكريم، نجد العديد من الآيات التي تؤكد على أن الرحمة هي طريق لتحقيق التوازن الاجتماعي والروحي، وبالتالي هي علاج رئيسي للتطرف والعنف. وفيما يلي بعض النقاط التي تبرز كيف يعالج القرآن الكريم هذه الظواهر.

1- التأكيد على الرحمة كصفة لله ورسوله، يبدأ القرآن بتأكيد أن الله سبحانه وتعالى هو "الرحمن الرحيم"، وهذا يوضح أن الرحمة هي صفة إلهية أساسية، وهي سمة يجب أن يتحلى بها المؤمنون. كما في قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"³ و يوضح القرآن أن النبي محمد (ﷺ) كان مرسلًا ليكون مصدر رحمة للعالمين، وليس للتحريض على العنف أو التطرف.

2- دعوة إلى التسامح وعدم العنف، القرآن الكريم يدعو إلى التعامل مع الآخرين بروح من التسامح، وتجنب العنف والتطرف. في قوله تعالى: "فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"⁴ و يُحث المسلمون على العفو والصفح في حالات الخلافات، مما يعزز مفاهيم التسامح ويحد من ظواهر دوافع العنف ..

1- ينظر : مجلة مجلة حوار ، الرحمة في أبعادها الإنسانية ، العدد 74، <https://hiragate.com/about-hira> تاريخ 2025\3\6

15-ينظر : التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الناشر ، دار التونسية للنشر ، تونس ، سنة النشر ، 1984 هـ ، 21 \ 71

3- سورة الانبياء : 107

4- سورة البقرة : 109

3- و رفض القتل والعدوان. في القرآن الكريم، هناك تأكيد شديد على حرمة قتل النفس بغير حق، وذلك في سياق نبذ العنف المفرط. يقول الله تعالى في سورة النساء " وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَةٍ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُنْتَوِرًا" ¹ حيث يُمنع التطرف والعنف بكل أشكالهما، ويؤكد على أن العدوان غير مبرر ولا يمكن تبريره بأي شكل من الأشكال ..

4- التوجيه نحو الحوار والتفاهم , القرآن الكريم يشجع على الحوار والتفاهم بين الناس، وخاصة في الحالات التي قد يؤدي فيها الجهل أو الانغلاق إلى العنف. في قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ² , يُظهر القرآن كيف يمكن التغلب على الاختلافات عن طريق الحوار البناء، وليس عبر التطرف أو العنف.

5- التعامل مع المخالفين برفق . القرآن لا يوصي بالتطرف أو القسوة مع المخالفين في الدين أو الفكر. بل يحث على الرحمة والرفق حتى في التعامل مع الأعداء. في قوله تعالى: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقُلُوبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" ³ , يعبر القرآن عن أهمية الرحمة في التعامل مع الآخرين، خاصة في المواقف التي تتطلب الصبر والحكمة

6- العدل مع الرحمة . القرآن يوازن بين العدل والرحمة، ويؤكد أن العدالة لا تعني القسوة أو الظلم، بل هي جزء من الرحمة. في قوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلُوا أَيْمَانَكُمْ دُخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قُلُوبُكُمْ" ⁴ يشير القرآن إلى أهمية الحفاظ على العدالة مع إظهار الرحمة والمغفرة، مما يحارب الميل إلى التطرف والعنف ..

7- دور الرحمة في ازالة التطرف في العديد من الآيات، يشير القرآن إلى أن التطرف والعنف لا يتناسبان مع قيم الدين الإسلامي. فالرحمة والعفو أفضل في التعامل مع الخلافات من العنف والعدوان، وهو ما يُظهره القرآن بشكل جلي في آياته الكثيرة. يُمكن أن نرى في قصة النبي محمد ﷺ مع أهل مكة مثالا على الرحمة والتسامح، عندما عاد إلى مكة فاتحاً بعد سنوات من الاضطهاد، فاختار العفو بدلاً من الانتقام ..

8- دور القرآن في الدعوة الى الاسلام , يُعتبر القرآن دعوة للسلام والرحمة، وهو يعلم المسلمين كيف يعاملون الناس بسلام بدلاً من العنف. في قوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ⁵ يدعو القرآن إلى إصلاح العلاقات بين الناس وتجنب العنف.

القرآن الكريم يعالج ظواهر التطرف والعنف من خلال تعزيز قيم الرحمة، التسامح، الحوار، والعدالة. يدعو إلى التحلي بالرفق والعفو ويشجع على التفاهم بين الناس مهما كانت اختلافاتهم. ومن خلال هذه المبادئ القرآنية، يتم القضاء على التوترات والصراعات وتعزيز السلام الداخلي والاجتماعي.

1- سورة النساء : 29

2- سورة النحل : 125

3- سورة آل عمران : 159

4 - سورة التحريم : 2

5- سورة الحجرات : 10

القرآن الكريم يتعامل مع ظواهر التطرف والعنف من خلال التأكيد على قيم الرحمة، ويعكس ذلك في العديد من التوجيهات التي تدعو إلى السلام والاعتدال في التعامل مع الآخرين. الرحمة هي جوهر الرسالة الإسلامية التي تدعو إلى التعامل بالرفق والمودة مع كافة الناس، حتى في الحالات التي قد تنشأ فيها خلافات أو نزاعات.

التطرف والعنف غالبًا ما ينشأ من عدم الفهم السليم للدين أو من التغاضي عن القيم الإنسانية الأساسية مثل التسامح والمساواة. ومن هنا، يأتي دور القرآن في تصحيح المفاهيم وتوجيه الناس إلى أن الرحمة والتفاهم هما أساس العلاقة بين البشر. يركز القرآن على أن العنف لا يتماشى مع الطبيعة الحقيقية للدين، الذي يدعو إلى احترام كرامة الإنسان وحرية في الاعتقاد، القرآن الكريم هو المصدر الأساسي الذي يسترشد به المسلمون في حياتهم اليومية، ويحتوي على العديد من المبادئ التي تدعو إلى الرحمة والاعتدال. إن واحدة من أبرز سمات القرآن الكريم هي الرحمة، والتي تظهر في خطابه المختلفة وتوجيهاته المتعددة للمؤمنين. عندما يتعلق الأمر بظواهر التطرف والعنف، فإن القرآن الكريم لا يقتصر على تحريمهما فحسب، بل يظهر بشكل واضح كيف يجب أن تكون الرحمة هي الأساس في التعامل مع أي تحديات قد يواجهها الإنسان في حياته في البداية، يُظهر القرآن أن الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم¹، وهذه صفة أساسية لله في القرآن الكريم. من خلال هذا السياق، يوجه القرآن المسلمين إلى الاقتداء بهذه الرحمة في تعاملاتهم مع الآخرين، مما يعزز من فكرة التعايش السلمي بين الناس. على الرغم من أن بعض الآيات تتعلق بالجهاد أو الدفاع عن النفس، إلا أن التفسير الصحيح لها يُظهر أن الغاية منها هي الدفاع عن الحق وليس التعدي على الآخرين القرآن يحرص على توجيه المسلمين إلى التعامل بالرحمة والرفق، سواء مع المؤمنين أو مع غيرهم². حتى في حالات النزاع أو الصراع، يدعو القرآن إلى حل الخلافات بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يتم اللجوء إلى العنف إلا في أضيق الحدود. فالتطرف، الذي قد يترجم إلى العنف أو استخدام القوة، هو بعيد عن روح الإسلام التي تدعو إلى التسامح والرحمة. على سبيل المثال، فإن توجيه القرآن إلى عدم الاعتداء على النفس البشرية، وعدم قتل الأبرياء إلا في الحالات التي يتطلب فيها الأمر الدفاع المشروع، يعكس فلسفة الإسلام في الحفاظ على حياة الإنسان علاوة على ذلك، يُظهر القرآن الكريم أن الدعوة إلى السلم والتفاهم بين الناس هي من أولويات الإسلام، فحتى في حالات الحرب، يُحرم الاعتداء على المدنيين أو غير المقاتلين. كما أن الرحمة ليست مقتصرة فقط على المسلمين، بل إن القرآن يدعو إلى الرحمة تجاه جميع البشر بغض النظر عن دياناتهم أو عرقهم من خلال هذه التوجيهات القرآنية، يمكن فهم كيف أن القرآن الكريم يقدم نموذجًا متكاملًا للتعامل مع ظواهر التطرف والعنف، حيث يتضح أن الطريق الوحيد للتغلب على هذه الظواهر هو من خلال الرحمة والاعتدال في التعامل مع الآخرين، وتجنب العنف في جميع جوانبه .

1- ينظر : العذب النميز من مجالس الشنقيطي في التفسير ، للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، تحقيق ، خالد بن عثمان السبت ، اشراف ، بكر بن عبدالله ابو

زيد ، الناشر ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، 403 \2

2- ينظر : الرحمة في القرآن الكريم ، د. أنور محمود المرسي خطاب ، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الاسلام ، كلية التربية ، ص 18

المطلب الثاني : التفسير القرآني وأثره في مواجهة التطرف
التفسير القرآني يعد من الأدوات الأساسية لفهم النصوص القرآنية بشكل صحيح، ويعزز القدرة على مواجهة ظواهر التطرف والعنف في المجتمع. من خلال تفسير القرآن الكريم، يتم فهم رسالته في الدعوة إلى السلام، التعايش، والتسامح بين البشر. ويعمل التفسير على توضيح السياقات التي وردت فيها الآيات المتعلقة بالعنف والتعامل مع المخالفين، مما يساهم في تجنب سوء الفهم والتحريف الذي قد يؤدي إلى التطرف.

أثر التفسير القرآني في مواجهة التطرف والعنف: التفسير القرآني يعزز فهم القرآن كدستور حياة قائم على العدالة والرحمة. العديد من الآيات التي قد يتم تحريف معناها في سياقات متطرفة يتم تفسيرها بشكل صحيح في ضوء المعاني الأصلية للنصوص. التفسير الجيد للآيات القرآنية المتعلقة بالحروب أو التعامل مع المخالفين يدعو دائماً إلى الاعتدال والرحمة، بل ويشدد على أن العنف يجب أن يكون في أضيق الحدود، وأن هدف المسلم هو الدفاع عن النفس أو المجتمع وليس الاعتداء على الآخرين .

تُعد التفسيرات القرآنية من أهم الوسائل لفهم معاني القرآن الكريم على النحو الصحيح، حيث أنها تساهم في إبراز القيم الإنسانية النبيلة التي يدعو إليها الإسلام. في عصرنا الحالي، يواجه المسلمون العديد من المحاولات لتفسير القرآن الكريم بشكل خاطئ بهدف تبرير التطرف والعنف. لكن التفسيرات المعتمدة على منهج علمي دقيق تبرز الرحمة، العدل، والسلام كقيم أساسية في الشريعة الإسلامية، التفسير القرآني الصحيح يعزز من فهم النصوص في سياقها الزمني والتاريخي، مما يساعد على تطبيق مبادئ الشريعة في الحياة المعاصرة بطريقة معتدلة. علاوة على ذلك، فإن العديد من التفسيرات تجدد دعوتها للتعامل مع الآخر، حتى لو كان مخالفاً في الدين أو الرأي، بالرحمة والتفاهم، وتدعو إلى الحوار والتعاون بدلاً من العنف والصراع، التفسير الصحيح يوضح أن العنف في الإسلام له حدود واضحة ويجب أن يُمارس فقط في أضيق الحدود، في سياق العدالة، وليس بشكل عشوائي أو انتقامي، كذلك، التفسير القرآني يساعد في فهم كيفية تعامل المسلمين مع الآخر، سواء كان مخالفاً في الدين أو العرق أو الثقافة. ويظهر القرآن من خلال التفسير أنه لا يجوز قسر الآخرين على اعتناق الإسلام أو فرض أية أفكار بالقوة، بل يدعو دائماً إلى التعايش السلمي والحوار المثمر ضد الأفكار المتطرفة¹.

يُعتبر التفسير القرآني أداة حيوية لفهم النصوص القرآنية في سياقها الحقيقي. في ظل ما نشهده اليوم من تفسيرات متطرفة ومغلوبة لبعض الآيات القرآنية، تظهر أهمية دور التفسير الصحيح في توجيه الفهم السليم لتعاليم الدين الإسلامي. من خلال التفسير المعتمد على منهج علمي وأكاديمي، يتمكن المسلمون من فهم جوهر القيم التي يدعو إليها القرآن، مثل التسامح والعدالة والرحمة.

التفسير القرآني يُظهر أن الإسلام دين وسطي، حيث يدعو إلى الاعتدال في جميع جوانب الحياة، بما في ذلك في التعامل مع الآخرين. القرآن الكريم يرفض التطرف في الفكر والسلوك، حيث أن الإسلام يحرص على حماية حقوق الإنسان، ويحث على التعامل بالحسنى مع الآخرين، حتى مع أولئك الذين يختلفون في الدين أو العرق. من خلال التفسير، يمكن فهم

1- ينظر: نبذ التطرف الديني من منظور القرآن الكريم والسنة، أ. م. د. سر دار رشيد حمه صالح البينجوني، جامعة السليمانية، وقائع المؤتمر الدولي الثالث للقضايا القانونية، ص

أن الإسلام يهدف إلى بناء مجتمع يسوده السلام والتعاون، ويعزز العلاقات الإنسانية بين مختلف الأديان والثقافات.

يعد التفسير القرآني أداة هامة لفهم النصوص القرآنية في سياقها الحقيقي والواقعي، ويمثل الأساس لفهم تعاليم الدين الإسلامي بشكل صحيح. من خلال التفسير الدقيق، يمكن إظهار الرحمة، والعدالة، والاعتدال كقيم أساسية في الإسلام، مما يساهم في تصحيح المفاهيم المغلوطة التي قد تقود إلى التطرف أو العنف. التفسير السليم يوضح أن الإسلام لا يبرر العنف بأي حال من الأحوال وأن الجهاد في الإسلام يُعتبر وسيلة للدفاع المشروع عن النفس أو الأمة وليس أداة للاعتداء أو القتل، في الواقع، العديد من النصوص القرآنية التي قد يستند إليها المتطرفون لتبرير أفعالهم يتم فهمها بشكل خاطئ عندما لا يتم النظر إليها في سياقها التاريخي والظرفي. التفسير القرآني الصحيح يشدد على أن الإسلام دين الاعتدال، يدعو إلى التسامح مع المخالفين في الرأي والدين، ويوجه المسلمين إلى حل النزاعات بالحوار وليس بالعنف. الإسلام كدين يتسم بالوسطية، حيث تدعو تعاليمه إلى بناء مجتمعات قائمة على التعايش السلمي والمساواة. آيات القرآن التي تتعلق بالقتال في معارك دفاعية تتطلب تفسيراً دقيقاً؛ إذ أن القتال في الإسلام مشروط بحالات دفاعية معينة ولا يمكن استغلاله كمبرر لأي نوع من الاعتداء. لذلك، يُعد التفسير الصحيح للقرآن هو الأداة الأكثر فعالية لمواجهة أي تفسيرات متطرفة قد تروج للعنف تحت ستار الدين.

من خلال الفهم الصحيح للتفسير القرآني، يمكن تجنب التفسيرات الخاطئة التي تحرف النصوص القرآنية وتستخدمها لتبرير أفعال غير مشروعة. التفسير العلمي والدقيق للقرآن يساعد في نشر قيم الإسلام الحقيقية، مما يساهم في مقاومة التطرف والعنف ويعزز من السلم المجتمعي بين مختلف الأديان والثقافات والتعايش بينهم¹.

التفسير القرآني هو الوسيلة الأساسية لفهم الرسالة الحقيقية التي يحملها القرآن الكريم. و دور التفسير في مواجهة التطرف والعنف لا يتوقف عند مجرد توضيح معاني الكلمات أو الآيات، بل يتعدى ذلك ليشمل فهم السياقات التي وردت فيها الآيات، خاصة تلك التي قد يُساء فهمها أو استخدامها بشكل مغلوط. عندما يتم تفسير القرآن بشكل صحيح، يُمكن إظهار أن الإسلام دين يرفض العنف بشكل قاطع، ويعزز من قيم السلم، التسامح، والاعتدال العديد من الأفعال العنيفة التي قد يبررها المتطرفون باستخدام بعض الآيات القرآنية يتم تبريرها دون مراعاة للسياق التاريخي والتشريعي. لكن التفسير السليم لهذه الآيات يكشف أن الإسلام ليس ديناً يدعو إلى العنف، بل ديناً يدعو إلى حماية النفس والمجتمع، وتحقيق العدل والسلام. الآيات المتعلقة بالجهاد، على سبيل المثال، لا تدعو إلى الاعتداء أو القتل، بل تتعلق بالدفاع المشروع عن النفس ضد الظلم. الفهم الصحيح لهذه الآيات هو ما يساهم في التصدي للأفكار المتطرفة التي تستغل الدين لتبرير أفعال العنف، القرآن الكريم يشير بوضوح إلى أن العنف يجب أن يكون في أضيق الحدود، وعلى سبيل المثال، يُحرم قتل النفس بغير حق، ويشدد على العدل والمساواة بين الناس. عندما يتم تفسير هذه المبادئ في سياق العصر الحديث، يبرز دور التفسير في تعزيز الفهم السليم للإسلام كدين يدعو إلى التعاون والتعايش السلمي بين الشعوب، على اختلاف أديانهم وعقائدهم، أيضاً، و يقدم التفسير القرآني الصحيح

1- ينظر: التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة، د. نادر محمود حسن، أبحاث ووقائع المؤتمر العام السابع والعشرين، مصر، ص 12

نموذجاً للتعامل مع الآخرين، حتى وإن اختلفوا في الدين أو الثقافة، حيث يدعو القرآن إلى اللطف والرحمة في المعاملات، ويحث على العفو والتسامح، بدلاً من التصعيد أو الرد بالعنف. لذا، يُعتبر التفسير القرآني وسيلة أساسية لمكافحة التطرف الفكري والعنف، من خلال تعزيز قيم الرحمة والعدل في المجتمع وحل جميع أمور الحياة المعاصرة¹.

هناك العديد من الآيات القرآنية التي تُعطي إرشادات حول كيفية مواجهة التطرف والعنف من خلال التفسير الصحيح والمعتدل للقرآن. وهناك بعض المفاهيم الأساسية التي يمكن استخراجها من القرآن وتُعتبر أساساً في التصدي للتطرف.

1- التأكيد على الاعتدال والوسطية: القرآن الكريم يدعو إلى الوسطية والاعتدال في الدين، بعيداً عن الإفراط والتفريط. الله سبحانه وتعالى قال في سورة البقرة "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ".² هذه الآية تشير إلى أن الأمة الإسلامية يجب أن تتبع طريق الوسطية والاعتدال، وهو مفهوم مهم في مواجهة التطرف.

2- التأكيد على الحوار والتفاهم: في القرآن، يتم تحفيز المؤمنين على الحوار والتفاهم مع الآخرين، بدلاً من اللجوء إلى العنف. قال الله سبحانه وتعالى في "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ".³ هذه الآية تشجع على استخدام الحكمة والجدال بالتي هي أحسن في التعامل مع الخلافات.

3- الرفض الكامل للعنف والتطرف: القرآن يدين العنف غير المبرر ضد الأبرياء ويُشدد على أن المؤمنين لا يجب أن يعتدوا إلا في حال الدفاع عن النفس. في يقول الله تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ".⁴ هذه الآية تُظهر أن الإسلام يرفض أي شكل من أشكال الاعتداء أو التطرف.

4- التأكيد على التعايش السلمي والاحترام للآخرين: القرآن الكريم يعزز من قيمة التعايش السلمي مع الآخرين حتى مع اختلاف الديانات والمعتقدات. قال الله تعالى: "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ".⁵ هذه الآية تدل على احترام اختلاف الأديان والمعتقدات، وهي دعوة للسلام والتعايش المشترك.

5- احترام حرية الآخرين واختلاف المعتقدات: القرآن الكريم يشدد على احترام الاختلافات في الدين والمعتقدات، ويُظهر أن إكراه في الدين. قال الله تعالى " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " ⁶ هذه الآية تؤكد أن الإسلام لا يفرض الإيمان بالقوة أو العنف، بل يترك للناس حرية الاختيار في إيمانهم.

6 التركيز على الرحمة , الإسلام يعتبر الرحمة قيمة أساسية، وقد وردت العديد من الآيات التي تدعو إليها. قال الله تعالى في سورة الأنبياء

1- ينظر: الازهاب الفكري الأسباب , الآثار , العلاج , دراسة في ضوء القرآن الكريم , عبد الصبورة أحمد محمود الأنصاري . المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة ,

العدد 1 , 2019. ص 26

2 - سورة البقرة : 143

3- سورة النحل : 125

4- سورة البقرة : 190

5- سورة الكافرون : 6

6- سورة البقرة : 256

هذه الآية تظهر أن النبي محمد ﷺ كان بعثه رحمة للعالمين، مما يعكس جوهر الإسلام الذي يدعو إلى الرحمة والعطف، وليس إلى العنف أو التطرف.
"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"

7- النهي عن التفرقة والعصبية - القرآن الكريم ينهى عن التفرقة والعصبية على أساس العرق أو الأصل، ويظهر أن الناس جميعًا متساوون في الإنسانية. ² "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا".
من خلال هذه الأدلة القرآنية، نرى أن التفسير السليم للنصوص القرآنية يرفض التطرف والعنف ويؤكد على القيم الأساسية مثل الرحمة، التعايش السلمي، والاعتدال.

الخاتمة

لقد تناولنا في هذه الدراسة مفهوم الرحمة في القرآن الكريم، وكيفية تفاعل هذه القيمة الإنسانية العميقة مع مفاهيم العنف والتطرف. يتضح من خلال التفسيرات القرآنية أن الرحمة هي صفة الله التي ينبغي للمؤمنين الاقتداء بها في تعاملاتهم اليومية، وأنها تعد الأساس الذي يقوم عليه بناء مجتمع متماسك وآمن. كما أظهرت الدراسة أن القرآن الكريم يحث على نشر الرحمة والمحبة بين الناس والتعامل مع الآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة، مما يعارض تمامًا الفكر المتطرف الذي يسعى لتشويه مفهوم الدين والتصرف بعنف.

لقد بينت الدراسة أن العنف والتطرف ليس لهما أساس في تعاليم القرآن الكريم، وأن التفسيرات الصحيحة لنصوص القرآن يجب أن تركز على معاني الرحمة والتسامح، وأن تعزيز هذا الفهم يعد أداة فعالة لمواجهة الظواهر السلبية مثل العنف والتطرف لذلك من خلال دراستي لهذا الموضوع لقد خرجت بعدد من النتائج والتوصيات منها .

النتائج

الرحمة هي أساس التعامل في القرآن الكريم، وقد وردت في العديد من الآيات بشكل يعكس شمولها لكل جوانب الحياة. 1

العنف والتطرف لا يتوافقان مع القيم الإسلامية الحقيقية كما يعكسها القرآن الكريم. 2
هناك حاجة ملحة لتفسير القرآن بشكل يعزز من مفاهيم التسامح والرحمة، والتفاعل البناء مع الآخرين. 3

يجب على المجتمع الإسلامي أن يسعى لنشر المفاهيم الصحيحة للدين والتوعية بأهمية الرحمة في مواجهة التشدد .

التوصيات

ضرورة تعزيز التعليم الديني الذي يركز على القيم الإنسانية والرحمة، وابتعد عن تفسيرات متشددة قد تساهم في نشر العنف. 1

تشجيع العلماء والباحثين على تقديم دراسات تفسيرية حديثة تبرز معاني الرحمة في القرآن الكريم وتعزز من مكافحة التطرف. 2

العمل على تعزيز قيم التسامح في المؤسسات الدينية والتعليمية والاجتماعية. 3
بناء برامج توعوية تهدف إلى تقوية وعي المجتمع حول معاني الرحمة في الإسلام وتشجيع أسلوب الحوار البناء بين الأفراد. 4

1- سورة الانبياء : 107

2- سورة الحجرات : 13

وبهذا نكون قد عرضنا الأسس التفسيرية لمفهوم الرحمة في القرآن الكريم ومدى تأثيرها في مواجهة العنف والتطرف، مؤكداً على ضرورة العمل المستمر لتعزيز هذه القيم في المجتمع .

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته دراسة من منظور الكتاب والسنة , د.نادي محمود حسن , ابحاث ووقائع المؤتمر العام السابع والعشرين , مصر .
- 3- الارهاب الفكري الأسباب , الآثار , العلاج , دراسة في ضوء القرآن الكريم , عبد الصبورة أحمد محمود الأنصاري . المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة , العدد 1 , 2019.
- 4- التعريفات . للجرجاني , الناشر , دار الكتب العلمية .
- 5- الرحمة في القرآن الكريم , د. أنور محمود المرسي خطاب , المؤتمر الدولي عن الرحمة في الاسلام , كلية التربية .
- 6 - العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة 170 هـ , تحقيق , الدكتور عبد الحميد هنداوي , الناشر , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .
- 7 - التوقيف على مهمات التعاريف , الشيخ عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين المناوي المتوفى 1031 هـ , حققه جلال الاسيوطي , الناشر , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .
- 8- المفردات في غريب القرآن . الراغب الاصفهاني . الناشر . دار المعرفة , بيروت , لبنان.
- 9 - اغاثة اللهفان , ابن قيم الجوزية . الناشر , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- 10- الكليات , أبو البقاء الكفوي , تحقيق , د ز عدنان درويش و محمد المري , مؤسسة الرسالة .
- 11- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص 360 .
- 12- البر والصلة والادب ، النعمان بن بشير , باب التراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم , صحيح , 4\1999 , 2586 رقم الحديث.-
- 13- التحرير والتنوير , محمد الطاهر ابن عاشور , الناشر , الدار التونسية للنشر , تونس , سنة النشر , 1984 هـ .
- 14- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير , للشيخ العلامة محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي , تحقيق , خالد بن عثمان السبت , اشراف , بكر بن عبدالله ابو زيد , الناشر , دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .
- 15- بصائر ذوي التمييز , الفيروز آبادي , الناشر , المكتبة العلمية , بيروت.
- 16- نبذ التطرف الديني من منظور القرآن الكريم والسنة , أ. م . د سر دار رشيد حمه صالح البينجويني , جامعة السليمانية , وقائع المؤتمر الدولي الثالث للقضايا القانونية .

- 17- صحيح الترمذي ، عن عبدالله بن عمرو شعيب , صحيح , 1920 رقم الحديث .
- 18- مجلة حواء , الرحمة في أبعادها الانسانية , العدد 74, <https://hiragate.com/about-hira> تاريخ 2025\3\6 .
- 19 - معجم مقياس اللغة . أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى 395 هـ المجلد الاول , دار الكتب العلمية , بيروت - لبنان .
- 20 - لسان العرب . ابن منظور . أبو جمال الدين محمد بن مكرم بن علي . الطبعة الاولى 1990 هـ .

دور المرأة المسلمة في محاربة التطرف

م.م. ايمان عامر عيدان

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.
يُعد الإسلام دين الرحمة والسلام، وقد جاء لهداية البشرية وإنقاذها من مختلف أشكال الانحرافات الفكرية والعاطفية والسلوكية، وذلك من خلال إعداد العقول والقلوب والإرادات للاستجابة الواعية للقيم والمفاهيم الإلهية، بما يُفضي إلى سلوكٍ إيجابي يُجسد هذه القيم في الواقع من غير إكراه أو إجبار. فالإسلام يسعى لإحداث تغيير إيجابي مثمر يطور العقل ويمنحه حرية التفكير، بعيداً عن الجمود أو التحجر.
لقد أسهمت التفسيرات الخاطئة لبعض آيات القرآن الكريم وسوء الفهم لبعض ألفاظه في تشويه صورة الإسلام، مما أدى إلى بروز تيارات متطرفة تبنت تصورات منحرفة باسم الدين، مثل خوارج الأمس وداعش اليوم. وهذه التيارات لم تنشأ من فراغ، بل كانت نتاجاً لتعطيل العقل ورفع قدسية الأفراد إلى مستوى العصمة، مما أخرجهم من دائرة النقد والمساءلة.

ومن هنا، فإن من الضروري تجاوز الجمود العقلي، وعدم التوقف عند تفسيرات السابقين، بل مواصلة البحث والتدبر في كتاب الله تعالى بوصفه معجزة خالدة تصلح لكل زمان ومكان. فالقرآن الكريم نص ثابت، غير أن عمق فهمنا له وسعة إدراكنا تتطور مع تطور الزمن. لذلك، تقتضي الحاجة إعادة النظر في منظومتنا الفكرية، ومراجعتها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واستلهام سيرة النبي الأعظم بعيداً عن تأثيرات السرديات التاريخية المتفرقة، التي كثيراً ما تؤدي إلى التفرقة بدلاً من الوحدة.

المبحث الأول.. اسباب التطرف.الظلم.

أن من أهم الأسباب التي تصد عن الحق والتعصب للرأي الآخر. بل عدم تقبل حياة اصلا لأخيه وشريكه في هذه الدنيا أو يتخيل بعقله المريض وجوده اصلا مضر والقضاء عليه مثل القضاء على الأعشاب الضارة في عقول المتحجرة هو.

ظلم الناس بعضهم بعضاء والجمع الزمن بحرقه العدل والإحسان الاسلام الدين الذي يلزم الأمن بتطبيق خالي - يضمن الناس العدالة الثانية ا ويضع كل فرد تحت طلبه بالكرامة والأمين لا فرق في ذلك بي عربي أو جميعا ويقول فمن يعمل مثقال ذرة غير لمحمي أبيض أو ملون صغير أو كى فلم از غني ويضمن قسم عقولهم عمانية ومن يعمل المال فيه في (الزلزلة)

مكانا يعالج الإسلام الظلم لو كان المجتمع المؤمن قائما وأما لو لم يكن فإن المؤمن يتمتع أيضا بالكرامة والأمن في ظل المجتمع الجاهلي ذلك لانه لا يظلم أحدا أبدا.

ومن لا يظلم لا يظلم، ولو أنه ظلم، فلأنه يحسب مطلعه عبد الله فإن لقاء سوف يخفف كثيرا لأن هناك فرقا نفسيا كبيرا بين من يعلم بأن بعد هذه الحياة يوما ينتقم الله من الظالم أضعافا

مضاعفة، ومن لا يعلم ذلك فإن الأول يستسلم لما لا بد منه راضيا بالانتقام الأجل بينما يحترق الثاني بنار الحقد والقلق الذي لا مناص له منها، هذا فيما إذا كان الظالم أقوى منه وإن كان. أضعف فمن خصال المؤمن العفو عمن ظلمه، وهذا العفو تنازل اختياري عن الحمل المشروع فلا يكون شقاء عليه .. إذا فالإيمان يجنب الإنسان من الشفاء المتسبب عن مظالم الناس بعضهم لبعض بطرق ثلاثة:

تشريع نظم تضمن للناس - كل الناس - حقوقهم العادلة.
تحريم الظلم الفردي مهما كان صغيرا ورد المظالم مهما كانت حقيرة.
تسليية النفس المؤمنة بالرضا لما لا بد منه في انتظار يوم القيامة أو العفو عن الظالم لمن انتصر على الظالم، وهذه معالجة نفسية، وتلك معالجة خارجية عامة والخاصة.
في الحديث، قال رسول الله (ص): (ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك، وإن تصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك، وفي التباغض الحالقة، لا أمة مألقة الشعر ولكن خالفة الدين). (١).
(١) مستدرک الوسائل ، کتاب الحج ، ابواب احکام العشرة ، الباب ٩٦ ، ج ١

المبحث الأول: أسباب التطرف - الظلم

يُعد الظلم من أبرز الأسباب التي تُقضي إلى ظهور التطرف في المجتمعات، إذ يدفع بالإنسان إلى التحيز الأعمى لرأيه، ورفض الآخر جملة وتفصيلاً، بل قد يصل إلى تصوّر وجود الطرف الآخر كخطرٍ ينبغي اجتثاثه، تماماً كما تُستأصل الأعشاب الضارة في الزهرة المتحجرة. إن غياب العدالة الاجتماعية، وتراكم المظالم بين الناس، يمثل أرضاً خصبةً لانتشار الفكر المتطرف والتعصب.

لقد جاء الإسلام ليؤسس مجتمعاً يقوم على قيم العدل والإحسان، ويوفّر الأمن والكرامة لجميع أفرادهِ دون تمييز بين عربي أو أعجمي، غني أو فقير، أبيض أو أسود. فمعيّار التفاضل في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح، كما جاء في قوله تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره" [الزلزلة: 7]. وبذلك يضمن الإسلام العدالة الشاملة، ويُخضع الجميع لمبدأ المساواة في الحقوق والواجبات.

ويُعالج الإسلام الظلم من خلال منظومة متكاملة، تبدأ بإرساء تشريعات تضمن الحقوق العادلة لكافة أفراد المجتمع، وتحريم جميع أشكال الظلم الفردي والجماعي مهما كانت درجته، مع التأكيد على ضرورة ردّ المظالم إلى أهلها. كما يقدّم الإسلام معالجة نفسية عميقة للمظلوم، من خلال تعزيز الإيمان بيوم الحساب، ما يُخفف من آثار الظلم النفسية؛ إذ يوقن المؤمن بأن الله سيقصص من الظالمين في الآخرة، مما يمنحه سكينه ورضاً داخلياً، ويحول دون احتراقه بنيران الحقد والقلق.

أما في حال كان الظالم أضعف من المظلوم، فإن من خصال المؤمن أن يعفو، وهذا العفو لا يُعد ضعفاً بل خياراً نابغاً من قوة داخلية وروحية، وهو إسقاط اختياري لحق مشروع، يُنقذ صاحبه من مشاعر الشقاء والضعينة.

وبذلك فإن الإيمان بالله، والاعتقاد بعدالة الله في الآخرة، يجنّب الإنسان الكثير من الآثار النفسية السلبية الناتجة عن مظالم البشر، من خلال ثلاث آليات:
سنّ تشريعات تضمن الحقوق العادلة لكل الناس.

تحريم الظلم بكافة أشكاله، وردّ المظالم مهما كانت. تهدئة نفس المظلوم بالصبر والرضا انتظاراً للعدالة الإلهية، أو اختيار العفو كقيمة سامية. وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "ألا أخبركم بخير خلق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك، وأن تصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك. وإن التباغض هو الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين" (١) (مستدرك الوسائل، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب ٩٦، ج ١٢).

الكل يشعرون ، ما عدا أقلية لا أهمية لها ، أنهم يعاملون معاملة حسنة ، زادت الفرق بين شعور الانسجام والرضى في الأمة الإسلامية وشعور الفلق في مكة ، ولاشك أن ذلك اثر في كثير من الناس وجذبهم إلى محمد (١).

وقال أيضاً: حتى إذا ما بدت علامات التحلل على الامبراطورية البيزنطية والفارسية، وشعر الناس بالحاجة إلى شيء متين يتمسكون به ، قدمت الأمة الإسلامية لهم هذا الاستقرار المطلوب (٢)

وقال جوستاف لوبون: «ان القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام.. والحق ان الاسم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب - أي المسلمين - (٣)

وقال سير توماس وأرنولد: «يمكننا ان نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بان القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام» (٤).

وقال توماس كاريل : «ان اتهام محمد بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم (٥).

(١) محمد في المدينة / مونتجومري وات : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ترجمة شعبان بركات المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) محمد في المدينة : ٢٢١ .

(٣) حضارة العرب / جوستاف لوبون : ١٤٥ ، ١٤٦ ، طبعة البابي، القاهرة، ١٩٦٩

(٤) الدعوة إلى الإسلام / سير توماس وأرنولد : ٦٥ ، مطبعة الدجوى، القاهرة ١٩٧١م.

(٥) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه / عباس محمود العقاد: ٢٢٧ ، مطبعة مصر. ١٣٧٦هـ.

شهادات غير المسلمين حول تسامح الإسلام

لقد أقرّ العديد من غير المسلمين، من مفكرين ومؤرخين ومستشرقين، بتسامح الإسلام وإنصافه في التعامل مع أتباع الديانات الأخرى، وذلك استناداً إلى ما عايشوه أو وقفوا عليه من ممارسات فعلية للمسلمين عبر التاريخ. فقد كان الاعتراف بحرية الاعتقاد والتدين من المبادئ الأصلية في الشريعة الإسلامية، وهو ما دفع هؤلاء إلى تقديم شهادات منصفة بحق هذا الدين وقيمه الإنسانية.

ففي إحدى الشهادات المبكرة، كتب البطريرك المسيحي سيمون من مدينة مرو عن سلوك المسلمين قائلاً:

"إن العرب الذين أورثهم الله الأرض لا يهاجمون الدين المسيحي أبداً، بل إنهم يساعدوننا ويحترمون إلهاً وقديسنا".

أما المستشرق مونتجومري وات، فقد أرجع نجاح النبي محمد (صلى الله عليه وآله) إلى جاذبية الإسلام بوصفه نظاماً دينياً واجتماعياً يلبي حاجات الناس، وأضاف قائلاً:

"لقد ساهمت بصيرة محمد ودبلوماسيته ومهاراته الإدارية في تعزيز هذا النجاح، كما أن إدارته للتحالفات جعلت الجميع يشعرون، باستثناء قلة قليلة، بأنهم يُعاملون بعدالة، وهو ما أحدث فرقاً واضحاً بين شعور الانسجام في الدولة الإسلامية وشعور القلق في مكة، مما جذب الكثيرين إلى دعوته" (وات، محمد في المدينة، ص103-104).

ويواصل مونتجومري وات في موضع آخر قوله:

"حين بدأت علامات التفكك تظهر على الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، شعر الناس بالحاجة إلى كيان مستقر، وقد قدمت لهم الأمة الإسلامية هذا الاستقرار المنشود" (نفس المصدر، ص221).

أما المفكر الفرنسي جوستاف لوبون، فقد قال في كتابه حضارة العرب:

"لم تكن القوة عاملاً في انتشار الإسلام، بل إن الحقيقة تشير إلى أن التاريخ لم يعرف فاتحين أكثر رحمة وتسامحاً من العرب - أي المسلمين" (لوبون، ص145-146).

ويؤيد هذا الرأي المستشرق سير توماس أرنولد، حيث أكد في كتابه الدعوة إلى الإسلام أن:

"العلاقات الودية التي نشأت بين المسلمين والمسيحيين تشير إلى أن القوة لم تكن أبداً العامل الحاسم في دخول الناس إلى الإسلام" (أرنولد، ص65).

أما الفيلسوف والمؤرخ توماس كارليل، فقد وصف اتهام النبي محمد باستخدام السيف في نشر دعوته بأنه:

"اتهام سخيف لا يمكن فهمه" (العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص227).

إن هذه الشهادات وغيرها تعبّر عن إدراك موضوعي لطبيعة الإسلام، وتُظهر مدى تأثير قيمه في بناء حضارة قائمة على العدل والتسامح، وهو ما يتطلب قراءته بعيداً عن الصور النمطية والانطباعات المغلوطة.

هوامش:

1. توماس أرنولد (Thomas Arnold)

في كتابه "الدعوة إلى الإسلام"، أشار إلى أن انتشار الإسلام لم يكن بالسيف كما يُشاع، بل بحسن المعاملة والتسامح مع أهل الديانات الأخرى.

قال: "لم نسمع عن أي محاولة لإجبار غير المسلمين على اعتناق الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم لأصحاب الديانات الأخرى".

2. غوستاف لوبون (Gustave Le Bon)

في كتابه "حضارة العرب":

وصف أخلاق المسلمين بالنبيلة، واعتبر أن الإسلام كان متسامحاً مع اليهود والمسيحيين في الأندلس، وسمح لهم بممارسة شعائهم.

قال: "كان مسيحيو إسبانيا يعيشون تحت حكم العرب في حرية تامة، ويمارسون شعائر دينهم في كنائسهم".

3. مونتغمري وات (Montgomery Watt)

مستشرق إنجليزي، كتب عن الرسول محمد ﷺ وسيرته.

أشار إلى أن النبي كان متسامحاً مع أهل الكتاب، وكان يعامل غير المسلمين بعدل وإنصاف.

قال: "كان محمد متسامحاً مع أعدائه، وأكثر ما يثير الدهشة هو قدرته على الصفاء".

4. المستشرق الإيطالي لويجي فيلي (Luigi Veccia Vaglieri) أكد أن الشريعة الإسلامية ضمنت لغير المسلمين حقوقهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية. رأى في معاملة المسلمين لغيرهم نموذجاً فريداً مقارنة بما كانت عليه أوروبا في العصور الوسطى.

5. مايكل هارت (Michael Hart) في كتابه "المئة الأوائل"، وضع النبي محمد في المرتبة الأولى كأعظم شخصية أثرت في التاريخ، مشيداً بتسامحه وإنسانيته. شهادات الغرب يتسامح الاسلام..

شهادات من الواقع واعترافات غير المسلمين الاعتراف بحق الاعتقاد والتدين من قبل الإسلام والمسلمين من الحقائق البارزة التي اعترف بها غير المسلمين انصافاً منهم في قول الحقيقة لما الموه وشاهدوه من ممارسات ايجابية في علاقات المسلمين بغيرهم.

فقد كتب البطريك المسيحي (سيمون) من مدينة مرو: «ان العرب الذين اورتهم الله ملك الارض لا يهاجمون الدين المسيحي أبداً ... انهم يساعدوننا ويحترمون الهنا وقديسنا . وقال مونتيجموري وات: «كان السبب الأول في نجاح محمد جاذبية الإسلام، وقيمته كنظام ديني واجتماعي لسد حاجات العرب الدينية والاجتماعية.

كما ان بصيرة محمد ودبلوماسيته ومهارته الادارية لعبت دوراً كبيراً في نجاحه.... يضاف إلى ذلك ان مهارته في ادارة التحالف الذي يرأسه... جعل الكل يشعرون ، ما عدا أقلية لا أهمية لها ، أنهم يعاملون معاملة حسنة ، زادت الفرق بين شعور الانسجام والرضى في الأمة الإسلامية وشعور الفلق في مكة ، ولاشك أن ذلك اثر في كثير من الناس وجذبهم إلى محمد (١).

وقال أيضاً: حتى إذا ما بدت علامات التحلل على الامبراطورية البيزنطية والفارسية، وشعر الناس بالحاجة إلى شيء متين يتمسكون به ، قدمت الأمة الإسلامية لهم هذا الاستقرار المطلوب (٢)

وقال جوستاف لوبون: «ان القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام.. والحق ان الاسم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب - أي المسلمين - (٣) وقال سير توماس وأرنولد: «يمكننا ان نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بان القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام» (٤). وقال توماس كاريل : «ان اتهام محمد بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم (٥).

.....
(١) محمد في المدينة / مونتيجموري وات : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ترجمة شعبان بركات المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) محمد في المدينة : ٢٢١ .

(٣) حضارة العرب / جوستاف لوبون : ١٤٥ ، ١٤٦ ، طبعة البابي، القاهرة، ١٩٦٩

"بين الدين المتطرف والمدنية المطلقة: لا إفراط ولا تفريط":

بين الدين المتطرف والمدنية المطلقة: لا إفراط ولا تفريط

يثير بعض المفكرين، ومنهم من يُعرفون بالمسلمين الجدد، تساؤلاً محورياً يتمحور حول العلاقة بين الدين والحياة المدنية: هل يمثل الدين منظومة منفصلة عن حياة الإنسان اليومية والاجتماعية؟ وإذا كانت له علاقة، فهل تنحصر فقط في البعد الأخلاقي أو الجزائي المرتبط بالحياة الآخرة؟ أم أن الدين يشكل بعداً متأسلاً في الكيان الإنساني، متجذراً في حياته وسلوكياته، بحيث لا يمكن عزله عن واقعه؟

رغم وجاهة هذا التساؤل ومنطقيته، إلا أنه غالباً ما يُطرح في إطار إشكالي، يهدف ضمناً إلى التشكيك بمدى تأثير الدين في المجتمعات المتدنية، حيث يُروّج لفكرة أن الدين لا ينعكس بآثار واضحة أو فعالة في حياة الناس، بل إن المجتمعات المتدنية لا تختلف كثيراً - في مظاهرها المدنية - عن المجتمعات غير المتدنية. وهذا الطرح يُقلل من شأن الدين، ويُقدّمه كعامل رمزي لا تأثير له في الواقع العملي.

غير أن هذا الفهم لا ينسجم مع حقيقة الرؤية الإسلامية للإنسان والمجتمع؛ فالإسلام لا يفصل بين الدين والحياة، بل يدمجها في إطار تكاملي يقوم على مبدأ المساواة والكرامة الإنسانية. لقد أقرّ الإسلام وحدة الأصل الإنساني، ومحدودية قدرات البشر، وافتقارهم جميعاً إلى خالقهم، كما جاء في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (فاطر: 15).

ويؤكد القرآن الكريم أن الله منح الإنسان أدوات الإدراك والمعرفة من سمع وبصر وفؤاد، وهي متاحة للجميع دون تمييز: "قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" (الملك: 23). كما قرر أن البشر متساوون في مشاعرهم ودوافعهم الغريزية، ومنها الميل إلى الشهوات، بقوله: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ..." (آل عمران: 14).

هذه المساواة لا تعني التطابق في النتائج والسلوكيات، وإنما تشير إلى تكافؤ الإمكانيات والخصائص الأولية، في حين تختلف النتائج تبعاً لطبيعة التفاعل مع المؤثرات الخارجية والخيارات الفردية. فالإنسان لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولا يعلم ما يخبئه له المستقبل في رزقه أو أجله، مما يعكس ضعفه الفطري وافتقاره الدائم إلى الهداية والرعاية الإلهية.

من هنا، فإن الإسلام لا يروّج لنموذج متطرف يتجاهل المدنية، ولا لمدنية مطلقة تنفي حضور الدين، بل يسعى إلى تحقيق التوازن بين الجانبين: أن يكون الدين منظماً لحياة الإنسان دون أن يتحول إلى سلطة قهرية، وأن تكون المدنية محكومة بقيم أخلاقية تضمن العدالة والكرامة للجميع.

الإنسان المسلم وثقافة تقبل الآخر

يُعدّ الإنسان جوهر الوجود وأسمى المخلوقات، لما يمتلكه من وعي وإرادة تُمكنانه من الإسهام الفاعل في بناء الحياة وتوجيه مسيرتها نحو التقدم والازدهار. فبقدر ما يكون الإنسان منتجاً للمعرفة ومبادراً بالعطاء، يكون مؤهلاً لقيادة أُمته والمساهمة في صنع مستقبلها. وإذا تعطلت هذه الحركة، غابت فاعليته، وتحول إلى كائن راكد يفقد مقومات الحياة.

إنّ فاعلية الإنسان تتطلب تهيئة بيئة ملائمة تعينه على النهوض بمسؤولياته، وتوفير وسائل معرفية وعملية تُمكنه من تطوير ذاته ومجتمعه. فالثقافة، بوصفها تجسيدا للقدرة العقلية

والروحية، تمثل وسيلة الإنسان لإدراك ذاته ومحيطه، وللتماهي مع متطلبات الحياة المتجددة، وهي المدخل الأساس لتعزيز التفاهم والحوار والانفتاح على الآخر. والثقافة الحيّة، التي تمثل مزيجاً من الاستعدادات الذاتية والمهارات المكتسبة، تؤهل الإنسان لخوض الحياة بعقل راجح ونفس متزنة. إنها الكفيلة بتشكيل وعي يجمع بين القيم الروحية والتجربة المادية، ويسهم في بناء مواقف قائمة على التسامح والاحترام المتبادل، بعيداً عن الإقصاء أو التهميش، بصرف النظر عن الانتماء الديني أو التوجه الفكري أو العملي. وقد أكد الإسلام أهمية هذا الانفتاح، فدعا إلى احترام الرأي المخالف، ولو بدا متهاقاً أو مجافياً للواقع، كما هو الحال في أقوال أهل الكتاب:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111).

كما أمر بالجدال بالحسنى: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ...﴾ (العنكبوت: 46).

مما يدل على احترام الإسلام لحرية الرأي والاعتقاد، وحرصه على اعتماد الحوار وسيلة للتفاهم والتقارب لا للتنازع.

النموذج الرائد للمرأة المسلمة والمطالبة بحقوقها عبر الوسائل السلمية: السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نموذجاً لذلك ومثال حقيقي في واقع الإسلام الحنيف.

تُعد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نموذجاً إسلامياً راقياً للمرأة المسلمة التي تجسّد التوازن بين المطالبة بالحقوق والمحافظة على القيم الأخلاقية والدينية. فقد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة تأكيداً على مكانتها الرفيعة، كما في قول الرسول (صلى الله عليه وآله): "إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها"، وقوله: "فاطمة بضعة مني، من أذاها فقد آذاني، ومن أحبها فقد أحبني". هذه النصوص تُبرز المكانة المركزية لفاطمة (عليها السلام) في الإسلام، ليس فقط كابنة للرسول، بل كرمز للعدالة والاستقامة.

فاطمة الزهراء (ع): تجسيداً للقيم الإسلامية

لقد مثّلت السيدة فاطمة (عليها السلام) الامتداد الحي لتعاليم الإسلام، حيث كانت حياتها ترجمةً عمليةً لتعاليم أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله)، الذي كان كلُّ قوله وفعله وتقريره مصدرًا للهداية. فلم تكن شخصيتها منفصلة عن الرسالة الإسلامية، بل كانت جزءاً أصيلاً منها، مما جعلها قدوةً للمرأة المسلمة وللمؤمنين عامةً.

ومن أبرز الدروس المستفادة من سيرتها هو مبدأ المسؤولية الفردية، كما في قول الرسول لها: "يا فاطمة، اعلمي لنفسك، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً". هذا المبدأ يؤكد أن الإسلام يربّي أتباعه على الاستقلالية في العمل والمسؤولية، دون الاعتماد على القربات أو الامتيازات النسبية.

النضال السلمي والمطالبة بالحقوق

تميزت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنضالها السلمي في المطالبة بحقوقها، حيث اعتمدت على الحجة والخطاب العقلاني، كما يظهر في خطبتها الخالدة التي خاطبت فيها المسلمين بقولها:

"أنتم عباد الله، نصب أمره ونهيه، وحمله دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم... كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع..."
هذا الخطاب يُظهر وعيها العميق بمكانة الأمة الإسلامية ومسؤوليتها، كما يُبرز أسلوبها الحكيم في المطالبة بالعدل دون اللجوء إلى العنف أو التطرف.

العبر المستفادة للمجتمع المعاصر

إن دراسة حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليست مجرد استعادة للتاريخ، بل هي ذخيرة قيمة للإنسان المعاصر، خاصة في ظل التحديات التي تواجهها المرأة في المطالبة بحقوقها. فسيرتها تقدم نموذجاً متكاملًا يجمع بين القوة الروحية والحكمة العملية، وبين الثبات على المبادئ والالتزام بالوسائل السلمية.

لقد كانت (عليها السلام) مثالاً للمرأة التي تمتلك وعياً كاملاً بدورها في المجتمع، دون أن تفقد أنوثتها أو تتنازل عن مبادئها. فهي الزوجة المخلصة، والأم الحانية، والباحثة عن الحق، والمطالبة بالعدل — كل ذلك في إطار متوازن يرفض التطرف ويتبنى الحكمة.

إن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تظلّ نبراساً يُضيء طريق المرأة المسلمة، ودليلاً على أن المطالبة بالحقوق يمكن أن تتم بكرامة وعقلانية، دون حاجة إلى العنف أو التطرف. فسيرتها ليست ملجأً للماضي فحسب، بل هي مشروع حيويّ يمكن أن يستلهمه المجتمع المعاصر في سعيه نحو العدالة والمساواة.

(١) البستاني، محمود. أدب فاطمة الزهراء (ع)، ص ١٠-١٣.

النموذج الريادي للمرأة المسلمة في المطالبة الحقوقية: دراسة في المنهج السلمي عند فاطمة الزهراء (عليها السلام)

تمثل السيرة الذكية للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نموذجاً فريداً في تاريخ الحركات الحقوقية النسوية، حيث تجسد المزاجية بين الثبات على المبادئ والالتزام بالوسائل السلمية. تقدم هذه الشخصية التاريخية إطاراً مرجعياً للحراك النسوي الإسلامي المعاصر، يؤصل لشرعية المطالبة بالحقوق مع الحفاظ على الضوابط الشرعية والأخلاقية.

تستند مكانة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى مستندين رئيسيين:

أولاً: البعد التكريمي النبوي كما في الحديث الشريف: "فاطمة بضعة مني، من أذاها فقد أذاني" (رواه البخاري ومسلم). هذا التكريم لم يأت على أساس النسب فحسب، بل جاء نتيجة لمكانتها العلمية والأخلاقية والكفاحية.

ثانياً: البعد العملي المتمثل في مواقفها التاريخية، ولاسيما في قضية فدك التي مثلت أول حراك حقوقي نسوي مسجل في التاريخ الإسلامي. حيث اعتمدت في مطالباتها على:

1. الحجة العقلية

2. الاستدلال النقلي

3. الخطاب الأخلاقي

4. الإجراءات النظامية

يشكل خطابها في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) نموذجاً رفيعاً للخطاب الحقوقي الذي يجمع بين:

- الوضوح في الطرح

- العمق في التحليل

- الرصانة في الأسلوب

- الاحترام في المخاطبة

تكمن عظمة هذا النموذج في كونه:

1. نموذجاً متكاملًا يجمع بين الحقوق والواجبات

2. مثالاً للتوازن بين الثبات والمطالبة السلمية

3. إطاراً لتفعيل دور المرأة في الحياة العامة دون إخلال بالضوابط الشرعية

تقدم هذه السيرة دروساً عملية للحركة النسوية المعاصرة، أبرزها:

1. إمكانية الجمع بين الهوية الإسلامية والمطالب الحقوقية

2. جدوى الوسائل السلمية في تحقيق المطالب

3. أهمية الربط بين الحقوق والمسؤوليات

4. ضرورة التوثيق العلمي للمطالب

ختاماً، يمكن اعتبار سيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إطاراً مرجعياً للحراك النسوي

الإسلامي، وبدلياً حضارياً عن النماذج الغربية التي قد تتناقض أحياناً مع الثوابت الشرعية.

مما يجعل دراستها ضرورة فكرية للمهتمين بقضايا المرأة في الإطار الإسلامي.

نموذج من إنصاف الإسلام للمرأة

إن فطرة الإنسان وثقته بعدالة الشارع وكمال التشريع الإلهي تدفعه إلى البحث عن حلول

للمشكلات التي تواجهه في حياته الاجتماعية. فإذا واجه فراغاً تشريعياً في قضية ما، فإن

عليه أن يعود إلى مصادر التشريع بجدّ واجتهاد لاستنباط الحكم الشرعي الذي يُعالج ذلك

الفراغ ويُحقّق العدل.

يُبرز القرآن الكريم نموذجاً مميزاً لتحديد واجهه المجتمع الإسلامي في بداية تكوينه، حين كانت

بعض العادات الجاهلية لا تزال سائدة قبل اكتمال نزول التشريع الإلهي تدريجياً. ففي موقف

تاريخي، وجدت امرأة نفسها أمام حكم ظالم يهدّد مصيرها الأسري، فلم تسكت أو تخضع

للأمر الواقع، بل توجهت إلى مصدر التشريع، النبي محمد (ﷺ)، معبرةً عن رفضها للعرف

الجاهلي الجائر، ومطالبةً بتشريع عادلٍ يحفظ حقوقها ويُعالج مشكلتها بواقعية.

ولما اعتذر النبي (ﷺ) بأنه لم يُنزل عليه وحيٌّ في شأنها بعد، لم تتردّد في مناقشته وإلحاحها

في المطالبة بحلٍّ عاجل. ولم يُنهرها النبي أو يستنكر جدالها، بل تقبّل شكواها بصدرٍ رحب،

حتى أنزل الله تعالى تشريعاً جديداً استجابةً لمطالبها، وجعل قصتها عنواناً لسورة كاملة في

القرآن الكريم، هي سورة المجادلة، التي تبدأ بقوله تعالى:

< {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة: ١).

ووفقاً لأكثر المفسرين، فإن هذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها)، من الأنصار،

وكان زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها (أي قال لها: "أنت عليّ كظهر أمي")، وهو

عرفٌ جاهليٌّ يُحرّم الزوجة على زوجها دون طلاقٍ حقيقي. ورغم تراجعها عن كلامه، بقي

الحكم الجاهلي سارياً، مما جعلها تُسرع إلى النبي (ﷺ) تشكو حالها وتستنجد بحلٍّ شرعي.

وبعد حوارٍ طويل وإلحاحٍ منها، نزل الوحي بتشريع جديد يُبيح للزوج الرجوع عن ظهاره

بعد التكفير، إما بعق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، كما جاء في

قوله تعالى:

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوَعُّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} (المجادلة: ٣-٤).

وبهذا التشريع، تحقق العدل وحُفظت حقوق المرأة، بل ذكر موقف خولة في القرآن شاهداً على مكانة المرأة في الإسلام وقدرتها على المطالبة بحقوقها. كما أصبحت قصة المجادلة نموذجاً للإصلاح الاجتماعي القائم على الحوار والاحتكام إلى العدل الإلهي، بدلاً من الخضوع للعادات الظالمة.

(١) مجلة "حوارنا"، منظمة المرأة المسلمة في العراق، العدد ٢٨، ص ١٧، ٢٠٠٧م.

المرأة المسلمة المعاصرة بين التحديات والهوية الإسلامية

تمثل المرأة المسلمة في العصر الراهن امتداداً تاريخياً لتلك المرأة المجاهدة التي سطرت صفحات مشرقة في التاريخ الإسلامي. فإذا كانت المرأة المسلمة الأمس قد شاركت في بناء الحضارة الإسلامية بدءاً من مشاركتها في الغزوات النبوية كغزوة أحد، حيث قامت النساء بدور التمريض وإسعاف الجرحى، وصولاً إلى دورهن في نقل الحديث النبوي والعلم الشرعي، فإن المرأة المعاصرة تواجه تحديات مختلفة ولكنها بنفس الأهمية.

أولاً: التحديات المعاصرة التي تواجه المرأة المسلمة:

1. التحدي الهوياتي: تعاني المرأة المسلمة اليوم من أزمة هوية نتيجة محاولات فصلها عن تراثها الحضاري، حيث تشير الإحصاءات إلى أن 68% من الشابات المسلمات في الدول غير الإسلامية يعانين من صراع الهوية

2. تحدي العولمة الثقافية: أدت وسائل التواصل الاجتماعي إلى تعريض المرأة المسلمة لتيارات ثقافية متناقضة تقضي المرأة السعودية في المتوسط 4.5 ساعات يومياً على منصات التواصل.

3. تحدي الاستغلال التجاري: تحولت المرأة في الإعلام المعاصر إلى سلعة تسويقية، حيث تظهر الدراسات أن 78% من الإعلانات التجارية تستخدم جسد المرأة كأداة تسويقية ثانياً: مقومات المواجهة الشرعية:

- الأصل الشرعي: قال تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (التوبة: 71)، مما يؤسس لشراكة حقيقية بين الجنسين في بناء المجتمع.

- النموذج التاريخي: تقدم السيدة خديجة بنت خويلد نموذجاً للمرأة المسلمة التي جمعت بين النجاح الاقتصادي والحفاظ على القيم، حيث كانت تاجرة معروفة قبل الإسلام وبقيت محافظة على أخلاقها.

ثالثاً: سبل المواجهة العملية:

1. التوعية الشرعية: ضرورة إقامة برامج توعية تستند إلى الفهم الصحيح للشريعة بعيداً عن التطرف أو التفریط.

2. التمكين التعليمي: تشجيع المرأة على التخصص في المجالات النافعة مع الحفاظ على الضوابط الشرعية، كما فعلت عالمة زينب الغزالي في مجال الدعوة.

3. المواجهة الإعلامية: تطوير إعلام إسلامي هادف يعرض النماذج النسائية المسلمة الناجحة في مختلف المجالات.

إن التحدي الحقيقي للمرأة المسلمة اليوم ليس في الاختيار بين التمسك بالقيم أو مواكبة العصر، بل في القدرة على الجمع بين الأصالة والمعاصرة. فكما استطاعت نساء الصحابة الجمع بين المشاركة المجتمعية الفاعلة والحفاظ على القيم الإسلامية، يمكن للمرأة المعاصرة أن تقدم نموذجاً متوازناً يثبت أن الإسلام ليس عائقاً أمام تقدم المرأة بل هو الضامن الحقيقي لكرامتها.

أدوار المرأة المسلمة في مكافحة التطرف الفكري والعقائدي في العصر الحاضر تلعب المرأة المسلمة دوراً محورياً في مواجهة التطرف الفكري والعقائدي من خلال:

1. تعزيز الوعي الديني الصحيح: بنشر الفهم المعتدل للإسلام القائم على القرآن والسنة النبوية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي قد تؤدي إلى التطرف.
2. تربية الأبناء على الاعتدال: بغرس القيم الإسلامية الوسطية، وتعزيز الانتماء الوطني، وتنمية التفكير النقدي لديهم لتمييز الأفكار المتطرفة.
3. المشاركة المجتمعية: عبر الحوارات الفكرية، وورش العمل التوعوية، ودعم المبادرات التي تعزز التسامح والتعايش.
4. مواجهة الأفكار المتشددة: بالحجج العقلانية والشرعية، والاستفادة من وسائل التواصل لنشر الخطاب المعتدل.

تنمية الشعور بالمسؤولية والشجاعة لدى الأبناء يعد غرس الشعور بالمسؤولية في نفوس الأبناء من أهم أدوار الوالدين، ويمكن تعزيزه من خلال:

محركات الشعور بالمسؤولية

1. المحرك الداخلي (الفطرة والضمير)
 - يُبنى على الفطرة السليمة والوجدان النقي، فالإنسان الذي يتمتع بضمير حي يشعر تلقائياً بالمسؤولية تجاه أفعاله ويتحلى بالشجاعة الأخلاقية.
 - عندما يُسأل الشخص: "هل تقبل أن يصدر منك هذا الفعل؟"، فإن ضميره يكون مرجعاً له لضبط سلوكه.
2. الوازع الديني
 - يُعد من أقوى الدوافع، حيث يعتمد على الإيمان برقابة الله والمحاسبة يوم القيامة.
 - التذكير بالثواب والعقاب الإلهي يُحفز الإنسان على تحمل مسؤولياته والتزام العدل والفضيلة.

3. التربية والتنشئة المجتمعية
 - تبدأ من الأسرة، حيث يغرس الأبوان قيم المسؤولية في الأبناء عبر القدوة الحسنة.
 - من المبادئ الأساسية التي يجب أن يربي الوالدان أبناءهم عليها:
 - العقيدة الإسلامية الصحيحة، بعيداً عن التشدد.
 - الاقتداء بمنهج أهل البيت والصحابة في الاعتدال والعدل.
 - حب الوطن والانتماء إليه، مما يعزز الهوية الإيجابية ويبقي من الانحراف الفكري.

تمثل المرأة المسلمة ركناً أساسياً في بناء جيل واع ومعتدل، قادر على مواجهة التطرف عبر التربية السليمة والتوعية المجتمعية. ومن خلال تعزيز الشعور بالمسؤولية والوازع الديني، يمكن تكوين شخصيات قوية ومتوازنة تسهم في إصلاح المجتمع.

العامل الثاني: الثقة في المنهج الذي تتبعه

مثال: إذا كنت تنتمي إلى دين أو مذهب أو عرق معين، فإن مدى ثقتك في المنهج الذي تتبعه يعتمد على فهمك له ومدى قربك من الله، وكذلك الطرق التي تسلكها للتقرب إليه. وتشمل هذه الثقة:

- ثقتك في دينك والأساليب التي تعزز إيمانك، وصحة المنهج الذي سار عليه السابقون الذين نقلوا إليك تعاليم هذا الدين.

- اعتزازك بقوميتك ومدى ارتباطك بها.

- ارتباطك بعائلتك أو قبيلتك وقوتها ومكانتها الاجتماعية.

فأنت تثق في منهجك الذي تشعر بالمسؤولية تجاهه، تثق في كتاب ربك، تثق في إسلامك (إذا كنت مسلماً). وعندما تثق في إيمانك، ستشعر بمسؤولية أكبر تجاه دينك ومجتمعك.

العامل الثالث: الرغبة في فعل الخير للآخرين

عندما تحب الخير للناس، فإنك تزيد من إحساسك بالمسؤولية تجاههم. أما إذا تمنيت لهم الشر، فإنك تتحرر من مسؤوليتك الإنسانية والاجتماعية والدينية.

أنواع المسؤولية الإنسانية:

1. المسؤولية الفردية:

- تعريفها: مسؤولية الشخص عن أفعاله وأقواله، وهي أساس المسؤولية في الإسلام.

- أدلتها من القرآن:

- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (سورة الأنعام: ١٦٤).

- ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (سورة النجم: 39).

2. مسؤولية الحاكم:

- واجب حاكم المسلمين هو رعاية شعبه، وهي من أعظم المسؤوليات لأن حقوق الأمة كلها متعلقة به.

- من أهم واجباته:

- تقوى الله في السر والعلن.

- الحكم بما أنزل الله.

- اختيار مستشارين صالحين.

- تعيين ولاية ووزراء أكفاء.

- توفير الأمن الداخلي والخارجي.

- تحسين معيشة الرعية وتوفير سبل العيش الكريم.

ثقافة الشعور بالمسؤولية

مسؤولية التعليم

تعد المؤسسات التعليمية ركيزة أساسية في بناء الأجيال، ومن أبرز مسؤولياتها:

أ. توفير بيئة تعليمية آمنة تُشبع احتياجات الطلاب التعليمية والنفسية والجسدية، بما يتناسب مع مراحلهم العمرية.

ب. إعداد طلاب مؤهلين علمياً وتربوياً وصحياً، قادرين على تحمل مسؤولياتهم المجتمعية وقيادة مسيرة التطوير والتنمية.

- ج. تعزيز الهوية الدينية لدى الطلاب، وغرس مبادئ العقيدة الصحيحة، وتعزيز انتمائهم للإسلام والأمة الإسلامية.
- د. استخدام وسائل تعليمية متنوعة وتقنيات حديثة، مثل المختبرات الرقمية وأجهزة العرض التفاعلية، لتطوير العملية التعليمية.
- هـ. تنظيم أنشطة لا صفية كالمعسكرات الكشفية، لتعزيز الروابط الاجتماعية وغرس قيم التعاون والمسؤولية الجماعية.
- و. مكافحة كل أشكال الانحراف الفكري والسلوكي، وحماية الطلاب من الأفكار الهدامة والمؤثرات الأخلاقية الضارة مسؤولية الإعلام
- يلعب الإعلام دورًا محوريًا في تشكيل الوعي المجتمعي، ومن أهم واجباته:
- أ. الالتزام بالمصداقية والدقة في نقل المعلومات، وتجنب التضليل أو التلاعب بالحقائق.
- ب. احترام الثوابت الدينية وعدم مخالفة النصوص الشرعية في المحتوى المقدم.
- ج. تنويع الموضوعات والأساليب الإعلامية لجذب الجمهور وتلبية مختلف الاهتمامات.
- د. إتاحة الفرصة للدعاة والعلماء لنشر الوعي الديني، وتخصيص مساحة كافية للبرامج التوعوية.
- هـ. تسليط الضوء على قضايا المسلمين حول العالم، ومتابعة أوضاعهم بدقة وتفاعل.
- و. إنتاج مواد تثقيفية ووثائقية ترفع مستوى الوعي العام في المجالات المختلفة.
- ز. مراعاة احتياجات جميع فئات المجتمع (رجال، نساء، شباب، أطفال) بمحتوى هادف ومناسب.
- ح. تجنب نشر المواد التي تروج للفساد أو تثير الشهوات، والحرص على غرس القيم الأخلاقية.
- نتائج :**

1. مكانة المرأة في الإسلام: كرم الإسلام المرأة ومنحها دورًا أساسيًا في بناء المجتمع فكريًا وخلفيًا، بعيدًا عن الرؤى المتشددة التي تحاول تقليص مشاركتها أو تهميش تأثيرها.
2. أسباب التطرف الفكري: ينبع التطرف من عوامل متعددة، أبرزها جمود العقل، والفهم الخاطئ للنصوص الدينية، وإهمال المنهج القرآني الذي يدعو إلى الحوار والتعايش مع الآخر.
3. دور المرأة في مقاومة التطرف: تمتلك المرأة المسلمة القدرة على أن تكون ركيزة في مكافحة التطرف، سواء عبر التربية الواعية في الأسرة، أو من خلال تعزيز قيم الوسطية والحوار في المجتمع.
4. نماذج نسائية ملهمة: تبرز شخصيات مثل فاطمة الزهراء وخولة بنت ثعلبة كنماذج تاريخية لدور المرأة الفاعل في المطالبة بحقوقها، بل وفي التأثير على التشريعات والقيم الاجتماعية.
5. دور الإعلام الحديث: يمكن لوسائل الإعلام أن تكون أداة فعالة في مواجهة الأفكار المتطرفة إذا أحسنت المرأة استخدامها، عبر نشر الوعي وفضح الخطاب المتشدد.
6. أهمية التربية المتوازنة: يُعدّ بناء العقلية النقدية والمنفتحة منذ الصغر – عبر الأسرة والمؤسسات التعليمية والدينية – حجر الأساس في تحصين الشباب ضد التطرف.

7. المسؤولية المشتركة: مكافحة التطرف مسؤولية جماعية، لكن للمرأة دور خاص في هذه المعركة، كونها تملك أدوات التأثير المباشر في تشكيل وعي الأجيال وصياغة الخطاب المجتمعي.

المصادر

1. القرآن الكريم *
2. الحديث الشريف *
- الحر العاملي، *مستدرك الوسائل*، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب 96، ج 1. ثانيًا: الكتب والمؤلفات
3. وات، مونجومري (بدون تاريخ). *محمد في المدينة*. (شعبان بركات، المترجم). بيروت: المكتبة العصرية. (الصفحات 103-104، 221).
4. لوبون، غوستاف (1969). *حضارة العرب*. القاهرة: طبعة البابي. (الصفحات 145-146).
5. أرنولد، سير توماس (1971). الدعوة إلى الإسلام*. القاهرة: مطبعة الدجوى. (الصفحة 65).
6. العقاد، عباس محمود (1376هـ). حقائق الإسلام وأباطيل خصومه*. القاهرة: مطبعة مصر. (الصفحة 227).
7. البستاني، د. محمود (بدون تاريخ). أدب فاطمة الزهراء (ع)*. (الصفحات 10-13).
8. مجلة "حواءنا" (2007). العدد 28، ص 17. منظمة المرأة المسلمة في العراق.

استراتيجيات التعايش والتسامح بين الثقافات والأديان

زكريا فاضل جودة

المقدمة

يعد التعايش والتسامح بين الثقافات والأديان من المفاهيم الجوهرية التي تشكل أساساً لاستقرار المجتمعات المعاصرة، خصوصاً في عالم يشهد تزايداً ملحوظاً في التنوع الثقافي والديني، يعبر التعايش عن القدرة على العيش جنباً إلى جنب مع آخرين تختلف خلفياتهم الثقافية والدينية، بينما يشير التسامح إلى القبول والاحترام المتبادل، رغم هذه الاختلافات، ولعل أهميتهما في العصر الحديث تتجلى في قدرتهما على تعزيز السلام الاجتماعي، حيث يُعتبر التعايش شرطاً أساسياً لتحقيق استقرار اجتماعي مستدام، يفضي بدوره إلى التنمية المستدامة.

التعايش بمعناه الأوسع، يشير إلى القدرة على التفاعل بسلام دون الاضطرار إلى تذويب أو إلغاء الهويات الثقافية والدينية المختلفة، وكما يعتبر التسامح أداة أساسية لتجاوز الحواجز التي قد تنشأ بين الأفراد والمجموعات بسبب الاختلافات العرقية والدينية.

أهمية البحث

يكتسب هذا البحث أهمية كبيرة في الوقت الراهن نظراً للتحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات المتنوعة ثقافياً ودينيًا، إن دراسة استراتيجيات التعايش والتسامح بين الثقافات والأديان تعتبر ضرورة أساسية في عالم معاصر يتسم بتزايد التنوع الثقافي و الديني نتيجة للظروف العالمية المتغيرة مثل العولمة، والهجرات البشرية، والتحولات السياسية والاجتماعية.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التحديات المتزايدة التي تواجه المجتمعات المعاصرة بسبب التعددية الثقافية والدينية، حيث يلاحظ في العديد من الدول والمجتمعات تفاوت في درجة التعايش و التسامح بين الأديان والثقافات. هذا التفاوت يؤثر بشكل كبير على الاستقرار الاجتماعي و التنمية المستدامة، مما يثير تساؤلات حول كيفية تحقيق التعايش السلمي و التفاهم المتبادل بين المكونات الثقافية والدينية المختلفة في العالم المعاصر، ويمكن ان نقول كيف يمكن تحديد استراتيجيات فعالة لتحقيق التعايش والتسامح بين الثقافات والأديان في المجتمع المعاصر، والتغلب على التحديات و المعوقات التي تواجه هذا التعايش؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تدعم التعايش السلمي و التسامح بين الثقافات والأديان في المجتمعات المعاصرة، بهدف تقديم حلول واستراتيجيات قابلة للتطبيق تساهم في تعزيز هذه القيم، وتتمثل أهداف البحث الرئيسية في النقاط التالية:

- 1- دراسة استراتيجيات فعالة للتعايش بين الثقافات والأديان.
- 2- تحليل دور المجتمع المدني والحكومات في تعزيز التسامح.
- 3- تحديد ممارسات وتوجهات تبني التسامح في المجتمعات متعددة الثقافات والأديان.
- 4- فهم العوامل الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في التعايش.

5- استكشاف دور وسائل الإعلام والتكنولوجيا في تعزيز ثقافة التسامح.

أهمية الموضوع في عالم معاصر يشهد تزايد التنوع الثقافي والديني

شهد العالم تحولاً ملحوظاً في التركيبة الديمغرافية للمجتمعات، إذ أصبح التنوع الثقافي والديني سمة بارزة في العديد من البلدان، سواء في الغرب أو الشرق، وتشير الإحصائيات العالمية إلى أن أكثر من نصف سكان العالم يعيشون في دول تعددية ثقافياً ودينيًا، مما يجعل الحاجة إلى استراتيجيات فعّالة للتعايش أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى.

التعددية الثقافية والدينية ليست مشكلة في حد ذاتها، بل إن التحدي يكمن في كيفية إدارة هذا التنوع بشكل يعزز من الفهم المتبادل والاحترام، فالتحدي الأكبر الذي يواجه المجتمعات المعاصرة لا يكمن في الاختلافات نفسها، بل في كيفية إدارتها بشكل يعزز من السلام والاستقرار الاجتماعي⁽¹⁾.

علاقة التعايش مع السلام الاجتماعي والتنمية المستدامة

تعتبر العلاقة بين التعايش والسلام الاجتماعي علاقة تبادلية، حيث يُسهم التعايش الفعّال في بناء بيئة اجتماعية مستقرة خالية من الصراعات، مما يخلق الظروف المثالية لتحقيق التنمية المستدامة، وجود التنوع الثقافي والديني في المجتمع يعزز من الابتكار والابداع، مما يساهم في تحقيق النمو المستدام على جميع الأصعدة⁽²⁾.

المجتمعات التي تنجح في التعايش الثقافي والديني تتمتع بقدرة أعلى على الاستدامة الاقتصادية وتحقيق العدالة الاجتماعية، فالتعايش لا يرتبط فقط بالسلام الاجتماعي، بل يمتد ليشمل التنمية المستدامة في مختلف جوانب الحياة، سواء على المستوى الاقتصادي أو البيئي⁽³⁾.

لماذا يُعدُّ التعايش والتسامح ضرورة في المجتمع المعاصر؟

في المجتمع المعاصر، حيث تتشابك التحديات الاجتماعية والسياسية مع التنوع الثقافي والديني، أصبح التعايش والتسامح ضرورة لا غنى عنها. المجتمعات التي تفنقر إلى التسامح يمكن أن تشهد تفككاً اجتماعياً أو نزاعات دينية، وهو ما يُعرقل التقدم والازدهار وأن "التعايش بين الأديان والثقافات لا يقتصر على الحياة اليومية فقط، بل يمتد إلى العلاقات الدولية والاقتصادية، مما يساهم في بناء عالم أكثر استقراراً وازدهاراً⁽⁴⁾.

التعايش ليس مجرد تفاعل سطحي بين الثقافات، بل هو عملية بناء مستدامة من خلال التفاهم والتواصل بين الأفراد والجماعات. وعلى الرغم من التحديات الكبرى التي قد تواجه المجتمعات المعاصرة في هذا المجال، فإنَّ التسامح يُعدُّ البوابة التي تُفتح نحو المجتمعات المتحضرة المتنوعة.

(1) محمد عمارة "التسامح الديني في الإسلام" ص 87.

(2) فؤاد زكريا "الفكر العربي في القرن العشرين، ص 102.

(3) ستيجلر، 2010، العولمة والتنمية المستدامة، ص. 110.

(4) طاهر العيسوي "التسامح والتعددية في الفكر العربي المعاصر"، ص: 76.

المبحث الأول:

1- التعريف بالمفاهيم الرئيسية

التعايش هو المصطلح الذي يشير إلى قدرة المجتمعات المتنوعة ثقافيًا ودينيًا على العيش معًا بسلام دون أن تؤثر هذه الاختلافات في استقرار المجتمع، التعايش لا يعني ببساطة التواجد الجغرافي مع الآخر، بل يشمل التفاعل والتعاون الفعال بين مختلف الأطراف. يُعرف التسامح بشكل أعمق باعتباره القدرة على قبول الآخر واحترامه، رغم وجود اختلافات جوهرية بين الأطراف، والتسامح لا يقتصر على مجرد التقبل السطحي، بل يمتد ليشمل تفهم وتقدير قيم وثقافات الآخرين. كما يُنظر إليه كأداة لتحقيق السلام الاجتماعي في المجتمعات التي تتسم بتنوع ديني وثقافي كبير⁽¹⁾.

التسامح ليس مجرد غياب الصراع، بل هو قدرة على خلق تفاهم إيجابي مع المختلف، بهذا المعنى، يُعتبر التسامح خطوة أساسية نحو تعزيز الاستقرار الداخلي للمجتمع. أما التنوع الثقافي والديني، فيمكن فهمه كحالة مجتمعية يتداخل فيها عدة ثقافات وأديان داخل نفس البيئة الاجتماعية. هذا التنوع يشكل قوة دافعة للنمو والتطور في المجتمعات المعاصرة، طالما تم إدارة هذه الاختلافات بطريقة فاعلة⁽²⁾.

التنوع الثقافي لا يُعتبر تهديدًا بقدر ما هو فرصة غنية للتفاعل والتبادل الثقافي، خاصة إذا ما تم النظر إليه من زاوية تسامحية، وهكذا يعد التنوع مصدرًا أساسيًا في تكوين المجتمعات الحديثة.

2- الأسس الاجتماعية والثقافية للتعايش

تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تُسهم في تنمية قيم التعايش والتسامح بين الأفراد، التربية المنزلية تلعب دورًا أساسيًا في غرس القيم الثقافية والدينية التي تشجع على التفاهم والاحترام المتبادل بين الأفراد من مختلف الثقافات⁽³⁾، وفقًا لما ورد في كتاب فإن "الأسرة تُعد أول مدرسة يتعلم فيها الطفل قيمة التسامح وكيفية التعامل مع الآخر باحترام، وهذه القيم تُنقل إلى الأجيال القادمة.

أما التعليم، فإنه يشكل أحد الأعمدة الأساسية في تعزيز التسامح والتعايش داخل المجتمعات المتنوعة، وأن التعليم يجب أن يعزز من القدرة على قبول الاختلافات ويشجع على الحوار بين الثقافات المختلفة منذ سن مبكرة، يساهم النظام التعليمي في تقديم قيم التسامح بشكل ملموس، سواء من خلال المواد الدراسية أو الأنشطة اللاصفية التي تشجع الطلاب على التواصل مع أقرانهم من خلفيات ثقافية ودينية متنوعة⁽⁴⁾.

يُعد الإعلام أداة قوية في نشر قيم التسامح، حيث يُمكن للإعلام أن يكون عاملاً مساعدًا في توعية المجتمع حول أهمية التنوع الثقافي والديني، كما أن دور الإعلام لا يقتصر على نقل المعلومات، بل يجب أن يكون بمثابة منصة لتعزيز الفهم المتبادل وخلق وعي جماعي حول أهمية التسامح بين الثقافات.

(1) محمد أركون في كتابه "الفكر الإسلامي المعاصر" ص72.

(2) إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" ص96.

(3) "التربية والتسامح" للمؤلف مصطفى حلمي ص34.

(4) العظم، النقد الثقافي، ص: 120.

أسباب التوتر بين الثقافات والأديان

رغم أهمية التعايش والتسامح، إلا أن هناك العديد من الأسباب التي تساهم في التوتر بين الثقافات والأديان، وتتمثل هذه الأسباب في مجموعة من العوامل التاريخية والسياسية والدينية.

• الأسباب التاريخية والسياسية:

الصراعات التاريخية والسياسية تلعب دوراً رئيسياً في تشكيل النظرة السلبية بين الجماعات الثقافية والدينية. الحروب الأهلية، الاستعمار، والنزاعات العرقية تترك آثاراً سلبية طويلة الأمد على المجتمعات، كما أن الذاكرة التاريخية للصراعات تلعب دوراً كبيراً في تشكيل المواقف تجاه الآخر، مما يزيد من صعوبة التعايش⁽¹⁾.

• الفروق الثقافية والدينية العميقة:

على الرغم من أن التنوع الثقافي والديني يُعدُّ مصدرًا غنيًا، إلا أن الاختلافات العميقة في المعتقدات والعادات قد تساهم في خلق فجوات بين المجتمعات، و أن الاختلافات الثقافية والدينية في بعض الأحيان تكون سبباً في الحروب والتوترات، بسبب عدم الفهم الكامل لما تعنيه هذه الاختلافات بالنسبة للأفراد⁽²⁾.

استراتيجيات التعايش والتسامح

1- التسامح الديني

التسامح الديني هو أحد أبرز القيم التي يجب أن تُعزز في المجتمعات المتنوعة دينياً، حيث يشمل القبول والاحترام المتبادل بين الأديان المختلفة، ويعد أداة فعالة لتجاوز التوترات والصراعات الدينية. تتطلب استراتيجية تعزيز التسامح الديني إدراكاً عميقاً للمبادئ الأساسية التي تقوم عليها الأديان المختلفة، وكذلك تعلم كيفية التفاعل بشكل إيجابي مع تلك المعتقدات دون المساس بجوهرها⁽³⁾.

التسامح الديني لا يعني بالضرورة القبول الكامل لكل المعتقدات، بل يعني القدرة على العيش بسلام واحترام مع من يختلفون عنك دينياً، بالإضافة إلى ذلك، والتسامح الديني يتطلب من الأفراد أن يكونوا على استعداد للمشاركة في الحوار مع الآخرين لفهم معتقداتهم وتجاوز الاختلافات بطريقة سلمية.

2- التعايش الثقافي

التعايش الثقافي يتطلب استراتيجيات فعالة تساهم في بناء فهم مشترك بين الثقافات المختلفة. يعتمد التعايش الثقافي على تعزيز الحوار الثقافي والمشاركة بين الأفراد والمجتمعات المتنوعة، حيث يُمكن أن يساهم في الحد من التصورات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة التي قد تكون السبب في التوترات الثقافية⁽⁴⁾.

إلى أن التعايش الثقافي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال فتح قنوات التواصل بين الثقافات المختلفة وتعليم الأفراد على احترام ثقافات الآخر وفهمها، كما أن الإسلام كدين يدعو إلى التفاعل السلمي مع الثقافات الأخرى، ويُحث المسلمون على احترام التنوع الثقافي باعتباره جزءاً من النظام الإلهي.

(1) جورج قرم "الحروب في الشرق الأوسط" ص: 112.

(2) أمين معلوف "الهويات القاتلة" ص: 68.

(3) محمد عبد الله "التسامح الديني: المفهوم والتطبيق" ص: 45.

(4) أندريه لوروا "التعددية الثقافية في العالم المعاصر" ص: 57.

ويبرز التعليم متعدد الثقافات كأداة أساسية لتحقيق التعايش الثقافي، حيث يُمكن الطلاب من تعلم كيفية العمل مع أشخاص من خلفيات ثقافية ودينية متنوعة، إلى أن إدراج مناهج تعليمية تشجع على احترام الثقافات الأخرى يسهم بشكل كبير في تنمية التسامح بين الأفراد⁽¹⁾.

3- استراتيجيات بناء الثقة بين ثقافات المجتمع
بناء الثقة بين الثقافات هو عنصر أساسي في تعزيز التعايش السلمي بين المجتمعات المتنوعة، تتطلب هذه الاستراتيجيات وضع برامج تعليمية واجتماعية تشجع على التفاعل والتعاون بين الثقافات المختلفة، ومن بين أبرز الاستراتيجيات المُعتمدة في هذا الصدد هي برامج التبادل الثقافي، التي تتيح للأفراد التعرف على تجارب الآخرين والمشاركة في ثقافتهم⁽²⁾.

وبرامج التبادل الثقافي تساعد في إزالة الحواجز النفسية بين الأفراد من ثقافات مختلفة، مما يعزز من فهمهم المشترك، بالإضافة إلى ذلك يُعتبر الإعلام من الأدوات الهامة في نشر ثقافة التسامح وبناء الثقة بين الأفراد من خلفيات ثقافية ودينية متنوعة، وكما ان الإعلام يشكل أداة هامة في توجيه الرأي العام نحو قبول الآخر وإيجاد مساحة للحوار بين الثقافات.

4- دور المؤسسات الاجتماعية والسياسية
الحكومات والمجتمعات المدنية تلعب دورًا محوريًا في تعزيز التسامح من خلال وضع السياسات والقوانين التي تحمي التنوع الثقافي والديني. يعتبر إقرار القوانين التي تضمن حرية المعتقد والمساواة بين الأفراد من أهم الاستراتيجيات التي يمكن أن تساهم في تقليص التوترات بين الثقافات والأديان⁽³⁾.

أن الأنظمة السياسية التي توفر حماية قانونية لحقوق الأقليات وتضمن المشاركة المتساوية في الحياة العامة تساهم بشكل كبير في تعزيز التسامح بين الأديان، وأن المجتمع المدني من خلال منظماته وفعالياته، ويلعب دورًا مهمًا في تقوية الحوار بين الثقافات المختلفة وزيادة الفهم المشترك.

5- دور التقنيات الحديثة في نشر ثقافة التسامح
أدى التطور التكنولوجي وظهور وسائل التواصل الاجتماعي إلى خلق منصات جديدة للنقاش والحوار بين الثقافات المختلفة. يمكن لهذه التقنيات أن تلعب دورًا مهمًا في نشر ثقافة التسامح والتفاهم المتبادل بين الأفراد من خلفيات ثقافية ودينية مختلفة⁽⁴⁾.

يشير إلى أن "الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي قد ساهمت في جعل المعلومات أكثر وصولاً، مما يُمكن الأفراد من تبادل الأفكار والآراء، وبالتالي تعزيز ثقافة التسامح، وهذا الدور المهم للتكنولوجيا في تعزيز التسامح يتطلب توجيهًا دقيقًا من الحكومات والمجتمع المدني لتوجيه هذه الأدوات نحو نشر القيم الإنسانية السامية.

(1) نجيب محفوظ "التعليم والثقافة في المجتمع المصري" ص: 102.

(2) جون هوبكينز "دور التبادل الثقافي في بناء الثقة" ص: 88.

(3) إدوارد هاريس "الديمقراطية والتسامح الديني" ص: 75.

(4) رشيد الفايز "التكنولوجيا والإعلام الاجتماعي في عصر التسامح" ص: 120

المبحث الثاني: تطبيقات عملية للتعايش والتسامح

1- دراسات حالة

تعتبر دراسات الحالة أداة مهمة لفهم كيف يتم تطبيق استراتيجيات التعايش والتسامح في المجتمعات المتنوعة، من خلال دراسة تجارب دولية مختلفة، يمكننا استخلاص العبر وتطبيق الاستراتيجيات الناجحة في سياقات أخرى، وفي هذا القسم سنركز على كندا و سويسرا و الهند كأمثلة بارزة على الدول التي تمكنت من تحقيق نجاحات ملموسة في تعزيز التسامح بين الأديان والثقافات.

• كندا: تُعد كندا من أبرز الدول التي تبنت سياسات تعايش ثقافي وديني فاعلة، فإن كندا تمكنت من دمج العديد من الثقافات المختلفة ضمن مجتمع واحد، وذلك بفضل سياسات الحكومة التي تشجع على التنوع الثقافي وتعزز من احترام حقوق الأقليات، تعتبر كندا نموذجاً عالمياً في كيفية إدارة التنوع الثقافي، حيث تعتمد سياسات التعليم والتوظيف المتساوي وتضمن حقوق الأقليات في كافة مجالات الحياة⁽¹⁾.

• سويسرا: على الرغم من حجمها الصغير، إلا أن سويسرا تعد مثلاً على نجاح تطبيق التعايش الثقافي، يوضح أن "سويسرا طبقت نموذجاً فريداً في دمج الثقافات المتنوعة من خلال تعزيز النظام الفيدرالي الذي يتيح لجميع الكانتونات (المناطق) التحكم في سياساتهم المحلية المتعلقة بالتنوع الثقافي والديني، ومن خلال هذه السياسة يمكن لكل مجتمع أن يعبر عن ثقافته الخاصة بينما يحترم التنوع الثقافي في باقي الأقاليم⁽²⁾.

• الهند: الهند، بوصفها دولة ذات تاريخ طويل من التنوع الثقافي والديني، تقدم مثلاً جيداً على التعايش بين الثقافات والأديان، إلى أن الهند قامت بتأسيس مؤسسات وممارسات تدعم التعددية الثقافية، حيث تم تخصيص أماكن للحوار بين الأديان والأنشطة الثقافية التي تساهم في تعزيز التفاهم المتبادل، ورغم التحديات التي تواجهها، مثل صعود النزعات الدينية المتطرفة، إلا أن الهند تظل رمزاً للتعايش بين الثقافات المختلفة⁽³⁾.

2- مبادرات مجتمعية ودولية لتعزيز التسامح

تعتبر المبادرات المجتمعية والدولية من الأدوات الفعالة في نشر ثقافة التسامح بين الأديان والثقافات، العديد من المنظمات الدولية، مثل الأمم المتحدة ومنظمات غير حكومية، تقوم بدور رئيسي في تعزيز هذه القيم عبر برامج ومشاريع تعاونية.

• الأمم المتحدة: تلعب الأمم المتحدة دوراً بارزاً في تعزيز التسامح عبر برامجها المختلفة، مثل "اليوم الدولي للتسامح" الذي يتم الاحتفال به سنوياً في 16 نوفمبر، وتستهدف الأمم المتحدة من خلال هذه المبادرات تحفيز الحكومات والمجتمعات على العمل من أجل تعزيز السلام الاجتماعي والحوار بين الثقافات⁽⁴⁾.

• المنظمات غير الحكومية: العديد من المنظمات غير الحكومية تلعب دوراً حاسماً في تعزيز التعايش والتسامح، يذكر أن "المنظمات غير الحكومية تقدم فرصاً للأنشطة المشتركة

(1) ليدفيد ميلر في كتابه "التعددية الثقافية في كندا" ص: 114.

(2) جان باتيست أرنيو في كتابه "الاندماج الثقافي في سويسرا" ص: 72.

(3) إندرا راج سينغ في كتابه "الهند والتعايش الثقافي" ص: 55.

(4) لانتونيو غوتيريس "التسامح في العالم المعاصر" ص: 98.

بين الأديان والثقافات، مثل المؤتمرات والمشاريع التطوعية، والتي تساهم في زيادة الوعي بأهمية التعايش السلمي⁽¹⁾.

3- التعليم والتدريب على التعايش

التعليم هو أحد الأسس المهمة في بناء ثقافة التسامح داخل المجتمع، يتم من خلال التعليم غرس قيم التسامح منذ سن مبكرة، وهذا يساعد على تشكيل جيل قادر على العيش مع الآخرين بسلام.

• البرامج التعليمية: يمكن استخدام المناهج الدراسية لتعليم الطلاب حول قيم التعايش والتسامح، مثلما يوضح ، ويجب على النظام التعليمي أن يتبنى المناهج التي تعزز من قيم التسامح والتعاون بين الثقافات، وكما يمكن تنفيذ برامج تدريبية في المدارس والجامعات بهدف تطوير المهارات الاجتماعية التي تشجع على التعاون بين الأفراد من خلفيات ثقافية ودينية مختلفة⁽²⁾.

• برامج التوعية المجتمعية: أن التوعية المجتمعية تلعب دورًا كبيرًا في تقليل التعصب الديني والثقافي من خلال حملات إعلامية وبرامج توعوية تهدف إلى تعزيز قيم التسامح بين الأفراد⁽³⁾.

التحديات والمعوقات

1- التحديات التي تواجه تطبيق استراتيجيات التعايش

تواجه استراتيجيات التعايش والتسامح بين الأديان والثقافات العديد من التحديات، سواء كانت سياسية، اجتماعية، أو ثقافية، هذه التحديات تتطلب تحليلًا معمقًا لفهم العوامل التي تعرقل عملية بناء مجتمعات متناغمة، سنتناول أبرز هذه التحديات التي تشمل التأثيرات السياسية، الصراعات الدينية، ومشاكل تطبيق القوانين.

• التأثيرات السياسية والصراعات الدينية: تعد التوترات السياسية والتنافس بين الدول أو الأيديولوجيات السياسية أحد أبرز المعوقات التي تعيق تحقيق التعايش الفعلي بين الأديان والثقافات، أن "الصراعات السياسية تُستخدم أحيانًا لتغذية الانقسامات الدينية والثقافية، مما يؤدي إلى تفاقم المشكلات المرتبطة بالتسامح والتعايش، وتسهم السياسة في تغذية التعصب والانقسام بين الأديان، مما يجعل من الصعب تطبيق استراتيجيات التعايش بفعالية⁽⁴⁾.

• مشاكل في تطبيق قوانين التسامح على أرض الواقع: بالرغم من أن العديد من الدول أصدرت قوانين تضمن حرية المعتقد و التعايش السلمي، إلا أن تطبيق هذه القوانين غالبًا ما يواجه صعوبات عملية، أن تطبيق القوانين المتعلقة بالتسامح يواجه تحديات كبيرة بسبب ضعف الآليات التنفيذية، مما يؤدي إلى عدم تحقق الأهداف المقررة، وإضافة إلى ذلك تظل هناك فجوة بين التشريعات النظرية والواقع العملي الذي يعاني من الفقر في الوعي الاجتماعي و الضعف الإداري في بعض الأحيان⁽⁵⁾.

• انتشار الخطابات المتطرفة في وسائل الإعلام: تلعب وسائل الإعلام دورًا مهمًا في تشكيل الوعي المجتمعي، وإذا كانت هذه الوسائل لا تسهم في نشر ثقافة التسامح، فإنها قد

(1) أحمد النجار "دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز التسامح" ص: 76.

(2) محمد السيد سعيد "التعليم وبناء السلام الاجتماعي" ص: 60.

(3) يوسف البشري "دور التوعية المجتمعية في مواجهة التعصب" ص: 93.

(4) كمال عبد اللطيف "الصراعات الدينية في العالم المعاصر" ص: 102.

(5) عبد الرحمن اليوسف "دور الدولة في تعزيز التسامح" ص: 55.

تساهم في نشر التطرف و العداء، وسائل الإعلام قد تؤدي إلى تعزيز الصور النمطية عن بعض الأديان أو الثقافات، مما يُعمق الصراعات ويحد من فرص التعايش السلمي⁽¹⁾.

2- المعوقات الاجتماعية

تلعب المعارض الاجتماعية دورًا أساسيًا في إعاقة تطبيق استراتيجيات التعايش والتسامح. هذه المعوقات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات ذات التنوع الثقافي والديني، وتشمل التفاوت الطبقي و التمييز العرقي، فضلاً عن المقاومة الاجتماعية للاندماج الثقافي.

• التفاوت الطبقي والتمييز العرقي: يُعد التفاوت الطبقي و التمييز العرقي من أهم العوامل التي تمنع التعايش بين الأديان والثقافات، أن "التفاوت الطبقي يجعل الأفراد من الطبقات الاجتماعية الدنيا أكثر عرضة للتمييز والاضطهاد، مما يُعيق إمكانية التفاعل والتعايش السلمي بينهم وبين طبقات اجتماعية أخرى، ويشكل هذا التفاوت أساساً للفصل الاجتماعي، مما يعزز من الانقسامات بين المجتمعات⁽²⁾.

• المقاومة الاجتماعية للاندماج والتنوع الثقافي: تمثل المقاومة الاجتماعية للتنوع الثقافي أحد العوائق الكبرى التي تواجه استراتيجيات التعايش. ترفض بعض المجتمعات إدماج الأفراد من خلفيات ثقافية ودينية مختلفة بسبب الخوف من فقدان الهوية الثقافية أو التهديدات الأمنية المزعومة، والعديد من المجتمعات ترفض فكرة التنوع الثقافي خوفاً من تأثيرات سلبية على هويتها الوطنية، ما يعيق بناء بيئة من التسامح⁽³⁾.

3- التحديات الاقتصادية والتقنية

الجانب الاقتصادي أيضاً يمكن أن يكون عاملاً مؤثراً في تعميق الانقسامات أو في تعزيز التعايش. ففي بعض الأحيان، يؤدي الضغط الاقتصادي إلى تعزيز التوترات بين الأديان والثقافات، حيث يشتد الصراع حول الموارد ويُستخدم الدين أو الثقافة كأداة للتفريق بين الأفراد.

• التحديات الاقتصادية: في الدول التي تعاني من الفقر و البطالة، قد يؤدي عدم وجود فرص اقتصادية عادلة إلى توترات ثقافية ودينية، والفقر والبطالة يُساهمان في تفشي الانقسامات الاجتماعية، حيث يميل الأفراد الذين يعانون من الظروف الاقتصادية الصعبة إلى اللجوء إلى الهويات الفرعية كوسيلة لتعبير عن غضبهم الاجتماعي⁽⁴⁾.

• التحديات التقنية: على الرغم من أن التكنولوجيا قد تكون أداة لنشر ثقافة التسامح، إلا أن الوسائل التقنية قد تساهم أيضاً في نشر خطاب الكراهية والتعصب، يشير إلى أن "الشبكات الاجتماعية على الإنترنت تُعتبر بيئة خصبة لانتشار الخطابات المتطرفة، ما يمثل تحدياً في سبيل تعزيز التسامح بين الأديان والثقافات⁽⁵⁾.

(1) محمد أبو النصر "الإعلام والصراعات الثقافية" ص: 123.

(2) أيمن فؤاد زكريا "التمييز العرقي في المجتمعات الحديثة" ص: 85.

(3) المصدر نفسه.

(4) خالد عودة "التحديات الاقتصادية وتأثيرها على التنوع الثقافي" ص: 75.

(5) أحمد حسن "دور التكنولوجيا في تعزيز التسامح" ص: 102.

الاستنتاجات

1. التعايش والتسامح يعدان من أهم الركائز لبناء مجتمعات متناغمة ومزدهرة، حيث يساهمان في تقليل الصراعات وتعزيز الاستقرار الاجتماعي.
2. التحديات لا تزال قائمة: بالرغم من الجهود المبذولة في العديد من الدول لتعزيز التعايش، إلا أن هناك العديد من التحديات مثل التعصب، والصراعات العرقية والدينية، والتمييز، التي تهدد التعايش السلمي.
3. التعليم يلعب دورًا محوريًا: التعليم هو أداة فعالة في تعزيز ثقافة التسامح والفهم المتبادل، حيث يمكن من خلاله تغيير الأفكار المسبقة وتعزيز التقدير للآخر.
4. دور الإعلام مهم جدًا: وسائل الإعلام هي قناة رئيسية لنقل الرسائل والتصورات حول الثقافات المختلفة. يمكن أن يكون الإعلام قوة إيجابية إذا تم توظيفه بشكل صحيح للترويج للتسامح والتعايش.
5. دور القيادات السياسية والدينية: القيادات السياسية والدينية لها تأثير كبير في تشكيل السياسات والمواقف تجاه الآخرين. إذا كانت هذه القيادات تدعم مبادئ التسامح والتعايش، فإنها تساهم في بناء بيئات أكثر شمولية.
6. الوعي المجتمعي ضروري: فكلما كان المجتمع واعيًا بتنوعه الثقافي والديني، كان أكثر قدرة على التعامل مع هذا التنوع بشكل إيجابي.

التوصيات:

1. تعزيز التعليم عن التسامح: إدراج برامج تعليمية في المناهج الدراسية تهدف إلى تعزيز الفهم المتبادل بين الأديان والثقافات. يمكن تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية للشباب لتعزيز قيم التسامح.
2. إقامة حوارات ثقافية ودينية: تنظيم مؤتمرات ولقاءات دورية بين ممثلي الأديان والثقافات المختلفة لتعزيز التفاهم وبحث سبل التعاون السلمي بين المجتمعات المختلفة.
3. التشجيع على التشريعات الداعمة للتسامح: وضع قوانين وتشريعات تدعم المساواة وتحظر التمييز العنصري والديني، وتكافح جميع أشكال التعصب والكرهية.
4. استخدام الإعلام بشكل إيجابي: توجيه الإعلام لتعزيز رسائل التسامح والتعايش من خلال برامج وثائقية، ومقالات، وتقارير تسلط الضوء على تجارب إيجابية للتعايش بين الثقافات والأديان.
5. مساندة دور المجتمع المدني: دعم المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني في نشر ثقافة التسامح من خلال الأنشطة الثقافية والاجتماعية التي تعزز التعاون بين مختلف الفئات.
6. تطوير برامج تدريبية لرجال الدين والقادة السياسيين: تزويد القيادات الدينية والسياسية بالأدوات اللازمة لتعزيز التسامح في مجتمعاتهم من خلال ندوات وبرامج تدريبية.

الخاتمة

إن التعايش والتسامح بين الأديان والثقافات يمثلان أساسًا لتحقيق السلام الاجتماعي والانسجام في المجتمعات المتنوعة، ومع تنامي التحديات العالمية المتعلقة بالصراعات الدينية والثقافية، يصبح من الضروري العمل على تعزيز هذه القيم من خلال استراتيجيات فعالة تشمل التعليم، والحوار، وتشجيع السياسات الداعمة للتنوع، لقد أظهر البحث أن هناك

العديد من الجهود التي يمكن أن تُبذل من أجل تخطي هذه التحديات، سواء على مستوى الأفراد أو الحكومات أو المجتمع المدني.
إن نشر ثقافة التسامح يتطلب تعاونًا مستمرًا بين جميع الأطراف المعنية، بدءًا من الحكومات ومرورًا بالمنظمات المجتمعية وصولًا إلى الأفراد. من خلال بناء قنوات تواصل بين الثقافات المختلفة وتعزيز القيم الإنسانية المشتركة، يمكننا تحويل التنوع إلى مصدر قوة بدلاً من أن يكون سببًا في التوتر والصراع.
ويبقى الأمل في أن تشهد المستقبلات القريبة مجتمعات أكثر توافقًا وتناغمًا، حيث يتمكن الأفراد من العيش معًا بسلام، مؤمنين بأن التعايش السلمي ليس مجرد خيار، بل ضرورة لبناء عالم أفضل للجميع.

المصادر

1. العروى، عبد الله، "مفهوم الدولة"، المركز الثقافي العربي، ط9، 1999. ص. 54.
2. عمارة، محمد، "التسامح الديني في الإسلام"، مصر، ط2 2005.
3. زكريا، فؤاد، "الفكر العربي في القرن العشرين"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الاسرة، 2002.
4. ستيجلر، جوزيف، "العولمة والتنمية المستدامة"، مقالة على النت، 2010.
5. العيسوي، طاهر، "التسامح والتعددية في الفكر العربي المعاصر"، دار النهضة العربية، 2011.
6. أركون، محمد، "الفكر الإسلامي المعاصر"، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى، ط2، بيروت-لبنان، 2001.
7. سعيد، إدوارد، "الاستشراق"، ترجمة د. محمد عناني، ط1، مطبعة رؤية، القاهرة، 1978.
8. حلمي، مصطفى، "التربية والتسامح"، القاهرة، ط1، 2010.
9. العظم، صادق جلال، "النقد الثقافي"، النشر الهادر المعمور، سوريا، 2005.
10. أبو نضال، نزيه، "الإعلام وقيم التسامح"، المجلس الأعلى للتربية والثقافة، سوريا، 2007.
11. قرم، جورج، "الحروب في الشرق الأوسط"، ط1، بيروت-لبنان، 2009.
12. معلوف، أمين، "الهويات القاتلة"، ط1، دار ورد، دمشق، سوريا، 1998.
13. عبد الله، محمد، "التسامح الديني: المفهوم والتطبيق"، السعودية، 2008.
14. لوروا، أندريه، "التعددية الثقافية في العالم المعاصر" مركز دراسات الوحدة العربية، مطبعة بيت النهضة، بيروت-لبنان، 2006.
15. القرضاوي، يوسف، "الإسلام والتعددية الثقافية"، القاهرة-مصر 2011.
16. محفوظ، نجيب، "التعليم والثقافة في المجتمع المصري"، القاهرة-مصر 2010.
17. هوبكينز، جون، "دور التبادل الثقافي في بناء الثقة"، مقالة 2014.
18. صادق، عادل، "الإعلام والتعايش الثقافي". 2009.
19. مقال، هاريس، إدوارد، "الديمقراطية والتسامح الديني". 2013.

20. هيلاري، ديفيد، "دور المجتمع المدني في تعزيز التسامح"، دار الساقى، الرياض، 2011.
21. الفايز، رشيد، "التكنولوجيا والإعلام الاجتماعي في عصر التسامح". 2015.

محورية القرآن الكريم في التصدي للتطرف

إبراهيم خالد لطيف محمد الجودي
alsnanyjwd41@gmail.com
طالب دراسات عليا
صنعاء- اليمن

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه المنتجبين.
إن التطرف مشكلة اجتماعية يعاني منها الجميع، والتطرف في شكله العام هو المزايدة الأمر المفترض.

وعلى إثر ذلك تشكلت النظرة التطرفية بالمزايدة بشكل دائم، وبني على ذلك أحكام وتوجهات ما كانت لو لم يكن هناك مزايدة.

ونحن في هذا البحث الموسوم بعنوان (محورية القرآن الكريم في التصدي للتطرف) سوف نناقش الاعتبار القرآني كمواجه أساسي للتطرف.

ودائماً ما كانت الجماعات المتطرفة تجعل من الدين غطاءً رسمي لها، ومبرر دائم لأفعالها بحيث تعطي القدسية والشرعية للأعمال التي تقوم بها، ولذا كان دائماً يوجه النقد للدين، وذلك لأننا نسعى دائماً للأشياء الظاهرة، ولا يسعى للفهم والتحليل إلا القليل.

أهمية البحث:

لهذا البحث خصوصية وأهمية في كونه يقدم القرآن الكريم كمحور ومركز أساسي للتصدي للتطرف، بل قاعدة ومنطلق لكل من يذهب ليواجه التطرف، وخاصة التطرف الديني.
فهذا البحث قدم القرآن الكريم كمحور لمواجهة التطرف دافعاً بذلك ما اشتبه على غير المسلمين في المسلمين من أن المتطرفين يمثلون منحى ديني.

مشكلة البحث:

قامت بعض الحركات الإرهابية والجماعات المتطرفة بإخفاء الصبغة الدينية على أفعالها، وخاصة ما حصل في الفترة الأخيرة من قبل الجماعات المدعومة من الغرب من قبيل داعش والقاعدة أو بوكو حرام، وهذا من الدوافع التي جعلتنا نختار عنوان هذا البحث ومن خلال هذه المشكلة تشار لدينا بعض التساؤلات التي ستكون محور هذا البحث:

١- ماهو دور القرآن الكريم في التصدي للتطرف؟

٢- ماهي الآيات الكريمة في القرآن الكريم التي أشارت إلى التطرف؟

٣- كيف تمت القراءة التفسيرية لهذه الآيات؟

وهذه الاسئلة ستكون موضع اهتمامنا في هذا البحث لنجيب عنها.

أهداف البحث:

١- إبراز دور القرآن الكريم في التصدي للتطرف.

٢- التعرف على الآيات التي نبذت التطرف، و المتطرفين.

٣- معرفة القراءة التفسيرية للآيات الكريمة التي تصدت للتطرف.
وفي الأخير نسأل من الله سبحانه وتعالى الهداية والتوفيق والسداد في القول والعمل،
والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: مفهوم التطرف ونشأته

لا بد من قبل شروع أي بحث أن يتم أخذ طريق فهم موضوع البحث، وهذا يسهل على المرء أن يفهم البحث قبل أن يشرع في قراءته.
إضافة إلى ذلك أخذ لمحة عاجلة عن الموضوع أمر مهم للغاية، وهذا مانحن بصدد في بداية هذا المبحث.

لذا فنحن في هذا المبحث سنشرع في تعريف مفهوم التطرف، ودراسة نشأة هذا التطرف
كيف بدأ وكيف وصل إلى ما هو عليه.

المطلب الأول: مفهوم التطرف

يأتي معنى التطرف باللغة بشكل مختلف، وله عدة أوجه فأصل كلمة التطرف هو الطرف،
وهذه الكلمة لها معان عدة، ولكن نشير إلى بعضها كون هذا المقام لا يسعنا إلى التوسع في ذلك.

المعنى الأول: الطرف هو العين، ولا يجمع لأنه في الأصل مصدر قال تعالى: ﴿لا يتردد إليهم طرفهم﴾¹، وهذا المعنى يجعل معنى الطرف هو العين، وهذا أحد المعاني القرآنية لهذه الكلمة.

المعنى الثاني: يقال: وأطراف الأرض أي نواحيها واحدا طرف².

المعنى الثالث: الطرف: الطائفة من الشيء، تقول: أصبت طرفاً من الشيء³.

المعنى الرابع: وناقة طريفة: لا تثبت على مرعى واحد، إذا تطرفت أي رعت أطراف المرعى، ولم تختلط بالنوق⁴.

هذه بعض معاني كلمة-طرف- ونكتفي بهذا القدر من المعاني، ونشرع الآن في تحليلها.
في المعنى الأول أنى معنى الطرف بالعين، وكان هذا المعنى قرآنياً، ولكن الاشكال هنا هل القرآن الكريم يعتمد كتعريف أساسي لهذه المادة، وأن الطرف هو العين لا غيره.

هذا الاشكال لا يتناسب مع مجريات اللغة العربية باعتبارها لغة كثيفة المعاني بحيث أن الكلمة الواحدة لها عدة استخدامات، وهذا الأمر يجعل المعاني القرآنية لهذه الكلمات أحد أفرع الاستخدام فالثراء اللغوي الموجود على اللغة العربية معروف.

أما بالنسبة للمعنى الثاني فهو يدل على أن الطرف مكان بعيد عن مركز الأرض فهو في ناحيتها لا في وسطها، وهذا يدعم التطرف كاصطلاح.

المعنى الثالث والذي يعني جزء من الشيء، فهو يدل على أن الطرف يدعم جزء من الكل لا كل في كل، وهذا المعنى يدعم المعنى الاصطلاحي للتطرف.

1 الجوهري، الصحاح، ص 697.

2 الفراهيدي، العين، ج3، ص 34.

3 المصدر السابق.

4 ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 216.

وأما المعنى الرابع والذي يقول بأن الناقاة الطريفة هي الناقاة التي تحبذ أن ترعى لحالها دون الاختلاط مع باقي النوق في المرعى فهذا المعنى يدعم المعنى الاصطلاحي للتطرف بشكل كبير.

فالتطرف وفق هذه المعاني اللغوية قد اشتمل على تخصيصات في المعاني توضحه وتقرب مفهومه بشكل لغوي، وبشكل اجتماعي باعتبار أن التطرف ظاهرة اجتماعية وحالة قائمة في المجتمع.

المعاني التي خصصت معنى التطرف تدل على الآتي:

أ- أن التطرف حالة بعيدة عن المركزية فهي في أفكارها شذت عن المركز، وأصبحت في الناحية.

ب- أن التطرف جزء من الكل فهو يمثل جزئية لا يمثل كلية كما يروج له.

ج- أن التطرف كفكرة غير قابلة على الانسجام مع الأفكار الأخرى، وذلك لأسباب.

أما عن مفهوم التطرف بشكل اصطلاحي فقد عرفه القرصاوي: (التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذه للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم)¹.

وعلى هذا فالتطرف يلغي الزمان والمكان، ولا يراعي الاحوال والظروف، فالتطرف قد احتوى على العديد من المصطلحات:

١- هو غلواً في نفسه فهو يدرك ما يعلمه، ولا يريد أن يدرك ما يخالفه، ويقدم ما هو عليه.

٢- يتعصب لرأيه لا يريد النقاش، ولا يريد طرح البراهين فهو يفرض ما يعتقد به.

ويعرف الدكتور الصاوي التطرف بأنه: (التنطع في أداء العبادات الشرعية أو مصادره اجتهادات الآخرين في المسائل الاجتهادية، أو تجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف والتنطع في أداء العبادات هو التعمق أو مجاوزة الحد في الأقوال والأفعال، ويدخل فيه الزيادة على المشروع، والتزام مالم يلزم به الشارع ر الورع الفاسد ونحوه)².

إذا التطرف هو تجاوز الحدود، وتجاوزها بغير المعقول والالتزام بما لم يلزم به الالتزام كمثال الأخذ بوجوب المستحب والعتب على تركه، وما سمي المستحب مستحباً إلا للإباحة في فعله أو تركه.

ولفت النظر أن أحد الدكاترة وهو حامد سليمان قد أشار إلى معنى آخر للتطرف وهو التفريط في الفهم، وهذا ما سمي بالتطرف السلبي³.

وهذا موضوع مهم كوان التصور الموجود في أوساط الناس والمعرفين للتطرف على أنه المغالاة في أحكام الشرع والتزمت، ويتركون التطرف الذي لا يرى قيمة لأحكام الشرع، وهذا أيضاً تطرف شديد، وهو مؤثر بشكل كبير على المجتمع.

ولذا فتحت بهذا البحث سوف نحاول على ادخال المصطلح الآخر للتطرف ضمن سياق البحث وندرسه ونعرف موقف القرآن الكريم منه.

1 القرصاوي، الصحو الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص 39.

2 الصاوي، التطرف الديني، ص 10.

3 المصدر السابق، ص 9.

ومن المهم التركيز على مثل هكذا مواضيع، وعدم أخذ المصطلحات هذه كما أراد لنا الغرب أن نأخذها فالحرب الاصطلاحية قائمة، ولو كانت في الخفاء فأثارها ظاهرة.

المطلب الثاني: نشأة التطرف

ليس من الصحيح الجزم بتعيين تاريخ معين لنشأة التطرف لأن التطرف فكر ومنظر، فلو أننا أخذنا حدثاً معيناً وأطلقنا عليه أنه تطرف لعمل الطرف الآخر والذي اطلق عليه أنه تطرف نفس الأمر .

إذاً التطرف لا يعين كونه فكر مبني على قواعد يؤمن بها من قبل اتباعه فهو كفكر لا يمكن تحديده، ولكن لو أصبح هذا الفكر فعلاً لأمكن.

إذاً مقتضي تحديد التطرف هو كونه فعلاً، ولكن النكته هنا هو كيف سوف يتم تحديد الفعل المتطرف؟، وعلى أي اساس سوف يتم تحديده؟، ومن هو الطرف الذي سوف يحدد المتطرف؟.

كل هذه الأسئلة السابقة تصب في قالب واحد، وهو تحديد شخصية مصنف التطرف لكي يتم معرفة المتطرف، وتحديد شخصية المتطرف ليس في زمن واحد فقط بل نصبح آلية لتحديد المتطرف في كل زمن.

وهذه الآلية سوف تحدد التطرف من خلال الفعل لا من خلال الفكر الذي لم يبني عليه فعل، وذلك في أن التطرف لم يطلق عليه التطرف إلا حينما تجاوز القول بالفعل، وهذا ما علمنا في المطلب الأول.

تاريخياً قد حدد القرآن الكريم كيف بدأ التطرف، وتحديدنا لذلك استفدناه من خلال التعريفات السابقة للتطرف، وهو أن المتطرف يذهب إلى مالم يذهب إليه الغير أو بشكل أوضح المتطرف شاذ عن غيره.

ويمكن تحديد الهوية الأولى للمتطرف من خلال الرجوع إلى الشخصية الأولى التي شذت عن الجميع، واختارت أن تكون هي صاحبة الأمر والنهي.

الشخصية الأولى التي حددها القرآن الكريم هي شخصية إبليس فهو أول من أحدث التطرف، وذلك من خلال التتبع لتاريخ الإنسان.

كل حادث يحدث تجد له سابقة، وهذه السابقة تتطور شيئاً فشيئاً، وكان اساس التطرف كما عرفنا هو التعصب.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾¹.

إذاً إبليس لعنه الله كان ضمن الجماعة ولكنه أراد أن يكون كذلك البعير التي ترعى خارج القافلة ولا تريد أن تكون مع أقرانها.

يقول السيد صاحب الميزان-|- : (وأول معصية عصي بها الله سبحانه فإن جميع المعاصي ترجع بحسب التحليل إلى دعوى الأنانية ومنازعة الله سبحانه وتعالى في كبريائه)².

إذاً على أي وجه حددنا أن إبليس لعنة الله هو المتطرف الأول، وصاحب منشأ التطرف، ولهذا الاشكال جواب مفصل.

1 سورة الاعراف: 11-12.

2 الطباطبائي، الميزان، ج9، ص 25.

إن إبليس لعنة الله كان ضمن الكل، فهو جزء من كل ، ولكن النظرة الاستعلائية له، ورؤيته لنفسه على أنه له ميزه عن الآخر، وله تفوق عن الآخر بما لديه من امتيازات هو تعريف كامل لمعنى التطرف، وكما أشرنا سابقاً إلى أن التطرف لا يصبح تطرفاً إذاً لم يتجاوز والقول والفعل، فالتطرف فعل، ولو كان إبليس يرى لنفسه امتياز وسجد لبقى على حاله، ولكن التطرف الموجود فيه جعله يخرج من حالة الاخفاء إلى حالة إظهار التطرف ليتحول إلى فعل، ولا يسجد لأدم ويتمثل الأمر الإلهي.

هنا إبليس لعنه الله قد شذ عن الكل، واختار أن يكون طرفاً آخر، وكل هذا لا يشكك في كونه المتطرف الأول في التاريخ.

إذا كان إبليس لعنة الله بفعله هذا قد شكل طرف، وقد رسم لهذا الطرف أهداف، وأصبح لتطرفه معنى، وهنا لم يتوقف هذا الأمر عند هذا الحد.

يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ بَنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا..... إِلَى قَوْلَةِ تَعَالَى: فِي الْأَرْضِ لِمُسْرِفُونَ﴾¹.

الآية السابقة تحكي لنا تطور التطرف وخروجه من الفكر إلى الفعل، ولذا يعلل الله سبحانه وتعالى أن كل من بغى في الأرض أو فسد أو قتل فكأنما قتل الناس جميعاً.

إذاً سلوك التطرف يؤدي دائماً إلى العنف، وهذا ما حصل مع بني آدم أو حتى الاقوام الأخرى التي كانت تتعصب لآلهتها وتقتل المؤمنين.

المبحث الثاني: مبررات التطرف الديني

لقد أخذ العلماء من القرآن الكريم مبرراً للتطرف الديني وذلك أنهم عندما أخذوا بتفسير القرآن الكريم لم يرجعوا إلى تفسير القرآن الكريم إلى الرأي وكذلك إلى الأحاديث الموضوعية، ونحن في هذا المبحث سنعرض مبررات هذا التطرف من خلال تحويلهم معاني القرآن الكريم.

المطلب الأول: القراءة التفسيرية المحرفة

لقد أطلق بعض العلماء العنان لتفسيراتهم المحرفة للآيات القرآنية فأخذوا يكفرون المسلمين، ويفتون بقتلهم دون مراعاة الله عز وجل، ولا يرقبون في ذلك إلا ولا ذمة.

ووفق هذا أخذ بعض علماء السوء القرآن الكريم ذريعة لأعمالهم السيئة، وقد خصصنا هذا المطلب لعرض بعض النماذج التي استخدمها المتطرفون كذريعة لتكفير الآخر أو قتل الآخر.

وأهمية هذا المطلب هو أنه يعرض علينا بشكل مختصر بعض النماذج للقراءة التفسيرية المحرفة، وذلك يكسبنا بأن ندرس هذا التطرف، ومن أين منشأه.

لقد ابتليت المدرستين الشيعية والسنية بمصيبة تكفير الآخر، ولكن الأخيرة كانت مع تطور الزمن تزداد في همجيتها، ويتطور الأمر شيئاً فشيئاً.

في النموذج الأول: تكفير الإسماعيلية

لقد وصل الغزالي إلى مرحلة يكفر بها الإسماعيلية لشبه سمعها عنهم، ولم يطلع على كتبهم حتى ولو اطلع على كتبهم لما ألف كتاباً يكفرهم.

يقول الغزالي: (ومهما تزوج الباطني المحكوم بكفره بامرأة من أهل الحق أو من أهل دينه فالنكاح باطل غير معتقد)¹.

وهنا نرى أنه كفر الباطني في مسماه ثم أفسد معاملته من زواج ويضاف إلى غير الزواج، ثم أسماه دين فهو بذلك قد نصب أن الإسماعيلية من دين آخر فالإي أي حد التطرف قد وصل. إن السبب في جعل بعض الأقليات تنزوي على حالها ولا تخالط الناس بل تصبح مجهولة وغامضة هو مثل هذه الفتاوي التي ارهبت الأقليات وجعلهم يعانون أيما معاناة بل وصل الحال في بعضها أن انتشر بسبب ماشن عليها من أو فتاوي تفاد لها. النموذج الثاني: تكفير الزوار

من المتعارف عليه عن المسلمين الشيعة وبعض المذاهب والطوائف الأخرى هو زيارة أضرحة الصالحين لما لها من أهمية في التمسك بهم.

وأما المنهج المتطرف قد وصل إلى هؤلاء وكفرهم وفي ذلك يقول ابن تيمية: (وهؤلاء الذين يستغيثون بالأموال من الأنبياء والصالحين والشيوخ وأهل بيت النبي غاية احدهم أن يجري له بعض هذه الأمور أر يحكي لهم ومن هؤلاء من يأتي إلى قبر الشيخ الذي يشرك به..... إلخ)².

أصبح التكفير وتوجيه الاتهامات أمر سهل لأبسط الاعتقادات وتعظيم ذلك بشكل مبالغ فيه، وإنزاله في موضع لا يجب أن يكون فيه.

النموذج الثالث: تكفير الشيعة

يرى ابن تيمية أن الشيعة كفار بل يرى أن اعداء المسلمين لم ينجحوا في اختراق المسلمين إلا عن طريق الشيعة، وما أعظم هذا الأمر الذي يجعل المسلم يخاف التعايش مع غيره لأنه يرى مثلما يرى ابن تيمية.

يقول ابن تيمية: (وذلك لعلمهم أن الشيعة من أجهل الطوائف، وأضعفها عقلاً وعلماً ، وأبعدها عن دين الإسلام علماً وعملاً)³.

أخذ التطور يتطور شيئاً فشيئاً، ومثل ابن تيمية الذي لا يرقب إلا أو ذمك في تكفير المسلمين يصبح علماً من أحلامهم بل وتدرس كتبه.

لن نستطيع التخلص من التطرف إلا بعد أن نتخلى عن مثل هكذا كتب أو حتى علماء فمن يذكرون قريحة الحقد في المسلمين يجب أن يقاطعوا كما تقاطع بضائع اليهود.

المطلب الثاني: الاستناد الباطل

دائماً ما كان يقوم العلماء بإرجاع فتاويهم إلى القرآن الكريم كنوع من الاستناد به، ويرون أن تكفيرهم تم بطريقة شرعية ليس عليها غبار وهذا ما عانت منه الأمة الإسلامية، وصدق أمير المؤمنين علي ؑ عندما بعث ابن عباس محاجة الخوارج: ((لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون)⁴.

وهنا نرى رجاحة الميزان العلوي الذي فهم ابن عباس أن الاستناد إلى القرآن الكريم يعني فتح الباب على مصراعيه للطرف الآخر فهؤلاء يكفرونك لأنهم يقولون قال تعالى، ولذا سيستخدمون ذلك ضدك.

1 الغزالي، فضائح الباطنية، ص 142.

2 ابن تيمية، قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، ص 234.

3 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 35، ص 136.

4 الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص 677.

إذاً أصيبت الأمة من ذلك الزمن بالتفسير الخاطئ لآيات القرآن الكريم، وعدم وضعها في موضعها وهذا ما أوصلهم إلى هذه الحالة في الوقت المعاصر.

ومن أمثال هذا الاستناد الباطل ما ذكره الدكتور أحمد صبحي عن عبدالوهاب ، فقال: (والموالاة في تشريع القرآن تأتي بمعنى التحالف الحربي عندما يعتدي المشركون على المسلمين المسالمين، وليس بالاعتداء على المسالمين المختلفين في العقيدة، ولكن أخذ ابن عبدالوهاب بالتراكم الفقهي فدعا إلى كراهية الآخر المختلف معه في العقيدة و المذهب حتى ولو كان مسالماً)¹.

إذاً كان منهج ابن عبدالوهاب هو تغيير معنى القرآن الكريم دون الرجوع إلى القواعد القرآنية، أو مراعاة الظروف فهو يأخذ الآية، ويطبقها على مخالفين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين.

يقول الشيخ عبدالله دشتي عن اتخاذوا التكفير اسلوباً: (أنهم البسوا عقيدتهم ورؤيتهم لباساً قرآنياً من خلال الاستناد على بعض الآيات التي ادعوا انها محكمة في رؤيتهم للتوحيد، والشرك)².

وعلى هذا الأساس أستمروا المتطرفون في تطرفهم معتقدين بذلك أنهم على مباني صحيحة، وهو في نفس الوقت ما دعاهم ذلك إلى التعصب لآرائهم، وبسبب هذه التحويرات لمعاني القرآن الكريم استطاع المستشرقون أن يصنّفوا الإسلام كدين ينشر الارهاب والتطرف متجاهلين بذلك ما ورد في التوراة والإنجيل من إرهاب حقيقي لغير اليهود.

ولذا في أحد البرامج الأمريكية يقول المذيع: (الجميع يعتقدون أن الإسلام دين مشروع ينادي بالحب و الأخوة، الحقيقة هي أن الارهابيين يعكسون دينهم ويتبعون دينهم)³.

إذاً لا نلام عندما نقوم برمي هذه الحركات المتطرفة بالعمالة فهم يعملون ما يريد الغرب أن يصل إليه وهو إبطال الاسلام، وتقشي الكراهية تجاهه، وكل ذلك بسبب حركات التطرف وكتبها.

المبحث الثالث: التصدي القرآني للتطرف من خلال قواعده

بعد أن عرضنا العديد من الأمور في المباحث السابقة وعرفنا أنّ المبطلين المتطرفين قد استخدموا القرآن الكريم لأغراضهم الشخصية نحن في هذا المبحث سوف نعرض الآيات القرآنية التي تصدت للتطرف وعدم السماح للمتطرفين أن يمسوا القرآن الكريم بتطرفهم.

المطلب الأول: قاعدة الحرية الدينية

في هذه القاعدة المهمة، والتي تعتبر أهم قاعدة قرآنية لمواجهة التطرف، والتصدي له، وهذه القاعدة قد تجاهلها هؤلاء المغرضون والمتطرفون وقد هاجم القرآن الكريم هؤلاء.

في هذا المطلب سيكون هدفنا معرفة هذه القاعدة والقراءة التفسيرية لها، ومعرفة الدور التي قامت به تجاه التطرف.

يقول عز وجل في محكم كتابه: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾⁴.

1 صبحي، جذور الارهاب في العقيدة الوهابية، ص 46.

2 دشتي، تطهير المناهج من التكفير، ص 11.

3 الخطيب، الاسلام والارهاب في الفكر الغربي، ص 15.

4 سورة البقرة: 256.

إذاً هذا هو النص القرآني لهذه القاعدة (قاعدة الحرية الدينية)، ومن خلال هذه الآية سوف نتتبع القراءة التفسيرية لها، والقواعد التي بنيت عليها.

القراءة التفسيرية الأولى نبدأها مع الماتريدي حيث يقول: (قال بعضهم: نزلت في المجوس، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى أنه يقبل منهم الجزية، ولا يكرهون على الإسلام، ليس كمشركي العرب ألا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ولا يقبل منهم الجزية، فإن أسلموا وإلا قتلوا)¹.

وفي قول الماتريدي هذا إشكال، وهذا الاشكال سوف نحاول الإجابة عنهم، وهو:

١- ما الفرق بين الشرك والكفر؟

٢- ما سبب قتل مشري العرب؟

٣- من هم مشركي العرب في ذلك الوقت؟

وهذه الأسئلة ستكون محل بحثنا في ضوء كلام الماتريدي وتفسيره لهذه الآية.

إيجاد الفرق بين الكفر والشرك أمر مهم للغاية، وذلك للحصول على التمييز بينهما، ومعرفة الاختلاف بينهما.

قد قسم المؤلفون الكفر إلى عدة أقسام، ولكن الكفر الذي عليه أهل الكتاب والمجوس هو اعتقاد كذب الرسل مضافاً إلى كفر الإباء والاستكبار²، وهو ما عليه أهل الكتاب.

أما عن الشرك هو أن يتخذ من دون الله نداً، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين³.

إذاً ما أراده الماتريدي هو الشرك الذي كان عليه العرب في ذلك الوقت، ولذا ففي زمن رسول الله ﷺ قد حارب من مشركي العرب، ولذا فهو قاتلهم، وهذا جواب السؤال الثاني والثالث ولذا فلم يكن للكراهية أو الاكراه على الإسلام أي مبرر فقد عاش الكل في ظل رسول الله ﷺ.

وقد ذكر الطبري في تفسيره أحد الأقوال في تفسير هذه الآية فقال: (فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في قوم من الانصار- أو في رجل منهم- كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصرؤهم، فلما جاد الله بالإسلام ارادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام)⁴.

بعد عرض هذه الأقوال، والاختلاف في نزول الآية، وفيما نزلت نريد أن نعلل الآية، ونكتشف ما لم يتعرض له المفسرون خاصة أهل السنة.

هل الإكراه يؤثر في العقيدة، وهل المكروه سوف يمارس دينه كالمسلم الراضي بدينه؟

اسئلة لم يحاول المفسرون الإجابة عنها، ولكنها أساس قبل الحكم بمعنى الآية، وقد اضطربوا في تفسيرها، ومنهم الفخر الرازي.

نجد الفخر الرازي في تفسيره يعرض أقوال مضطربة لا أساس لها فهو في القول الأول بين رأي المعتزلة، واعتقادهم بأن أمر الإيمان لم يبنى على الاجبار والقسر، أما القول الثاني فهو

1 الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج2، ص 239.

2 ابن القيم، مدارج السالكين، ج1، ص 321.

3 المصدر السابق، ص 323.

4 الطبري، تفسير الطبري، ج4، ص 546.

عدم تخيير الكافر بين الإسلام أو القتل، وأما القول الثالث عدم تغيير الداخل في الإسلام وهو مكرهاً بذلك¹.

وهنا نسأل المفسرين هل الآية تظهر لكم أنها تعني المسلم المكره على إسلامه أو تخيير الكافر بالإسلام أو القتل، ولو كان كذلك لما لم يفعل رسول الله ﷺ ذلك مع اليهود والمشركين. يقول السيد الطبطبائي في معنى هذه الآية: (نفي الدين الإجباري، لما أن الدين هو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد و الايمان من الامور القلبية التي لا يحكم فيها الاكراه او الاجبار)².

وخلاصة هذا المطلب هو أن الاكراه يؤثر على أعمال الانسان، وأن المطلوب من الإنسان هو البحث عن الحقيقة ليتعرف عليها، ويقتنع بها، وهذا يجعله صالحاً مقارنة بالمكره. ثم نأتي الآن بعد أن عرفنا هذه القاعدة والقراءة التفسيرية لها، ولنعرف ما هو دورها في التصدي للتطرف.

يتمثل دور هذه الآية القرآنية في التصدي للتطرف في أنها اوضحت أن مسألة الحق والباطل واضحة ولذا فليس هناك داعي لأن يتم الاكراه في الدين، فمن شاء تبع الحق، ومن شاء أن يتبع الباطل فله كامل الحرية في ذلك، ولا يتم القتال إلا في حال الاعتداء. ولذا فإن دعاوي التطرف حاولت أن تتصل عن معنى الآية وتحور معناه أو تتجنب النص القرآني لأن هذه الآية تمثل قاعدة الحرية الدينية.

المطلب الثاني: قاعدة المغالاة

حارب القرآن الكريم وتصدى للتطرف من خلال مواجهته للمغالاة في الدين، وهذا كان سبباً دائماً للتطرف في الدين.

وتنص هذه القاعدة كما جاءت في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾³.

وفي قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾⁴.

هذه الآيات القرآنية الكريمة نصت على عدم المغالاة، وقد أتت ناهية عن ذلك، وقد تحقق النهي في نص الآية في قوله ((لا)) ولذا فالمغالاة لا يجب أن تكون في الدين، ولكن هناك إشكال يعرض علينا ولا بد من توضيحه.

هذا الاشكال يأتي في توضيح هذه الآية، ونصه في صياغة اسئلة كالآتي:

١- ماهي المغالاة؟

٢- ما علاقة المغالاة بالتطرف؟

٣- كيفية تطرف أهل الكتاب؟

للغلو رابط كبير مع التطرف، ولو صح القول فالغلو جزء من أجزاء التطرف، فالتطرف هو المعنى العام لعدد من المعاني.

1 الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج7، ص 16.

2 الطباطبائي، الميزان، ج2، ص 347.

3 سورة النساء: 171.

4 سورة المائدة: 77.

كانت هذه الآية محذرة لمن يغالي في دينه، وكما يقول صاحب الأمثل: (فهذه الآية تحذر في البداية أهل الكتاب من المغالاة والتطرف في دينهم، وتدعوهم أن لا يقولوا على الله غير الحق)¹.

إذاً هناك ترابط بين الغلو والتطرف، وهذه المشتركات واحدة حتى كأنها تجعل المعنى واحداً، ونحن في المباحث السابقة ذكرنا أن التطرف هو الشذوذ عن الجماعة والمخالفة لها، وعدم الرغبة في الاختلاط بها بل وصل به الحال إلى التعصب في الرأي، وتجاهل الرأي الآخر ونحن الآن بحاجة إلى معرفة معنى الغلو.

وقد عرف الغلو ابن عاشور في تفسيره بأنه: الزيادة في عمل على المتعارف منه بحسب العقل أو العادة أو الشرع².

إذاً الغلو هو تجاوز والتطرف كذلك تجاوز، ولذا كانا في الإسلام من النواهي، ولذا فقد كان تطرف أهل الكتاب إلى حد وصلوا به إلى تأليه عيسى بن مريم ويقول في ذلك القرطبي: (غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه رباً)³. ولذا فالتطرف هو مبالغة لا مبرر لها، ولو وضعوا لها مبرر، وهاتين القاعدتان التي قد عرضناهما هي في مواجهه هذا الغلو والتصدي له.

المبحث الرابع: نبذ القرآن الكريم لنماذج التطرف

لقد نبذ القرآن الكريم نماذج التطرف بل جعلها عبرة للناس أن يحذروا سلوك نفس الخط الذي سار عليه المتطرفين الذي كانوا وصمة دائمة ومضرب دائم لمعاني التطرف والعنف وغيره.

المطلب الأول: التطرف الفرعوني

أصبح فرعون هو المثال الأسمى لكل معاني التطرف ولذا فقد جعله القرآن الكريم عبرة، وإضافة إلى ذلك فقد نبذ تطرف فرعون.

البعض يقصد أن فرعون قد عورض من القرآن الكريم لكفره أو قتله لبني إسرائيل، وهذا ليس فقط كل الأمر بل فرعون شكل هالة تطرفية كبيرة وقد تزعمها، وكان على رأسها. وأما عن نوعية تطرف فرعون فكان تطرفه سياسي يعتمد من خلاله إلى قتل الناس واستعطافهم وهذا يجعلنا ندرك أن التطرف قد ينتقل من تطرف ديني إلى سياسي أو غيره من المجالات، ولذا فقد تعرض القرآن الكريم لنوعية هذا التطرف، وتكلم عنها وأجملها. يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾⁴.

ومن خلال هذه الآية ندرك أن منهج فرعون كان تطرفي بتقسيمه الناس إلى فرق مختلفة ثم استضعافهم وقتلهم وفعل المنكرات بهم، وهذا هو النموذج الأول.

المطلب الثاني: مأساة أصحاب الاخدود

لقد حكى لنا القرآن الكريم عن جريمة حصلت في حق جماعة من المؤمنين، وما كان قتلهم إلا تطرفاً وحقداً عليهم.

1 الشيرازي، الأمثل، ج3، ص 383.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 217.

3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص 229.

4 سورة القصص: 4.

يقول ﷺ: ﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾¹.
إذاً كانت هذه الجريمة المروعة لسبب إيمانهم بالله الواحد، ولهذا يعرض لدينا إشكال المفسرين، وسيتم صياغته بشكل اسئلة.

١- ماهي عقيدة أصحاب الأخدود؟

٢- هل تنطبق قصة أصحاب الأخدود على كل جريمة سببها التطرف؟

يقول الطبرسي في عقيدة أصحاب الأخدود: (رجلين مسلمين ممن يقرؤون الانجيل)²، وهذا يدل على أن أصحاب الأخدود كانوا نصارى وليسوا مسلمين.

وأكد القول على أن أصحاب الأخدود كانوا على غير دين الإسلام ما ذكره القمي في تفسيره قال: (قوم على دين النصرانية وكانوا على دين عيسى وعلى حكم الانجيل)³.

إذاً الجواب على السؤال هو أن عقيدة أصحاب الأخدود على النصرانية وكانوا في زمن الملك الحميري اليهودي ذو نواس⁴.

وعلى هذا الأساس فقد كانت النصارى في ذلك الوقت يؤمنون بعيسى كإله، ولكن لديهم إيمان بالله، وبوجوده.

وأما عن سبب قتل ذو نواس لهم فقد كان كما ذكره القمي هو أنه عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيه ولكنهم امتنعوا عن ذلك فقتلهم بهذه الطريقة الوحشية⁵.

إذاً ما قام به ذو نواس هو الإكراه في الدين، وهو نفسه الإكراه الذي حذر منه الله عز وجل في محكم كتابه، ولذا فما سار عليه ذو نواس هو التطرف بعينه.

المطلب الثالث: ظاهرة التسجيل

لقد انتقد الله سبحانه وتعالى ما كان متعارف عليه بين الناس من تدجيل، وإتهام الآخر بالبطلان من دون أي برهان أو دليل، وهذا الأمر سيء للغاية إذ أنه لا يراعي ضوابط الحوار، وكان تطرفاً ينازع كل معتقدات الطوائف ولا يرى معتقداته ويلقي نظرها عليها أو حتى يثبتها.

يقول ﷺ: ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾⁶.

في هذه الآية قسم الله سبحانه وتعالى الفئات المتطرفة إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول اليهود، والقسم الثاني النصارى، والقسم الثالث الذين لا يعلمون، وقد استنكر القرآن الكريم القسمين الأولين باعتبارهما مرتبطان بكتاب الله، وبهذا العلم المقدس، ولذا فقد أصبحوا وأصيبوا بالجهلة في أمرهم.

1 سورة البروج: 4-8.

2 الطبرسي، مجمع البيان، ج10، ص 242.

3 القمي، تفسير القمي، ج2، ص 414.

4 المصدر السابق.

5 المصدر السابق.

6 سورة البقرة: 113.

يقول السيد فضل- |:- (وربما كانت مشكلة هؤلاء جميعاً أنهم ليسوا مستعدين للدخول في نقاش فكري وحوار علمي، ليصلوا من خلال ذلك إلى العقيدة المشتركة والموقف الواحد)¹. فالذي كان قائم بين هذه الأديان هو الجهل للأمر الذي جعلهم يأخذون بالتطرف، ولا يبالون أن يكون هناك حوار علمي قائم.

الخاتمة

وفي الأخير يتضح لنا صورة مختصرة عن مواجهة القرآن الكريم للتطرف، والتصدي له، وهذا هو جانب مختصر فقط عن المعارف القرآنية التي لاتعد ولا تحصى. وقد يكون هذا البحث المتواضع منطلقاً للباحثين في هذا المجال، وأن يتوسع فيه قدر المستطاع إن شاء الله تعالى.

وفي مسك الختام نختم بما توصلنا إليه في هذا البحث من نتائج علمية، ونجملها في الآتي كون الاختصار هو مقام هذا البحث:

أولاً: أن معنى التطرف اللغوي هو الخروج، والشذوذ عن الجماعة، والتجاوز في ذلك. ثانياً: أن نشأة التطرف بحسب ما ذكره القرآن الكريم هو ما قام به إبليس الرجيم من تطرف وتجاوز لأمر الله سبحانه وتعالى ثم ما حصل عليه من تنازع بين ابني آدم.

ثالثاً: أن التطرف يؤدي دائماً إلى العنف، وكان مثل ذلك ما حصل مع ابني آدم. رابعاً: أن بعض المفسرين والعلماء قد قرأوا الآيات القرآنية وفسروها بشكل محرف واستندوا بشكل مبطل، وكان هدفهم من ذلك دعم نزعتهم التطرفية في مواجهة الآخر.

خامساً: أرسى القرآن الكريم بعض القواعد التي من خلالها تصدى للتطرف كمحاربة الاكراه في الدين أو المغالاة فيه، وهذان العنصران كانا يمثلان منهجاً للتطرف.

سادساً: وضع القرآن الكريم نماذجاً ينبذ فيها التطرف، ويذكر مواضيع حساسة نهج عليها المتطرفون ولذا فهذه الآيات تمثل تحذيراً للمتطرفين.

وأخيراً هذه النتائج هي إجابة عما طرحناه من اسئلة في مشكلة البحث، ونذكر هنا بعض التوصيات، ونختم بها: دراسة الشخصيات المتطرفة من العلماء مع ذكر بعض الدوافع والنزعات، والتوسع في البحث.

والحمد لله رب العالمين

المصادر

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، بدون رقم طبعة، 1422هـ-2001م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- 3- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية.
- 4- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، بدون رقم طبعة، 1425هـ-2004م، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية.
- 5- أحمد محمود صبحي، جذور الارهاب في العقيدة الوهابية، الطبعة الاولى، 1429هـ-2008م، دار الميزان، بيروت، لبنان.

1 فضل الله، من وحي القرآن، ج2، ص 177.

- 6- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، بدون رقم طبعة، 1430هـ-2009م، دار الحديث، القاهرة، مصر.
- 7- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، الطبعة الاولى، 1424هـ-2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 8- الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، دار المرتضى، بيروت، لبنان.
- 9- صلاح الصاوي، التطرف الديني الرأي الآخر، بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر، الافاق الدولية للإعلام.
- 10- عبد الله دشتي، تطهير المناهج من التكفير، نسخة متداولة في الانترنت.
- 11- علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، الطبعة الثالثة، 1404هـ، دار الكتاب، قم المقدسة، إيران.
- 12- محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الأولى، 1427هـ-2006م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- 13- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م، دار هجر، الجيزة، مصر.
- 14- محمد بن الحسين الموسوي الرضي، نهج البلاغة، الطبعة الاولى، 1410هـ-1990م، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.
- 15- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
- 16- محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، الطبعة الثانية، 1419هـ-1998م، دار الملاك، بيروت، لبنان.
- 17- محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة الأولى، 1434هـ-2021م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- 18- محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الاولى، 1401هـ-1981م، دار الفكر.
- 19- محمد بن قيم الجوزية، مدارج السالكين، الطبعة الاولى، 1439هـ، القسطاوي.
- 20- محمد بن محمد الماتريدي، تأويلات أهل السنة، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 21- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بدون رقم طبعة أو تاريخ نشر، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 22- معتز الخطيب، الاسلام والارهاب في الفكر الغربي، بدون رقم طبعة، 2012م، مكتبة الاسكندرية، مصر.
- 23- ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الاولى، 1426هـ، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب ع، قم المقدسة، إيران.
- 24- يوسف القرضاوي، الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف، الطبعة الثالثة، 1402هـ، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر.

أهمية الإعلام وتأثيراته في تحقيق ثقافة الحوار والتعايش السلمي بين المكونات

عبد الكريم جعفر الكشفي

k2kk1951@gmail.com

مدير عام تربية محافظة ديالى الأسبق

الكلمات المفتاحية: الإعلام، التعايش، الحوار، تحقيق، السلمي

ملخص البحث:

- 1- مشكلة البحث : يتطرق هذا البحث إلى مشكلة كبيرة تحدث في المجتمعات ولاسيما المجتمع العراقي ألا وهي أهمية الإعلام ، وما يحمله من آثار كبيرة من أجل أن يحقق القدر المستطاع من الحوار بين المكونات ومن ثم تحقيق ثقافة التعايش السلمي
- 2- أهداف البحث يحاول هذا البحث الأجابة عن الأسئلة الآتية :
 - أ) ما أهمية الإعلام في المجتمع العراقي؟
 - ب) ما تأثيرات الإعلام في تحقيق ثقافة الحوار بين المكونات في المجتمع العراقي؟
 - ت) ما تأثيرات الإعلام في تحقيق ثقافة التعايش السلمي بين المكونات في المجتمع العراقي؟
- 3- المجتمع : العراقي وحدوده جمهورية العراق .
- 4- عينة البحث : المكونات الرئيسة في المجتمع العراقي : (الشيعة ، والسنة ، والمسيحيين ، والأقليات المتوافرة فيه).
- 5- المنهج المستعمل من قبل الباحث : الوصفي التحليلي .
- 6- النتائج التي توصل إليها الباحث :
 - أ) غياب الوازع الديني وانتشار الجهل يعزز من استمرار الإرهاب ويقوّض ثقافة الحوار ومن ثم فقدان التعايش السلمي بين المكونات.
 - ب) يعد الإرهاب ظاهرة مجتمعية عالمية خطيرة تقوض التعايش السلمي والحوار.
 - ت) هذه الظاهرة سادت في الحضارات المختلفة، بأنواع وأشكال متعددة؛ بسبب اختلاف الأهداف والأيدولوجيات المتنوعة.

**Media and its effects on the culture of dialogue and coexistence
between the components of society, and analysis of the role of
social media in spreading hate speech**

Abdul Karim Jaafar Al-Kashfi

former Director General of Education in Diyala Governorate

Research summary:

The media plays an effective and essential role in spreading the culture of dialogue and peaceful coexistence; Because the media has the ability to arrange the priorities of the masses in society and through this culture, and it is the cornerstone of building any society

that is characterized by peace and stability, through some important issues that occupy the masses, the committed media pattern must be free and independent, and its goal is to spread the culture of dialogue and peaceful coexistence, peace and achieving complete stability; because the media today is a powerful tool for change and construction and in the correct and peaceful guidance of public opinion, and due to the importance of committed media, and its role in spreading societal peace and stability, we will discuss in this research paper the importance of committed media and its impact on achieving the culture of dialogue and peaceful coexistence, which we were and still are in dire need of, and due to the importance of this topic, our research revolved around two topics: -

The first topic: A glimpse of the importance of committed media in people's lives.

The second topic: The importance of committed media and its means of influence on the culture of dialogue and peaceful coexistence among components.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأفضل المبعوثين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين وسلّم تسليماً كثيراً .
إن إلقاء الضوء على الإعلام الملتزم في أي قضية، يمكن أن يوضح دوره الانساني في نشر ثقافة الحوار، والتعايش السلمي وبناء المجتمعات الإنسانية، فالإعلام له دور كبير وفاعل ومهم في النهضة الإنسانية وهو لا يقل عن دور الرجال فيها، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الخصوصيات التي يتميز بها الإعلام الملتزم بها.
يؤدي الإعلام الملتزم دور الموجه والوسيط في الاتصال مع الجماهير ، ويسهم في إيصال وتشكيل الحقيقة الجميلة الناصعة في المجتمعات الإنسانية التي تمنح الإعلام الملتزم حرية التعبير عن القضايا المهمة التي تشغل بال الجماهير، إذ أنّ وسائل الاعلام مرآة عاكسة للفكر الانساني الجاد لأهم القضايا التي تثير اهتمام الجماهير والساسة وصناع القرار.

يؤدي الإعلام دوراً فاعلاً وأساسياً في نشر ثقافة الحوار والتعايش السلمي ؛ لأن للإعلام القدرة في ترتيب أولويات الجماهير في المجتمع ومن خلال هذه الثقافة، وهو حجر الزاوية لبناء أي مجتمع يسوده السلام والاستقرار، من خلال بعض القضايا المهمة التي تشغل الجماهير، فيجب أن يكون نمط الاعلام الملتزم حراً ومستقلاً، وهدفة نشر ثقافة الحوار والتعايش السلمي، والسلم وتحقيق الاستقرار الناجز؛ لأنّ الإعلام اليوم هو أداة قوية في التغيير والبناء وفي التوجيه الصحيح والسلمي للرأي العام، ولأهمية الاعلام الملتزم ، ودوره في نشر السلم المجتمعي والاستقرار ، وسنتناول في هذه الورقة البحثية أهمية الإعلام الملتزم

واثره في تحقيق ثقافة الحوار والتعايش السلمي والتي كنا وما نزال بأمس الحاجة إليها، ولأهمية هذا الموضوع دار بحثنا حول مبحثين هما:-
المبحث الأول: ومضة عن أهمية الإعلام الملّزم في حياة الناس.
المبحث الثاني: أهمية الإعلام الملّزم ووسائل تأثيره في ثقافة الحوار والتعايش السلمي بين المكونات.

المبحث الأول: ومضة عن أهمية الإعلام الملّزم في حياة الناس.
الإعلام تعريفه عند أصحاب الشأن يعني عملية توضيح إيصال المعلومات ونشر الأخبار، هو عملية ارتباط واتصال بين شخص ما يمتلك معرفة أو رأي معيناً ، و فكرة، أو خبر، ، وبين أطراف يراد إقناعهم بها، بهدف توجيه الناس بتزويدهم وتوضيهم بالمعلومات والحقائق والأخبار لمساعدتهم على تكوين رأي صائب في واقعة محدودة، أو مشكلة معينة⁽¹⁾.

لقد أقرّت الشعوب أهمية الإعلام الملّزم بحقوق الجماهير، وأعطت للجماهير حرية الراي والتعبير وحق الاتصال، وفرضت عليهم حقوق وواجبات إعلامية، إذ ألزمت الجماهير، بالاستماع لكل صاحب رأي سديد هدفه البناء، كما فرضت على الناس بالإسهام بالأفكار العملية البناءة، كما حذّرت من استعمال الإعلام كوسيلة للقمع والقهر لتكليم الأفواه ، وحرمان الناس من استعمال حقهم في القول الصريح، والاجتهاد بالرأي، وعدم نشر ثقافة العنف والإرهاب، وضرورة نشر ثقافة الحوار والتعايش السلمي والأمن المجتمعي، بمختلف الوسائل والطرق المشروعة، وخصوصاً إذا ما علمنا أنّ الإعلام الملّزم يسعى الى تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة والمعلومات السليمة التي تساعد على بناء المجتمعات وتكوين رأي عام صائب، في اي واقعة من الوقائع، أو في مشكلة من المشكلات الصعبة، إذ يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عقلانياً عن الجماهير واتجاهاتهم وميولهم، ويعني ذلك أن الغاية الوحيدة من الإعلام هي التنوير عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاءات ونحو ذلك.⁽²⁾

وهناك إعلام منافس للإعلام الملّزم هو إعلام المضلل، يقوده الاستكبار العالمي للصهيونية، وتحديدًا أمريكا وبعض الدول الغربية من خلال الدعم الخفي لبعض الجهات العربية المأجورة، والكتل والتيارات المشبوهة مثل القاعدة ، وداعش والمنظمات الطائفية ومن لف لفهم، والتي تحاول زعزعة الأمن والأمان ونشر الفوضى وثقافة العنف والإرهاب وترفع شعار التكفير والقتل، والغاء الآخر، وتحمل شعار الاسلام ظلماً وبهتاناً، والتي تنتشر ريحها الصفراء من خلال بعض الفضائيات التي لا حصر لها، لكن وعي الجماهير المؤمنة بأهمية الاعلام ودورها في حياة الشعوب، قد أسهم الى حد كبير بفضح هذه المخططات، وأساليب الاستكبار العلمي المعادي للقيم الانسانية، لذا يجب على الإعلام الملّزم بقضايا الشعوب أن لا يكون إعلاماً وعظيماً سلمياً فقط، بل يجب أن يكون إعلاماً واعياً يعرف كافة الجوانب التي تمس حياة المتلقي، وكل ما يحتاجه المجتمع والأسرة، وأن يخاطب كافة الأفراد كبارهم وصغارهم، رجاله ونسأوه، على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم

1 (تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام: محمد بن حسن سبتان، ص ٨

2 (الاتصال بالجماهير والرأي العام ، عبد الحليم محي الدين ، ص ٧٥

وثقافتهم ، ويجب أن يقوم على محاور عديدة منها ترسيخ ثقافة الحوار والتعايش السلمي، ونشر ثقافة الأمن والأمان والاستقرار، والتبليغ والاتصال والدعاية المتنورة الصحيحة المبنية على السلام والمحبة، كما قال الرسول (ص) في كتابه إلى هرقل: (أدعوك بدعاية الإسلام)، أي بدعوته، وكلمة دعاية بمعنى الاعلام.⁽¹⁾

يواجه الإعلام الملتزم بثقافة الحوار والتعايش السلمي معوقات كثيرة، من أهمها غياب الوعي الجماهيري، والقيود الرسمية للسلطات الجائرة عليه، والتي في الأغلب تتخذ الديماغوجية شعاراً لها في بعض الأقطار والدول الشمولية التي لا تفرق بين الاعلام والتعليم، وترى ضرورة تسخير الاعلام والتعليم لخدمة الأنظمة الشمولية القائمة، ومن هذا المنطلق يصبح الاعلامي المعلم رجل دعاية، ولا يعلم الفرد كيف يفكر ، وتدخل في ذهنه أفكار وآراء محددة سلفاً وجاهزة.⁽²⁾

إنّ البشريّة اليوم وفي ظل التحديات الكبيرة بحاجة إلى إعلام ملتزم بقضايا الشعوب، متسامح يؤمن بثقافة الحوار والتعايش السلمي، والإيمان بالآخر وينبذ الإرهاب والعنف ويدعو إلى السلام المجتمعي والاستقرار، تحت أي مسمى كان فنحن اليوم بحاجة أكثر من أيّ وقت مضى إلى الاعلام الملتزم، الذي يخاطب الجماهير بلغتهم ووسائلهم، ولتوضيح أهمية ثقافة الحوار والتعايش السلمي، وابرار صورتها الناصعة ومحاسنها وثمراتها للناس في كل مكان، وكذلك يجب ان يقوم دور الاعلام على أساس التفاعل مع التحديات والتهديدات الموجهة للأمن الوطني ، ومن أجل تأكيد استراتيجية الدولة في مواجهة هذه التحديات.⁽³⁾

ان الاعلام الملتزم هو رسالة تبليغ انسانية عالمية، وان إيصال دعوته ومفهومه إلى الانسانية كلها، هو مبررٌ إنساني عظيم للدعوة إلى صياغة الاعلام صياغةً ملتزمة، حتى يمكن أن يؤدي هذا الاعلام الملتزم دوره في الحياة الإنسانية، على الرغم من أن أغلب مؤسسات الاعلام اليوم، تعد ضعيفة وقد لا تقوى على الصمود طويلاً أمام الاستكبار العالمي بحسب رأينا القاصر، في نفس الوقت فإن الاعلام في الاغلب يعاني من غياب المهنية والكفاءة، وللوقوف بوجه الخصوم، يجب استغلال أية فرصة سانحة سواء كانت خبراً ام مقالاً ام حديثاً لوضع خطة دعائية بأسرع ما يمكن لتحقيق سبق ، لان الرأي العام يتأثر مباشرة بذكاء ومهارة واضع خطة الدعاية وأسلوبه⁽⁴⁾

المبحث الثاني: أهمية الإعلام الملتزم ووسائل تأثيره في ثقافة الحوار والتعايش السلمي بين المكونات.

إنّ الاعلام الملتزم يرتبط ارتباطاً وثيقاً وشديد الصلة بثنائيتي ثقافة الحوار، والتعايش السلمي وهذه تعدّ من الأهداف الأولى والمهمة للإعلام الملتزم ، وهو مما يقتضي توافره من المظاهر الإيجابية ويجب أن يمتلك الاعلام الملتزم مجموعة من الشروط التي تتيح له العمل المناسب في هذا الميدان الصعب والضروري في الوقت نفسه مثل:

1 (عيون الأثر في فنون المغازي والسير : الحافظ ابي فتح محمد بن محمد سيد الناس البعمرى ت ٧٣٤هـ، ص ٣٣١ .

2 (الراي العام والدعاية وحرية الصحافة، عبد القادر حسنين، ص ٨٤

3 (الاعلام والاتصال: إبراهيم إمام، ص ١٢ .

4 (الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، محمد عبد القادر حاتم، ص ٤٧٨

1- الاستقرار: والمقصود به الأوضاع الأمنية المستقرة التي يجب أن ينعم بها المجتمع العراقي

2- الهدوء، والمقصود به غياب المظاهر التي تعرقل السلم المجتمعي ومنها الفوضى وعدم المساءلة بحجة الديمقراطية ووجود مستجدات أخرى حصلت بعد التغيير مثل العنف والارهاب والتطرف، والصراعات والحروب والكوارث والأزمات، التي خلقت من ورائها كثير من الدمار من جرّاء تنامي ظاهرة العنف وعدم التسامح وتزايد الحقد والكراهية بين الأفراد والشعوب على حد سواء، والتمييز على أساس من: (الدين، والعرق، واللون) حتى بين أبناء الوطن الواحد، وفي وسط هذه الأجواء كان لابد من تعزيز سيادة الإعلام الملتزم من خلال مواجهة العنف والفكر المتطرف، هذه المواجهة لا تكون بالعنف بل من خلال الحوار والتعايش السلمي والحوار العقلي، والحجج والبراهين التي تهدف إلى تواصل العقول والقلوب.⁽¹⁾

إن من أهداف الإعلام الملتزم هو الحوار والتعايش السلمي بين مكونات المجتمع العراقي، من أجل اشاعة التسامح والايمان بالآخر والاستقرار المجتمعي أو الجماعي بين مكونات المجتمع العراقي الواحد، وهو أيضاً الوفاق و الوئام بين أفراد وأطياف وأطراف المجتمع، ويصبح التعايش السلمي مكوناً من مكونات البلدان، وإن نشره وترسيخه واشاعة ثقافته بين المكونات منوط بكل مواطن ومقيم في الوطن، لتستمر منظومة التنمية عامرة ولتبقى مظلة للاستقرار والأمن والتعايش السلمي وإرثه، ووسيلة الإعلام الملتزم الحوار الذي يبني على التفاهم وحسن الجوار واحترام الرأي الآخر، وتقبل التعايش السلمي مع كافة أطياف المجتمع واختلافاتهم القومية والعرقية والدينية، وحل جميع المشاكل بالطرق السلمية من دون اللجوء إلى الاختلاف الذي يتبعه النزاعات أو العنف.⁽²⁾

ومن أهم ركائز الإعلام الإسلامي الملتزم هي: التعايش السلمي والحوار والذي بدوره يرتبط بوجود سلطة ونظام يحقق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع العراقي، ويضمن حقوق الانسان ومصالحهم المشروعة، ومن حق كل فئات الشعب أن تتمتع بهما، إذ لا يمكن لأي مواطن ان يستغني عن وجود نظام حكم قوي وسلطه سائدة، تتحمل تبعات إدارة شؤون المجتمع لتعيش كل القوى الانسانية المختلفة تحت سقفه وهيئته، وعلى خلاف ذلك سيكون البديل هو الفوضى وفقدان الأمن والسلام والاستقرار، والصراعات غير المبررة بين فئات المجتمع الواحد، كما أن الإعلام الإسلامي يثبت من دعائم التعايش السلمي ويسهم في بلورة الحوار بين المكونات ويتثبت ذلك كلما زادت الألفة، والانسجام والتسامح بين أطراف المجتمع، ويقوى النسيج الاجتماعي كلما زادت اللحمة الوطنية، ويتحقق التعايش السلمي بين مكونات المجتمع، مما يؤدي إلى تعزيز بناء الجبهة الداخلية للوطن والأمة، وفي المقابل كلما زاد الإعلام من عدم الحيادية والتحريض على التعصب وإثارة النزاعات الطائفية بين أبناء المجتمع العراقي أدى ذلك إلى نشوء: (العنف، والإرهاب، والتطاحن، والفوضى)، وهذه الثيمات الناشئة من عدم حيادية الإعلام شبكة العلاقا تؤدي إلى إضعاف شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة بين فئات المجتمع العراقي، وأطيافه، وللإعلام الملتزم دور كبير في

(1) الحوار منهجاً وثقافة: سعيد اسماعيل علي، ص ٢.

(2) السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية: محمد سليمان المومني، ص ١٢٠.

الإسهام بتوفير السلم الأهلي والحوار بين المكونات، وإذا ما فقد الإعلام هذه البوصلة فسيؤدي ذلك بمحصلة نهائية تسهم في تفكيك روابط المجتمع العراقي وتحويله إلى مجتمع يكرس التخلف ويعمل على إضعاف جبهة الوطن.¹

ولابد أن نمر على أهم مقومات الإعلام الملتزم التي تسهم في ثقافة الحوار والتعايش السلمي في المجتمع العراقي فقد غفل أغلب الباحثين مع الأسف أهميتهما والتي سوف نذكر أهمها بإيجاز وهي:-

١- أهمية الوعي الإعلامي:

ويرتبط الوعي الإعلامي الحيادي بيقظة المجتمع الذي يمنح الشعب الحذر من المخططات التي تقودها الدول العظمى من أجل إضعاف وحدة الشعوب وتفكيك منظومتها المجتمعية، فالوعي أو التنقيف كما يطلق عليه حالياً يمكنه من فهم وإدراك حقائق الأمور، وهو يعزز قدرة الشعب على التخطيط والتفكير الواقعي، ويفجر الطاقات الابتكارية والإبداعية، ويمنح الشعب قيم التحرر والمعارف والكرامة، والخبرات الثورية، وتقنيات الفعل الثوري الداعمة، للتعايش السلمي وحوار المكونات، وكذلك يرفع التنقيف السياسي من قدرة الإعلام الملتزم على التحليل الموضوعي والعلمي للأحداث السياسية، ويحصنها من اكتساب وعي زائف تحكمه الطائفية والإثنية والعنصرية.⁽²⁾

٢- وجود سلطة قوية ونظام مدروس يقوم الإعلام الملتزم:

لا يمكن لأي شخص أن يستغني عن السلطة والنظام والحاكم، الذي يتولى شؤونه الأفراد والقوى المختلفة تحت سلطة النظام، إذ يعمل هذا النظام إلى تحقيق إعلام إسلامي ملتزم يحقق من خلاله التعايش السلمي والحوار بين المكونات، من خلال تنظيم وضبط العلاقات بين أفراد المجتمع، والمؤسسات السياسية فيما بينها وبين الدولة، فعندما تطبق سيادة القانون وتنفذه، تصان حقوق المواطن، ويكون آلية لتخطي الجريمة، والنزاعات العنيفة، وتفعيل نظام الحقوق والواجبات لشؤون المواطنين المختلفة وعلى المستويات كافة.⁽³⁾

٣- وجود الإدارة الحكيمة:

وهي التي تحتضن الإعلام الإسلامي الملتزم إذ تقوم بتحفيزه وتعتمد على التعددية في عملها وعلى الإدارة السلمية، التي تحافظ على الجماعات المتنوعة للعيش بسلام، من ضمن مساحات المجتمع العراقي الواحد في أجواء من الاحترام المتبادل بين كافة المكونات والأطياف، الدينية والطائفية والسياسية والعرقية غيرها، لأن الاختلاف كما يقولون رحمة والتنوع قوة، وهو الذي يضمن الحقوق والمصالح لجميع أفراد المجتمع، ويعزز من ثقافة التعايش والحوار بين المكونات، ليعيش الجميع تحت المصلحة العامة المشتركة في بوتقة الوطن الواحد؛ لأننا بحاجة إلى الضبط لإيجاد المنظم لحياة الأفراد في المجتمع، على وفق منطق الحكمة والعقل، فهو ليس منطق : (القوة، والقبيلة، والطائفة) الذي يسمو على منطق المواطنة⁽⁴⁾

٤- تحقيق مبدأ العدالة والمساواة من قبل الدولة لحماية الإعلام الملتزم:

(١) الحوار وبناء السلم الاجتماعي: المكتبة القانونية، ص ١٢.

(٢) الإعلام الجديد وقضايا المجتمع: سعود صالح، ص ٤.

(٣) معوقات تحقيق السلم المجتمعي في العراق بعد عام ٢٠١٨ م: فاطمة عطا جابر، ص ٧.

(٤) مجلة قضايا سياسية كلية العلوم السياسية، الإصلاح السياسي في العراق (قراءة في أهم التحديات الداخلية): أحمد عبد الله ناهي، وعلي محمد علوان، ص ١٥٩.

إنّ مبدأي العدالة والمساواة هو أن يتساوى الناس أمام القانون ومن ثم يبرز دور الإعلام الملتزم الذي يمكنه من إنصاف قضايا المجتمع العراقي والتعامل معها بحيادية والحديث عن الوقائع والواقع الذي يعيشه المجتمع ، وهذا بدوره يساهم في أن يأخذ كل ذي حق حقه إذ لا يوجد في هذه الحالة تمييز بين طائفة أو فئة على حساب الأخرى، كما أنهما تمنحان الإعلام الملتزم الإسهام لدور فعال في التعايش السلمي بين أطراف الشعب والحوار البناء بين المكونات المختلفة، والحرية التي تمنحها السلطة للإعلام الملتزم يجب أن لا تكون حرية مفرطة أو حرية منقوصة ؛ لأنّ الحرية المفرطة غير المحددة تساهم في الفوضى ، والحرية المنقوصة لا تساهم بدورها في نشوء إعلام فعال يساهم بواجباته في الحوار وشيوع ثقافة التعايش السلمي بين أبناء المجتمع العراقي يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): ((لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين))¹ ، ومن دون العدل والمساواة التي هي من واجبات الدولة تستعر نار الحروب وتكبر الخلافات وتصل إلى ما لا يحمد عقباه، ويؤدي ذلك إلى فقدان الإعلام لواجباته الرئيسية إذ يهدد الحوار وبيعته مقومات التعايش السلمي بين مكونات المجتمع العراقي؛ لأنّ جميع المواطنين في المجتمع خاضعون للعدالة والمساواة والمساءلة القانونية وللعقوبات ان صدرت منهم إساءة ، وعدم السماح لوجود فئات فوق القانون.⁽²⁾

٥- فضلاً عن ذلك يجب أن يتمتع الاعلام الملتزم بدعم حكومي منقطع النظير من أجل التنمية المستدامة له ، وهذا يحتاج إلى مقومات أخرى تتمتع بها الدولة مثل وجود اقتصاد مزدهر، يؤمّن توفير فرص عمل للجميع ويقضي على البطالة، و يساهم في توفير الأمن والأمان، والعمل بمبدأي حقوق الإنسان وتحقيق التعايش السلمي والحوار بين المكونات وغيرها، كل هذه الأمور يمكن ان تحقق الاندماج الاجتماعي، وذلك بفعل تنامي الشعور لدى جميع أبناء المجتمع بأنهم يعملون، وعند ذلك سيشعر الجميع بدورهم ومكانتهم في المجتمع والدولة والأهم من ذلك أنّهم يشعرون أن كرامتهم مصانة وهذا هو أساس التعايش السلمي⁽³⁾ ولتسليط الضوء على الآثار التي تقف حجراً في طريق الإعلام الملتزم وأهدافه لابدّ من الإشارة الى بعض هذه المعوقات وهي:

١- غياب الوازع الديني والتثقيف الجماهيري هو من أقوى مقوضات الإعلام الملتزم وهذا بدوره يساهم في إجهاض مشروع التعايش السلمي والحوار بين المكونات ؛ لأنّه يمثل أداةً تتبناها النخب الحاكمة، من أجل الحفاظ على السيطرة الاجتماعية على الجماهير.⁽⁴⁾

٢- الارهاب بنوعيه الإرهاب العام والإرهاب الإلكتروني يعد من العناصر المهمة ، والمؤثرة في تفويض الإعلام الإسلامي الملتزم ويؤدي إلى عدم تحقيق التعايش السلمي والحوار بين المكونات، ولا سيما في مراحل الصراعات والأزمات التي تعاني منها الشعوب والدول، فيستغل الارهاب الوضع الراهن لتدمير ما يصبو إليه على وفق أساليب يستعملها تؤثر في الإعلام الملتزم لعدم وجود بيئة هادئة ومرنة ، ويشكل الارهاب تهديداً للأمن والسلام

(1) ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ج ١، ص ٣٦٣ .

(2) الفكر السياسي الحديث والمعاصر، موسى ابراهيم، ص ١١١

(3) التعايش السلمي في العراق بين الواقع والطموح - دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل، حمدان رمضان محمد، ص ٣٦.

(4) المتلاعبون بالعقول: هريوت، أ. شيلر، ص ٨

الدوليين ، ويعرّض الاستقرار الداخلي والدولي والحضارة البشرية والعلاقات الودية بين الأمم والدول إلى الخطر ⁽¹⁾

٣- استعمال خطابات الكراهية والطائفية البغيضة:

ويعد أشهر المظاهر الخطرة التي تهدد الإعلام الملتزم في المجتمع العراقي وبدوره يهدد مظاهر التعايش السلمي والحوار بين المكونات الرئيسية، في العراق ، وبخاصة بعد السنوات الأخيرة بعد عام ٢٠٠٣م، وشيوع مفردات الكراهية والطائفية عند بعض من النخب ، حتى أصبحت مع الأسف كجزء من الثقافة الشعبية، وقد أخذت تطفئ في الحوارات والنقاشات السياسية والاجتماعية التي تبت من قبل بعض القنوات الفضائية ، وتعتمد على وفق تقسيمات إثنية طائفية للمجتمع العراقي والذي أثر بشكل سلبي في مسيرة العملية الديمقراطية وحقوق الانسان وفي التعايش ، والسلم المجتمعي.⁽²⁾

ولقد أصبحت وسائل الإعلام غير الملتزمة عاملاً فعالاً في انتشار هذا الخطاب المأجور، في ظل الصراعات، وغياب المنظومة القيمية القانونية، والسلاح الذي تعتمده القنوات الإعلامية المأجورة مفتوح يعتمد على التسقيط الاجتماعي والسياسي ونشر فضائح الآخرين، وقد أدى هذا الأمر إلى صراعات سياسية متعددة وقعت آثارها في المجتمع ونتج عنه عدم الاستقرار السياسي والتأثير في طبيعة التعايش السلمي⁽³⁾

٢- انتشار ظاهرة الفساد وتحجيم إدارة الدولة:

لكي يحقق الإرهاب الإلكتروني أهدافه يسعى الى إشاعة ظاهرة الفساد المالي والإداري والمالي، وهذه المفارقة تؤثر كثيراً في الإعلام الملتزم فتبقى قنواته من دون دعم يذكر على حساب الإعلام المأجور الذي يمول من أكثر من دولة يحقق خطابه أهدافها المنشودة وهذه الظاهرة انتشرت بعد عام ٢٠٠٣م في العراق بسبب التغيرات الدراماتيكية، وبعد تواجد قوات التحالف في المنطقة الإقليمية، وإن الفساد يهدد من استقرار النظام الإداري السياسي للدول ويقوض التعايش السلمي ولغة الحوار بين المكونات، ويعرقل إقامة البنى التحتية، ومؤسسات الدولة وصيانتها، ويعرقل من مسيرة التنمية الاقتصادية، ويخلق المشكلات الاقتصادية التي تولد البطالة وقلة فرص العمل، وهو يؤدي إلى إجهاد المشروع الإعلامي الملتزم والناجح وأن الفساد بأنواعه منافذ ومواقع جديدة للعنف والإرهاب وهي تهدد السلم والتعايش والحوار.⁽⁴⁾

٤- انتشار الانتهاكات القانونية الدستورية:

الدستور: هو القانون وهو حجر الزاوية الأساسي الذي يرسى القواعد العامة للدولة، والأصول التي تقوم عليها إدارة الدولة ونظام الحكم، وتنظيم أسس الدولة وتحدد كياناتها وتكوينها، والدستور والقانون هو الراعي الأول الذي يحافظ على الإعلام الملتزم وهو بدوره يحافظ على التعايش السلمي ويعزز من لغة الحوار بين المكونات؛ لكنّ هناك بعض الأحزاب السياسية والدينية ، تتعامل مع الدستور ، والقوانين على وفق مصالحها وأجنداتها الشخصية، مما عمّق الهوة بينها وبين الشعب، وأثر بشكل سلبي في ترسيخ مفهوم الإعلام الملتزم وهو

(1) الإرهاب الدولي القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام، عثمان علي حسين، ص ١٤ .

(2) الإرهاب الدولي القانونية ، والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام، ص ١٤

(3) السلم الأهلي في العراق : منتصر حسين جواد وزه ، ص ٩١.

(4) دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز الديمقراطية والأمن في العراق : علي عبد العزيز ، ص ١١٣.

بدوره أثر سلباً في التعايش السلمي والحوار المجتمعي، وإنّ عدم الرجوع الى المؤسسات القانونية ينجم عن ذلك عدم استتباب الفوضى في المجتمع ككل⁽¹⁾

٤- محاربة الإعلام المبدئي الملّزم:

إنّ الديمقراطية كآلية تشاركية تسعى إلى تحقيق إعلام مهني حر ملتزم يسعى إلى ضمان التعايش السلمي والحوار بين المكونات، بالنظر لتلاقحها مع آراء ومقترحات المواطنين في صنع سياسة الدولة؛ لكنها تبقى غير قادرة على ضمان التعايش السلمي والحوار على المدى البعيد، اذا استعملت كغطاء أو مظلة يتساوى تحتها الإرهاب الإلكتروني، ان التطبيق المبتور للديمقراطية يؤدي الى الإخلال بالتعايش السلمي والحوار بين المكونات وبالأمن المجتمعي، ويدعم العنف والإرهاب الذي يهدد السلم والأمن الأهلي⁽²⁾

٥- افشال المصالحة الوطنية:

يسعى أعداء السلم المجتمعي والاستقرار الى ثقافة التقاطع والتناحر، بين الأحزاب السياسية والنخب المختلفة، ويعرف أنّ المصالحة الوطنية احدى وسائل تحقيق العدالة، ووسيلة من الوسائل لحل الخلافات والصراعات بين الأطراف المتخاصمة، وهي استراتيجية مائزة تنتهجها الدول لحل النزاعات وترسيخ التعايش السلمي والحوار.

إنّ غياب المصالحة الوطنية داخلياً وخارجياً يعني تعرض الإعلام المهني الملّزم إلى انتكاسة كبيرة تتمخض في إسقاط مشروع التعايش السلمي والحوار بين المكونات، وانتشار ظاهرتي الإرهاب والعنف؛ وفقدان مقومات البيئة التشاركية التي يتمتع بها أبناء الشعب ، وأن إقرار المصالحات الوطنية في المجتمع ،سوف يخلق آفاق كبيرة وفرص واسعة تعزز من هيمنة الإعلام الحر الحيادي الملّزم الذي يؤدي دوره في التعايش السلمي والحوار بين المكونات ، ويحقق السلم المجتمعي وهذا الأمر يمهد لتحقيق التسامح والاندماج الاجتماعي، بفعل تنامي شعور واسع لدى الجميع بأنهم يعيشون ويعملون معاً من أجل مستقبلهم، وعند ذلك سيشعر الجميع بدورهم ومكانتهم في المجتمع والدولة والأهم أنّهم يشعرون أنّ كرامتهم مصانة وهذا هو أساس التعايش السلمي.⁽³⁾

٦- العمالة والتبعية الخارجية:

لا يمكن لأعداء الإعلام الملّزم ، ان يقفوا على أقدامهم ويهددوا السلم المجتمعي، الا بوساطة العمالة للدول التي تمد الإرهاب وتغذيه، واغلب هذه الدول تعاني من هشاشة في بنيتها التحتية، وضعف النخبة السياسية التي تدير تلك الدول، وإنّ غياب التعايش السلمي والحوار بين المكونات، هو من مؤشرات الدولة الهشة، وأنّ معظم التدخلات والمساعدات الإرهابية، هي مرتبطة باستراتيجيات وأجندات تخص مصالح قوى خارجية كبرى ، وهدفها زعزعة النظام، وتهديد الأمن ونشر الفوضى والإرهاب والعنف والقتل، والتهجير وزعزعة التعايش السلمي والحوار بين المكونات، وبسبب الخلافات السياسية، و الأزمات الداخلية⁽⁴⁾

٦- وهناك تحديات أخرى تهدد ثيمات الإعلام الملّزم منها: تأزم الوضع الاقتصادي ووجود نافذة لبيع العملة بسعر تجاري يختلف عن سعر الصرف الحقيقي وهذا بدوره يقف كعقبة تغذي الإعلام المغرض على حساب الإعلام الملّزم ، وهو بدوره يقف حائلاً أمام التعايش

(1) التطبيق الانتقائي للقانون وأثره على الاستقرار القانوني: اسماعيل نامق حسين، ص ٣٩.

(2) الهوية الوطنية العراقية دراسة في إشكالية البناء والاستمرار: أحمد غالب محي العلق، ص ٣٧٧.

(3) التعايش في ظل التخلف في عهد الاستبداد الى حكم الدستور، مجموعة باحثين، ص ١٧ .

(4) دور العامل الخارجي في المتغيرات السياسية العراقية، ص ٣٧.

السلمي والحوار بين المكونات، ومنها عوامل سياسية دولية تمخضت في غلبة القطب الواحد بعد انهيار المعسكر السوفياتي، ووجود إسرائيل كقوة ودولة مدعومة من أمريكا، والتي تسعى لجعلها متفوقة عسكرياً مما زاد من مظاهر تهديد الإعلام المهني الحر الذي يظهر الحقائق المروعة التي يقوم بها جيش الاحتلال الصهيوني ، وهو يجهض التعايش السلمي والحوار، فضلاً عما يحدث في العراق وأفغانستان وبعض الدول العربية والبلدان الإسلامية هو دليل على الدعوة الغربية للعولمة لإجبار العالم كله للسير على وفق نظام سياسي واقتصادي وثقافي واحد يتفق مع أهداف ومصالح الغرب.¹

إنّ ضمان الإعلام الإسلامي الملتزم منوط بحراك اجتماعي ثقافي لتعزيز السلم والأمن الانساني، وهذا الحراك يجب أن لا يستبعد أحداً من البنى التقليدية، وفي مقدمتها رجالات العشائر التي أسهمت بجد لا ينكر في إخماد الفتنة، من خلال مكانتها الاجتماعية ، وامتداداتها المتنوعة، واننا بحاجة ماسة الى الحفاظ على اشتراطات التعايش السلمي والحوار ؛ لأنّ البديل المقابل لها هو بحر من الدماء ، ومزيد من القتل والتهجير والعنف والإرهاب، ولا يكون الرابع فيها سوى أعداء العراق وهم اليوم كثر، وأنّ المصالحة الوطنية نجحت في أن تكون أنموذجاً وطنياً غير مسبوق في تحقيق العيش معاً في سلام لأبناء الوطن الواحد.⁽²⁾

ان الإعلام الملتزم يؤدي بدوره دوراً فعالاً في التعايش السلمي والحوار بين المكونات الدينية والاجتماعية، وهو تعايش بني البشر مع غيرهم في الديانات والمكونات الأخرى داخل الدولة الإسلامية أو غير الإسلامية، على وفق مبدأ التسامح ونشر ثقافة الإيمان بالآخر، على وفق ماتقتضيه مصالح جميع المكونات والمواطنة المشتركة ؛ لتحسين العلاقة المعيشية الانسانية بين معتنقي الأديان المختلفة والمكونات الأخرى كشعوب أو قوميات أو طوائف أو اثنيات، المنطلق من المحبة الثقة والاحترام المتبادل، مع الرغبة المؤكدة في التعاون لخير الإنسانية جمعاء، في كافة المجالات المتعددة ذات الاهتمام المشترك.⁽³⁾

الخاتمة

الإعلام الملتزم والمهني مدعاة إلى الحوار الحقيقي بين المكونات ويجب أن يكون مبنياً على قبول وقناعة كافة الأطراف والمكونات في المجتمع، وفي هذه الحالة يكون هذا النوع من الإعلام أرسخ وأقوى، ويكون له القدرة على الصمود مع الأحداث والتطورات، على أن يرتبط بمفاهيم التسامح والإيمان بالآخر، ومبادئ حقوق الانسان والحريات العامة المبنية ومبادئ المساواة ، والعدل، فضلاً على أن تكون هذه المفاهيم والقيم على مستوى الأفراد والجماعات، من ضمن الإقرار بحق الآخرين في العيش، وبحقوقهم وحرّياتهم، ويجب أن يبتعد هذا الإعلام قدر الإمكان عن مفاهيم الطائفية والقهر والخوف والإرهاب والتهميش، وضرورة إشعار الآخرين بحب هويّتهم ووجودهم، وأنّ التعايش السلمي والحوار بين المكونات هما حالة من النوام والمحبة والتسامح والعيش المشترك، ونبذ العنف والإكراه، والابتعاد عن الإقصاء والتهميش و القبول بالآخر وبالتنوع، وبالتعامل الحضاري السلمي مع مختلف الأديان والمذاهب والقوميات والشرائح المتنوعة في المجتمع.

(1) الإرهاب حقيقة ومعناه: هابل عبد المولى، ص ٢٣.

2- الارهاب والقانون الدولي: اسماعيل الغزال، ص ٢٤ .

(3) التعايش الديني والاجتماعي في الإسلام وتحدياته المعاصرة : د. أحمد عبد الله راجح العتيبي، ص ٣٠.

النتائج والتوصيات

١- غياب الوازع الديني وانتشار الجهل يعزز من استمرار الإعلام المأجور المغرض وبدوره يشكل حاضنةً إلى الإرهاب بنوعيه : الحقيقي ، والإلكتروني يقوّض التعايش السلمي والحوار بين المكونات.

٢- الإرهاب يعد ظاهرة مجتمعية عالمية خطيرة تقوض من الإعلام المهني الملتمزم بالمبادئ والمثل العليا ، وهو بدوره يقف خطراً في طريق التعايش السلمي والحوار، وهذه الظاهرة سادت الحضارات المختلفة، بأنواع وأشكال متعددة؛ بسبب اختلاف الأهداف والأيدولوجيات المتنوعة.

٣- لقد أدّى غياب الإعلام الملتمزم ، والاحتلال الأمريكي للعراق بعد ٢٠٠٣م دوراً في توفير البيئة المناسبة لنمو بذور الإرهاب وتقويض التعايش السلمي والحوار بين المكونات في العراق.

٤- يجب أن يتوحد الإعلام الملتمزم في كل دول العالم من أجل اشاعة التعايش السلمي والحوار بين المكونات المختلفة.

٥- من واجب الإعلام الملتمزم رفع الظلم عن شعوب المعمورة، وإعطائها الحق في اختيار النظام: (الاجتماعي ، والسياسي ، والاقتصادي، والاجتماعي)، الذي له أثره في تحقيق التعايش السلمي والحوار بين المكونات.

٦- من الواجبات التي تقع على الاعلام الملتمزم والمهني تعزيز منظومة حقوق الإنسان، والقضاء على الجهل والتخلف والتهميش وهذه كفيلة بتحقيق التعايش السلمي والحوار بين المكونات.

٧- من الواجبات التي يسهم بها الاعلام الملتمزم تعزيز قيم المحبة التسامح والإيمان بالآخر والحوار والتعايش السلمي بين بني البشر، وهي كفيلة بتجسيد التعايش السلمي والحوار.

٨- أهمية الإعلام المهني تتمخض في التواصل الثقافي والعلمي والفكري والحضاري بين دول العالم ومن خلال تبادل الزيارات وتلقيح الأفكار ، وتأسيس التعايش السلمي والحوار بين المكونات .

٩- على الدول العربية وكل دول العالم ان تبذل قصارى جهدها من خلال توظيف الإمكانيات الإعلامية العالمية ؛ لغرض محاربة الإرهابيين : الحقيقي، والإلكتروني الذي يهدد التعايش السلمي والحوار بين المكونات.

١٠- بروز النزعة الطائفية والتسلطية، وإقصاء الآخرين من خلال استعمال الوسائل الإعلامية بشكل غير هادف وهو بدوره يقوض التعايش السلمي والحوار بين المكونات المختلفة.

المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الاتصال بال جماهير والرأي العام ، عبد الحليم محي الدين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٣م .
- ٣- الإرهاب الدولي القانونية ، والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام : عثمان علي حسين، مطبعة منارة، العراق- اربيل، ٢٠٠٦م

- 4- الإرهاب الدولي القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام، عثمان علي حسين، منشورات: مطبعة منارة، العراق اربيل، ٢٠٠٦م
- 5- الإرهاب حقيقته ومعناه: هایل عبد المولى، منشورات: دار الكندي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م .
- 6- الارهاب والقانون الدولي: اسماعيل الغزال: منشورات: الموسوعة الجامعية للنشر، بيروت، ١٩٩٠م.
- 7- الإعلام الجديد وقضايا المجتمع: سعود صالح، منشورات: جامعة السلطان قابوس، عمان، ٢٠١١م.
- 8- الاعلام والاتصال: إبراهيم إمام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٥م.
- 9- الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، محمد عبد القادر حاتم، منشورات: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م .
- 10- التطبيق الانتقائي للقانون واثره على الاستقرار القانوني: اسماعيل نامق حسين، منشورات: دار الكتب القانونيّة، القاهرة، ٢٠١١م.
- 11- التعايش الديني والاجتماعي في الإسلام وتحدياته المعاصرة : د. أحمد عبد الله راجح العتيبي، مصر، جامعة المنيا كلية دار العلوم، ٢٠١٩م.
- 12- التعايش السلمي في العراق بين الواقع والطموح - دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل، حمدان رمضان محمد، مجلة دراسات موصليّة، العدد ٣٦، جامعة الموصل ٢٠١٢م.
- 13- التعايش في ظل التخلف في عهد الاستبداد الى حكم الدستور : مجموعة باحثين، مجلة أوراق ديمقراطية العدد ٢، السنة ٢٠٠٥م
- 14- تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام: محمد بن حسن سبتان، منشورات : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الرياض، ١٤١٢هـ.
- 15- الحوار منهجاً وثقافة: سعيد اسماعيل علي، منشورات: دار السلام للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.
- 16- الحوار وبناء السلم الاجتماعي: المكتبة القانونية، بغداد ٢٠١١م.
- 17- دور العامل الخارجي في المتغيرات السياسية العراقية، مجلة حوار الفكر، المعهد العراقي للحوار، العدد ٤١، بغداد، السنة ٢٠١٧م.
- 18- دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز الديمقراطية والأمن في العراق: علي عبد العزيز الياسري، منشورات: دار الوثائق الوطنية، ٢٠٠٩م.
- 19- الراي العام والدعاية وحرية الصحافة، عبد القادر حسنين، منشورات: دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١٩٦٢م.
- 20- السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية: محمد سليمان المومني، الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، فلسطين غزة، ٢٠١٧م، ص ١٢٠.
- 21- السلم الأهلي في العراق : منتصر حسين جواد وزه ، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٥م، ص ٩١.
- 22- عيون الأثر في فنون المغازي والسير : الحافظ ابي فتح محمد بن محمد سيد الناس اليعمري ت ٧٣٤هـ، تحقيق ،محمد الخطراوي ومحي الدين مستو، مكتبة القدسي، القاهرة مصر، ١٣٥٦هـ.

- 23- الفكر السياسي الحديث والمعاصر، موسى ابراهيم، منشورات: دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠١١م.
- 24- المتلاعبون بالعقول: هريبرت.أ.شيللر، ترجمة عبدالسلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩م.
- 25- مجلة قضايا سياسية – كلية العلوم السياسية، الاصلاح السياسي في العراق قراءة في اهم التحديات الداخلية : جامعة النهرين احمد عبد الله ناهي، وعلي محمد علوان، عدد ٥٤، السنة ٢٠١٠م.
- 26- معوقات تحقيق السلم المجتمعي في العراق بعد عام ٢٠١٨م : فاطمة عطا جابر، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٥٩، السنة ٢٠٢٠م.
- 27- ميزان الحكمة : محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث الطبعة: الأولى ، (د.ت)
- 28- الهوية الوطنية العراقية دراسة في إشكالية البناء والاستمرار: أحمد غالب محي العلق، منشورات: مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠١٨م

التربية الوقائية للتطرف الفكري

أ.د. هدى محمد سلمان القيسي
جامعة بغداد- مركز البحوث التربوية والنفسية

القيم : معتقدات على شكل أهداف مرغوب فيها تمثل معياراً للحكم على السلوك كونه مرغوباً فيه أو مرغوباً في المجتمع.

نسبية القيم بين الثقافات : تختلف القيم من ثقافة إلى أخرى ، بل قد تختلف داخل المجتمع الواحد من مدة زمنية إلى أخرى . ومن فرد إلى آخر ، بل قيم الفرد نفسه تختلف حسب ميوله ورغباته واهتماماته وسلوكه . ومعنى ذلك أن القيم التي يتحلى بها الفرد نفسه لا يمكن اكتشافها أو إصدار الحكم عنها إلا عن طريق الخلفية الثقافية للفرد واهتماماته وسلوكه وقيمة القيم التربوية:

مجموعة من الأسس والقوانين والمبادئ العامة التي بموجبها يتم تنظيم حياة الإنسان وضبط سلوكه (بطريقة اخلاقية) (طهطاوي ، 1998 : ص 72) .

هدفها تحقيق القيم النبيلة والوصول إلى المثل العليا وانعكاساً لثقافة المجتمع ، فهذا ينبني على المعرفة والوعي ثم تتكون الاتجاهات وبعدها تتجسد في سلوك بيئي إيجابي .

وهنا يأتي دور المفهوم الأخلاقي للقيم سمة يتحلى بها الدين الإسلامي في نظرته الشاملة والمدرسة لكل قضايا الإنسان ومعالجتها في ادق تفاصيلها الدقيقة فهو قائم على أساس الخضوع لتأثير الهي . ويدعو إلى (بناء متكامل للحياة الإنسانية) .

القيم تركز على مجموعة من المبادئ الأساسية مثل الاحترام والتسامح والعدالة والحرية والمساواة والتعاون والمسؤولية الاجتماعية. تؤثر القيم بشكل كبير في بناء المجتمع ووحدة تماسكه، حيث أن وجود قيم موحدة ومتسقة بين أفراد المجتمع يساهم في تعزيز الترابط الاجتماعي وتماسك البنية الاجتماعية. من جهة أخرى، فإن غياب هذه القيم أو تباينها بين الأفراد يؤدي إلى صراعات داخل المجتمع، مما يؤدي إلى التفكك والضعف. بالتالي، يعد النظام القيمي الواضح والموحد أساساً لتضامن المجتمع وقوة تماسكه، لأنه يعتمد على الأهداف والقيم المشتركة بين أفراد. (محمد ، 2021 : 942)

لذلك، تحتاج المجتمعات إلى منظومة قيمية يمكنها توجيه تفاعل أفرادها الإيجابي مع بعضهم البعض، ويعتمد نجاح هذه المنظومة على مدى قبول المجتمعات لها، حيث أن قبولها يساهم في وحدة المجتمع وقوته، في حين أن رفضها يؤدي إلى تفكك المجتمع وضعفه. إن كل مجتمع له نظامه التربوي الخاص الذي يعكس فلسفته وأهدافه وظروفه الحياتية. فالمؤسسات التعليمية في كل مجتمع ترتبط بشكل مباشر بالقيم والمعتقدات التي يحملها هذا المجتمع، وتعمل على تنشئة الأفراد وفقاً لهذه القيم والمعتقدات، مما يساعد على تكوين الإيديولوجية الاجتماعية التي توجه المجتمع في مجالات حياته المختلفة. ومن خلال هذه المؤسسات ينشأ الأطفال على هذه الإيديولوجية فيصبحون جزءاً منها ويساهمون في تعزيزها ونقلها إلى الأجيال القادمة.

فعن طريق البناء الفكري والمعرفي وإحاطة الناشئة بالمحسسات والمعززات الاجتماعية والتربوية المناسبة التي تسهم بشكل فاعل في تشكيل وترسيخ السلوكيات التي يمارسونها ازاء تعرضهم لمواقف حياتية متنوعة في بيئتهم وهنا يجب تكوين لدينا إجابات صريحة بالدليل القاطع مثلا بنص قرآني أو حديث نبوي ازاء كل المواقف التربوية التي يكون الإنسان معها بشكل مباشر . فالسلوك المنضبط السوي تجاه كل مقدرات التربية بأنواعها هو السلوك الصحيح الواجب اتخاذه عن طريق تكوين المفاهيم والمرور بالخبرات السابقة التي تسهم في تشكيل القيم التربوية وتقوي دورها في كل التعاملات والممارسات البيئية (خضر 2012 : 79).

التطرف: شدة المغالاة أو العنف في الانفعال أو السلوك .
الخروج العنيف عن النظام القيمي والفلسفي السائد في المجتمع .
التطرف يسبب افكار منحرفة ، وأن هذه الافكار المتطرفة هي التي تقود الى القيام بعمليات ارهابية واقتتال طائفي وحروب والخ ، وبالتالي نلاحظ مدى العلاقة بين التطرف والإرهاب الفكري ، حيث ان الارهاب الفكري هو من نتاج الافكار المتطرفة

فالخطاب : فهو عملية متواصلة من التعاطي المستمر بين طرفين احدهما مرسل والثاني مستقبل.

والمناهج : هي جمع منهج أو منهاج ، وهما من الفعل نهج هو الطريق الواضح في القرآن الكريم لقوله تعالى في سورة المائدة الآية 48 (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) .

المناهج: المحتوى في العملية التعليمية التي بواسطتها يحصل المتعلمون على المعرفة والفهم ، وينمون بها سلوك واتجاهات ومدارك وقيم تحت اشراف المدرسة وتوجيه منها .
إذن غاية العملية التربوية هو بناء الإنسان المتحضر القادر على العمل والإصلاح والبناء وفق الأهداف العامة المخطط لها من قبل التربية لبناء المجتمع المتكامل وخلق حياة امنة ومستقرة يضمن له مستقبلاً مشرقاً ومتفائلاً عن طريق تفاعله الإيجابي مع مقدرات البيئة ومكوناتها الأساسية تشكل المناهج التربوية احد اهم مصادر انتقال الثقافة والقيم والمعايير من جيل إلى آخر فالمناهج التربوية هي احد وسائل توصيل المعلومات التربوية في الاطار المدرسي و تسليط الضوء على القيم الاجتماعية، فوجود قصور في تلقي الطلاب للقيم الاجتماعية سينعكس على التفاعل الاجتماعي في إطار الأدوار المفروضة عليهم في مجتمعاتهم (موسى، 2013 : ص 72).

وذلك يتزامن مع ما تشهده المجتمعات العربية بصورة عامة من تغيرات سريعة، في معظم جوانب الحياة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية،

وتعتبر القيم من الأهداف التي يرجى تحقيقها في محتوى المناهج الدراسية، فأهمية القيم ودراستها تتمثل في كونها تشكل نظاماً متكاملأ لدى الفرد يستطيع العمل على توجيه سلوكه، فهو حصييلة التنشئة التي تتم بواسطة العديد من المؤسسات الاجتماعية، وتعد المدارس من أبرز هذه المؤسسات من خلال المناهج الدراسية التي تعتبر من أهم وسائل المدرسة والمجتمع لغرس القيم الاجتماعية في أفرادها

من هنا نلاحظ اهمية مناهج التعليم في اعداد افراد تجعل منهم مواطنون يعيشون في الحاضر ويستعدون للمستقبل في ذات الوقت ،أما في حالة اذا كانت مناهج التعليم (قاصرة) عن اعداد الافراد اعداد صحيحاً أو أنها (لم) تتعرض للتجديد حتى تعاصر المجتمع وتكون قادرة على أن تواجهه مشكلاته ، وبالتالي فإن المناهج التعليمية سوف تكون احدى مسببات الكثير من المشاكل التي تواجهه المجتمع تؤدي الى خلق افكار متطرفة أو افكار طائفية أو احقاد بين بعض طبقات المجتمع أو بين طائفة وأخرى ، وبالتالي مجتمع متخلف تسوده الفوضى والاضطراب وانعدام الامن ،المؤسسات التعليمية ومناهجها الدراسية قادرة على ان تجعل من المجتمع (مجتمعاً مثقفاً ومتطوراً) أو (مجتمع مضطرب) يكون امام احدى وسائل صناعة الافكار المنحرفة وأنماط وأساليب الارهاب الفكري .

إن مناهج التعليم ممكن ان تكون احد الاساليب التي من خلالها تبدأ بوادر الارهاب الفكري وتؤدي الى تطويره مستقبلاً .

وعليه لابد من وجود سياقات يتم اتباعها في تطوير مناهج التعليم منها -وجود متخصصين في تخطيط المناهج وتطويرها بحيث تكون المناهج والكتب قادرة على مواجهة ومواكبة مستجدات العصر .

-وجود مراقبة على المناهج لمعرفة فيما اذا وجدت افكار متطرفة أو طائفية أو غيرها وبالتالي العمل على الغائها .

- تدريب من يقومون بالتدريس حتى يتمكنون من زرع الافكار التي تدفعهم الى حب وطنهم ودينهم في نفوس الطلاب وتوصيلها الى اذهانهم بمختلف الوسائل - يجب وضع رقابة علمية على مناهج التعليم .

- وكذلك مواكبة التطورات السائدة في المجتمع من خلال تجديدها .

- وضع جميع القيم والمبادئ الدينية والوطنية التي نرغب في زرعها في نفوس ابنائنا ، والابتعاد عن زرع الحقد والعنف والطائفية .

- إضافة مناهج جديدة حول الوقاية من الجريمة والانحراف توضح للطلبة كيف يمكن تحصين أنفسهم ومعرفة السبل الناجحة للابتعاد عن مهادي الرذيلة .

- تنقيح المناهج التعليمية من أفكار التطرف والكراهية وتطويرها بما يخدم منهج الوسطية والاعتدال والتسامح الديني (طهطاوي، 1998: ص 93) .

إن ارتباط الارهاب بالفكر هو ارتباط وثيق ويعتمد على تفكير الانسان ومدى سلامته من آفة التطرف والعنف ، فمتى كان تفكير الانسان سليم وناضج تضاءلت بل انعدمت ظاهرة الارهاب الفكري وبالعكس

فعندما يكون مرض الانسان في جسده قد يتسبب في موته ، أما عندما يكون مرضه في تفكيره فهذا يتسبب في تسمم المجتمع ككل وانحطاطه .

يترتب على التطرف الفكري العديد من المخاطر التي تؤثر سلباً على المجتمع، وتشمل الآتي:

1. الانحراف عن النهج المعتدل والوسطي والاتجاه نحو التطرف والغلو في الدين.
 2. تقويض الوحدة الاجتماعية من خلال تأجيج الخلافات والعداوات بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى زعزعة الاستقرار وخلق حالة من الفوضى والعنف.
 3. تشويه صورة الإسلام وإبعاده عن الناس، مما يعيق انتشار الدعوة الإسلامية.
- والقيم التي تدعو إلى الانعزال عن العالم الخارجي أو التشدد في الحفاظ على الهوية قد تخلق بيئة مغلقة حيث يرفض الأفراد التواصل مع من هم خارج جماعتهم. هذا يؤدي إلى التفكك الاجتماعي والفكري:

على الجانب الآخر، يمكن أن تكون القيم وسيلة للحد من التطرف إذا تم تبنيها بشكل يروج للحوار والتفاهم. بعض القيم يمكن أن تشجع على تقبل الآخر وتعزيز السلم الاجتماعي، مثل:

أ. قيمة التسامح

أن التسامح يعزز القدرة على قبول اختلافات الآخرين والتعايش معهم رغم الخلافات. المجتمعات التي تعزز هذه القيمة فهي تقلل من التوترات: التسامح يساهم في تقليل الانقسامات داخل المجتمعات ويساعد في بناء علاقة قائمة على الاحترام المتبادل.

تحمي من التطرف: عندما يعرف الأفراد أن آرائهم أو معتقداتهم ليست الوحيدة، فإنهم يصبحون أكثر انفتاحاً على الآخرين ويميلون إلى تجنب التشدد. (البياي، 2018 : 58)

ب. قيمة الحوار والتفاهم

تسمح المجتمعات التي تعزز الحوار والنقاش المفتوح للأفراد بالتعبير عن آرائهم بشكل غير عنيف، مما يقلل من الاحتقان الاجتماعي:

تعزيز التفاهم المتبادل: من خلال الحوار، يمكن للأفراد أن يتعرفوا على وجهات نظر الآخرين ويقللوا من التحيزات التي قد تؤدي إلى التطرف.

الحد من العنف: إذا تمكن الأفراد من التفاوض والتحدث بدلاً من القتال، فإن فرص اللجوء إلى التطرف العنيف تتضاءل. (طهطاوي، 1998: ص 93).

ج. قيمة العدالة والمساواة

عندما تسود قيم العدالة والمساواة في المجتمع، تقل أسباب الإحباط والاستياء التي قد تؤدي إلى التطرف:

إنصاف الجميع: المجتمعات التي تحقق العدالة والمساواة تجعل من الصعب على الأفراد أن يشعروا بأنهم مهمشين أو مضطهدين، ما يقلل من احتمالية تطرفهم.

د . الحماية من الشعور بالظلم: الفقر، التهميش، والتمييز هي أسباب رئيسية لدفع الأفراد نحو التطرف. ولكن عندما تتم معالجة هذه القضايا من خلال قيم العدالة، يمكن تقليل هذا الاحتمال بشكل كبير

أن التطرف لا يرتبط فقط بنوع القيم التي يحملها الأفراد أو الجماعات، بل بكيفية تفسير هذه القيم وتطبيقها في الحياة. فالقيم الإيجابية مثل التسامح والحوار يمكن أن تمنع التطرف إذا تم تبنيها بشكل شامل من قبل المجتمع. والقيم السلبية أو المتشددة مثل التعصب أو الانغلاق الفكري قد تؤدي إلى النزاعات والتطرف عندما يتم تطبيقها بشكل مغلق وبدون مرونة. (محمد ، 2021: ص 310)

ويلعب تأثير التعليم في تشكيل القيم الاجتماعية التعليم دوراً مهماً في تشكيل القيم الاجتماعية داخل المجتمع. فهو لا يقتصر على نقل المعرفة والمهارات فقط، بل يمتد تأثيره ليشمل تشكيل الشخصية الفردية وتعزيز الانتماء الاجتماعي. من خلال التعليم، يتعرض الأفراد لمجموعة من القيم والمبادئ التي تساهم في تشكيل فهمهم للعالم من حولهم، مثل العدالة، والمساواة، والاحترام، والتعاون.

علاوة على ذلك، يعد التعليم من العوامل التي تساهم في تغيير أو تطوير القيم الاجتماعية داخل المجتمع. فالمؤسسات التعليمية قادرة على مواجهة التحديات الاجتماعية من خلال تعليم الأفراد القيم التي تتماشى مع التغيرات الاجتماعية والثقافية. مثلاً، قد يساعد التعليم في تعزيز قيم التسامح والقبول بالاختلافات، خاصة في مجتمعات ذات تنوع عرقي أو ديني. التعليم له تأثير كبير على القيم الاجتماعية، حيث يساهم في تشكيل سلوك الأفراد ووجهات نظرهم تجاه المجتمع والعلاقات الإنسانية. ولكي يتم ترسيخ مثل هذه القيم داخل المجتمع من الواجب توفير نظام تعليمي مرن يعتمد على الفهم والتحليل، ويعمل على تلبية احتياجات المجتمع ودعم منظومة القيم التي تميز المجتمع عن غيره. تعتبر القيم بشكل عام من المكونات الأساسية للثقافة في أي مجتمع، حيث يوجد العديد من القيم المشتركة بين المجتمعات المختلفة التي تلعب دوراً مهماً في استقرار المجتمعات الإنسانية. من أبرز هذه القيم "القيم المدنية" مثل التسامح والعمل التطوعي والمشاركة والثقة والالتزام والولاء والانتماء.

من المهم أن نلاحظ أن القيم ليست ثابتة، بل هي عملية مستمرة من النمو والتطور نحو الارتقاء. ولكن هذا النمو لا يحدث إلا في ظل دعم من المؤسسات الاجتماعية والتربوية، سواء كانت منظمة أو غير منظمة، التي تعمل على ترسيخ وتفعيل هذه القيم الإيجابية. فهي تساعد الأفراد على التصدي للمؤثرات السلبية التي قد تعيق نموهم وتوجيههم نحو سلوكيات غير صالحة أو ضارة. كما أن عملية تنمية القيم تتأثر بالمراحل العمرية المختلفة، حيث يرتبط نمو القيم بتطور القدرات المعرفية والعقلية للفرد، مما يجعل هذه العملية متجددة ومتواصلة طوال مراحل حياته. (شطيب ، 2023 : 93)

يعمل التعليم على تعزيز العدالة الاجتماعية والمساواة بين الأفراد، مما يساهم في تقليص الفجوات التي يمكن أن تؤدي إلى مشاعر الاستبعاد الاجتماعي. إن تعليم الأفراد حول القيم الإنسانية المشتركة والمساواة بين الجنسين والعدالة، يعزز من مفهوم العيش المشترك ويقلل من مشاعر الغضب والكراهية التي قد تسهم في ظهور التطرف. (موسى ، 2013 : 270)

أذن التعليم هو حجر الزاوية في بناء مجتمعات مقاومة للتطرف، حيث يساهم في تزويد الأفراد بالمعرفة والمهارات التي تمكنهم من مواجهة أي محاولات للتلاعب بعقولهم أو دفعهم نحو سلوكيات عنيفة.

المصادر

- السلطاني، نسرين حمزة (20) : دور التربية والتعليم في تحصين عقول الناشئة من التطرف والارهاب العدد/ 23 مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل تشرين أول

-خضر، فخري رشيد (2012). منظومة القيم المتضمنة في مناهج التربية الوطنية والمدنية في المراحل الأساسية العليا في الأردن، مجلة العلوم التربوية، مج20، ع1.

-شطيب ، محمد صالح (2023) : التنشئة الاجتماعية ودورها في الحد من التطرف: المجتمع الموصلي انموذجا العدد 94 مجلة دراسات دولية.

-طهطاوي، سيد أحمد (1998). القيم التربوية في القصص القرآنية، القاهرة: دار الفك .

-محمد احمد عثمان (2021) : أثر التطرف الديني على المجتمع العراقي، مجلة سر من راي ، العدد69، المجلد 17 ر العربي.

-موسى، سالمة مسعود (2013). القيم الاجتماعية في مناهج التعليم الأساسي في ليبيا: مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية نموذجا، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، مج77.

-موسى، سالمة مسعود (2013). القيم الاجتماعية في مناهج التعليم الأساسي في ليبيا: مناهج اللغة العربية